هذا الغلاف (الخارجي والداخلي)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مجلة
الجامعة الإسلامية

مجلة علمية محكمة
تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

العدد ١٦١ – السنة ٤٥ – ١٤٣٣هـ

رقم الإيداع ١٤/٠٠٩٢
تاريخه ١٤١٤/١/٢٢هـ

موقع الجامعة الإسلاميّة www.iu.edu.sa
بريد الإنترنت iu@iu.edu.ds

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد نشر البحوث العلميّة في مجلّة الجامعة

أ – أن تكون جديدة؛ لم يسبق نشرها .

ب– أن تكون خاصّة بالمجلّة .

ج– أن تكون أصيلة؛ من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

د – أن تُراعى فيها قواعد البحث العلميّ الأصيل ، ومنهجيّته.

هـ– أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة، قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلميّة في (الدّكتوراه) أو (الماجستير) .

و – أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة للإصدار الواحد، ولا يَقِلُّ عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلّة الاستثناء عند الضّرورة .

ز – أن تُصَدَّرَ بنبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتّعريف بها .

ح– أن يرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها ؛ تبيّن عمله، وعنوانه، وأهمّ أعماله العلميّة.

ط– أن يُقَدّم صاحبها خمس نسخ منها .

ي– أن تُقَدّم مطبوعة وفق المواصفات الفنّيّة التّالية:

١– البرنامج وورد XP أو ما يماثله .

٢– نوع الحرف Traditional Arabic

٣– نوع حرف الآية القرآنيّة decotype Naskh Special

٤– مقاس الصّفحة الكلي : ١٢سم × ٢٠سم (بالرّقم)

٥– حرف المتن: ١٦ أسود .

٦– حرف الهامش : ١٤ أبيض.

٧– رأس الصّفحة : ١٢ أسود .

٨– العنوان الرّئيسيّ : ٢٠ أسود.

٩– العنوان الجانبي : ١٨ أسود.

١٠– الأقراص تكون من النّوعيّة الجيّدة، ويكون حفظ الملفّات على نظام DOC.

ك – أن يُقَدّم البحث - في صورته النّهائيّة - في ثلاث نسخ؛ منها نسختان على قرصين مستقلّين ، ونسخة على ورق .

ل– لا تلتزم المجلّة بإعادة البحوث لأصحابها ؛ نشرت أم لم تنشر .

عنوان المراسلات : تكون المراسلات باسم رئيس التّحرير:
(ص ب ١٧٠ المدينة المنوّرة هاتف وفاكس ٨٤٧٢٤١٧
البريد الإلكتروني iu@iu.edu.sa)

ص ٧

مجلة

الجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

مُحْتَوَيَاتُ الْعَدَدِ

ص ١١

وَاقِعُ مَادَّةِ (رَسْمِ وَضَبْطِ الْقُرْآنِ) فِي الدِّرَاسَاتِ الْجَامِعِيَّةِ "مِنْ خِلَالِ كُلِّيَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ"

دِرَاسَةٌ وَمُقَارَنَةٌ وَتَحْلِيلٌ

إِعْدَادُ:

د. مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بَرْهَجِيّ

الْأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ بِكُلِّيَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْجَامِعَةِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون، موعظة من ربنا وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن علم رسم وضبط القرآن الكريم من أشرف العلوم وأهمها؛ لشدة تعلقه بكتاب الله الكريم، وقد دأب سلف الأمة على الاهتمام بهذا العلم، عن طريق تدريسه، وتعليمه، والتأليف فيه، نظماً، ونثراً، وشرحاً، إجمالاً، وتفصيلاً.

وكان النظم من أهم الطرق التي حرص عليها علماء الإسلام في إيصال المعلومات إلى طلبة العلم، في جميع العلوم الشرعية، ومن بينها علم الرسم، وكان الطلاب كثيراً ما يتساءلون: ما هي المنظومة التي يحفظها طالب العلم ويهتم بها حتى يتقن هذا العلم الشريف؟ لذلك أحببت أن أشارك بهذا البحث للإجابة عن هذا السؤال، وأقارن ذلك بواقع الجامعة الإسلامية وكلية القرآن فيما يُدَرَّس.

وسوف يهدف الباحث من خلال هذا المشروع إلى الأمور التالية:

١– عمل استبيانات يطلب فيها من أعضاء هيئة التدريس في كلية القرآن الكريم، والطلاب المتخرجين والدارسين من إبداء آرائهم في منهج مادة علم رسم وضبط القرآن، وطرق تدريسها، وعدد الحصص التي تعطى لها، والمادة العلمية المدروسة.

٢– دراسة منظومات علم رسم وضبط القرآن، ومقارنتها بالمناهج

المدروسة في كلية القرآن الكريم.

٣- إعطاء اقتراحات لتدريس هذا العلم من خلال الآتي:

أ- بيان أفضل المنظومات التي ألفت في هذا الفن.

ب- بيان المنظومات التي يتناسب دراستها مع الدراسة الجامعية في مرحلة الكلية (البكالوريوس)، والمنظومات التي يتناسب دراستها في مرحلتي (الماجستير والدكتوراه).

ج- إعطاء منهج مقترح يتضمن عدد الحصص التي تدرس فيها هذه المادة، والمستويات التي تدرس فيها.

٤- عمل استبيانات في المرحلة النهائية على المنهج المقترح يؤخذ فيه آراء مدرسي هذه المادة وطلابها.

موضوع البحث:

يهدف هذا المشروع إلى دراسة واقع مادة (علم رسم وضبط القرآن) في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، حيث إن كلية القرآن التي تدرس القراءات وعلومها قد تضمنت مناهجها دراسة مادة (علم رسم وضبط القرآن الكريم).

مشكلة البحث:

مع ما يلاحظ من براعة واضحة في تدريس مادة علم القراءات، ومن فائدة متنامية لدى الجيل الإسلامي الصاعد والواعد في دراسة هذا العلم، إلا أننا بالمقابل نلاحظ ضعفاً واضحاً وملموساً في علم له علاقة واضحة وكبيرة بعلم القراءات، ألا وهو علم رسم وضبط القرآن الكريم، والهدف من هذا البحث هو دراسة السبب الذي من أجله تضعف دراسة هذه المادة، هل هو بسبب

صعوبة المنهج، أو بسبب عدم تناسب المنهج مع عدد الحصص، أو مع المستويات التي يدرس فيها الطالب، أو غير ذلك.

حدود البحث:

- دراسة المنظومات التي تعرضت لعلم رسم وضبط القرآن الكريم.
- دراسة المناهج المدرسة في هذا العلم في كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية.
- دراسة الواقع العملي والتطبيقي لهذا العلم.

مصطلحات البحث:

مصطلحات البحث هي نفس المصطلحات الواردة في كتب علم رسم وضبط القرآن الكريم.

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

تتلخص أهمية البحث وأسباب اختياره فيما يلي:

١– أهمية العلم المتناول في هذا البحث بالنسبة للتخصص العام، ألا وهو تخصص علم القراءات، حيث يعلم كل متخصص في هذا العلم مدى أهمية علم الرسم والضبط بالنسبة للقراءات.

٢– أرجو أن يساعد هذا البحث في توجيه الكليات الإسلامية في تدريس هذا العلم إلى تطوير منهج تدريس علم الرسم والضبط ليتناسب مع واقع الطلاب المعاصر.

٣– إرشاد المتخصصين إلى أفضل المنظومات التي كتبت في هذا الفن، ومقارنتها مع الواقع العملي للكليات التي تدرس علم الرسم.

٤– يعتمد البحث على مشاركة أعضاء هيئة التدريس والطلاب المتخرجين

والدارسين، وبيان آرائهم في هذا الشأن.

٥- الواقع الملموس الذي أشاهده من ضعف تحصيل المادة العلمية عند الطلاب الأكاديميين، وعدم الاستيعاب الجيد لها.

الدراسات السابقة:

لم أقف حسب بحثي على دراسة سابقة في هذا الموضوع.

أهداف البحث:

١- التعرف على أسباب ضعف تحصيل المادة العلمية عند الطلاب في مادة علم الرسم والضبط.

٢- التعرف على أهم منظومة تناسب الطلاب في هذه المادة.

٣- التعرف على آراء الباحثين والدارسين على النتائج التي سيتوصل إليها الباحث، وعلى اقتراحات وتوصيات البحث.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى ثلاثة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول: مقدمات في علم الرسم والضبط.

المبحث الأولى: معنى الرسم والضبط في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: أهمية علم الرسم والضبط.

الفصل الثاني: دراسة منظومات علم الرسم والضبط، وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: دراسة منظومات علم الرسم والضبط.

المبحث الثاني: المنظومة المناسبة لدراسة طلاب كليات القرآن.

الفصل الثالث: الاستبيانات، وينقسم إلى فصلين:

المبحث الأول: الاستبيانات الخاصة بأسباب ضعف التحصيل العلمي عند

الطلاب في هذه المادة.

المبحث الثاني: الاستبيانات الخاصة بآراء المتخصصين والأكاديميين في آراء ونتائج الباحث.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

فهرس الأعلام.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

١– جمع جميع المنظومات المتعلقة بعلم الرسم.

٢– دراسة كل منظومة على حدة من الجهات التالية:

أ– استيعابها للعلم.

ب– عدد أبياتها من ناحية الطول والقصر.

ج– مناسبتها للطلاب.

د– جودة صياغتها.

٣– بيان ميزات وسلبيات كل منظومة.

٤– اختيار المنظومة الأجود حسب الاستبيانات التي تبين أسباب ضعف التحصيل العلمي لهذه المادة.

٥– اختيار الأسلوب الأمثل لتدريس هذه المادة.

٦– إعداد استبيانات علمية، وتنقسم إلى قسمين:

أ– استبيانات تسبق الوصول إلى النتيجة، وذلك لمعرفة أسباب ضعف التحصيل العلمي لهذه المادة.

ب- استبيانات توضع بعد الوصول إلى النتيجة، حيث يضمن الباحث فيها نظرات وآراء الأكاديميين والمتخصصين لما يراه من نتائج وتوصيات.

٧- دراسة تعامل الكليات الشرعية مع هذه المادة، وعدد الوحدات المعطاة لها، وما هي المنظومات التي تدرس في الكليات الشرعية.

٨- كتابة البحث بحسب قواعد الإملاء الحديثة.

٩- كتابة الآيات بالرسم العثماني، وعزوها إلى سورها وآياتها.

١٠- تخريج الأحاديث من الصحيحين، أو غيرهما إن لم يوجدا في الصحيحين.

١١- الاستعانة بأقوال العلماء والباحثين، مع عزوها إلى مصادرها.

١٢- كتابة الفهارس حسب الخطة السابقة.

الفصل الأول: مقدمات في علم الرسم والضبط

المبحث الأول: معنى الرسم والضبط في اللغة والاصطلاح

الرسم لغة:

يطلق الرسم على عدة معانٍ في اللغة:

١– الأثر[١]، فرسم الدار ما كان من آثارها لاصقاً في الأرض. يقول امرؤ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ وَرَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنذُ أَزْمَانِ[٢]

ويقول جميل بن معمر العذري:

رَسْمِ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهْ كِدتُ أَقْضِي الْحَيَاةَ مِن جَلَلِهْ[٣]

والمراد بالأثر هنا: أثر الكتابة في اللفظ[٤].

٢– الكتابة، فتصوير الألفاظ برموز مكتوبة في اللغة على دلالات معينة يسمى رسماً[٥].

ويُرادفه: الرشم –بالشين– والخط، والزَّبْرُ، والرَّقْمُ، والكَتْبُ، والسَّطْرُ[٦].

والرسم والمرسوم بمعنىً واحد، فالرَّسْمُ مصدر أريد به اسم المفعول.

---

(١) انظر: جمهرة اللغة (٣٣٦/٢) مادة (أثر)، وتهذيب اللغة (٤٢٢/١٢) مادة (أثر).

(٢) انظر: مختار الشعر الجاهلي (٧٣/١).

(٣) انظر: الأغاني (٩٩/٨)، ولسان العرب (١١٦/١١).

(٤) انظر: رسم المصحف وضبطه (ص٣٧).

(٥) انظر: لسان العرب (٢٤٢/١٢) مادة (رسم)، ومختار الصحاح (ص١٠٢) مادة (رسم).

(٦) انظر: سمير الطالبين (ص٢٧).

والرسم اصطلاحاً:

اصطلح علماء هذا الفن على استخدام هذا المصطلح في الدلالة على خط المصحف الذي كتب به في عهد النبي ﷺ، واستقر على صورته النهائية في عهد عثمان رضي الله عنه.

وقد اختلفت تعريفات العلماء لهذا العلم، فمن هذا التعريفات:

– تعريف ابن عاشر، حيث يقول في تعريفه: «علم تعرف به مخالفات المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي»(١)، ومثله تعريف الضباع وأبي زيتحار(٢).

– ويعرفه المارغني بقوله: «حروف القرآن المرسومة»(٣).

– وعرفه الدكتور فهد الرومي بقوله: «الوضع الذي ارتضاه الصحابة في عهد عثمان في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه»(٤).

والتعريف الأول هو أنسب هذه التعريفات؛ فإن هذا العلم لا يدرس فيه كتابة جميع الحروف والكلمات، وإنما يدرس فيه ما يخالف الرسم العثماني الرسم القياسي.

أما الضبط لغة:

فهو بلوغ الغاية في حفظ الشيء(٥).

---

(١) فتح المنان (٨/أ).

(٢) سمير الطالبين (ص٢٢)، ولطائف البيان (ص١٣).

(٣) دليل الحيران (ص٨).

(٤) دراسات في علوم القرآن (ص٣١٥).

(٥) انظر: الجوهر المكنون (ص١١)، وإرشاد الطالبين (ص٤).

واصطلاحاً:

هو: «علم يستدل به على ما يعرض للحرف من حركة، وسكون، وشدٍّ، ومد»[١].

ويرادفه: الشكل[٢].

(١) انظر: الجوهر المكنون (ص١١)، وإرشاد الطالبين (ص٤).

(٢) انظر: إرشاد الطالبين (ص٤).

المبحث الثاني: أهمية علم الرسم والضبط

أهمية علم الرسم عموماً:

– إجماع علماء الرسم على أنه لا بد لمن كتب مصحفاً كاملاً أن يكتبه بالرسم العثماني، ولا يجوز له أن يكتبه بالرسم الإملائي(١).

– دراسة علم الرسم فيه اتباعٌ للأثر، يقول الشيخ الضباع: «يجب على من أراد كتابة مصحف أن يكتبه على مقتضى الرسم العثماني؛ لأن في كتابته على مقتضى الرسم القياسي مخالفة للأحاديث الواردة في طلب الاقتداء بالصحابة، وخرقاً لإجماع الصحابة وجميع الأمة»(٢).

– في دراسة علم الرسم تحقيق فرض الكفاية؛ لأنه فرض كفاية على الأمة إن قام به البعض سقط عن الباقين(٣).

– ارتباط القراءة بخط المصحف. قال أبو عبيد القاسم بن سَلَّام (ت٢٢٤هـ): «وإنما نرى القراء عرضوا القراءة على أهل المعرفة بها، وتمسكوا بما علموا منها فخافوا أن يزيغوا عما بين اللوحين بزيادة أو نقصان، ولهذا تركوا سائر القراءات التي تخالف الكتاب، ولم يتلفتوا إلى مذاهب العربية فيها إذا خالف ذلك خط المصحف، وإن كانت العربية أظهر بياناً من الخط، ورأوا تتبع حروف المصاحف وحفظها عندهم كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها»(٤)، فينظر في القراءة؛ فما وافق منها رسم المصحف تحقيقاً أو تقديراً

(١) انظر في ذلك مثلاً: سمير الطالبين (ص١٤-١٦).

(٢) سمير الطالبين (ص١٤).

(٣) انظر: لطائف البيان (ص١٣).

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص٣٦١).

يقبل، وما خالفه منها يرد[١].

– ارتباط كيفية الوقوف برسم المصحف، وهي من أعظم الأسباب التي تجعلنا نهتم بعلم الرسم، فإن الوقوف على كثير من كلمات القرآن لا بُدَّ فيه من مراعاة الرسم، كالوقف على التاءات المفتوحة، والموصول والمفصول، والكلمات محذوفة الياء أو الواو، ونحو ذلك[٢]. يقول ابن القاصح: «ويحتاج القارئ إلى معرفة الرسم في ذلك؛ فيقف بالحذف على ما رسم بالحذف، وبالإثبات على ما رسم بالإثبات»[٣].

– حفظ الناس من الاختلاف، وتوحيد الأمة على كتابة القرآن بطريقة معينة، وهو السبب الذي جعل عثمان بن عفان ﷺ يجمع المصاحف. قال البغوي: «فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع الناس عليه، وأذهب ما سوى ذلك؛ قطعاً لمادة الخلاف»[٤]، والدعوة التي دعا إليها بعض الناس أن يكون الرسم العثماني للخاصة، والرسم الإملائي للعامة هو سبيلٌ من سبل الخلاف والشقاق بين العامة والخاصة، وتوحيد رسم القرآن لجميع الناس سببٌ لتوحيد العامة[٥].

(١) انظر: دليل الحيران (ص٢٥).

(٢) انظر: الرسم القرآني (ص١١٦).

(٣) سراج القارئ المبتدي (ص١٢٧).

(٤) شرح السنة (٤/٢٢٥-٢٢٦).

(٥) ومما يدل على ذلك أن الناس اليوم مجمعون على الرسم العثماني، لا تجد منهم من ينكر كتابة القرآن بخط يخالف رسم الإملاء، وذلك لتعودهم على هذا الرسم ومطالعتهم له كل ما طالعوا المصحف، بعكس ما لو قرأت قراءة مخالفةً لما اعتادوا عليه فقد تجد النكير من العامة الذين لم يسبق لهم معرفة بالقراءات، وهذا مما يدل على أن بقاء الرسم العثماني على =

– في المحافظة على علم الرسم محافظةٌ على هدي النبي ﷺ وسنته المتعلقة بكتابة المصحف[1].

– الرسم الإملائي الحديث بُنِيَ على كثيرٍ من مسائل رسم المصحف[2].

– أهمية علم الرسم تتجلى عند بعض اللغويين والنحويين والمفسرين، فيتخذون من وسائل الترجيح رسم المصحف، والاحتجاج به في اللغة والإعراب والصرف، ويظهر ذلك جلياً عند سيبويه وأبي إسحاق الزجاج وابن خالويه وابن جني وأبي جعفر الطبري ومكي بن أبي طالب وأبي عمرو الداني، وجمهور كثير من المفسرين[3].

– موضوع الرسم يكشف بعض النواحي في مسألة نشأة الكتابة العربية[4].

– يتجلى في علم رسم المصحف سعة علم الصحابة وأئمة الدين الذين أتقنوا هذا العلم ونقلوه لنا، يقول ابن فارس: «ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية: كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو والياء والهمز، والمد والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء، وذوات الواو بالواو ... فصار ذلك حجة»[5]. وقال الداني: «وليس شيء من الرسم ولا من النقط اصطلح عليه السلف رضوان الله عليهم إلا وقد حاولوا به وجهاً من

=

هذه الطريقة سببٌ لتوحد الأمة.

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/٣٥٧).

(٢) انظر: نتيجة الإملاء وقواعد الترقيم (ص٤).

(٣) رسم المصحف للدكتور شلبي (ص٥٧).

(٤) مختصر التبيين لهجاء التنزيل (ص١٠).

(٥) الصاحبي في فقه اللغة (ص١٨).

الصحة والصواب، وقصدوا به طريقاً من اللغة والقياس؛ لموقعهم من العلم، ومكانتهم من الفصاحة، علم ذلك من عَلِمَه، وجهله من جهله، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»(١). وقال ابن الجزري: «فهذا يدل على أن القرآن عندما كتب في تلك العهود المباركة ... وكان ذلك عن علم تامٍّ ممن كتبوه»(٢).

– يتجلى في هذا العلم إدراك نوعٍ من عظمة القرآن الكريم، وبيان شيءٍ من أسراره، حيث حُفِظَ القرآن الكريم من نواحٍ متعددة؛ فحفظه علماء الإسلام من جهة ألفاظه، ومن جهة رسمه، ومن جهة معانيه، محققين بذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٣).

– في المحافظة على علم الرسم محافظة على تلقي القرآن الكريم من أفواه العلماء والمشايخ؛ فإن الدعوة التي دعت إلى كتابة المصحف بالخط الإملائي الحديث كان هدفها الابتعاد عن الخطأ خاصة ممن لم يتَلَقَّ القرآن عن المشايخ، فكتابة القرآن بالرسم العثماني فيه إجبارٌ لكل من أراد قراءة القرآن أن يتلقى القرآن من أفواه المشايخ، ولو كان القرآن مكتوباً بالرسم الإملائي القياسي لاكتفى الناس بالقراءة من المصاحف، فتضيع صورة الأداء السليم الذي لا يتحقق إلا من خلال التلقي(٤).

– إن تغيير الرسم ربما يكون مدعاة من قريب أو بعيد إلى التغيير في جوهر

---

(١) المحكم في نقط المصاحف (ص١٩٦).

(٢) النشر (١٢/١).

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٤) انظر: سمير الطالبين (ص١٨)، ورسم المصحف وضبطه (ص٧٠).

الألفاظ والكلمات القرآنية، وفي ذلك فتنة كبرى وشر مستطير، وسد الذرائع مهما كانت بعيدة أصل من أصول الشريعة الإسلامية التي تبنى عليها الأحكام؛ لذلك وجب الاهتمام بالرسم العثماني.

– علم الرسم حافظ على بعض اللغات العربية، فمثلاً كتابة هاء التأنيث تاءً مفتوحة ذكر العلماء أنها لغة طيء، وحذف حرف العلة من آخر الفعل المضارع لغير الجزم ذكر العلماء أنها لغة هذيل؛ فساعد رسم المصحف على المحافظ على بعض اللغات العربية[١].

– يدل علم الرسم على أصل الحرف أحياناً، فكتابة الألف واواً يدل على أن أصل الألف واو، وكتابتها ياءً يدل على أن أصل الألف الياء[٢].

– كما أن علم الرسم قد يدل على بعض المعاني المختلفة مثلاً بين القطع والوصل في بعض الكلمات، فمثلاً (أم) قطعها عن (من) يفيد معنى (بل)، دون وصلها بها[٣].

– من فوائد الاهتمام بالرسم العثماني حمل كتّاب المصحف على النقل من مصحف إمام معتمد، غير معتمدين على ذاكرتهم؛ فإن ذاكرة الفرد كثيراً ما تخون صاحبها، ذكر صاحب كتاب الرسم القرآني أنه طُلِبَ منه أن يكتب جزء عم لبعض دور النشر، فكتب بعض الآيات من حفظه دون الاعتماد على مصحف، فحصل له خطأ في كتابة الآية حيث كتب (يصنعون) بدل (يفعلون) في آخر سورة المطففين، وطُبِعَ الجزء بهذا الخطأ، ولو أن الكتاب والخطاطين

(١) انظر: سمير الطالبين (ص١٧)، ورسم المصحف وضبطه (ص٧٠).

(٢) انظر: سمير الطالبين (ص١٧)، ورسم المصحف وضبطه (ص٧١).

(٣) انظر: سمير الطالبين (ص١٧).

التزموا رسم المصحف في كتابة المصحف لابتعدوا عن الخطأ[١].

– رسم المصحف ركن من الأركان الثلاثة التي يشترطها العلماء لقبول القراءة، كما قال ابن الجزري: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها: فهي القراءة الصحيحة»[٢]. وقال البغوي: «ليس لأحدٍ أن يعدو في اللفظ ما هو خارج عن علم الرسم»[٣]؛ فرسم المصحف رُوعِيَ فيه تحمل القراءات لأوجه متعددة، سواء كانت الاحتمال تحقيقاً أو تقديراً، فالقراءة التي تخالف رسم المصحف تعتبر قراءة شاذة، ومن هنا يتبين الارتباط الوثيق بين القراءات ورسم المصحف، بحيث لا يقوم مقامه رسمٌ آخر، ولا إملاء غيره.

– بيان معرفة اختلاف القراء في بعض الأحرف، ولن يتسنى لقارئ القرآن معرفة بعض الأحرف التي اختلف فيها القراء إلا بعد معرفة رسم هذه الأحرف. وهو باب مهم في القراءة، ولذلك نجد الكتب المؤلفة في القراءات وشرح الشاطبية خصت فيها بابا لذكر مرسوم المصاحف. قال الإمام أبو العباس المهدوي: «كانت الحاجة إليه كالحاجة إلى سائر علوم القرآن، بل أهم، ووجوب تعليمه أشمل وأعم؛ إذ لا يصح معرفة بعض ما اختلف القراء فيه دون معرفته»[٤]. أي: رسم هجاء المصاحف كما هو واضح في وقف حمزة وهشام وغيرهما على بعض الحروف. وقال ابن القاصح: «ويحتاج القارئ إلى معرفة

---

(١) انظر: رسم المصحف (ص١١٧).

(٢) النشر (١/٩).

(٣) شرح السنة (٤/٢٢٦).

(٤) هجاء مصاحف الأمصار (ص٧٥).

الرسم في ذلك، فيقف بالحذف على ما رسم بالحذف، وبالإثبات على ما رسم بالإثبات»[1].

– ارتباط الرسم العثماني بالقراءات ارتباط وثيق الصلة، ولا يمكن أن يقوم مقامه أي رسم آخر؛ فالمحافظة على رسم المصحف فيه محافظة على علم القراءات، حيث تختلف القراءة باختلاف الرسم؛ مع أن المرجع في ذلك هو التلقي والاتباع. يقول الإمام ابن تيمية: «وسبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف هو تجويز الشارع وتسويغ ذلك لهم؛ إذ مرجع ذلك إلى السنة والاتباع لا إلى الرأي والابتداع»[2]. فلو لم يلتزم الرسم العثماني، واتُّبِعَت الدعوات التي تدعو إلى كتابه بالرسم الإملائي؛ لضاعت على الأمة الكثير من القراءات؛ بسبب عدم تحمل الرسم الإملائي إياها، وفي ذلك إهمال لبعض القرآن[3].

أهمية علم الضبط:

– في علم الضبط حفظٌ للقرآن الكريم من التغيير والتحريف والتبديل.

– وفيه صيانةٌ للسان عن الخطأ فيه؛ حيث تميز الحروف بعضها عن بعض، وتميز الحركات بعضها عن بعض؛ فإن مقصود علماء الضبط في المرتبة الأولى من هذا العلم هو صون الألسنة عن الخطأ في النطق بأي حرف من حروف القرآن، ومنع أي لبس أو اشتباه في القرآن[4].

(١) انظر: سراج القاري (ص١٢٧)، وإبراز المعاني (ص٢٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣٩٩).

(٣) انظر: سمير الطالبين (ص١٧)، ورسم المصحف وضبطه (ص٦٩).

(٤) انظر: أصول الضبط (ص٢٦٤).

– وفيه تيسير على القارئ؛ حيث إن كتابة القرآن بدون ضبط فيه صعوبة، فمن أهداف علم الضبط هو إزالة الإشكال عن ألفاظ كلمات القرآن[١]، يقول الداني – رحمه الله–: «اعلم أيدك الله بتوفيقه: أن الذي دعا السلف ﷺ إلى نقط المصاحف ما شاهدوه من أهل عصرهم، مع قربهم من زمن الفصاحة ومشاهدة أهلها من فساد ألسنتهم، واختلاف ألفاظهم، وتغيّر طباعهم، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم، وما خافوه مع مرور الأيام، وتطاول الأزمان من تزيّد ذلك، وتضاعفه فيمن يأتي بعد، ممن هو لا شك في العلم والفصاحة والفهم والدراية دون من شاهدوه ممن عرض له الفساد، ودخل عليه اللحن، لكي يُرْجع إلى نقطها، ويُصار إلى شكلها، عند دخول الشكوك، وعدم المعرفة، ويتحقق بذلك إعراب الكَلِم، وتدرك به كيفية الألفاظ»[٢]. ولكن هذا لا يعني طبعاً إلغاء التلقي من ألسنة وأفواه الشيوخ. ورد في تقرير اللجنة العلمية عن مصحف المدينة النبوية: «ليست هناك صعوبة تذكر على قارئ القرآن بعد تطوير ما أُضيف إلى صورة الرسم من رموز النقط والشكل؛ التي أوضحت مشكله، بل أعانت على النطق به فجعلته ميسوراً، فإن ضبط المصحف بهيئته المعروفة اليوم لم يُوضِّح مشكلَ الرسم القرآني فحسب، بل وضَّح أيضاً ودل على أصوات بعض الحروف، كما تجده في رموز القلب، والإخفاء، والإدغام، والإظهار، ورموز المدود، ونحو ذلك. وقبل ذلك كله يجب ألا يغيب عن بالنا جميعاً أن المصحف أمر مساعد على تَلَقِّي القرآن، وليس هو الوسيلة الأساسية؛ لأن العمدة في تَلَقِّي القرآن على المشافهة والتلقين»[٣].

– كما أن دراسة علم الضبط فيه اتباع للسلف الصالح؛ فإن هذا العلم قد

---

(١) انظر: الجوهر المكنون (ص٢٣).

(٢) المحكم في نقط المصحف (ص١٨-١٩).

(٣) التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية (ص٣٠).

ابتدأه الصحابة رضوان الله عليهم(١). نقل الداني عن الأوزاعي قال: «سمعت قتادة يقول: بدؤوا فنقطوا»، وعقب الداني عليه فقال: «هذا يدل على أن الصحابة وأكابر التابعين رضوان الله عليهم هم المبتدئون بالنقط ورسم الخموس والعشور؛ لأن حكاية قتادة لا تكون إلا عنهم؛ إذ هو من التابعين»(٢).

– علم الضبط تفرع عنه علم النحو المعروف بين أيدينا، بل إن بعض العلماء كان يسميه بعلم العربية(٣).

– تظهر أهمية علم الضبط في حال اختلاف القراءات، حيث تتشابه كثيرٌ من الكلمات رسماً مع اختلاف القراء في قراءتها، ولا يظهر اختلافها إلا بالضبط والنطق، بل إن أكثر الخلافات بين القراء لا يُظْهِرُها الرسم، بل يظهرها الضبط. قال الإمام مكي بن أبي طالب: «فالمصحف كتب على حرف واحد، وخَطُّهُ محتمل لأكثر من حرف؛ إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً»(٤).

---

(١) انظر: أصول الضبط (ص٢٦٣).

(٢) المحكم في نقط المصحف (ص٢-٣).

(٣) انظر: أصول الضبط (ص٢٦٥).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٩/٢٤-٢٥).

الفصل الثاني: دراسة منظومات علم الرسم والضبط

تمهيد

قبل الخوض في دراسة منظومات علم الرسم، لا بد من ذكر المنظومات التي وقفت عليها من خلال اطلاعي عليها مباشرة، أو ذَكَرَتْها الكتب المتخصصة في علم الرسم، أو الفهارس، والذي وقفت عليه من هذه المنظومات في علم الرسم والضبط هي:

١- الاقتصاد في رسم المصحف، لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، وهي أرجوزة في مجلد[١]، وهي مفقودة[٢].

٢- رجز في علم نقط المصاحف، لأبي داود (٤٩٦هـ)، وقد ذكره أبو داود في كتابه أصول الضبط، حيث قال: «وقد تكلمنا على معنى النقط ... في

(١) انظر: مقدمة البديع في رسم مصاحف عثمان (ص٤٧)، وغاية النهاية (١/٥٠٣-٥٠٤)، ومفتاح السعادة (١/٢٦٨)، وكشف الظنون (١/١٣٥)، وهدية العارفين (١/٦٥٣)، ومعجم مصنفات القرآن الكريم (٣/٢٧٧).

(٢) يقول الشيخ عبد الهادي حميتو في كتابه معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني (ص٤٢) عن هذه المنظومة للداني: «عدم ورود ذكر له في كتب المغاربة وفهارس مروياتهم مع شدة اهتمامهم بتراث أبي عمرو يقوي جانب الشك في ثبوت نسخة هذا الكتاب إلى أبي عمرو الداني، لا سيما وهو في موضوع الرسم الذي عني بالنقل فيه عن أبي عمرو عامة المؤلفين بعده، ابتداء من صاحبه أبي داود سليمان بن نجاح، ومروراً بالإمام الشاطبي، وشراح عقيلته، إلى أبي عبد الله الخراز ناظم المقنع، يضاف إلى هذا أنه كما قال ابن الجزري منظوم، والنظم عند المغاربة أحظى من المنثور، فمن البعيد جداً أن تكون عند أبي عمرو أرجوزة في الرسم ثم لا نجد لذكرها أثراً في كتبه فيه كالمقنع وغيره، ولا في كتب غيره من الناقلين لمذاهبه والناظمين لمسائله، لا سيما الشاطبي والخراز وشراح قصيدتيهما». والله أعلم.

كتابنا الكبير المذكور، وفي كتابنا حروف المعجم من تصنيفنا، وفي الرجز من نظمنا»[(١)].

٣- الدر المنظوم في معرفة المرسوم لعطاء بن يسار الأندلسي[(٢)].

٤- منظومة في الرسم، لعلي بن عبد الغني الحصري (ت٤٨٨هـ)[(٣)].

٥- خط المصحف، لمحمود بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ)[(٤)].

٦- المنصف، للشيخ أبي الحسن علي بن محمد المرادي الأندلسي البلنسي (ت بعد ٥٦٣هـ)، أرجوزة في هجاء المصاحف نظم فيها ما في التنزيل لأبي داود، أتمها في النصف من شعبان سنة ٥٦٣هـ، وهي مفقودة[(٥)].

٧- عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، للشاطبي (٥٩٠هـ).

٨- قصيدة رائية في مرسوم الخط، لعبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني (ت٦٩٤هـ)[(٦)].

٩- النُّزهة في شرح العقيلة، للجعبري (ت٧٣٢هـ).

١٠- روضة الطرائف في رسم المصاحف، لإبراهيم بن عمر الجعبري

(١) أصول الضبط (ص١٣٢).

(٢) أشار إليه ابن اللبيب في مقدمة شرحه للعقيلة، وذكر أنه من مصادره.

(٣) انظر: الوسيلة إلى كشف العقيلة (ص٤٠)، والرسم القرآني ضابطاً من ضوابط القراءة الصحيحة (ص٨٢)، ومرسوم خط المصحف (ص١١)، والفهرس الشامل- مخطوطات رسم المصاحف (ص٤٧٦).

(٤) انظر: مقدمة البديع في رسم مصاحف عثمان (ص٤٧).

(٥) انظر: التبيان (ص١٢٣)، والقراء والقراءات بالمغرب (ص١٧، ٣٨، ٩٩)، والميسر في علم المصحف وضبطه (ص٩١-٩٣).

(٦) انظر: الضوء اللامع (١٠٨/٣).

(ت٧٣٢هـ)، وهي منظومة لامية في ٢١٨ بيتاً نظم فيها الجعبري العقيلة، وزاد عليها بعض المسائل[١].

١١– واضحة المبهوم في علم المرسوم، لمحمد بن خليل القشيري الأربلي (من علماء القرن السابع)، وهي منظومة رائية[٢].

١٢– نظم الميمونة الفريدة في نقط المصاحف وضبطها، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن القيسي الفاسي، الشهير بالجادري، وهي في الضبط خاصة[٣].

١٣– الدرة الجلية في ضبط المصاحف العثمانية[٤]، لميمون بن مساعد المصمودي التونسي، مولى أبي عبد الله الفخار (ت٨١٦هـ)[٥]، وتقع المنظومة في ١٥٧٨ بيتاً، وهي في ضبط المصحف.

---

(١) طبعت ضمن مجموعة مهمة في التجويد والقراءات والرسم وعد الآي، تحقيق: جمال السيد رفاعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢) لها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٤٤٧) تفسير تيمور. انظر: مقدمة البديع في رسم مصاحف عثمان (ص٤٨)، والفهرس الشامل- علم رسم المصاحف (ص١٠٩).

(٣) وهي مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط برقم (٤٥٥٨). انظر: أصول الضبط (ص٢٩٨)، والقراء والقراءات بالمغرب (ص٥٥).

(٤) طبعت باسم: (الدرة الجلية في رسم ونقط المصاحف العلية)، وذكر الدكتور عبد الهادي حميتو وغيره أنها بعنوان: الدرة الجلية في نقط المصاحف العلية، والذي ذكره الدكتور عبد الهادي أولى؛ لأن المنظومة في ضبط المصحف وليست في رسمه. انظر: قراءة الإمام نافع عند المغاربة (٢/٤٨٨)، وأصول الضبط (ص٢٨٤).

(٥) والكتاب مطبوع بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، بتحقيق الشيخ ياسر المزروعي.

١٤- مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن، لمحمد بن محمد الشريشي الشهير بالخراز (ت٧١٨هـ).

١٥- عمدة البيان في رسم القرآن، للإمام الخراز ناظم مورد الظمآن[(١)].

١٦- عمدة البيان في ضبط القرآن، للإمام الخراز[(٢)].

١٧- أرجوزة في الرسم على غرار مورد الظمآن، لأبي عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغسَّاني المكناسي (ت٨٢٧هـ)[(٣)].

١٨- قصيدة لامية في الرسم، لإبراهيم بن محمد التازي (من علماء القرن العاشر الهجري)[(٤)].

١٩- الإعلان بتكميل مورد الظمآن في رسم الباقي من قراءات الأئمة

---

(١) ويسميها بعض العلماء: المهذب المختصر، أو الخراز القديم. وانظر: إرشاد اللبيب (ص٢٨٥)، وقراءة الإمام نافع (٢/٤٤٦)، وقد أوردها الشيخ عبد الهادي حميتو كاملة في كتابه. يقول ابن عاشر في فتح المنان (٤/أ) عن هذه المنظومة: (عمدة البيان الذي رأيته للناظم إنما هو نظمه الرسمي الذي نظمه قبل مورد الظمآن، وذَيَّله بالضبط المتصل بمورد الظمآن اليوم).

وعمدة البيان في الرسم غَيَّره ناظمه بالمورد لأمور لوحظت عليه، وترك الضبط الذي في آخره على حاله وألحقه بالمورد، والذي عيب على الناظم في عمدة البيان أنه لم يعين ما انفرد به أبو عمرو، وما انفرد به أبو داود، ولا ما انفرد به الشاطبي والبلنسي، فرأى ذلك نقصاً في النظم، وأن كمال الفائدة بتمييز ما اتفقوا عليه، وتعيين ما انفرد به كل واحد. انظر: مقدمة التبيان (ص١١٦)، ومجموع البيان (ورقة ٥٩).

وعلى هذا فلا ينبغي اعتماد هذه المنظومة التي رأى ناظمها تركها وتبديلها.

(٢) انظر: قراءة الإمام نافع (٢/٤٠٦).

(٣) انظر: الأعلام (٦/٨٦)، والقراء والقراءات بالمغرب (ص٥٥).

(٤) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٥٥).

الأعيان، للشيخ الإمام سيدي عبد الواحد بن عاشر الأندلسي (ت١٠٤٠هـ).

٢٠– منظومة على رسم المكي في القرآن، لابن القاضي (ت١٠٨٢هـ)[١].

٢١– الرقيا في رسم ابن العلا، قصيدة لامية لأبي العباس البوزيدي (ت بعد ١٠٨٤هـ).

٢٢– قصيدة لامية في رسم القراء السبعة لتكميل مورد الظمآن، لأبي العباس البوزيدي (ت بعد ١٠٨٤هـ).

٢٣– منظومة السِّراج في الرسم (محذوفات القرآن)، لأبي العباس أحمد ابن عمرو الجكني السوسي المعروف بطير الجنة (ت بعد ١١٢٠هـ)[٢].

٢٤– أرجوزة كفاية الطلاب في تحقيق رسم البدور، للشريف أبي العلاء إدريس بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الحسني الفاسي المعروف بالمِنجرة (ت١١٣٧هـ)،وهو نظم لما خالف فيه القراء الستة نافعاً رسماً[٣].

٢٥– ذيل الضبط على أجوزة كفاية الطلاب، للشريف أبي العلاء إدريس ابن محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الحسني الفاسي المعروف بالمِنجرة (ت١١٣٧هـ)[٤].

---

(١) وعلى هذه المنظومة تقييد فيما يتلبس لنفس الناظم، لها مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة برقم (٢/٤٠٨٦) عن نسخة دار الكتب الوطنية بتونس، وشرح على هذا المنظومة لأبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان البوزيدي (ت بعد ١٠٨٤هـ). انظر: الفهرس الشامل– علم رسم المصاحف (ص٨٧، ٨٨)، والقراء والقراءات بالمغرب (ص١٠٧).

(٢) انظر: الفهرس الشامل– رسم المصاحف (ص٩١)، والقراء والقراءات بالمغرب (ص١٤٠).

(٣) منه نسخة خطية في مجموع بمكتبة سيدنا عثمان بالمدينة رقم (٢٩٢خ). انظر: الفهرس الشامل– رسم المصحف (ص٩١)، والقراء والقراءات بالمغرب (ص١٢٤).

(٤) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص١٢٤).

٢٦- منظومة في رسم القراء السبعة وشرحها، لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن الحيحي المغربي (ت بعد ١١٩٢هـ)[١].

٢٧- منظومة في رسم قراءة أبي عمرو البصري، لمحمد بن عبد الرحمن العمراني المغربي (من علماء القرن ١٢هـ)[٢].

٢٨- لامية في تصوير الهمز، لأبي عبد الله محمد التهامي بن محمد مبارك بن مسعود الحمري الأربيري (ت بعد ١٢١١هـ)[٣].

٢٩- لامية في رسم أبي عمرو بن العلاء البصري ومن وافقه، لمحمد بن أحمد السوسي (ت بعد ١٢٢٢هـ)[٤].

٣٠- عمدة البيان في حكم المحذوف في القرآن، لأبي العلاء، إدريس بن عبد الله الودغيري البكراوي (ت١٢٥٧هـ). وهي أرجوزة في رسم مقرئ نافع، عرفت في أوساط المغاربة باسم: «نظم الودغيري»، وعمدته في كتابه مورد الظمآن، حيث يقول:

إِذْ حَازَ مَا فِي «مَوْرِدِ الظَّمْآنِ»   سَمَّيْتُهُ بِـ«عُمْدَةِ الْبَيَانِ»[٥]

٣١- قصيدة في الرسم وأصول القراءات، لأبي عبد الله محمد التهامي بن الطيب بن أحمد المغراوي العربي السيفي المغربي (ت١٢٦٣هـ)[٦].

---

(١) المصدر السابق (ص١٣٤).

(٢) المصدر السابق (ص١٣٦).

(٣) المصدر السابق (ص١٥٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) مطبوع بالمغرب بإعداد وتقديم: د. عبد العالي معكول. وانظر: سلوة الأنفاس (٢/٣٤٣-٣٤٥). وله شرح لنفس الناظم. انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص١٥٩).

(٦) انظر: الجعبري ومنهجه في كنز المعاني (ص٤٣٧).

٣٢- أرجوزة نصرة الكتاب في الرسم على رواية ورش عن شيخه نافع، لأبي عبد الله محمد التهامي بن الطيب بن أحمد المغراوي العربي السيفي المغربي (ت١٢٦٣هـ)[١].

٣٣- كشف الرموز والإشارات، قصيدة لامية في الثبت والحذف تعرف بالكناوية، لأبي العباس أحمد بن عبد الله الربيعي السوسي المغربي (من علماء القرن ١٣هـ)[٢].

٣٤- إصلاحات ابن جابر[٣]، وهي أرجوزة استدرك بها على الخراز في ٤٧ موضعاً.

٣٥- منظومة في رسم الألف الثابتة والمحذوفة من القرآن الكريم، للشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قنونو[٤].

٣٦- رسم الطالب عبد الله بن الشيخ محمد الأمين الجكني.

٣٧- قصيدة لامية في رسم القراء السبعة، لأبي حفص عمر بن عبد الله الخطابي المغربي (من علماء القرن ١٣هـ)[٥].

(١) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٥٥، ١٦٤).

(٢) وله شرح للمحجوب الصحراوي المغربي. انظر: الفهرس الشامل- رسم المصاحف (ص١٠٥)، والقراء والقراءات بالمغرب (ص١٦٦).

(٣) ذكرها الشيخ عبد الهادي حميتو في كتابه "قراءة الإمام نافع" (٤٠٦/٢)، وأصل هذه المنظومة جزءٌ من منظومة عمدة البيان في الرسم، جعلها ذيلاً عليها، ثم ألحقها بعض الشراح بمورد الظمآن.

(٤) هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قنونو، ولد بزليطن بليبيا عام ١١٨٠هـ، وتوفي عام ١٢٥٠هـ. انظر: أعلام ليبيا (ص٣٤٩-٣٥٠).

(٥) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص١٦٣).

٣٨- أرجوزة المصباح في الرسم القرآني، لأبي عبد الله محمد بن العربي المغربي السباعي (من علماء القرن ١٣هـ)[١].

٣٩- قصيدة لامية في رسم ابن كثير، لأبي محمد عبد السلام الشريف الزالي المغربي (من علماء القرن ١٣هـ)[٢].

٤٠- كشف العمى والرَّيْن عن ناظِرِي مصحف ذي النورين، للشيخ محمد العاقب بن سيدي عبد الله بن مايابي الجكني (١٣١٢هـ).

٤١- ضبط قالون، للشيخ النجاشي ولد المرابط محمد أحيد.

٤٢- اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم، لمحمد بن أحمد المتولي (ت١٣١٣هـ)[٣].

٤٣- منظومات في الثبت والحذف، لأبي عبد الله أحمد بن عبد الله الميزوريّ المساريّ المغربي (ت بعد ١٣٢٠هـ)[٤].

٤٤- النجمة المضيئة، قصيدة لامية في الثبت والحذف، لأبي عبد الله الحاج محمد بن حمان أشياخ الحزميّ المغربي (ت بعد ١٣٢٣هـ)[٥].

٤٥- نظم في الرسم، لمحمد أحيد بن سيدي عبد الرحمن المسُّومي[٦].

٤٦- مختصر نظم محمد أحيد المسُّومي، لابن الناظم محمد محمود

---

(١) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٥٥، ١٦٤).

(٢) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص١٦٥).

(٣) انظر: البديع في رسم مصاحف عثمان (ص٥١).

(٤) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص١٦٩، ١٧٠).

(٥) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص١٦٧).

(٦) انظر: سفير العالمين (ص٩٩).

النجاشي بن محمد أحيد بن سيدي عبد الرحمن المسُّومي الشنقيطي (ت١٣٤٢هـ)[١].

٤٧– أرجوزة في علم رسم الحروف، لمحمد بن علي بن محمد بن أحمد الحسني الببلاوي الإدريسي (ت١٣٧٣هـ)[٢].

٤٨– منظومة في رسم القرآن، لأحمد بن محمد سليم بن أحمد الحلواني الرفاعي الدمشقي، المعروف بأحمد الحلواني المفيد (ت١٣٨٤هـ)[٣].

٤٩– منظومة في حذف الألفات بعد الحروف الهجائية من المصاحف، للشيخ إبراهيم علي شحاتة السمنودي (معاصر)[٤].

٥٠– الجوهر المنظم في رسم الكتاب المعظم، لنجيب الدين أحمد بن محمد بن أحمد باب العبدلي الحاجي الشنقيطي[٥].

٥١– أرجوزة مصابيح الرُّسَّام للقارئين السبعة الأعلام، لأبي المكارم محمد الرضي بن عبد الرحمن بن عيسى السوسي التادلي (ت بعد ١١١٣هـ)[٦].

٥٢– منظومة تحفة الفتيان في رسم القرآن، لمحمد المامي اليعقوبي (ما زال حياً).

---

(١) انظر: سفير العالمين (ص٩٩).

(٢) انظر: الأعلام (٦/٣٠٣).

(٣) طبعت بتقديم وتحقيق: الشيخ حسين خطاب شيخ القراء بدمشق (ت١٤٠٨هـ) ضمن مجموع بعنوان: المنظومات الثلاث.

(٤) انظر: سفير العالمين (ص١٠٦).

(٥) ولهذا النظم شرح لنفس الناظم، منه نسخة مخطوطة بمكتبة محضرة أهل دادّاه بمدينة بوتيلميت بوتيلميت بموريتانيا. انظر: سفير العالمين (ص١٠٩).

(٦) ولها شرح للرضي السوسي. انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٥٥، ١١٤–١١٤).

المبحث الأول: دراسة منظومات علم الرسم والضبط

المطلب الأول: عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد[1]

المؤلف: أبو محمد القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعينيّ الأندلسيّ، (ت٥٩٠هـ).

عروض القصيدة: وهي منظومة رائية في رسم المصحف[2]، جاءت على بحر البسيط، مكونة من ثمانية أجزاء[3].

وصف المنظومة:

١– هي نظم لكتاب (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ).

٢– لم يكتفِ الشاطبي بما في العقيلة، بل زاد عليه زيادات، يقول الخراز[4]:

والشاطبي جاء في العقيله ... به، وزاد أحرفاً قليله

وزيادة الشاطبي على العقيلة هي في ست كلمات فقط.

عدد أبيات القصيدة: (٢٩٨ بيتاً).

الأبواب التي تعرضت لها المنظومة هي:

---

(١) ولها عدة طبعات، من أفضلها: طبعة دار نور المكتبات بجدة عام ١٤٢٢هـ بتحقيق: د. أيمن رشدي سويد.

(٢) لأجل ذلك اشتهرت باسم: رائية الشاطبي.

(٣) انظر: تلخيص الفوائد (ص٣).

(٤) انظر: متن مورد الظمآن (ص٥).

– المقدمة.

– باب الإثبات والحذف وغيرهما مرتباً على السور من سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف.

– من سورة الأعراف إلى سورة مريم.

– من سورة مريم إلى سورة ص.

– من سورة ص إلى آخر القرآن.

– باب الحذف في كلمات تحمل عليها أشباهها.

– باب من الزيادة.

– باب حذف الياء وثبوتها.

– باب ما زيدت فيه الياء.

– باب حذف الواو وزيادتها.

– باب حروف من الهمز وقعت في الرسم على غير قياس.

– باب رسم الألف واواً.

– باب رسم بنات الياء والواو.

– باب حذف إحدى اللامين.

– باب المقطوع والموصول.

– باب ألا وإما.

– باب قطع مما ونحو من مال ووصل ممن ومم.

– باب أمَّن.

– باب قطع عمن ووصل ألن.

– باب عما وفإن وألم وأما.

– باب فيما وإنما.

- باب أنما ولبئسما وبئسما.
- باب كلما.
- باب قطع حيثما ووصل أينما.
- باب لكيلا.
- باب يومهم ويكأن.
- باب مال.
- باب ولات.
- باب هاء التأنيث التي كتبت تاءً.
- باب المضافات إلى الأسماء الظاهرة والمفردات.
- باب المفردات والمضافات المختلف في جمعها.

مميزات المنظومة:

- قوة العبارة، وسلاسة الأسلوب الذي اشتهر الشاطبيُّ به في منظومات، يقول الذهبي: (وقد سارت الركبان بقصيدتيه: حرز الأماني، وعقيلة أتراب القصائد اللتين في القراءات والرسم، وحفظهما خلق لا يحصون، وخضع لهما فحول الشعراء، وكبار البلغاء، وحُذَّاق القراء، فلقد أبدع وأوجز وسهَّل الصعب)[1].

- حذف المكرر من العقيلة.

- جمع المتفرق في حسن ترتيب. يقول السخاوي: (ولا يعلم ذلك حقيقة إلا من أحاط بكتاب المقنع؛ فإنه حينئذ يعلم كيف نظم ما تفرق فيه، فرب كلمة

(١) معرفة القراء الكبار (٢/٥٧٤).

اجتمعت مع أخرى وكان بينهما في المقنع مسافة بعيدة)[١].

ويقول الجعبري: (ومن فهم المقنع علم ما امتازت به من حسن الترتيب، وجودة التركيب، وجمع المتفرقات، وحذف المكررات، مع ما حازته من الزوائد والفوائد، وفضلها على نظرائها من المنظوم في المرسوم كالمصباح وغيره)[٢].

عيوب المنظومة:

– اقتصارها على ما في المقنع مع زيادة أحرف قليلة.

شروحاتها:

١– الوسيلة إلى كشف العقيلة، لعلم الدين، أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣ هـ).

وله عدة تحقيقات، وهي:

أ– تحقيق: د. مولاي محمد الإدريسي الطاهري، في رسالة ماجستير، من جامعة محمد الخامس بالرباط، عام ١٤١١هـ، وطبعته مكتبة الرشد بالرياض.

ب– تحقيق: أ.د. نبيل بن محمد بن إبراهيم الجوهري، في رسالة ماجستير، في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بطنطا، من جامعة الأزهر الشريف، عام ١٤١٢هـ–١٩٩٢م.

ج– تحقيق د. طلال بن أحمد بن علي دين، في رسالة ماجستير، في قسم القراءات بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ونوقشت في ١٧/١/١٤١٥هـ.

---

(١) الوسيلة (ص٤٦٤).

(٢) جميلة أرباب المراصد (ص٧٣٦).

د- تحقيق: د.نصر سعيد عبدالمقصود، وطبعته دار الصحابة بطنطا بمصر.

هـ- تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، وطبعته مكتبة أولاد الشيخ بمصر.

ز- تحقيق: د. صالح مهدي عباس، نال به درجة الماجستير، من الجامعة المستنصرية بالعراق.

مميزات هذا الشرح:

- أن السخاوي مؤلف هذا الشرح أحد طلاب الشاطبي، ومن رواة هذه القصيدة عن ناظمها.
- هذا الشرح هو أول شرحٍ لعقيلة أتراب القصائد.
- الاعتناء بألفاظ البيت: اشتقاقاً، ولغة، وتصريفاً، وإعراباً.
- الاهتمام بمعاني البيت.
- الاهتمام بتوجيه ظواهر الرسم.
- مناقشة أقوال الأئمة.
- سهولة الأسلوب[1].
- قد اعتمد هذا الشرح عامة شراح العقيلة منذ ظهوره، ومن أقدم من اعتمده من المغاربة أبو عبد الله الخراز صاحب: مورد الظمآن (ت ٧١٨).

عيوب هذا الشرح:

قد أشار شارح مورد الظمآن أبو محمد بن أجطا إليه في أول شرحه، حيث ذكر كتاب "المقنع" لأبي عمرو الداني وقال: (سمعت الناظم -رحمه الله- مراراً يقول: إنهما مقنعان لأبي عمرو -رحمه الله-، أحدهما أعظم جرماً من

(١) انظر: مقدمة الوسيلة بتحقيق الإدريس (ص٦١-٦٢).

الآخر، وأظن هذا الذي في أيدي الناس هو الكبير... وكان –رحمه الله– يذكر لنا ذلك ويقوله في مواضع من "العقيلة" في وقت إقرائه –رحمه الله–، لأن أبا الحسن السخاوي –رحمه الله– يقول في عدد من أبياتها: "هذا من زيادة العقيلة على ما في المقنع"، وهو في المقنع مذكور، فكان يعتذر للسخاوي بذلك ويقول: لعله لم يطالع إلا المقنع الصغير)[1].

٢– شرح على القصيدة الرائية في رسم القرآن، لأبي عبد الله محمد ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسين الموصلي، المعروف بـ(شعلة) (ت٦٥٦هـ)[2].

٣– شرح الرائية، لأبي شامة عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ)[3].

٤– الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة، لأبي بكر بن عبد الغني المشهور باللبيب (ت قبل ٧٣٦هـ).

حققه د.عبد العالي أيت زعبول، في رسالة علمية، بجامعة محمد الخامس بالمغرب، تحت إشراف الدكتور التهامي الراجحي، في العام الجامعي ١٩٩١–١٩٩٢م، وطبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

---

(١) شرح ابن أجطا (المقدمة).

(٢) توجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ١٧٥ق (قراءات حليم ٢٠)، وعدد لوحاته: ٦٠ لوحة.

(٣) توجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية بالقاهرة، مجاميع (٣٩٤هـ). انظر: الفهرس الشامل– رسم المصاحف (ص٢٩).

مميزات هذا الشرح:

يعتبر هذا الشرح من أهم شروحها المعروفة إن لم يكن أهمها، كما يعتبر أوسعها مادة وأوفرها نقولاً عن المصادر وعلى الأخص المصادر المغربية المفقودة.

ولعل شرحه هذا هو ثاني شرح كتب على العقيلة بعد شرح السخاوي عليها

قال مؤلفه: (واعلم أني طالعت على هذا الشرح ثلاثين تأليفاً، منها عشرة في الرسم: المقنع والمحكم والتحبير لأبي عمرو الداني، والتبيين لأبي داود، والمحبر لابن أشته وكتاب علم المصاحف له، وبعض هجاء السنة للغازي بن قيس الأندلسي، والدر المنظوم في معرفة المرسوم لعطاء بن يسار الأندلسي، ودرة اللاقط لحكم الناقط، وسبل المعارف في رسم المصاحف لأبي محمد عبد الله بن سهل.

ومن كتب اللغة إصلاح المنطق، والألفاظ كلاهما ليعقوب بن السكيت ...)[1] وساق باقي المصادر في اللغة والتاريخ وأصول الاعتقاد، ثم عقد فصلاً لذكر فضل الخط والكتابة تطرق منه إلى الحديث عن رسم المصحف الكريم وخصوصياته والمؤلفات فيه، ثم أخذ في شرح معاني الأبيات معزواً لكلامه غالبا بالنقول عن المصادر المذكورة للغازي بن قيس وحكم بن عمران الناقط وأبي محمد بن سهل وأبي داود وابن أشته وغيرهم، وهي نقول كثيرة في الاستدلال لرسوم المصحف وتعليل أوضاعه الخطية لا نجدها في كتاب غيره.

بل إنه ينقل عن بعض الكتب التي لم يذكرها ضمن مصادره العشرة في

(١) انظر: الدرة الصقيلة لابن اللبيب (المقدمة).

الرسم، ومنها "كتاب الدر النظيم في رسم حروف القرآن العظيم" ولم يذكر مؤلفه، وكتاب اللطائف في رسم المصاحف وقد نسبه نقلا عن أبي عمر الطلمنكي إلى عطاء ابن يسار، ومنها كتاب الرد والانتصار لأبي عمر الطلمنكي).

٥- شرح العقيلة، لأبي عبد الله محمد بن القفال الشاطبي، وهو تلميذ السخاوي الشارح الأول (ت٦٢٨هـ)[١].

٦- شرح العقيلة، لأبي عبدالله محمد بن عمر بن حسين زيند الدين الكردي (ت٦٢٨هـ).

ولم يذكر له ابن الجزري شرحاً على العقيلة[٢].

مميزات هذا الشرح:

- أن مؤلفه من أصحاب الشاطبي.

٧- شرح عقيلة الأتراب، لأبي بكر محمد بن محمد بن وضاح اللخمي الأندلسي الشقري (ت٦٣٤هـ)[٣].

مميزات هذا الشرح:

- أن الشارح أخذ المنظومة عن الناظم.

٨- شرح العقيلة، للحصَّاري تلميذ السخاوي (ت٦٤٣هـ)[٤].

---

(١) وقد اعتنى بهذا الشرح وأخرجه نصه: عبد الله بن حسن الشتوي المغربي، ونشره على الإنترنت، وهناك نسخة منه في مكتبة الحرم النبوي الشريف ضمن مجموع (٩٨/٩٠).
انظر: الفهرس الشامل- رسم المصاحف (ص٢٩)، وكشف الظنون (٢/١١٥٩).

(٢) توجد منه نسخة خطية في مكتبة الشيخ عبدالعزيز القاري بالمدينة المنورة.

(٣) توجد منه نسخة خطية بمكتبة الشيخ عبد العزيز القاري بالمدينة المنورة.

(٤) انظر: رسم المصحف: دراسة لغوية وتاريخية (ص١٧٨).

٩- شرح العقيلة، لأبي عبدالله محمد بن سليمان بن محمد المعافري، يعرف بابن أبي الربيع (ت٦٧٢هـ).

توجد منه نسخة خطية بمكتبة الحرم المكي الشريف/ علوم القرآن: ١٦ الرقم العام: ١٧٩٤[١]**.**

١٠- شرح العقيلة، لأبي عبدالله محمد بن محمد بن إبراهيم الخراز الشريشي صاحب مورد الظمآن (ت ٧١٨هـ).

ذكره له ابن عاشر في فتح المنان، مستدركاً له على أبي محمد بن أجطا في شرحه على المورد، قال: وقد رأيت لبعض الشيوخ النقل عنه، لكن لم أعثر عليه.

وذكره له مسعود جموع السجلماسي في مقدمة (المنهاج).

وقد نقل عنه الإمام ابن غازي في جواب له ذكره أبو عبد الله بن مجبر من تلاميذه في "الطرر على مورد الظمآن" عند ذكر حذف الألف من "وله المنشأأت" في سورة الرحمن فقال: (وقد كتبنا لشيخنا أبي عبد الله بن غازي في ذلك وأجاب بقوله: اتفقت المصاحف على كتبه بألف واحدة، وقد نص أبو عبد الله الخراز في شرحه للعقيلة وكذا الجعبري في شرحها أيضا على احتمال كون الألف الموجودة صورة الهمزة، زاد الخراز، وتلحق ألف الجمع بالحمراء بعد حذفها على قاعدة الجمع واحتمال كونها ألف الجمع وحذفت صورة الهمزة)[٢]**.**

١١- شرح عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، للعلامة الشيخ أحمد

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق الوسيلة للدكتور مولاي الإدريس (ص٦٤).

(٢) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٣٥)، وقراءة الإمام نافع عند المغاربة (١٣٥/٢).

ابن محمد بن جُبارة المقدسي الحنبلي (ت٧٢٨هـ).

حقق في رسالتي دكتوراه بقسم القراءات في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية.

أ- حقق الجزء الأول منها: الشيخ د.طلال بن أحمد دين ونوقشت في ١٤٣١/٧/١٤هـ.

ب- حقق الجزء الثاني منها: د. محمد بن عمر بن عبد العزيز الجنايني.

مميزات هذا الشرح:

- هو شرح جيد كما أشار لذلك العلامة ابن الجزري.

عيوب هذا الشرح:

- إكثاره من الاحتمالات البعيدة. قال ابن الجزري: (وشرح القصيدتين اللامية والرائية، ولكنه للرائية أحسن، وكلاهما حسن مفيد، ولكنه أكثر من الاحتمالات البعيدة).

١٢- جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد في أسنى المطالب، للإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢هـ).

حققه عدد من الباحثين، منهم:

أ- الأستاذ: مصطفى البحياوي، في إحدى مؤسسات التعليم العالي بالرباط بالمملكة المغربية عام ١٤١٠هـ.

ب- وحققه: د. محمد إلياس محمد أنور، في رسالة علمية نال بها درجة الدكتوراه في جامعة أم القرى، عام ١٤٢٢هـ.

ج- وحققه د. محمد خضير الزوبعي، في رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه، من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة المستنصرية ببغداد، عام ١٤٢٦هـ، تحت إشراف: الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد، وطبعته دار

الغوثاني للدراسات القرآنية في دمشق بسوريا، الطبعة الأولى عام ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، وقد حققه على أربع نسخ خطية.

ميزات هذا الشرح:

– هو من أوسع شروح العقيلة، ويعد من أكبر شروح الرائية في الرسم، تميز عن بقية الشروح بسعة مادته، وجمعه الغزير للمادة العلمية، واستقصائه لأمور تركها الشراح.

– فيه تعليلات وتنبيهات وفوائد قَلَّ أن توجد في شروح العقيلة الأخرى.

– تثبيته رأي الكاتب بعد كل مسألة من مسائل رسم المصحف، ويذكر المخالفة والموافقة في ذلك غالباً.

– تميزه بأبيات التهذيب والترتيب.

– اهتمامه بمصطلحات الناظم(١).

يقول عنه الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد: (من أوسع شروحها، وأكثرها فوائد، وكنتُ قد عرفتُ هذا الكتاب منذ أكثر من ثلاثين سنة، حين كنت أجمع مادة بحثي للماجستير عن رسم المصحف، فقرأت الكتاب في مخطوطته في دار الكتب المصرية، وأخذت منه كثيراً من النصوص التي أفادتني في الحديث عن علل الرسم خاصة، وجعلني ما وجدت في الكتاب من مادة علمية متميزة أحرص على الحصول على نسخة مصورة لمخطوطته)(٢).

١٣– شرح العقيلة، لأبي محمد عبد الله بن عمر الصنهاجي ابن آجطَّا (ت٧٥٠هـ)(٣)، وهو مفقود.

---

(١) انظر: جميلة أرباب المراصد (ص٥٨-٥٩).

(٢) انظر: تقديمه لطبعة هذا الكتب التي حققها الدكتور محمد خضير الزوبعي.

(٣) انظر: سلوة الأنفاس (٢/١١٤).

١٤– شرح العقيلة، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد الشيرازي الكازروني (ت ٧٩٨هـ)[١].

ميزات هذا الشرح:

قال في كشف الظنون: (شرحها شرحاً مختصراً، بَيَّنَ فيه الإعراب واللغات، أخذه من شرح السخاوي وغيره).

١٥– تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد في شرح عقيلة أتراب القصائد، لأبي البقاء علي بن عثمان بن محمد بن القاصح العذري (ت١٠٨٠هـ)، المشهور بابن القاصح.

طبع أكثر من طبعة، منها:

أ– طبعة بمراجعة الشيخ عبدالفتاح القاضي، بمكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى عام ١٣٦٨هـ–١٩٤٩م.

ب– وطبعة بمراجعة الشيخ عامر السيد عثمان، طبع بدار الصحابة للتراث بطنطا–جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

ج– وطبعة بتحقيق الشيخ محمد الدسوقي أمين كحيلة، طبع بدار السلام بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

مميزات هذا الشرح:

يعتبر هذا الشرح هو الأكثر تداولاً بين أيدي الطلاب لسهولة عباراته ووضوحها، مع الاختصار.

---

(١) توجد منه نسخة خطية في مكتبة الدولة ببرلين بألمانيا برقم (٤/٤٩٦). انظر: الفهرس الشامل (ص٣٠)، وكشف الظنون (١١٥٩/٢)، وقراءة الإمام نافع عند المغاربة (١٣٨/٢)، ومقدمة تحقيق الوسيلة (ص٦٤).

يقول الشارح: (أما بعد، فإن القصيدة الرائية التي نظمها الإمام أبو محمد القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الشاطبي –رحمه الله تعالى– في معرفة رسم المصاحف، قد سألني بعض أصحابي أن أشرح ألفاظها من غير تطويل كما شرحت القصيدة اللامية المعنونة "حرز الأماني"، فأجبت سؤاله، وآثرت الاختصار على كثرة النقول والتكرار، ولم أتعرض للخلاف الواقع في القراءات فإن له كتباً تختص به، وليس المراد من هذه القصيدة إلا معرفة الرسوم)(1).

١٦– شرح عقيلة أتراب القصائد، لأبي عبدالله محمد بن زين بن محمد ابن زين الطنتدائي النحراري الشافعي، المعروف بابن الزين (ت٨٤٥هـ)(2).

١٧– النفثات السحرية في شرح الرائية، لمحمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي الدمشقي (ت٩٥٣هـ)(3).

١٨– الهبات السنية العلية على أبيات الشاطبية الرائية، لملا علي القاري الهروي (ت١٠١٤هـ).

حققه في رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، عام ١٤٢٢هـ.

١٩– شرح عقيلة أتراب القصائد في أسنى المطالب، لموسى جار الله بن فاطمة الروستوفدوني التركستاني الروسي القازاني التتاري (ت١٣٦٩هـ–١٩٤٩م).

(١) انظر: تلخيص الفوائد (ص٣).

(٢) انظر: الضوء اللامع (٧/٢٤٦).

(٣) انظر: متعة الأذهان (٢/٩٢٨).

حققه: عمر مالم أبه حسن المراطي النيجيري، وطبعته دار الصحابة للتراث بطنطا – بمصر.

٢٠- شرح العقيلة، لمحمد بن عبدالرحمن الخليجي الإسكندري وكيل مشيخة المقارئ والإقراء بها (ت١٣٨٩هـ)[(١)].

٢١- تحقيقات على شرح العقيلة، للعلامة ابن القاصح للشيخ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي[(٢)].

٢٢- شرح العقيلة، لإبراهيم بن عطوة بن عوض بن إبراهيم الشرقاوي ثم القاهري (ت١٤١٧هـ)[(٣)].

٢٣- شرح عقيلة أتراب القصائد، تأليف: محمد الدسوقي أمين كحيلة (معاصر)[(٤)].

٢٤- شرح الرائية، لحسين بن عثمان[(٥)].

٢٥- شرح العقيلة، لأبي إسحاق التجيبي.

انفرد بذكره الشيخ حسين بن علي بن طلحة الشوشاوي في كتابه (حلة الأعيان على عمدة البيان) للخراز، عند ذكر مواضع الحركات من الحروف فقال في وضع الضمة: (وأما القول بجعلها فوق الحرف فهو شاذ، ذكره أبو عمرو في المحكم، وذكره أيضاً أبو إسحاق التجيبي في شرح العقيلة، ونسبه

---

(١) انظر: هداية القاري (٢/٧١٠)، والحلقات المضيئات من سلسلة أسانيد القراءات (١/٧٦).

(٢) ذكره مؤلفه نفسه في كتابه "هداية القاري إلى تجويد كلام الباري" عند ذكر قائمة مؤلفاته.

(٣) انظر: الحلقات المضيئات من سلسلة أسانيد القراءات (ص٩١).

(٤) طبعة دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

(٥) منه نسخة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٢٨/٢٢٣).

إلى المبرد)[١].

٢٦- تجريد الأبحاث الجميلة في شرح العقيلة، لمؤلف مجهول[٢].

٢٧- تغريد الجميلة لمنادمة العقيلة، وهو مختصر لشرح الجعبري، لمؤلف مجهول[٣].

٢٨- الكشف.

ذكره حاجي خليفة، ولم يسم مؤلفه، ولم يعرف بالكتاب أو يذكر شيئاً منه.

٢٩- شرح لا ذكر لمؤلفه، مسجل بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم ٥٥٤.

٣٠- شرح للعقيلة، في مجموع يشتمل على شرح لتحفة المنافع للفخار وشرح للدرة الجليلة له وكلاهما لسعيد بن سليمان السملالي الكرامي السوسي (ت ٨٨٢)، فالراجح أن يكون الشرح من تأليفه أيضاً.

٣١- عمدة المتلقن في شرح العقيلة، لمؤلف مجهول[٤].

---

(١) حلة الأعيان (لوحة ٢١).

(٢) منه نسخة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، رقم (١٢٥٤).

(٣) انظر: الفهرس الشامل- علم رسم المصاحف (ص٥٦-٩٤).

(٤) انظر: إيضاح المكنون (٢/١٢٤).

المطلب الثاني: نظم الميمونة الفريدة في نقط المصاحف وضبطها

المؤلف: أبو عبد الله بن سليمان بن موسى القيسي.

وصف المنظومة:

وهي منظومة في الضبط خاصة.

شروحات المنظومة:

- الدرة المفيدة في شرح الميمونة الفريدة، لأبي زيد الجادري.

المطلب الثالث: مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن[1]

مؤلفها:

هو العلامة أبو عبد الله، محمد بن محمد بن إبراهيم الشريشي، الشهير بالخراز، كان إماماً في مقرإ نافع، مقدماً فيه، كما كان إماماً في الضبط، عارفاً بعلله وأصوله، قرأ على أئمة أجلة في فنون القراءات والضبط والعربية وغيرها، توفي سنة ٧١٨هـ[2].

عدد أبيات المنظومة:

تقع أرجوزة مورد الظمآن في (٤٥٤) بيتاً، ثم ألحق بها قسم الضبط الذي يقع في (١٥٤) بيتاً[3]؛ فيكون مجموع أبيات المورد مع الذيل (٦٠٨) أبيات، خلافاً لما ذكره الناظم آخر متن الضبط، حيث جعل المنظومة من (٥١٤) بيتاً.

وقد نقل ابن آجطا من كلام الخراز ما يلي: (لما انتهى نظم هذا الرجز في التاريخ المذكور بلغ أربعمائة بيت وسبعة وثلاثين بيتاً، ثم انتسخ وانتشر ورواه بذلك أناس شتّى، ثم عثرت فيه على مواضع كنت وهمت فيها فأصلحتها، فبلغ أربعة وخمسين بيتا مع أربعمائة)[4].

أهمية المنظومة:

– تعتبر منظومة الخراز من أهم ما أُلف في علم الرسم؛ فقد جاءت جامعة

---

(١) للمنظومة عدة طبعات، منها: طبعة مكتبة الكليات الأزهرية بتحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

(٢) انظر ترجمته في: غاية النهاية (٢/٢٣٧)، والأعلام (٧/٣٣).

(٣) ذكر الشيخ أحمد أبو زيتحار أن متن الضبط إنما ألحقه الناظم بنظمه المسمى (عمدة البيان)، ولكن النساخ تصرفوا فيه وألحقوه بـ(مورد الظمآن). انظر: لطائف البيان (ص٤).

(٤) خاتمة التبيان لابن آجطا.

لما ورد في أمهات مصادر الرسم، شاملة للمشهور من أوجه الخلاف بينها، معتمداً في ذلك على المقنع للداني، والتنزيل لابن نجاح.

– التقسيم الجميل الذي فعله الخرَّاز في منظومته، مع التعريف بالأبواب والمسائل والتمثيل لها.

– عرضه في ثنايا النظم للخلاف الذي دار بين علماء الرسم.

– تضمين النظم لآرائه.

– تَخَيَّر الناظم الأسلوب العلمي الميسر، بعيداً عن الغريب والتكلف والتعقيد والغموض، وعن الإفراط والتفريط[(١)].

وقد بيّن ابن خلدون أهميّة هذه المنظومة، ومدى انتشارها في الآفاق، حيث قال: (نظم الخراز أرجوزة زاد فيها على المقنع خلافا كثيراً عزاه لناقليه، واشتهرت بالمغرب، واقتصر الناس على حفظها ، وهجروا بها كتب أبي عمرو وأبي داود والشاطبي في الرسم)[(٢)].

ويقول الصنهاجي: (وكان من أحسن ما نُظِمَ في هذا العصر، وأبدع ما وُضِعَ من نظم ونثر، الرجز المسمى بمورد الظمآن في رسم القرآن)[(٣)].

وقال الشوشاوي: (وأما أحسن الكتب المصنفة في علم الرسم، فهو هذا الكتاب المسمى بمورد الظمآن؛ لأن ناظمه أتقنه غاية الإتقان، واختصره من كتب الأئمة المقتدى بهم في هذا الشأن)[(٤)].

(١) مقدمة التبيان (ص١٢٢).

(٢) مقدّمة ابن خلدون (ص٤٣٨).

(٣) التبيان (ص٢١).

(٤) تنبيه العطشان (١/ب).

مصادر الناظم:

اعتمد الناظم في منظومته على مصادر مهمة في هجاء المصاحف، وهي:

١- المقنع لأبي عمرو الداني.

٢- التنْزيل لأبي داود سليمانَ بن نجاح.

٣- العقيلة لأبي القاسم للشاطبي، وهي وإن كانت نظماً للمقنع إلا أن الناظم زاد عليها زيادات، وقد استفاد صاحب مورد الظمآن من هذه الزيادات، حيث يقول[١]:

والشاطبي جاء في العقيله ... به، وزاد أحرفاً قليله

٤- المنصف لأبي الحسن المرادي البلنسي. حيث اقتبس من المنصف مسائل لم يذكرها صاحب التنزيل، حيث قال[٢]:

وربما ذكرت بعض أحرف ... مما تضمن كتاب المنصف

وعدد هذه المسائل التي اقتبسها من المنصف اثنتا عشرة مسألة؛ إما لانفراد مؤلفه بها، وإما لاشتهارها في زمنه دون بقية ما انفرد به[٣].

أبواب المنظومة:

١- المقدمة.

٢- باب حذف الألفات من سورة الفاتحة[٤].

---

(١) انظر متن مورد الظمآن (ص٥).

(٢) المصدر السابق، ص ٦ .

(٣) انظر: لطائف البيان (ص٥).

(٤) قد جاء حذف الألفاظ في ستة أبواب مرتبة من أول القرآن إلى آخره ليكون أقرب إلى معرفتها. انظر: لطائف البيان (ص٥).

٣- سورة البقرة.

٤- سورة آل عمران إلى الأعراف.

٥- من سورة الأعراف إلى مريم.

٦- من سورة مريم إلى ص.

٧- من سورة صاد إلى آخر القرآن.

٨- باب الياء المحذوفة.

٩- باب حذف الواوات.

١٠- باب حذف إحدى اللامين[١].

١١- حكم الهمز في المرسوم.

١٢- باب الحروف الزائدة.

١٣- فصل زيادة الياء.

١٤- فصل زيادة الواو.

١٥- باب رسم الواو ياءً.

١٦- باب فيما رسم بالواو عوضاً عن الألف.

١٧- باب المقطوع والموصول.

١٨- باب الموصول.

١٩- رسم هاء التأنيث تاءً.

٢٠- فصل كلمات مخصوصة.

٢١- الخاتمة.

---

(١) جاء الناظم بحذفه مرتباً؛ فذكر حذف الألفات أولاً، ثم الياءات، ثم الواوات، ثم اللامات، ولم يراعِ ترتيب حذف النونات لقلته. انظر: لطائف البيان (ص١٠).

ثم متن الذيل في علم الضبط:

١– المقدمة.

٢– باب القول في أحكام وضع الحركة.

٣– مبحث الاختلاس والإشمام والإمالة.

٤– مبحث السكون والتشديد والمد.

٥– مبحث الإدغام والإظهار.

٦– مبحث ضبط الهمز.

٧– مبحث الصلة في ألف الوصل.

٨– مبحث ضبط المحذوف من الهجاء.

٩– مبحث ضبط ما زيد في الهجاء.

١٠– حكم لام ألف.

منهج الناظم في منظومته واصطلاحاته فيها:

ضمّن الخراز نظمه قواعد لتقريب المقصود، منها ما نصَّ عليه، ومنها ما استنبطه الشراح، ومن هذه القواعد:

– الاكتفاء بالحرف مما جاء مكرراً، فإذا كانت الكلمة مطردة اقتصر فيها على ذكر حذف ما وقع أولاً، لاتحاد الحكم في الجميع، أما الكلمات غير المطردة، فإنه يقيد بقيد يميزها عن غيرها[1]، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله:

وفـــي الـــذي كـــرر منـــه أكتفـــي　　　بـــذكر مـــا جـــا أولاً مـــن أحـــرف

منوعـــــاً يكـــــون أو متحـــــدا　　　وغيـــــر ذا جئـــــت بـــــه مقيـــــدا

والتقييد يكون بعدة أشياء ، منها :

(١) انظر: لطائف البيان (ص١٠).

التقييد بالمجاور، كقوله: (إلا الذي مع خلال قد ألف).

التقييد بالحرف، كقوله: (لابن نجاح خاشعا والغفار).

التقييد بالسورة، كقوله: (والحذف في الأنفال في الميعاد).

وقد ذكر الشوشاوي أن هذه القيود سبعة[١]، وجمعها في هذا البيت:

جـــاور، بحـــرف، ســـورة، وترجمـــه   إضـــــافة، ورتبـــــة، وحركـــــه

- من اصطلاح الناظم أن يذكر كل ما ذكره الداني والشاطبي وأبو داود من أحكام الرسم، مما اتفقت عليه واختلفت فيه المصاحف، يقول الناظم:

وَكُـــلُّ مَـــا قَـــدْ ذَكَـــرُوهُ أَذْكُـــرُ   مِـــنِ اتِّفَـــاقٍ أَوْ خِـــلافٍ أَثَـــرُوا

ولكن يلاحظ أنه اكتفى بالرسم على وفق قراءة نافع، كما أنه لا يذكر ما ضعفوه أو عللوا به غالباً[٢].

- من اصطلاحات الناظم: أن يشير بالحكم في حال كونه مطلقاً إلى جميع الشيوخ، كقوله: (وللجميع الحذف في الرحمن)[٣].

– قاعدة (عنهما) المراد بها الشيخان[٤]، وإلى ذلك أشار الناظم:

وكـــل مـــا جـــاء بلفـــظ عنهمـــا   فـــابن نجـــاح مـــع دانٍ رســـما

– قاعدة (عنه) المراد بها أبو داود، إلا في موضع واحد فإنها للداني، وهو قول الناظم: (ثم الداني قد جاء عنه في تكذبان)[٥]. ولم ينص الناظم على هذه

---

(١) انظر: تنبيه العطشان (ص١٩٣).

(٢) انظر: لطائف البيان (ص١١).

(٣) انظر: تنبيه العطشان (ص٢٢٢).

(٤) انظر تنبيه العطشان (ص٢٠٠)، ولطائف البيان (ص١١).

(٥) انظر: تنبيه العطشان (ص٣٥٤).

القاعدة؛ لأنه لم يضمر لأبي داود إلا بعد ذكر مرجعه، بخلاف ذكر ضمير (عنهما) فإنه يضمره للشيخين من غير ما يعود عليه الضمير[1].

– من اصطلاحات الناظم أيضاً: أنه كلما ذكر حكماً لواحد من الشيوخ، وسكت عن غيره، ولم يذكر له شيئاً، فإن ذلك يدلّ على أن هذا الأخير سكت عن هذا الحكم، وإن ذكره بعكسه يذكره على النحو الذي وجده[2]. قال الناظم:

وَكُــلُّ مَــا لِوَاحِــدٍ نَسَــبْتُ ... فَغَيْــرُهُ سَــكَتَ إن سَــكَتُّ

وَإِنْ أَتَــى بِعَكْسِــهِ ذَكَرْتُــهُ ... عَلَــى الَّــذِي مِــن نَصِّــهِ وَجَدتُــهُ

– كل حكم ذكر عن الداني وحده، أو عنه مع أبي داود؛ فنسبة ذلك الحكم إلى الشاطبي ثابتةٌ، كما يستلزم إسناد حكم إلى العقيلة انفراد الشاطبي به، إلا أن ينص على اندراج غيره معه[3].

ومُجمل القول: أن الناظم ذكر خمس قواعد تنصيصاً: قاعدة التكرار، وقاعدة التقييد، وقاعدة الإطلاق، وقاعدة عنهما، وقاعدة الإسناد.

وذكر خمس قواعد أخرى تلويحاً: قاعدة عنه، وقاعدة الألف واللام، وقاعدة المنون، وقاعدة الإضافة، وقاعدة الترجمة.

قال الشوشاوي: (وهذه عشر قواعد، وعليها يدور فهم الكتاب؛ فافهمها)[4].

---

(١) انظر: لطائف البيان (ص١١).

(٢) انظر: تنبيه العطشان (ص٢٠٣)، ولطائف البيان (ص١٢).

(٣) انظر: لطائف البيان (ص١١).

(٤) انظر: تنبيه العطشان (ص٢٠٥).

– كل ما ذكره الشيوخ الثلاثة: الداني، وأبو داود، والشاطبي من أحكام الرسم وفاقاً أو خلافاً ذكره[١].

عيوب المنظومة:

– اقتصارها على قراءة نافع فقط، يقول الناظم:

فَجِئْتُ فِي ذَاكَ بِهَذَا الرَّجَزِ ... لَخَّصْتُ مِنْهُنَّ بِلَفْظٍ مُوجَزِ

وِفْقَ قِرَاءَةِ أَبِي رُؤَيْمِ ... الْمَدَنِي ابْنِ أَبِي نُعَيْمِ

شروحات هذه المنظومة:

ممّا يدلّ على أهمية هذا النظم كثرة الشروح والحواشي والتعليقات التي كتبت حوله، والتي ذُكر أنها ناهزت المائة[٢]. وسأذكر بعض هذه الشروح التي وقفت عليها أو ذكرتها بعض المصادر، وهي:

١– شرح المجاصي على الخراز في الرسم، لأبي عبد الله محمد بن شعيب المجاصي (ت بعد ٧٤٣هـ)[٣].

شرح مورد الظمآن شرحاً مختصراً، أخل فيه ولم يستوفِ المعاني، ولا يستشهد على ما يذكره في المسائل بأقوال العلماء، ولا يتعدى ألفاظ الرجز إلا نادراً[٤].

---

(١) انظر: مقدمة التبيان (ص١٢٦).

(٢) انظر تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، لمحمد المختار ولد إبّاه (ص٥٠٤)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو"، ٢٠٠١م.

(٣) منه نسخة في مكتبة الحرم النبوي على ميكروفيلم برقم (٨/٨٨). انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٤٥-٤٦).

(٤) مقدمة التبيان (ص١٣٠).

٢- التبيان في شرح مورد الظمآن، لأبي محمد عبد الله بن عمر بن آجطّا الصنهاجي (ت٧٥٠هـ)[١].

مميزات هذا الشرح:

- أن المؤلف تلميذ للناظم، وعادة ما يكون التلميذ أعرف الناس بمقاصد شيخه وآرائه وأقواله[٢].

- أن شارحه قرأ النظم على مؤلفه قراءة مستشرح وباحثٍ عن المعلومات، لا قراءة إسنادٍ فقط أو تصحيح، ولا شك أن مؤلف النظم أعلم به من غيره. يقول الشارح: (كان ناظمه -رحمه الله- قد أجازني فيه، وسمعه مني، وقرأته عليه قراءة تفقه وبحث عن تنبيهاته، وإخراج ما خفي من مشكلاته)[٣].

- هو أول شرح على مورد الظمآن[٤].

- اهتمامه بإعراب أبيات الناظم، وذكر تصاريف الكلمات.

- ربطه بين القراءات متواترةً أو شاذةً وبين الرسم.

- اهتمامه بتعليل الرسم القرآني[٥].

---

(١) توجد منه نسخ متعددة، منها: نسخة الخزانة الحسنية تحت رقم (٤٧٠٢)، والخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٣٥٥١)، ونسخة في معهد اللغات الشرقية في باريس برقم (١١٥). وانظر: أصول الضبط (ص٢٨٠). وقد حقق عبد الحفيظ بن محمد نور بن عمر الهندي من أول الكتاب إلى نهاية مباحث الحذف في الرسم، في رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية، قسم القراءات، عام ١٤٢١-١٤٢٢هـ بإشراف: أ. د. أحمد محمد صبري.

(٢) انظر: مقدمة التبيان (ص١٠).

(٣) التبيان (ص١٧-١٨).

(٤) التبيان (ص١٨).

(٥) انظر: مقدمة التبيان (ص١٥٩-١٦٠).

– هو شرح شامِلٌ لا يكاد مطالعه يحتاج إلى غيره من الشروحات إلا في مسائل قليلة[١].

٣– تقييد اصطلاحات على مورد الظمآن، للغساني (ت٨٢٧هـ)[٢].

٤– الدرر الحسان في اختصار كتاب التبيان، لمحمد بن خليفة بن صالح الصنهاجي السجلماسي أبي عبد الله (ت بعد ٨٣٦هـ). وهو اختصار لكتاب التبيان شرح مورد الظمآن لابن آجطّا[٣].

٥– شرح مورد الظمآن، لأبي عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الأوربي النيجي الشهير بالصغير (ت٨٧٨هـ)[٤].

يقول ابن غازي عن هذا الشرح: (وقد ذكر لي الشارح –رحمه الله تعالى– أنه لم يشدد له زيمة، وإنما اختصره من شرح أبي محمد آجطًّا من غير تأمل في الغالب)[٥].

٦– غربلة مورد الظمآن، لأبي عثمان سعيد بن سعيد بن داود بن سليمان بن الحاج الكرامي السملالي الجزولي (ت بعد ٨٨٢هـ)[٦].

---

(١) انظر: مقدمة التبيان (ص١٨١).

(٢) انظر: الفهرس الشامل– رسم المصاحف (ص٦٥).

(٣) له نسخة في متحف الجزائر برقم (٣٨٩)، وأخرى في جاريت (يهودا) برنستون برقم ١٧٨، وأخرى برقم ١٠٦١ في باريس بفرنسا، وأخرى بلندن في بريطانيا برقم ٩٢، ونسختان بتونس إحداهما في صفاقس برقم ٣٨٩، والأخرى في العبدلية برقم ٤١٨٨، ونسخة في ميونخ بألمانيا على الرقم ٨٩٠. ينظر: الفهرس الشامل– رسم المصحف (ص٦٤)، والقراء والقراءات بالمغرب (ص٤٨).

(٤) انظر: فهرس ابن غازي (ص٣٦)، ودرة الحجال (١٣٩/٢)، ونيل الابتهاج (ص٣٢٩).

(٥) انظر: فهرس ابن غازي (ص٤٣).

(٦) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٥٢).

٧- إعانة المبتدئ والصبيان على معاني ألفاظ مورد الظمآن، لأبي عثمان سعيد ابن سليمان الكرامي السملالي (ت٨٩٩هـ)[١].

مميزات الشرح:

اقتصر الشارح على تحليل ألفاظ النظم، دون ذكر التعليلات والخلافات.

٨- تنبيه العطشان على مورد الظمآن في رسم القرآن على قراءة نافع، للعلامة حسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي (ت٨٩٩هـ).

وقد حُقِّقُ جزء منه في الجامعة الليبية[٢].

مميزات هذا الشرح:

– وُصِفَ بأنه من أهم شروح المورد، حيث يعتبر في المرتبة الثانية من شروح مورد الظمآن، بعد كتاب التبيان لابن آجطا.

*** يمتاز أسلوبه بالسهولة والوضوح في أغلب الأحيان لولا الإطناب الذي يعتري أغلب موضوعاته[٣].**

*** تتبعه لألفاظ الناظم بالشرح والتحليل والنقد أحيانا .**

*** حصره لعناصر الموضوع الذي يعالجه وذلك بإيراد الأسئلة المتوالية التي قد تصل إلى عشرين سؤالا ، ثم يعقبها بأجوبة متتابعة[٤].**

---

(١) توجد منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٢٦٤٦)، توجد منه خمس نسخ في المكتبة الأزهرية ١: ١٠٠، ونسخة في جامعة قاريونس برقم "٣١٣". انظر: الفهرس الشامل- رسم المصحف (ص٤٧، ٦٧، والطراز (قسم الدراسة ١/٣٩٧، ٣٩٨).

(٢) وله عدة نسخ مخطوطة، منها نسخة الخزانة العامة بالرباط برقم (٦٧٦)، وهي نسخة كاملة، تقع في (٣٧١) لوحة.

(٣) تنبيه العطشان ، ص ١١٤ — ١١٨ .

(٤) تنبيه العطشان (ص١٢٧)، ومقدمة التبيان (ص١٣٢).

*** تعليله وتوجيهه لأغلب الأحكام [١] .**

*** ذكره مناسبة البيت الذي يشرحه بما قبله ، وربط كلام الناظم الذي يشرحه بالمواضع الأخرى .**

*** وفرة الأمثلة في هذا الكتاب ، فلا تكاد تخلو مسألة من مثال أو أكثر .**

*** تعرض الإمام الشوشاوي لأمور أهملها الناظم أو أغفلها ولم يشر إليها[٢].**

*** تفسيره لأغلب الكلمات الغريبة في المتن [٣].**

*** ترجمته أحيانا للأعلام في المتن[٤] .**

*** استدراكه على الناظم وإصلاحه لبعض الأبيات[٥]**

*** يذكر في كثير من نقولاته المراجع التي رجع إليها واقتبس منها.**

*** ذكره للقراءات المشهورة وأحياناً الشاذة[٦].**

***اهتمامه باللغة، فتراه دائما يشرح أوّلا كلام الناظم شرحا لغويا مستدلا على ذلك بالقرآن والسنة وكلام العرب ، ثم يبين المقصود منها في النظم[٧].**

*** في نهاية كل بيت لا يفوته إعراب كلام الناظم .**

*** إبداء رأيه في بعض أقوال الناظم ومناقشة من سبقه في هذا الشرح[٨] .**

---

(١) تنبيه العطشان ، ص ٥١٦ .

(٢) تنبيه العطشان ، ص ٢٩٦ .

(٣) انظر تنبيه العطشان ، ١٣٨ ، ١٤٣ .

(٤) انظر تنبيه العطشان ، ص ١٩٣ ، ١٩٩ ، ١٩٦ .

(٥) تنبيه العطشان ، ص ٢٤٢ ، من هذا البحث .

(٦) تنبيه العطشان ، ص ٤٩٤ .

(٧) تنبيه العطشان ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، من هذا البحث .

(٨) تنبيه العطشان ، ص ١٩٩ .

* ومما يؤخذ على الشوشاوي : أنه أورد روايات وأحاديث ضعيفة(١).

* التكرار في بعض المواضع(٢) .

* استدراكه على الناظم في بعض الأحيان بأنه غفل عن بعض الألفاظ ، في حين أنه لم يغفل عنها(٣) .

ومما يدلّ على أهمية هذا الشرح : اعتبار الشوشاوي من العلماء الذين نبغوا في عصره بسبب مؤلفاته التي من بينها : "تنبيه العطشان على مورد الظمآن" (٤) .

كما نوّه بأهمية هذا الشرح الأستاذ سعيد إعراب ، بقوله : " ومن أهم الشروح تنبيه العطشان على مورد الظمآن ، لأبي علي الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي{ت ٩٠٠هـ}،دفين أولاد برحيل بقبيلة المنابهة" (٥)

وفي خاتمة مقدّمته لتحقيق كتاب مختصر التبيين لهجاء التنزيل ، نصح الدكتور أحمد شرشال بتحقيق بعض الكتب الجامعة للرسم والضبط ، من بينها كتاب : "تنبيه العطشان على مورد الظمآن" ، و"حلة الأعيان" للشوشاوي – أيضا – ، اللذين وصفهما بقوله : " فلم أر كتابا أوسع وأشمل منها " (٦) .

---

(١) انظر تنبيه العطشان ، ص ٧١ .

(٢) انظر تنبيه العطشان ، ص ١٤٤ ، ٢١٢ .

(٣) تنبيه العطشان ، ص ٤٦٥ .

(٤) انظر أسفى وما إليه للكانوني، ص٩١ .

(٥) القراءات والقراء ، ص ٤٦ .

(٦) مختصر التبيين لهجاء التنزيل ، لأبي داود سليمان بن نجاح ، دراسة وتحقيق أحمد بن أحمد شرشال ١ : ٤٠٦ ، المملكة العربية السعودية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤٢١هـ .

مما سبق يتضّح أن لهذا الكتاب أهميّة كبيرة في هذا العلم ، وأثرا في الكتب التي أُلّفت بعده ، وخاصة شروح المورد ،مثل "فتح المنان"لابن عاشر.

٩- تقييد اصطلاحات على مورد الظمآن، لأبي عبد الله ابن غازي المكناسي (ت٩١٩هـ)[١].

١٠- تقييد طرر على مورد الظمآن متلقاة من شيوخ فاس، وتعرف بالطرر الفاسيات، قيدها: محمد بن أبي جمعة شقرون المغراوي الوهراني (ت٩٣٠هـ)[٢].

مميزات التقييد:

– اعتمد فيه المؤلف على مصادر كثيرة، منها شرح ابن آجطا، وشرح اللبيب على العقيلة، وينقل كثيراً عن شيخه ابن غازي، كما اعتمد المؤلف في نقله على شرح الخراز للعقيلة، والمهذب المختصر للخراز أيضاً.

١١- مجموع البيان في شرح ألفاظ مورد الظمآن، لابن أبي العافية أبي الحسن علي بن الحسن الزرهوني النزوالي (ت قبل ١٠٠٥هـ)[٣]، وهو تلخيص لشرح ابن آجطَّا[٤].

(١) انظر: الفهرس الشامل- رسم المصاحف (ص٧٤).

(٢) وهو مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، ضمن مجموع برقم (٦/٧٤). وانظر: الفهرس الشامل- رسم المصاحف (ص٤٩، ١١١)، وسلوة الأنفاس (٣/٣٥٣).

(٣) نسخ الكتاب محفوظة في خزانة القرويين بفاس رقم (٢٩٩)، وخزانة تطوان رقم (٨٤٧/٧٧)، ومتحف الجزائر برقم ٣٩١(٧١١-١/٨٨) ضمن مجموع، ودار الكتب المصرية بالقاهرة ش١ قراءات، منها مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية قسم المخطوطات على ميكروفيلم برقم (٢٧٤٣).

(٤) منه مخطوط ضمن مجموع سيدنا عثمان بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة برقم (٣٠١ =

١٢ – فتح المنان المروي بمورد الظمآن، لأبي محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الأندلسي (ت ١٠٤٠هـ)، صاحب الأرجوزة الفقهية المشهورة بالمرشد المعين.

مميزات هذا الشرح:

– هو من الشروح المشهورة والجليلة التي وضعت على المورد، نظراً لوفرة المصادر المعتمدة فيه، خاصة الشروح السابقة عليه.

– يعتبر الشارح من المدققين الباحثين المحققين، يقول الشيخ أبو زيتحار: «ومن اطلع على كتابه: فتح المنان شرح مورد الظمآن، يدرك ما كان عليه من سعة العلم، ودقة البحث»[(١)].

– طريقته في الشرح: تقوم على تحليل الألفاظ وبيان المعاني التي تتضمنها الأبيات مع إعرابها.

– قد ذيّل شرحه بنظم يقع في ستة وأربعين بيتاً، سماه: "الإعلان بتكميل مورد الظمآن".

١٣ – بيان الخلاف والتشهير والاستحسان وما أغفله مورد الظمآن وما سكت عنه في التنزيل والبرهان وما جرى به العمل من خلافيات الرسم في القرآن[(٢)]، لأبي زيد عبد الرحمن بن القاضي (ت ١٠٨٢هـ).

=

خ). انظر: مقدمة التبيان (ص١٣٤).

(١) لطائف البيان (ص٤).

(٢) مخطوط بالخزانة الحسينية تحت رقم (٣/٧٤)، وفي مكتبة الملك عبد العزيز ضمن مجموع سيدنا عثمان سجل رقم (٢٤٦-٣٧٠٨ ورقم ٢٩٣خ ٣٧٥٢). انظر: أصول الضبط (ص٢٨٠).

مميزات هذا الشرح:

– جمع فيه المسائل الخلافية في الرسم، وما جرى به العمل في المغرب والأندلس.

– قد استدرك خلافات أغفلها الخراز في مورد الظمآن.

١٤– شرح مورد الظمآن، لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن يعقوب الجزولي (ت بعد ١٠٨٥هـ)[(١)].

١٥– منهاج رسم القرآن في شرح مورد الظمآن، لأبي الفضل مسعود بن محمد بن محمد بن جَمُّوع السجلماسي الفاسي المالكي (ت١١١٩هـ)[(٢)].

١٦– تذييل مورد الظمآن فيما أغفله الخراز من مسائل الرسم، لأبي الفضل مسعود بن محمد بن محمد بن جَمُّوع السجلماسي الفاسي المالكي (ت١١١٩هـ)[(٣)].

١٧– حواشٍ على فتح المنان المروي بمورد الظمآن، لأبي زيد عبد الرحمن بن إدريس بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الإدريسي التلمساني الفاسي المالكي المعروف بالمِنجرة (ت١١٧٩هـ)[(٤)].

١٨– شرح مورد الظمآن، لأحمد بن محمد بن عي الفاسي المريني (ت١٢٧٧هـ)[(٥)].

---

(١) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٤٨).

(٢) انظر: الأعلام (٢٢٠/٧)، والقراء والقراءات بالمغرب (ص٤٧، ٤٨، ٢٢٥).

(٣) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٤٨).

(٤) انظر: الأعلام (٢٩٨/٣)، ومعجم المؤلفين (١٢٤/٥).

(٥) منه مصورة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض برقم (١٢٢٢).

١٩- حواشٍ على فتح المنان، لأبي علي الحسن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز اللجاني المغربي الملقب بكنبور (ت١٢٨٣هـ)[١].

٢٠- شرح باب الهمز من مورد الظمآن، لأبي علي الحسن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز اللجاني المغربي الملقب بكنبور (ت١٢٨٣هـ)[٢].

٢١- شرح باب الهمز من مورد الظمآن، لأبي العباس محمد بن عيسى الحسناوي المغربي (من علماء القرن ١٣هـ)[٣].

٢٢- طرر على شرح الشيخ كنبور لباب الهمز من مورد الظمآن، لأبي محمد عبد الله زيطان الخمسي المغربي (من علماء القرن ١٣هـ)[٤].

١٧- حواشٍ على مورد الظمآن في رسم القرآن (مختصر فتح المنان)، للشيخ أبي عيد رضوان بن محمد بن سليمان المشهور بالمخللاتي (ت١٣١١هـ)[٥].

وهو شرح موجز على هامش متن المورد، شرح مختصر بعبارات قوية، استفادها الشارح من شرح ابن عاشر.

١٨- دليل الحيران على مورد الظمآن، للشيخ إبراهيم بن أحمد بن

---

(١) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص١٦٣).

(٢) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص١٦٣).

(٣) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص١٦٥).

(٤) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص١٦٦).

(٥) منه نسخة مخطوطة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ضمن مجموع برقم (٢٥٣٠) يبدأ من (١٤١-١٦١). انظر: هداية القاري (٢/٧٦٣-٧٦٤)، والفهرس الشامل- رسم المصحف (ص٤٨، ٩٦).

سلمان المارغني التونسي (ت ١٣٤٩هـ)[١].

مميزات هذا الشرح:

– طريقته في هذا الشرح تقوم على إيراد المعنى الإجمالي للبيت أو الأبيات المراد شرحها، ثم يقف بعد ذلك عند عبارات كلّ بيت بالشرح.

– قد انفرد ببيان ما جرى به العمل في تونس.

– يأتي على إعراب البيت أحياناً.

– قد أشار في مقدّمته أنه اختصره من كتاب "فتح المنان" لابن عاشر، وشرح ضبط الخراز للتّنَسي.

١٩– إرشاد الإخوان إلى شرح مورد الظمآن، للشيخ علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم الملقب بالضبَّاع (ت١٣٧٦هـ)[٢].

٢٠– لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمآن[٣]، لأحمد بن محمد أبي زيت حار.

مميزات هذا الشرح:

أ– هو شرح ميسر وضع خصيصاً لطلبة القسم الثانوي بمعاهد القراءات في الأزهر الشريف، يقول مؤلفه فيه: «وقد راعيت فيه أن يكون موجز اللفظ، سهل العبارة، واضح الأسلوب، وقد قصدت شرح عبارة الناظم بأخصر الطرق

---

(١) وللكتاب عدة طبعات: منها طبعة تونس عام ١٣٢٦هـ، وطبعة دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤١٥هـ بتحقيق: زكريا عميرات، ومن أحسن طبعاته طبعة دار الصحابة بطنطا عام ١٤٢٧هـ.

(٢) ذكره المرصفي في هداية القاري (٢/٦٨١).

(٣) وهو مطبوع بمطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر بمصر.

وأيسرها فهماً على الطلاب، غير متقيد غالباً بأخبر أو أمر كما في عبارة الشراح ... وقد أذكر خلاصة الكلام على حكمٍ ما عقب الانتهاء منه؛ ليكون أدعى إلى جمع ذلك في ذهن الطالب»[1].

ب– ومن مميزات هذا الشرح أنه جمع بين المورد والإعلان في ثنايا الشرح، ولم يفصل بينهما، فيتنبه الطالب مباشرة إلى الخلاف في القراءات، يقول مؤلفه: «وحيث كان قصد ناظم المورد ذكر رسوم المصاحف على مقتضى قراءة نافع فقط، فقد رأيت تتميماً للفائدة أن أضع عَقِب كل ربع من المورد ما تضمنه نظم الإعلان للإمام ابن عشار مما اختلفت فيه رسوم المصاحف، ثم أتبعه بنظم الإعلان في ذلك الربع، مع بيان ما في النظم بعبارة وجيزة؛ حتى لا يذهب على الطالب وقته في البحث عن رسومها في غير هذا الكتاب»[2].

ج– ومن مميزات هذا الشرح: احتواؤه على بعض التمرينات في ثنايا الكتاب.

٢١– إصلاحات ابن جابر[3]،وهي أرجوزة استدرك بها على الخراز في ٤٧ موضعاً.

٢٢– البسط والبيان فيما أغفله مورد الظمآن، لابن عمر البيّوري[4].

٢٣– فيض الريَّان من مورد الظمآن، لأشرف محمد فؤاد طلعت (معاصر)[5].

٢٤– محرر البيان في شرح قصيدة مورد الظمآن، لمؤلف مجهول[6].

---

(١) لطائف البيان (ص٣).

(٢) لطائف البيان (ص٣).

(٣) انظر: قراءة الإمام نافع (٢/٤٤٦).

(٤) مخطوط ضمن مجموع برقم (٣/٧٤) بالخزانة الحسينية بالرباط.

(٥) انظر: سفير العالمين (ص١٠٦).

(٦) مخطوط بالمكتبة المحمودية بالمدينة النبوية برقم (٢٧٥٦خ).

المطلب الرابع: عمدة البيان في ضبط القرآن

وهو المشهور بمتن الذيل.

ناظمها:

هو الإمام الخراز، ناظم مورد الظمآن.

شروحها:

١- شرح ضبط الخرَّاز، لأبي عبد الله محمد بن شعيب بن عبد الواحد الحجَّاج المجاصيّ التازيّ البصليتني الشهير بالبكاء (ت بعد ٧٤٣هـ)[١].

٢- إعانة الصبيان على ذيل عمدة البيان، لأبي عثمان سعيد بن سعيد الكرامي (ت٨٨٢هـ)[٢].

٣- تقريب معنى الضبط، لأبي عثمان سعيد بن سعيد الكرامي (ت٨٨٢هـ)[٣].

٤- حلة الأعيان على عمدة البيان، للحسن بن علي الرجراجي الشوشاوي، وهو مخطوط[٤].

هو شرح وضعه الشوشاوي على عمدة البيان ، لناظمه محمد بن محمد الخراز ، وموضوع الكتاب : أحكام الضبط في القرآن الكريم .

أتى فيه بمقدّمة مسهبة جعلها في عشرين فصلا ، تحدّث فيها عن : أحكام نقط

---

(١) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٤٦).

(٢) منه مخطوط ضمن مجاميع الحرم النبوي الشريف رقم (٨/٨٨). انظر: الفهرس الشامل- رسم المصحف (ص٤٢، ١٠٢)، والقراء والقراءات بالمغرب (ص٥٢).

(٣) انظر: الفهرس الشامل- رسم المصحف (ص٤٠، ٦٨).

(٤) له نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٦٥٩ ق)، وله نسخة أخرى محفوظة في الخزانة الخزانة الملكية بالمغرب تحت رقم (٦٧٤)، وعدد لوحاتها (٣٣٥)، ونسخة بالمكتبة الوطنية بتونس برقم (١٠٧٨١).

المصحف ، وعدد الآي ، وحكم التخميس والتعشير ، ونحوها . ثم قسّم كتابه إلى ثمانية أبواب ، متتبعا هذه الأبواب الثمانية بالشرح والتحليل .

وقد نهج في شرحه طريقته المعتادة ، بحصره عناصر البيت في أسئلة متوالية ، ثم يجيب عنها بجواب مفصل .

٥- الطراز في شرح ضبط الخراز، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله التنسي (ت٨٩٩هـ)، وهو مطبوع[١].

مميزات هذا الشرح:

أنه من الكتب المعتمدة عند لجنة طباعة المصحف الشريف في مجمع الملك فهد، حيث جاء في نص تقرير اللجنة العلمية التي أشرفت على إعداد مصحف المدينة: (أخذت طريقة ضبطه بما قرره علماء الضبط على حسب ما ورد في كتاب الطراز على ضبط الخراز للإمام التنسي)[٢].

٦- حواشٍ على شرح التنسي، لأبي علي الحسن بن يوسف الزياتي النحوي المقرئ (ت١٠٢٣هـ)[٣].

٧- طرر على الطراز في ضبط الخراز، لابن عاشر (ت١٠٤٠هـ)[٤].

٨- حواشٍ على شرح التنسي، للمقرئ عبد الرحمن بن إدريس المنجرة (ت١١٣٧هـ)[٥].

---

(١) بدراسة وتحقيق: د. أحمد بن أحمد شرشال، في مجمع الملك فهد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٢) الطراز (ص٥).

(٣) مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط، ضمن مجموع برقم (٤٣٥٩). وانظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٥١)، وأصول الضبط (ص٢٨٤).

(٤) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٥١).

(٥) مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط، ضمن مجموع برقم (١٥٣٢). وانظر: أصول الضبط (ص٢٨٤).

٩– شرح ضبط الخراز، لأبي زيد عبد الرحمن التنهلي القصري المعروف بالفقيه الغرمي (من علماء القرن ١٣هـ)[١].

١٠– إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين، للدكتور محمد سالم محيسن[٢].

وهذا الكتاب وإن لم يكن المؤلف يقصد منه إلى شرح منظومة الخراز، إلا أنه التزم أن يذكر أبيات متن الذيل التي تدل على المسائل التي يذكرها، حيث يقول: «وقد التزمت في كتابي هذا: أن أذكر عقب شرح القواعد من كل فصل ما يشير إليها وينبه عليها من النظم الذي وضعه في فن الضبط الأستاذ العلامة محمد بن محمد الأموي الشريشي الشهير بالخراز، وَذَيَّلَ به الكتاب الذي نظمه في علم الرسم المسمى بـ: مورد الظمآن في رسم القرآن»[٣].

ميزات هذا الكتاب:

– سهولة العبارة، والبعد عن التعقيد اللفظي، مع الاختصار؛ فهو مناسبٌ للطلاب المبتدئين.

١١– إيفاء الكيل بشرح متن الذيل، للشيخ عبد الرازق إبراهيم موسى (ت١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م)، وهو مطبوع[٤].

مميزات هذا الكتاب:

– سهولته على طلبة العلم المبتدئين، فإن المؤلف قد ألف هذا الكتاب

---

(١) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٥٢، ١٦١).

(٢) مطبوع بالمكتبة الأزهرية للتراث سنة (١٤٠٩هـ).

(٣) إرشاد الطالبين (ص٣).

(٤) طبع في دار غراس في الكويت، عام ١٤٢٧هـ.

ليكون مقرراً دراسياً لطلاب دورة حفاظ القرآن الكريم في الكويت.

– منهجه في الكتاب أن يذكر القاعدة، ويذكر عقبها أو قبلها ما يؤكدها من النظم الذي وضعه في فن الضبط العلامة محمد بن محمد الأموي الشريشي الشهير بالخراز والمسمى (بالذيل في فن الضبط).

– كما تكلم المؤلف في الكتاب عن مسائل شاع الخطأ فيها بين كتاب المصاحف في فن الضبط.

تنبيه:

مما يجب التنبه له في هذا المطلب: أن غالب من شرح منظومة (مورد الظمآن) للخراز يكون قد شرح منظومة (عمدة البيان) التي وقعت ذيلاً لها؛ فمثلاً: (دليل الحيران) للمارغني وإن كان هو شرحاً لمورد الظمآن، إلا أننا نستطيع أن نعتبره شرحاً لمتن الذيل في علم الضبط.

المطلب الخامس: الإعلان بتكميل مورد الظمآن في رسم الباقي من قراءات الأئمة الأعيان

ناظمه:

هو الإمام عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري نسباً، الأندلسي أصلاً، الفاسي منشأً وداراً، كان عالماً متفنناً في علوم شتى، عارفاً بالقراءات وتوجيهها، والرسم والضبط، وعلم الكلام والأصول، والفقه والفرائض، وعلوم العربية، توفي سنة ١٠٤٠ من الهجرة[١].

وصف المنظومة:

ضمن الناظم هذه المنظومة بقايا خلافيات المصاحف في الحذف وغيره، مما يحتاج إليها من تخطى قراءة نافع إلى غيرها من سائر قراءات الأئمة السبعة[٢].

عدد أبياتها: تقع المنظومة في (٤٦) بيتاً.

أبواب المنظومة:

١- المقدمة.

٢- من الفاتحة إلى الأعراف.

٣- من الأعراف إلى مريم.

٤- من مريم إلى ص.

٥- من ص إلى آخر القرآن.

---

(١) انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس (٢/٢٧٤)، وشجرة النور الزكية (ص٢٩٩).

(٢) انظر: فتح المنان (٥٧/ب).

شروحاتها:

– شرح للناظم، ألحقه بفتح المنان الذي شرح فيه مورد الظمآن.

– رجز في الاستدراك على الإعلان لابن عاشر، لابن جمُّوع السجلماسي (ت١١١٩هـ)[١].

– تنبيه الخلان على الإعلان، بتكميل مورد الظمآن، للشيخ إبراهيم المارغني (ت١٣٤٩هـ).

(١) انظر: القراء والقراءات بالمغرب (ص٤٨).

المطلب السادس: المحتوى الجامع رسم الصحابة وضبط التابع

والمشهور بـ(رسم الطالب عبد الله).

المؤلف: هو الطالب عبد الله بن الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي (ت ١٣٥٠هـ).

أهمية المنظومة:

– هذه المنظومة أصبحت هي العمدة عند أهل هذا الفن في بلاد المغرب العربي، خاصة في بلاد موريتانيا التي اشتهرت بالعناية بهذا الفن.

– كما أن مجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف اعتمد هذا النظم عند كتابة المصحف[١].

– النظم وضع أصلاً للمبتدئين، حيث وضع لمن لم يطلع على قواعد النحو أصلاً[٢].

مساوئ النظم:

١– جمعه للمتماثلات لم يبنِهِ على قواعد علمية، وإنما على سبيل التعداد والحصر للمواضع[٣].

٢– أنها على قراءة نافع فقط.

منهج الناظم في منظومته:

(١) الإيضاح الساطع (ص ت).

(٢) انظر: الإيضاح الساطع (ص٦٠).

(٣) انظر مثلاً: الإيضاح الساطع (ص٦٠).

١– الاختصار والشمول.

٢– التزامه بالمشهور عند المغاربة.

الأبواب التي تعرضت لها المنظومة:

١– الفصل الأول: بيان الألف المحذوف.

أ– قواعد الجموع والتثنية.

ب– الحروف.

– الهمزة والباء.

– حرف التاء.

– حرف الثاء.

– حرف الجيم. (بيت واحد فقط).

– حرف الحاء. (بيت واحد فقط).

– حرف الخاء والدال والذال. (ثلاثة أبيات).

– حرف الراء. (ثلاثة أبيات).

– حرف الزاي. (بيت واحد فقط).

– حرف الطاء والظاء والكاف. (ثلاثة أبيات).

– حرف اللام. (ثلاثة أبيات).

– حرف الميم. (أربعة أبيات).

– حرف النون. (بيتان).

– حرف الصاد. (بيتان).

– حرف الضاد والعين. (ثلاثة أبيات).

– حرف الغين. (بيت واحد فقط).

– حرف الفاء والقاف. (ثلاثة أبيات).

– حرف السين. (بيت واحد فقط).

– حرف الشين. (بيت واحد فقط).

– حرف الهاء. (بيتان).

– حرف الواو. (خمسة أبيات).

– حرف الياء. (بيتان).

٢– الفصل الثاني: السداسيات.

أ– أولاً: باب المعتل. (ستة أبيات).

ب– ثانياً: باب حذف الزوائد. (ستة أبيات).

ج– ثالثاً: باب حذف النون والواو والياء واللام وألف التنوين والوصل والبسملة وصلة ميم الجمع وهاء الضمير. (أحد عشر بيتاً).

د– رابعاً: باب الوصلي، أعني بيان ما بينه وبين النقلي. (ستة أبيات).

هـ– خامساً: بيان ما تثبت فيه ألف الوصل وأل التعريفية. (ستة أبيات).

و– سادساً: باب ما يكتب بألف الوصل ولام الألف. (ستة أبيات).

ز– سابعاً: باب الهمزة: (ستة أبيات).

ح– ثامناً: باب المزيد. (ستة أبيات).

ط– تاسعاً: باب التاء. (ستة أبيات).

ي– عاشراً: باب الإدغام. (ستة أبيات).

٣– باب الفصل والوصل. (٢٦ بيتاً).

٤– باب المشدد والمخفف من الواو والياء في القرآن الكريم. (١٠ أبيات).

٥– باب الحملة.

أ– فصل فيما يحمل بالواو. (١٢ بيتاً).

ب- فصل فيما يحمل بالألف. (٧ أبيات).

ج- فصل فيما يحمل بالياء. (٧ أبيات).

٦- الضبط. (١٦ بيتاً).

شروحات النظم:

١- الإيضاح الساطع على المحتوى الجامع رسم الصحابة وضبط التابع، لنفس الناظم الطالب عبد الله.

وهو مطبوع بعدة تحقيقات:

أ- تحقيق: الشيخ بن محمدٌ بن الشيخ أحمد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

ب- وحقق هذا الشرح مع تحقيق المنظوم، الدكتور محمد حبيب الجكني، ونال به درجة الدكتوراه من المغرب.

ج- تحقيق: الشيخ بن الشيخ أحمد، وطبع في الإمارات العربية المتحدة.

ومن عيوب هذا الشرح:

أنه لم يكمل شرح جميع الأبيات.

٢- شرح المشدد والمخفف من الواو والياء في القرآن الكريم، لمحمد أحيد بن سيدي عبد الرحمن.

وهو شرح لباب المشدد والمخفف من منظومة المحتوى الجامع، والذي لم يشرحه المؤلف.

وهو مطبوع مع شرح الإيضاح الساطع، بتحقيق: الشيخ بن محمدٌ بن الشيخ أحمد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣- شرح الحملة، لمحمد عبد الله بن الشيخ أحمد (ت١٢٩٠هـ).

وهو شرح لباب الحملة من منظومة المحتوى الجامع،والذي لم يشرحه المؤلف.

وهو مطبوع مع شرح الإيضاح الساطع، بتحقيق: الشيخ بن محمدٌ بن الشيخ أحمد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤- مفتاح الأمان في رسم القرآن شرح المحتوى الجامع رسم الصحابة وضبط التابع، لأحمد مالك حمَّاد الفوتي الأزهري (ت بعد ١٣٨٢هـ)، مطبوع[١].

٥- إيضاح المرسوم في حل ألفاظ حملة المرسوم، لأحمد مالك حمَّاد الفوتي الأزهري (ت بعد ١٣٨٢هـ)[٢].

٦- إيقاظ الهمم بشرح ضبط ورش وقالون الأصم، للشيخ محمد القاضي ابن الشيخ محمد الحجاجي (من المعاصرين ولد سنة ١٩٤٨هـ).

وهو شرح لباب الضبط من منظومة المحتوى الجامع،والذي لم يشرحه المؤلف.

وهو مطبوع مع شرح الإيضاح الساطع، بتحقيق: الشيخ بن محمدٌ بن الشيخ أحمد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٧- الضبط، شرح العَبَّاد.

٨- شرح المحتوى الجامع رسم الصحابة وضبط التابع، لمصطفى بن أيدًّا البُصادي الشنقيطي (من المعاصرين)[٣].

٩- سلم الطالب الأواه في حل ألفاظ رسم الطالب عبد الله، للشيخ محمد بن الشيخ محمد حامد المعروف بالشيخ بباه بن الشيخ بابه بن ربيعة (آلا) الحسني الشنقيطي.

---

(١) له طبعتان: ١- طبعة دار الطباعة المحمدية بالأزهر، الطبعة الأولى، عام ١٣٨٣هـ.

٢- طبعة الدار السنغالية، بدكار- السنغال.

(٢) انظر: سفير العالمين (ص١٠٣).

(٣) انظر: سفير العالمين (ص١٠٥).

وهو منشور على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ويقع في (٩٣) صفحة، وقد قرظ له الشيخ العالم العلامة محمد بن حبيب الله بن حَدٌّ.

ومميزات هذا الشرح:

– أنه ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل كما قال مؤلفه[١].

ومن عيوب هذا الشرح:

– عدم اعتنائه بمقدمات العلم، من ذكر التعريفات، ونحوها.

– كما أنه لم يهتم بنفس المنظوم من ناحية منهج المؤلف في نظمه، وضوابطه، واصطلاحاته.

١٠– الذخيرة في شرح رسم الطالب عبد الله، للشيخ لارباس ولد محمد ولد المرابط عبد الفتاح.

وهو مطبوع في موريتانيا، وفاز هذا الكتاب بجائزة شنقيط لأحسن كتاب في الدراسات الإسلامية سنة (٢٠٠٦م).

١١– الكنْز الثمين على رسم الطالب عبد الله بن الشيخ محمد الأمين، مع دراسة مقارنة حول الخلاف في رسم المصحف، لابن الشيخ أحمد بن محمد.

١٢– طرة على نظم رسم الطالب عبد الله، لمؤلف شنقيطي مجهول[٢].

---

(١) سلم الطالب الأواه (ص١).

(٢) انظر: سفير العالمين (ص١١٢).

المطلب السابع: ضبط قالون

المؤلف: محمد محمود النجاشي ولد المرابط محمد أحيد بن سيدي عبد الرحمن الشنقيطي (١٣١٠هـ-١٣٤٢هـ).

عدد أبيات المنظومة: (٢٥) بيتاً.

أهمية هذه المنظومة:

– أنها منظومة منفردة في ضبط قالون.

قال شارحه: (وقد ابتدع –رحمه الله– تأليفاً احتوى فيه على نحو ضبط قالون بالقواعد التي لا تَنْخَرِم، وبالعد الذي لا يصح أن يجعل تحت قاعدة ولم يسقه أحد فيما يظهر لي لهذا الوضع بخصوص ضبط قالون بتأليف منفرد)[1].

الشروحات:

١– الجوهر المكنون في شرح ضبط قالون، للشيخ محمد الأمين بن أيدا بن عبد القادر أيدا الجكني الشنقيطي –رحمه الله–، مساعد مدير مراقبة النص في مجمع الملك فهد، وعضو اللجنة العلمية لمراجعة مصحف المدينة النبوية[2].

والكتاب طبع في مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، وكانت طبعته الأولى عام ١٤١٤هـ.

من ميزات هذا الشرح:

– أن الشارح قرأ هذا المتن، وسمع شرحه من تلاميذ المؤلف[3].

(١) الجوهر المكنون (ص٩).

(٢) للشارح ترجمة في مقدمة الشرح (ص٥-٧) كتبها تلميذه السيد عبد العزيز عبد الرحيم محمد سالم الرديني.

(٣) انظر: الجوهر المكنون (ص٩).

– كما أن الشارح حَرِصَ على تجنب ما أحدثه بعض المتأخرين الذين ضبطوا مصاحف قالون بضبط المشارقة، وبسبب ما أحدثه هؤلاء رأى الشارح أن يشرح هذا النظم ويبين ضبط قالون وقواعده[1].

عيوب الشرح:

– خروجه كثيراً عن مقصود الناظم، فنراه كلما طرأت مسألة لغوية أو نحوية أو أصولية أو تجويدية خرج عن المقصود الأول للكتاب وهو علم الضبط، وشرع يفصل في هذه المسألة.

– ومن عيوب الشرح عدم تقسيم الشرح إلى فصول وأبواب ومباحث، فالشرح من أوله إلى آخره جاء متتالياً متتابعاً بدون تقسيم، وهذا مما يُرهق الطالب ويتعبه.

٢– شرح ضبط قالون، للشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن سيدي الجكني. وهي مخطوطة خاصة ذكرها صاحب (رشف اللمى)[2].

---

(١) انظر: الجوهر المكنون (ص١١).

(٢) انظر: رشف اللمى (ص٣٦١).

المطلب الثامن: اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم

المؤلف:

هو الشيخ محمد بن أحمد بن الحسن بن سلمان الشافعي، المعروف بالمتولي (ت١٣١٣هـ).

عدد أبيات المنظومة:

هي أرجوزة في خمسة وسبعين بيتاً.

منهج الناظم في منظومته:

– لم يتعرض الناظم لجميع مباحث علم الرسم، وإنما تعرض فقط للمسائل التي يحتاج إليها حال الوقف، حيث يقول الناظم:

وَبَعْدُ: هَـذِي نُبْذَةٌ يَا صَاحِ　　تَهْدِي إِلَى الْمَرْسُومِ بِاتِّضَاحِ
يَحْتَاجُهَا عِنْدَ الْوُقُوفِ التَّالِي　　..............................

المباحث التي تعرض لها اللؤلؤ المنظوم:

١– مقدمة (٤ أبيات).

٢– رسم التاءات (٢١ بيتاً).

٣– الموصول والمفصول (٢٢ بيتاً).

٤– ما حذفت منه الواو والياء لالتقاء الساكنين (٩ أبيات).

٥– رسم الألف وحذفها في بعض الأحرف (٣ أبيات).

٦– ما رسم بالواو (١٦ بيتاً).

٧– ما رسم بالياء (بيتان).

٨– خاتمة (٣ أبيات).

مميزات المنظومة:

١– كونها مختصرة وسلسلة.

٢– تناسب الطلاب الذين يريدون دراسة ما يتعلق بالتجويد والقراءة من علم الرسم، دون التوغل في دراسة هذا العلم.

عيوب المنظومة:

- عدم شمولها لمن أراد دراسة هذا الفن.
- خلوها تماماً من مسائل علم الضبط.

شروحاتها:

لم أقف لها إلا على شرحٍ واحدٍ فقط، وهو:

١– الرحيق المختوم في نثر اللؤلؤ المنظوم، لحسن بن حسين بن خلف الحسيني (من علماء القرن الرابع عشر)[١].

منهج الشارح:

– الشرح مختصر جداً، يقول الشارح: «هذا إملاءٌ لطيف وضعته على الأرجوزة المسماة باللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم»[٢]، وقال أيضاً: «ثم إن الكلام على البسملة شهير فلا نطيل بذكره في هذا المختصر»[٣].

(١) تم طبعه في مطبعة المعاهد بمصر دون تاريخ، وله نسخة خطية في جامعة الملك سعود، تحت رقم (١٩٠٨)، وتاريخ نسخها: سنة ١٣٢٤هـ، وخطها نسخ جيد، ويقع الكتاب في اثنتي عشرة لوحة. ونسخة خطية أخرى تحت رقم (٣٤٨٢) وتقع في ٢٣ لوحة.

(٢) اللوحة (١/أ).

(٣) اللوحة (١/ب).

المطلب التاسع: تحفة الفتيان في رسم القرآن

المؤلف: محمد بن محمد عبد الله بن محمد المامي اليعقوبي(١)، وهو من العلماء المعاصرين.

عدد أبيات المنظومة: تقع المنظومة في (٢٤٩) بيتاً.

الأبواب التي تضمنتها المنظومة:

١– المقدمة. (٨ أبيات).

٢– باب المفصول والموصول. (٢٣ بيتاً).

٣– باب البدل.

أ– فصل فيما أبدل من الهاءات تاءً. (٦ أبيات).

ب– فصل رسم الثلاثي من ذوات الواو. (١٢ بيتاً).

٤– باب الحذف. [وقد رتبه على الحروف].

أ – فصل ألف المجموع بتاء وألف. (٩ أبيات).

ب – فصل ألف الاثنين. (بيتان).

ج – الهمز. (بيتان).

– الباء. (٨ أبيات).

– التاء. (٣ أبيات).

– الثاء. (بيتان).

– الجيم. (بيتان).

---

(١) شرح تحفة الفتيان (ص٣).

– **الحاء.** (بيتان).

– **الخاء.** (بيتان).

– **الدال.** (بيتان).

– **الذال.** (بيت واحد).

– **الراء.** (٥ أبيات).

– **الزاي.** (بيتان).

– **السين.** (٤ أبيات).

– **الشين.** (بيتان).

– **الصاد.** (٣ أبيات).

– **الضاد.** (بيت واحد).

– **الطاء.** (بيتان).

– **الظاء.** (بيت واحد).

– **العين.** (خمسة أبيات).

– **الغين.** (بيتان).

– **الفاء.** (٣ أبيات).

– **القاف.** (٣ أبيات).

– **الكاف.** (٣ أبيات).

– **اللام.** (٥ أبيات).

– **الميم.** (٥ أبيات).

– **النون.** (٣ أبيات).

– **الهاء.** (٣ أبيات).

– **الواو.** (٧ أبيات).

– الياء. (٣ أبيات).

د– فصل في حذف بعض الحروف. (١٧ بيتاً).

٥– الزيادة.

أ– فصل في زوائد الياءات. (٨ أبيات).

ب– فصل في زيادة بعض الحروف. (١١ بيتاً).

٦– باب الهمز. (٥ أبيات).

أ– فصل في الهمز الساكن. (بيتان).

ب– فصل في الهمز المتحرك في أول الكلمة. (٤ أبيات).

ج– فصل في الهمز المتحرك في وسط الكلمة. (٨ أبيات).

د– فصل في الهمز المتحرك في آخر الكلمة. (٨ أبيات).

٧– باب الضبط. (٣٢ بيتاً).

٨– الخاتمة. (٣ أبيات).

وصف المنظومة:

- اقتصر فيها المؤلف على ما جرى به العمل عند المغاربة.
- لا يتعرض للخلافيات إلا نادراً.

مميزات المنظومة:

- قِصَرُ المنظومة، فهي ربع ألفية، مع أنها احتوت على مسائل هذا الفن رسماً وضبطاً.
- جودة النظم، فنظمها سهلٌ وسلسٌ للغاية.
- أن مؤلفها معاصرٌ وما زال موجوداً، وكنا قد خاطبناه بشأن تعديل هذه المنظومة حتى توافق قراءة حفصٍ وضبط المشارقة، فأبدى موافقته

على ذلك، ولعلَّ الله يوفق بعض الجهات لتبنِّي هذا المشروع.

عيوب المنظومة:

- أنها على قراءة نافع فقط.
- وأنها على ضبط المغاربة لا المشارقة.

الشروحات:

ليس لها حسب علمي إلا شرحٌ واحدٌ فقط، هو للناظم نفسه.

وهو شرح مختصر، يقع في ٧٠ صفحة(١).

(١) لم تطبع المنظومة ولا شرحها، وهي موجودة مخطوطة، ومطبوعة طباعة حديثة منشورة على الشبكة العنكبوتية، اعتنى بها زميلنا: الأخ محمد منقذ عمر فاروق أصيل.

المبحث الثاني: المنظومة المناسبة لدراسة طلاب كليات القرآن الكريم

بعد أن انتهيت من دراسة بعض المنظومات في رسم وضبط القرآن الكريم، بقي علينا أن نحدد ما هي المنظومة المناسبة لدراسة طلاب كليات القرآن الكريم، وسيكون تطبيقي على الكلية التي دَرَسْتُ وأُدَرِّس فيها، وهي كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، حيث إن تعيين المنظومة المناسبة إنما يكون بحسب الدارسين.

وسأعتمد في تحديد المنظومة المناسبة على عدة مسائل:

المسألة الأولى: حجم المنظومة مقارنة بعدد الوحدات المقررة لمادة الرسم والضبط في الكلية.

المسألة الثانية: استيعاب المنظومة لمسائل الفن.

المسألة الثالثة: مناسبة المنظومة لطلاب مرحلة البكالوريوس وما بعدها.

المسألة الرابعة: توفر المنظومة وشروحاتها.

أما بالنسبة للمسألة الأولى:

فإن عدد الوحدات المقررة لدراسة مادة الرسم والضبط في كلية القرآن الكريم هي ٦٠ ساعة، مقسمة على فصلين دراسيين، نحتاج أن نحذف منها ما يقارب عشر حصص التي قد تُستهلك في اختبارات أعمال السنة، ونحو ذلك، فيبقى لنا ما يقارب الخمسين حصة، فلو كان المدرس يدرس ٥ أبيات في الحصة الواحدة [وهو كثير] فلا ينبغي أن يزيد المتن الـمُدَرَّس على (٢٥٠ بيتاً).

وهذا كما نراه ينطبق على منظومات معينة.

المسألة الثانية:

حصر علماءُ فن الرسم مسائل هذا العلم في ست قواعد، وهي:

١- الحذف بأنواعه: أ- الحذف الإشاري، وهو ما يكون موافقاً لبعض القراءات.

ب- الحذف الاختصاري، وهو ما لا يختص بكلمة دون مثلها، فيصدق بما تكرر من الكلمات وما لم يتكرر منها.

ج- الاقتصار، وهو ما اختص بكلمة دون نظائرها.

٢- الزيادة.

٣- البدل.

٤- رسم الهمزة.

٥- الفصل والوصل.

٦- ما فيه قراءتان ورسم على إحداهما[١].

وقد جمع هذه القواعد الستة الشيخ محمد العاقب الشنقيطي في نظمٍ قال فيه:

الرَّسْمُ فِي سِتِّ قَوَاعِدَ اسْتَقَلّ   حَذْفٌ، زِيَادَةٌ، وَهَمْزٌ، وَبَدَلْ
وَمَا أَتَى بِالْوَصْلِ أَوْ بِالْفَصْلِ   مُوَافِقًا لِلَّفْظِ أَوْ لِلْأَصْلِ
وَذُو قِرَاءَتَيْنِ مِمَّا قَدْ شُهِرْ   فِيهِ عَلَى إِحْدَاهُمَا قَدِ اقْتُصِرْ[٢]

ليس كل المنظومات المؤلفة في علم الرسم منظومات مستوعبة لمسائل الفن، فمثلاً منظومة (اللؤلؤ المنظوم) للمتولي ليست شاملةً لجميع مسائل الفن،

---

(١) انظر: دليل الحيران (ص٢٧)، وسمير الطالبين (ص٣١).

(٢) انظر: إيقاظ الأعلام (ص٣٥)، وتاريخ القرآن للكردي (ص٩٤).

وكذلك منظومة (ضبط قالون).

كما أننا يجب أن نلاحظ أن هناك منظومات في الرسم لم تشتمل على مسائل علم الضبط.

المسألة الثالثة:

من المعلوم أن هذا العلم لا يُدَرَّس إلا في المرحلة الجامعية في الغالب، إلا ما يدرس في المرحلة الثانوية في معاهد القراءات في مصر[١]، فمن هذا المنطلق نستطيع أن نقول: إن غالب الطلاب الذين يدرسون هذا العلم في المرحلة الجامعية إنما هم طلاب مبتدئون، فبالتالي يحتاجون إلى مَتْنٍ يناسب الطلاب المبتدئين لا المتقدمين.

فالمتون التي تحتوي على المسائل الخلافية لا تناسب طلاب مرحلة البكالوريوس.

المسألة الرابعة:

طالب العلم الذي يدرس منظومةً ما لا بُدَّ له من توفر بعض الشروحات التي تخدمه في فهم المادة العلمية.

وهناك منظومات ليس لها أي شرح، فيجب الاستغناء عن هذه المنظومات، إلا أن يتصدى لها بعض شيوخنا الأفاضل بشرحها، وتقرير هذا الشرح على الطلاب.

مقترح الباحث:

ومن ثَمَّ فإن الاقتراح الذي يقترحه الباحث هو:

---

(١) ومن أمثلة ذلك كتاب: لطائف البيان، الذي هو مقرر على طلاب معهد القراءات في مصر.

١ – تدريس منظومة: (تحفة الفتيان في رسم القرآن) لطلاب مرحلة البكالوريوس، وذلك:

أ- لصغر حجمها حيث إنها لا تزيد عن (٢٥٠ بيتاً).

ب- لشمولها على موضوعات الرسم والضبط.

ج- وجود شرح مختصرٍ لها.

د- لاحتوائها على الراجح دون التوسع في الخلافيات مما يناسب الطلاب المبتدئين.

٢ – ثم بعد ذلك يدرس طلاب الماجستير والدكتوراه منظومة (مورد الظمآن في رسم القرآن)، وذلك:

أ- لشمولها مسائل الخلاف في الرسم الذي يناسب طلاب هذه المرحلة.

ب- لكثرة شروحاتها والتعليقات عليها، مما يناسب طلاب هذه المرحلة في البحث عن المخطوطات والموضوعات.

٣- تحمل الأقسام العلمية في كليات القرآن الكريم مهمة نظم متن في علمي الرسم والضبط يوافق رواية حفصٍ أولا، وضبط المشارقة ثانياً.

والله أعلم بالصواب.

الفصل الثاني: الاستبيانات

المبحث الأول: الاستبيانات الخاصة بأسباب ضعف التحصيل العلمي عند الطلاب في هذه المادة

إجراءات الدراسة :

مقدمة

يتعلق الفصل الحالي بتحديد منهج الدراسة، ووصف مجتمعها ، وعينة الدراسة، و كيفية بناء الأداة المستخدمة، و التأكد من الصدق والثبات لأداة الدراسة، والأساليب الإحصائية المستخدمة.

منهج الدراسة

رأى الباحث أن المنهج الذي يناسب الدراسة الحالية هو المنهج الوصفي المسحي وهو يعتمد على دراسة الظاهرة من خلال تطبيق الأداة على عدد كبير من أفراد مجتمعها، ومن ثم وصف الظاهرة قيد البحث وصفاً دقيقاً، وإمكانية التعبير عنها تعبيراً كيفياً أو كمياً، فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويبين خصائصها، بينما التعبير الكمي يعطينا وصفاً رقمياً لمقدار الظاهرة.

أولاً : مجتمع الدراسة :

تكوّن مجتمع الدراسة من أعضاء هيئة التدريس و الطلاب بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية ، و قسم القراءات بجامعة طيبة ، و قسم القراءات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

و لصعوبة الوصول إلى كافة أفراد المجتمع الكلي فقد عمد الباحث إلى اختيار عينة ممثلة وفق التالي:

ثانياً : عينة الدراسة :

تكونت عينة الدراسة من فئتين :

الفئة الأولى : تكونت من أعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم بقسم القراءات في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية وبلغ عددهم(٢٧) عضواً ، شكّلوا نسبة (٥٥.٤%) من إجمالي العينة .

الفئة الثانية : فئة الطلاب و تكونت من الطلاب الدارسين في المستويين السادس والخامس بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية وبلغ عددهم (٣٤) طالباً شكّلوا نسبة (٤٤.٣) من إجمالي العينة.

وقد اختار الباحث عيّنته بالطريقة العشوائية واقتصر على أعضاء وطلاب كلية القرآن و ذلك لأمرين:

أولاً : كون كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية هي الكلية الوحيدة المتخصصة في تدريس القراءات ومادة رسم القرآن و ضبطه.

ثانياً : سهولة الوصول إلى أفراد العينة من قبل الباحث.

وقد قام الباحث بتوزيع الاستبانات واستعادتها وفق الجدول التالي :

م	العينة	الاستبانات الموزعة	الاستبانات المستردة	الفاقد	الاستبانات المستبعدة
١	أعضاء هيئة التدريس	٢٨	٢٧	٠	١
٢	الطلاب	٥٣	٣٤	١٨	١

خطوات بناء الاستبانة:

مرت أداة الدراسة بخطوتين :

الخطوة الأولى : الدراسة الاستطلاعية :

حيث قام الباحث أولاً بتوزيع استبيان مفتوح على أعضاء هيئة التدريس والطلاب بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية؛وذلك لاستطلاع آراء العينة قبل بناء الأداة في شكلها النهائي.

وتكونت الدراسة الاستطلاعية من ثلاثة أسئلة على النحو التالي :

أولاً : ما رأيكم في طريقة التدريس المناسبة لهذه المادة ، وما تتطلبه من وسائل تعليمية؟

ثانياً : ما رأيكم في عدد الحصص التي تعطى لهذه المادة، وما مدى كفايتها لمفردات المنهج؟

ثالثاً : ما رأيكم في المنهج الذي يدرس حالياً ؟

وبعد جمع استجابات أفراد العينة و تصنيفها قام الباحث بصياغة الاستبانة بشكل مغلق.

ثانيا : ثبات وصدق الاستبانة

أ- ثبات الاستبانة :

جرى حساب ثبات الاستبانة بطريقة ألفا كرونباخ على عينة (ن=٥٠) من أعضاء هيئة التدريس والطلاب ، والنتائج كما يوضحها الجدول التالي :

جدول(١)

حساب الثبات بطريقة الفا كرونباخ (ن=٥٠)

المحاور	عدد العبارات	معامل الفا
عدد الحصص	٥	٠.٥٤٦
طريقة التدريس	٧	٠.٦٦٢
الاستبانة ككل	١٢	٠.٧١٣

يوضح نتائج الجدول(١) أن قيم معامل ألفا تراوحت ما بين (٠.٥٤٦) ، (٠.٧١٣) مما يدل على أنَّ الاستبانة على درجة مقبولة من الثبات.

ب- صدق الاستبانة :

أولاً : الصدق الظاهري :

وتم احتسابه عن طريق عرض أداة الدراسة على محكمين متخصصين في القراءات وفي مناهج البحث، وبعد جمع ملحوظات المحكمين قام الباحث ببناء الاستبانة في شكلها النهائي .

ثانياً : صدق الاستبانة عن طريق الاتساق الداخلي:

تم حساب صدق الاستبانة بطريقة الاتساق الداخلي على عينة (ن=٥٠) من أعضاء هيئة التدريس والطلاب ، وذلك بحساب معامل الارتباط بين درجات المحور والدرجة الكلية للاستبانة ، والنتائج كما يوضحها الجدول التالي :

جدول(٢)

صدق الاتساق الداخلي لمحاور الاستبانة (ن=٥٠)

المحاور	الدرجة الكلية
الأول : عدد الحصص	٠.٨٧١
الثاني : طريقة التدريس	٠.٨٣٤

توضح نتائج الجدول(٢) أن قيم معاملات الصدق لمحوري الاستبانة هي (٠.٨٣٤)، (٠.٨٧١)، مما يؤكد أن الاستبانة على درجة مقبولة ومطمئنة من الصدق.

نتائج الدراسة :

أولا : نتائج آراء إجمالي العينة من أعضاء هيئة التدريس والطلاب حول الاتفاق على عدد الحصص التي يمكن أن تقدم في مادة رسم القرآن وضبطه لطلاب المرحلة الجامعية (ن=٦١)

م	العبارات	أوافق بشدة		أوافق		أوافق إلى حد ما		لا أوافق		لا أوافق بشدة		المتوسط الوزني	درجة الاتفاق
		ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪		
١	زيادة عدد الوحدات الدراسية التي تقدم فيها المادة.	٣٧	٦٠.٧	١٠	١٦.٤	٨	١٣.١	٥	٨.٢	١	١.٦	٤.٢٦	أوافق بشدة
٢	زيادة عدد المحاضرات في المستوى الواحد.	٣٣	٥٤.١	١٠	١٦.٤	٥	٨.٢	١٢	١٩.٧	١	١.٦	٤.٠٢	أوافق
٣	زيادة عدد المستويات التي تقدم فيها المادة	٣٦	٥٩	١٠	١٦.٤	٧	١١.٥	٨	١٣.١	–	–	٤.٢١	أوافق بشدة
٤	إضافة مادة جديدة حول مدخل إلى تطور الحرف العربي.	٣١	٥٠.٨	٨	١٣.١	١٢	١٩.٧	٧	١١.٥	٣	٤.٩	٣.٩٣	أوافق
٥	تدريس المادة بداية من المستوى الأول.	٢٠	٣٢.٨	٧	١١.٥	٧	١١.٥	١٩	٣١.١	٨	١٣.١	٣.٢٠	أوافق إلى حد ما

توضح نتائج الجدول(٣) اتفاق غالبية أفراد العينة من أعضاء هيئة التدريس والطلاب بدرجة كبيرة جداً على زيادة عدد الوحدات الدراسية التي تُقدّم فيها المادة الدراسية، إضافة إلى اتفاقهم كذلك على زيادة عدد المستويات التي تقدم فيها المادة.

إلا أنهم لا يرون أهمية لتدريس المادة بداية من المستوى الأول، حيث كانت درجة الموافقة إلى حد ما ؛ و لعل ذلك يعود الى أنّ المستوى الأول في الغالب يغلب عليه طابع الإعداد العام ، في حين هذه المادة من صميم التخصص ، فيناسب تأخيرها إلى مستويات لاحقة.

ثانيا : نتائج آراء إجمالي العينة من أعضاء هيئـــة التـــدريس والطلاب حول طريقة تدريس مادة رسم القرآن وضبطه.

م	العبارات	أوافق بشدة		أوافق		أوافق إلى حد ما		لا أوافق		لا أوافق بشدة		المتوسط الوزني	درجة الاتفاق
		ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪	ت	٪		
١	الجمع بين الدراسة النظرية والتطبيق العملي.	٥٨	٩٥.١	٢	٣.٣	١	١.٦	–	–	–	–	٤.٩٣	أوافق بشده
٢	تكليف الطالب بكتابة قدر من الآيات بخط اليد مراعياً القواعد التي تعلمها.	٥٦	٩١.٨	٥	٨.٢	–	–	–	–	–	–	٤.٩٢	أوافق بشده
٣	تكليف الطالب بإجراء بحوث مصغرة حول مفردات المادة.	٢٤	٣٩.٣	٢٠	٣٢.٨	١٢	١٩.٧	٤	٦.٦	١	١.٦	٤.٠٢	أوافق
٤	توفير معمل خاص يحتوي على أجهزة عرض ووسائل مساعدة مناسبة.	٣٦	٥٩	١٧	٢٧.٩	٥	٨.٢	٣	٤.٩	–	–	٤.٤١	أوافق بشده
٥	توفير قاعة إطلاع تحتوي على الكتب والمراجع المتعلقة بالمادة.	٣٣	٥٤.١	٢٠	٣٢.٨	٥	٨.٢	٢	٣.٣	١	١.٦	٤.٣٤	أوافق بشده
٦	توفير نسخ من مخطوطات المصاحف القديمة.	٤٤	٧٢.١	١٤	٢٣	٢	٣.٣	–	–	١	١.٦	٤.٦٤	أوافق بشده
٧	تخصيص وقت محدد للزيارات الميدانية لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف.	٣٣	٥٤.١	١٧	٢٧.٩	٩	١٤.٨	١	١.٦	١	١.٦	٤.٣١	أوافق بشده

توضح نتائج الجدول(٤) أنّ العبارات (١) و(٢) و(٦) قد حصلت على متوسط وزني أكبر بين عبارات المحور.

وهذا يدل على قناعة أفراد العينة بتغيير طريقة تدريس هذه المادة ،وضرورة الجمع بين الدراسة النظرية والتطبيق العلمي، فتكليف الطالب بكتابة قدر من الآيات بخط اليد مراعياً القواعد التي تعلمها ، مع مطالعة الطالب لنسخ من مخططات المصاحف القديمة سيرسخ لديه الجانب المهاري بشكل أكبر.

وكانت العبارة رقم (٣) والخاصة بتكليف الطالب بإجراء بحوث مصغرة حول مفردات المادة ذات متوسط وزني أقل مقارنة ببقية عبارات المحور، ولعل مرد ذلك إلى أنّ تكليف الطالب بإجراء بحث قد يثري عنده الجانب النظري فقط دون الجانب التطبيقي.

ثالثا :نتائج المقارنة بين استجابات عينة أعضاء هيئة التدريس ( ) ، وعينــة الطـلاب ( ) فــي محــاور مــادة رسـم القـرآن وضـبطه ودرجته الكلية.

لمعرفة الفروق (المقارنة) بين استجابات عينة أعضاء هيئة التدريس وعينة الطلاب تم استخدام اختبارات للعينتين المستقلتين والنتائج كما يوضحها الجدول التالي :

جدول(٥)

المقارنة بين عيئة أعضاء هيئة التدريس وعينة الطلاب حول الاتفاق على زيادة عدد الحصص وأسلوب التدريس في مادة رسم القرآن الكريم وضبطه

محاور الاستبانة ودرجتها الكلية	أعضاء هيئة التدريس(ن=٢٧)		الطلاب (ن=٣٤)		قيمة ت	مستوى الدلالة
	م	ع	م	ع		
عدد الحصص	٢٠.١٩	٣.٨٩	١٩.١٨	٣.٤٩	١.٠٧	غير دالة
طريقة التدريس	٣١.١٥	٣.٠٥	٣١.٩١	٣.٠٣	٠.٩٨	غير دالة
الدرجة الكلية	٥١.٣٣	٥.٨١	٥١.٠٩	٥.٦٦	٠.١٧	غير دالة

توضح نتائج الجدول (٥) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة أعضاء هيئة التدريس وعينة الطلاب حول زيادة عدد الحصص وطريقة التدريس في مادة رسم القرآن الكريم.

وتشير هذه النتيجة إلى اتفاق العينتين على زيادة عدد الحصص، وأسلوب تدريس المادة وما يرتبط بها من تقنيات ومصادر تعلم.

النتائج العامة للدراسة الميدانية :

أسفرت الدراسة الميدانية عن أنّ أبرز أسباب ضعف التحصيل في مادة رسم القرآن وضبطه ما يلي :

أولاً : عدم كفاية الوحدات التدريسية التي تقدم فيها المادة.

ثانياً : الاقتصار في التدريس على الجانب النظري دون الجانب العملي التطبيقي.

التوصيات :

بناء على نتائج الدراسة الميدانية فإنّ الباحث يوصي بما يلي :

أولاً : زيادة عدد وحدات مادة رسم القرآن وضبطه.

ثانياً : ضرورة الجمع بين الدراسة النظرية والتطبيق العملي عند تدريس هذه المادة وذلك من خلال ما يلي:

تكليف الطالب بكتابة قدر معيّن من الآيات بخط يده.

مطالعة الطالب لبعض المصاحف القديمة.

ثالثاً : تخصيص قاعة لتدريس هذه المادة وتزويدها بنسخ من المصاحف القديمة، بحيث تكون مقراً للتطبيق العملي.

المبحث الثاني: الاستبيانات الخاصة بآراء المتخصصين والأكاديميين في آراء ونتائج الباحث

في هذا الفصل قام الباحث بعدة خطوات لاستطلاع آراء المتخصصين والأكاديميين في آراء البحث، و هدف الباحث في هذا الفصل إلى الوصول إلى بناء معيار علمي يمكن من خلاله الحكم على المنظومات في علم الرسم والضبط.

و كانت الخطوات على النحو التالي:

أولاً : طرح الباحث سؤلاً مفتوحاً على أعضاء هيئة التدريس في كلية القرآن الكريم حول المعايير التي في ضوئها يمكن الحكم على منظومات علم الرسم والضبط. (ملحق رقم ١)

الخطوة الثانية :

بعد جمع استجابات أعضاء هيئة التدريس حول السؤال المفتوح صاغ الباحث المعيار في صورته الأولية ، وقد اشتمل المعيار على أربعة عشر مؤشراً للأداء تندرج تحت أربعة محاور هي: السهولة، مناسبة النظم لمستوى الطالب، المحتوى ، الشرح. (ملحق رقم ٢)

الخطوة الثالثة :

قام الباحث بعرض المعيار في صورته الأولية على مجموعة من أعضاء هيئة التدريس في كلية القرآن الكريم للحكم على عباراته، ومدى وضوحها ومناسبتها لقياس ما وضعت من أجله.

وبعد جمع ملحوظات السادة المحكمين ، وإجراء التعديلات المطلوبة وكان أبرزها إضافة عبارتين إلى عبارات المحور ليصبح مجموع مؤشرات الأداء ستة

عشر مؤشراً ، قام الباحث بصياغة المعيار في صورته النهائية، وقد استخدم الباحث التدرج الثلاثي (متوفرة، متوفرة إلى حد ما، غير متوفرة) (ملحق رقم ٣)

الخطوة الرابعة :

قام الباحث بقراءة المنظومات والحكم عليها بناء على ما ورد في مؤشرات أداء المعيار، وتوصل إلى مجموعة من النتائج أوردها الباحث في نتائج البحث.

خطاب تحكيم الاستبانة (ملحق رقم ١)

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الدكتور / سلمه الله

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و بعد :

فيطيب لي أن أفيد فضيلتكم أني بصدد إجراء دراسة علمية بعنوان :

واقع مادة رسم القرآن وضبطه في الدراسات الجامعية، دراسة ومقارنة وتحليل.

وتهدف الدراسة إلى الوقوف على واقع هذه المادة من ناحية : طرق تدريسها، وعدد محاضراتها ،والمنظومات المؤلفة في هذا الشأن، من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، والطلاب.

ولغرض الدراسة قام الباحث بإعداد الاستبانة المرفقة؛ ونظراً لما تملكونه من خبرة واسعة في هذا المجال، فإنّ الباحث يود من فضيلتكم التفضل بالحكم على عبارات الاستبانة من ناحية: وضوح العبارة ،ومدى مناسبتها للمحور، واقتراح ما ترونه من تعديلات مناسبة.

و سيستخدم الباحث التدرج الخماسي:

أوافق بشدة	أوافق	أوافق إلى حد ما	لا أوافق بشدة	لا أوافق

شاكراً لكم سلفاً كريم تعاونكم

الباحث د. محمد بن أحمد برهجي

عضو هيئة التدريس بكلية القرآن الكريم

الاستبانة في صورتها النهائية (ملحق رقم ٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الطالب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فيطيب لي أن أفيدكم أني بصدد إجراء دراسة علمية بعنوان :

واقع مادة رسم القرآن وضبطه في الدراسات الجامعية، دراسة ومقارنة وتحليل.

وتهدف الدراسة إلى الوقوف على واقع هذه المادة من ناحية : طرق تدريسها، وعدد محاضراتها ،والمنظومات المؤلفة في هذا الشأن، من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، والطلاب.

ونظراً لأنك من المعنيين بهذه الدراسة ونتائجها ، فإنّ الباحث يود تعاونكم معه من خلال الإجابة على فقرات الاستبانة، وذلك بالتأشير أمام درجة الاستجابة المناسبة من وجهة نظركم ، علماً بأنّ الاستبانة لغرض البحث العلمي فقط.

الباحث

د. محمد بن أحمد برهجي

المحور الأول : عدد الحصص :

ويدخل تحت هذا المحور عدد وحدات المادة والمستويات الدراسية التي تقدم فيها

م	العبارة	أوافق بشدة	أوافق	أوافق إلى حد ما	لا أوافق	لا أوافق بشدة
	زيادة عدد الوحدات الدراسية التي تقدم فيها المادة					
	زيادة عدد المحاضرات في المستوى الواحد					
	زيادة عدد المستويات التي تقدم فيها المادة					
	إضافة مادة جديدة حول مدخل إلى تطور الحرف العربي					
	تدريس المادة بداية من المستوى الأول					

المحور الثاني: طريقة التدريس:

ويدخل تحت هذا المحور أسلوب تدريس المادة وما يرتبط به من تقنيات ومصادر تعلم

م	العبارة	أوافق بشدة	أوافق	أوافق إلى حد ما	لا أوافق	لا أوافق بشدة
١	الجمع بين الدراسة النظرية والتطبيق العلمي					
٢	تكليف الطالب بكتابة قدر من الآيات بخط اليد مراعياً القواعد التي تعلمها					
٣	تكليف الطلاب بإجراء بحوث مصغرة حول مفردات المادة					
٤	توفير معمل خاص يحتوي على أجهزة عرض و وسائل مساعدة مناسبة					
٥	توفير قاعة إطلاع تحتوي على الكتب و المراجع المتعلقة بالمادة					
٦	توفير نسخ من مخطوطات المصاحف القديمة					
٧	تخصيص وقت محدد للزيارات الميدانية لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف					

خطاب تحكيم المعيار إضافة إلى المعيار في صورته الأولية (ملحق رقم ٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الأستاذ الدكتور / سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فيطيب لي أن أفيد فضيلتكم بأني بصدد إجراء دراسة علمية بعنوان :

واقع مادة رسم القرآن و ضبطه في الدراسات الجامعية، دراسة ومقارنة وتحليل.

وتهدف الدراسة إلى الوقوف على واقع هذه المادة من ناحية : طرق تدريسها، وعدد محاضراتها ،والمنظومات المؤلفة في هذا الشأن، من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، والطلاب.

كما أنّ الباحث يسعى لبناء معيار يمكن في ضوئه تقويم المنظومات المؤلفة في هذا الفنّ، وبعد مراجعة أدبيات الموضوع من الناحية النظرية، واستطلاع رأي أعضاء هيئة التدريس في كلية القرآن وطلابها حول بنود المعيار، فقد توصل الباحث إلى المعيار التالي.

ونظراً لما تمتلكونه من خبرة كبيرة في هذا المجال فإنّ الباحث يأمل منكم المساعدة في تحكيم عبارات المعيار من ناحية وضوح عباراته و مناسبتها للمحور الذي تندرج تحته، وإضافة ما ترونه من تعديل.

و سيستخدم الباحث التدرج الثلاثي:

درجة المعيار

متوفرة	**متوفرة إلى حد ما**	**غير متوفرة**

شاكراً لكم سلفاً كريم تعاونكم

الباحث

د. محمد بن أحمد برهجي

عضو هيئة التدريس بكلية القرآن الكريم

المحور الأول : السهولة

م	الفقرة	وضوح العبارة		مناسبتها للمحور		درجة الأهمية			التعديل المقترح
		واضحة	غير واضحة	مناسبة	غير مناسبة	مهم جداً	مهم	غير مهم	
١	يستخدم ألفاظ سهلة ومفهومة								
٢	يسهل على طالب العلم حفظ المتن								

عبارات أخرى ترون إضافتها :

....

....

....

....

المحور الثاني: مناسبة المنظومة لمستوى الطالب:

م	الفقرة	وضوح العبارة		مناسبتها للمحور		درجة الأهمية			التعديل المقترح
		واضحة	غير واضحة	مناسبة	غير مناسبة	مهم جداً	مهم	غير مهم	
١	تناسب المستوى العلمي للطالب المبتدئ								
٢	تناسب المستوى اللغوي للطالب								
٣	يمكن الانتهاء من تدريس المنظومة في المدة المحددة من قبل الجهة التعليمية								

عبارات أخرى ترون إضافتها :

....

....

....

....

....

....

....

المحور الثالث : المحتوى

م	الفقرة	وضوح العبارة		مناسبتها للمحور		درجة الأهمية			التعديل المقترح
		واضحة	غير واضحة	مناسبة	غير مناسبة	مهم جداً	مهم	غير مهم	
١	تحتوي المنظومة على مدخل للعلم								
٢	يراعي الناظم التسلسل المنطقي لأبواب الفن								
٣	يستوعب الناظم مسائل الخلاف								
٤	يجمع بين الرسم و الضبط								
٥	يضرب الأمثلة على مسائل الضبط								
٦	يغفل الناظم حذف بعض الكلمات								

عبارات أخرى ترون إضافتها :

....

....

....

....

....

المحور الرابع : الشرح:

م	الفقرة	وضوح العبارة		مناسبتها للمحور		درجة الأهمية			التعديل المقترح
		واضحة	غير واضحة	مناسبة	غير مناسبة	مهم جداً	مهم	غير مهم	
١	يوجد شرح مطبوع								
٢	يسهل الحصول على الشرح								
٣	تتسم عبارات الشارح بالوضوح								
٤	تتنوع المصادر التي اعتمد عليها الشارح								

عبارات أخرى ترون إضافتها :

....

....

....

....

....

الخاتمة

النتائج:

١- عدد المنظومات التي توصل إليها الباحث في علمي الرسم والضبط هي: ٥٢ منظومة.

٢- بعض هذه المنظومات مفقودة.

٣- اهتمام علماء الرسم والضبط عبر التاريخ الإسلامي يكاد يكون محصوراً في ثلاث منظومات: العقيلة للإمام الشاطبي، ومورد الظمآن للخراز، ورسم الطالب عبد الله.

٤- أشمل هذه المنظومات هي منظومة (مورد الظمآن) للخراز.

٥- أكثر المنظومات التي تناسب طلاب مرحلة البكالوريوس هي منظومة (تحفة الفتيان في رسم القرآن) للمامي اليعقوبي.

٦- أكثر المنظومات التي تناسب طلاب مرحلة الماجستير والدكتوراه هي منظومة (مورد الظمآن في رسم القرآن) للخراز.

٧- ليست هناك منظومة واحدة في رسم القرآن شاملة لهذا العلم وضعت وفق رواية حفص.

٨- ضعف المكتبات المتخصصة في حصر مؤلفات هذا الفن المطبوعة، حيث لم أجد مكتبةً تجمع أكثر الكتب المطبوعة، حتى إنني لم أستطع أن أصل إلى الكثير من الكتب.

التوصيات:

١- هناك قصور علمي وأكاديمي واضح في خدمة الكتب المؤلفة في علم رسم وضبط المصحف الشريف، والاعتناء بالمنظومات المؤلفة في هذا الفن؛

فأدعو طلبة العلم والمتخصصين إلى إحياء هذه المنظومات والاهتمام بها، خاصةً وأننا قد وجدنا من خلال هذه الدراسة أن المنظومات في هذا الفن قليلة جداً، لو تقاسمتها دفعة أو دفعتان من طلاب مرحلة الدكتوراه في قسم القراءات في سنة واحدة لاعتنوا بها وأخرجوها لطلبة العلم.

٢- يوصي الباحث من له مهارة في النظم ومعرفة بعلم الرسم والضبط أن ينظم منظومة في رسم المصحف وضبطه وفق رواية حفص.

٣- يوصي الباحث بعض المتخصصين من الأكاديميين بوضع شروحات مناسبة لطلاب العلم على منظومة (تحفة الفتيان) لو قُرِّر تدريسها في الجامعات والكليات الإسلامية.

هذا والله أسأل أن يوفقني لما فيه الخير والصواب، وأن يلهمني الرشد والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

١. أثر اختلاف القراءات القرآنية في الرسم العثماني، عبد الرحمن يوسف الجمل، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة– فلسطين، سلسلة الدراسات الشرعية، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، يونيو، ٢٠٠٥م.

٢. إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين، تأليف: الدكتور محمد سالم محيسن، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م.

٣. أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، تأليف: الإمام أبي داود سليمان بن نجاح (المتوفى سنة ٤٩٦هـ)، حققه وعلق عليه: د. أحمد ابن أحمد بن معمّر بن شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٧هـ.

٤. الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م.

٥. أعلام ليبيا، للشيخ الطاهر أحمد الزاوي، دار الفرجاني، طرابلس، ١٣٩٠هـ–١٩٧١م.

٦. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

٧. إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام، للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، دار الرائد العربي، بيروت.

٨. البديع في رسم مصاحف عثمان، لأبي عبد الله محمد بن يوسف الجهني (٣٧٩–٤٤٢هـ)، تحقيق: أ.د. سعود بن عبد الله الفنيسان، الأستاذ بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بالرياض سابقاً، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

٩. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، خرج أحاديث وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٠. تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، تحقيق: مصطفى محمد يغمور، مكتبة المعارف، الطائف، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ-١٩٩٦م.

١١. تنبيه العطشان، للشوشاوي.

١٢. تهذيب اللغة، للأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون وغيره، المؤسسة المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

١٣. الجعبري ومنهجه في كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، مع تحقيق نموذج من الكنز، دراسة: أ. أحمد اليزيدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٤. جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، طبعة حيدر أباد، الهند، ١٣٥١هـ.

١٥. جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، تأليف: برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢هـ)، دراسة وتحقيق: محمد خضير مضحي الزوبعي، إشراف: الأستاذ الدكتور غانم قدُّوري الحمد، تقديم: د. يحيى الغوثاني، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق-سورية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٦. الجوهر المكنون في شرح ضبط قالون، تأليف: محمد الأمين ولد أيدا عبد القادر الجكني الشنقيطي مساعد مدير مراقبة النص في

مجمع الملك فهد وعضو اللجنة العلمية لمراجعة مصحف المدينة النبوية، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٧. دراسات في علوم القرآن الكريم ، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة التاسعة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٨. درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس المكناسي الشهير بابن القاضي (ت١٠٢٥هـ)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة- المكتبة العتيقة، تونس.

١٩. دليل الحيران على مورد الظمآن في فني الرسم والضبط، للشيخ إبراهيم بن أحمد المارغني التونسي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢٠. الرسم القرآني، بحث خاص بكتاب الجائزة، من أعداد: أ. محمد بشير بن أحمد بن محمد سعيد الإدلبي المدرس بجامعة أم القرى- فرع الطائف، ١٤١٣-١٤١٤هـ.

٢١. الرسم القرآني ضابطاً من ضوابط القراءة الصحيح، د. توفيق بن أحمد العقبري، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٢. رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، تأليف: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٣. رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، للدكتور شعبان محمد إسماعيل، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٤. رشف اللمى.

٢٥. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، لأبي القاسم علي بن عثمان بن الحسن القاصح العذري البغدادي، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٧٣هـ.

٢٦. سفير العالمين في إيضاح وتحرير وتحبير سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، تأليف: د. أشرف محمد فؤاد طلعت، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية– مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٢٧. سلوة الأنفاس ومحادثة الأقياس بمن أقبر من العلماء والصالحين بفاس، لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، طبعة فاس.

٢٨. سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، تأليف: علي محمد الضباع، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٩. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٣٠. شرح السنة، للإمام البغوي، تحقيق: زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣١. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٢. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، مكتبة الحياة، بيروت.

٣٣. غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

٣٤. فتح الباري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٥. فهرس ابن غازي المسمى بـ(التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد)، لابن غازي المكناسي، تحقيق: محمد زاهي، الدار البيضاء، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٦. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (علوم القرآن- رسم المصحف)، للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، عَمَّان- الأردن، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٧. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (مخطوطات رسم المصاحف)، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عَمَّان- الأردن، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٣٨. القرَّاء والقراءات بالمغرب، لسعيد إعراب، دار الغرب الإسلامين بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣٩. قراءة الإمام نافع عند المغاربة، لعبد الهادي حميتو.

٤٠. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٤١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٤٢. لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمآن، تأليف: فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد أبو زيتحار المدرس بمعهد القراءات بالأزهر الشريف، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر بمصر، الطبعة الثانية.

٤٣. متعة الأذهان من التمتُّع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران، لأحمد ابن محمد بن الملَّا الحصفكي، تحقيق: صلاح الدين الشيباني، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٤٤. متن مورد الظمآن في رسم القرآن، ويليه: متن الذيل في ضبط القرآن، تأليف: العالم العلامة محمد بن محمد الأموي الشريشي الشهير بالخراز، ويليهما: الإعلان بتكملة مورد الظمآن، لابن عاشر، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد الصادق قمحاوي المدرس بمعهد القراءات.

٤٥. مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٦. المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ١٩٦٠م.

٤٧. مختار الشعر الجاهلي، للأعلم الشنتمري، تحقيق: مصطفى السقع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.

٤٨. مختار الصحاح، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبو بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤٩. مرسوم خط المصحف، للإمام إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العُقَيْلي

(ت٦٢٣هـ)، دراسة وتحقيق: محمد بن عمر بن عبد العزيز الجنايني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٥٠. مزايا الرسم العثماني وفوائده، للدكتور طه عابدين طه، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، معهد الإمام الشاطبي، العدد الثاني.

٥١. معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني (٤٤٤ هـ): إمام القراء بالأندلس والمغرب وبيان الموجود منها والمفقود بمناسبة الذكرى الألفية لظهور مدرسته في القراءات، تأليف: د. عبد الهادي عبد الله حميتو، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة (٧٦)، الرياض، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٥٢. معجم مصنفات القرآن الكريم، لعلي شواخ إسحاق، دار الرفعي، الرياض، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٥٣. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي شعيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٥٤. مفتاح السعادة، لطاش كبري زاده.

٥٥. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م.

٥٦. الميسر في علم رسم المصحف وضبطه، تأليف: أ.د. غانم قدُّوري الحمد، راجعه: أ.د. عبد الهادي حميتو وغيره، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٥٧. نتيجة الإملاء وقواعد الترقيم، لمصطفى عناني، نشر: محمود توفيق، الطبعة الخامسة، ١٩٣٧م.

٥٨. النشر في القراءات العشر، للإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الشهير بابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٥٩. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأبي العباس أحمد بن أحمد (ت١٠٣٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٠. هجاء مصاحف الأمصار، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد التاسع عشر، القاهرة، ١٩٧٣م.

٦١. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ)، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ.

٦٢. الوسيلة إلى كشف العقيلة، تأليف: الإمام علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق وتقديم: د. مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

المخطوطات

١. تنبيه العطشان على مورد الظمآن، للرجراجي الشوشاوي (ت٨٩٩هـ)، نسخة مصورة من دار الكتب القومية بمصر رقم ١ قراءات س، محفوظة بالجامعة الإسلامية على فيلم رقم (٢٧٤٣).

٢. شرح الرحيق المختوم في نثر اللؤلؤ المنظوم، لمحمد بن علي بن خلف الحسيني، نسخة مصورة في جامعة الملك سعود تحت رقم (٣٤٨٢)

ف(٤/٧٠٥).

٣. فتح المنان المروي شرح مورد الظمآن، لابن عاشر الأندلسي (ت١٠٤٠هـ)، نسخة محفوظة بالمكتبة المركزية بالقاهرة تحت رقم (٢٤٦) فيلم رقم ٣٨٧.

فهرس الموضوعات

ص ١٢٥

اَلْمُحَمَّدُونَ مِن شُيُوخِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ وَمَوَاضِعُ رِوَايَتِهِ عَنْهُم

إِعْدَادُ :

د. سُلَيْمَانَ بْنِ صَالِمٍ الثُّنَيَّانِ

الْأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ بِكُلِّيَّةِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فِي الْجَامِعَةِ

مقدّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

فإنَّ كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري أصحُّ كتابٍ مصنف في الحديث النبوي، وما ذلك إلا لمكانة مؤلفه وجلالة قدره، واجتهاده في تنقيح كتابه مدة طويلة، فلمَّا وقع في أيدي العلماء استحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا أحاديث معروفة، تبين أنَّ الحق معه في أكثرها.

وقد تلقى العلماء هذا الكتاب بالقبول، وتداولوه بينهم وتعددت خدمتهم له وتنوعت، «وليس من المبالغة في شيء إذا قلنا: إنَّ المسلمين على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم لم يعنوا بكتابٍ بعد كتاب الله عنايتهم بصحيح البخاري، من حيث السماع والرواية، والضبط والكتابة، وشرح أحاديثه وتراجم رجاله، واختصاره وتجريد أسانيده[1]» .

وقد رغبت أن يكون لي شرف خدمة هذا الكتاب الجليل، فاخترت أن أتناول بالبحث شيوخ الإمام البخاري في صحيحه، وبالتحديد من اسمه محمد منهم للأسباب التالية:

١ – كثرة المحمدين من شيوخه،حيث بلغوا ستين شيخاً كما سيأتي إن شاء الله.

---

(١) تدوين السنة النبوية (ص١١٧).

٢- الإهمال الواقع في شيوخ البخاري المحمدين في بعض المواضع، حيث يقول البخاري: «حدثنا محمد»، ولا يزيد، فيحتاج إلى بيان، أو يقول: «حدثنا محمد بن عبد الله». أو: «محمد بن يوسف». ونحو ذلك. فهذا كله يحتاج إلى اجتهاد في معرفة من شيخ البخاري الذي حدث عنه هذا الحديث. ولا يتم ذلك إلا بمعرفة شيوخ البخاري المحمدين، والرجوع إلى كلام أهل العلم في بيان الإهمال الواقع في بعض شيوخ البخاري المحمدين.

وقد ألف جماعة من أهل العلم في تراجم شيوخ البخاري، إما استقلالاً كما سيأتي في المبحث الثالث من الفصل الثاني من التمهيد، وإما تبعًا لشيوخ الأئمة الستة الآخرين. وقد قمت باستخلاص هذا البحث من هذه الكتب، وزدت عليه أن بينت مواضع تحديث الإمام البخاري عن شيوخه هؤلاء في صحيحه. وتتبعت ما وقع مهملاً في صحيح البخاري من شيوخ البخاري ممن اسمه محمدٌ مستفيداً من كلام أهل العلم كما سيأتي أيضاً إن شاء الله في تمهيد الباب الثاني من البحث.

وقد استعنت بالله تعالى في كتابة هذا البحث وسميته: «المحمدون من شيوخ الإمام البخاري في صحيحه ومواضع روايته عنهم».

وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد وبابين.

أما التمهيد فأذكر فيه فصلين.

الفصل الأول: ترجمة موجزة للإمام البخاري.

الفصل الثاني: شيوخ الإمام البخاري في صحيحه، وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عدة شيوخ الإمام البخاري في صحيحه.

المبحث الثاني: مراتب مشايخه الذين حدث عنهم.

المبحث الثالث: المؤلفات في شيوخ الإمام البخاري.

الباب الأول: من اسمه محمد من شيوخ الإمام البخاري، ومواضع روايته عنهم في صحيحه.

الباب الثاني: بيان المهمل من شيوخ الإمام البخاري ممن اسمه محمد وبدأت هذا الباب بتمهيد ذكرت فيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المراد بالإهمال الواقع في شيوخ الإمام البخاري في صحيحه.

المبحث الثاني: سبب وقوع الإهمال في شيوخ الإمام البخاري.

المبحث الثالث: المؤلفات في بيان المهمل من شيوخ الإمام البخاري في صحيحه.

المبحث الرابع: بعض القواعد التي ذكرها بعض أهل العلم في بيان المهمل من شيوخ البخاري المحمدين.

ثم ذكرت ثلاثة فصول:

الفصل الأول: من قال فيه الإمام البخاري: «حدثنا محمد» فحسب.

الفصل الثاني: من قال فيه الإمام البخاري: «حدثنا محمد بن عبد الله».

الفصل الثالث: من قال فيه الإمام البخاري: «حدثنا محمد بن خالد».

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج، ثم ثبت المصادر والمراجع وفهرساً للموضوعات[1].

---

(١) لم أضع فهرساً للآيات لعدم ورودها في البحث، وأما الأحاديث فلم يرد إلا حديث واحد في التمهيد. وأما الأعلام فلم أر مناسبة لذكر فهرسٍ لهم لكون البحث غالبه في الأسماء، =

منهج العمل:

١- قمت بجرد صحيح البخاري كاملاً معتمداً على النسخة الأميرية والتي اعتمد في تصحيحها على النسخة اليونينية، وهي النسخة المشهورة بالضبط والصِّحة.

٢- استخرجت شيوخ البخاري المحمدين، وأثبتُّ مواضع إخراج البخاري لهم مشيراً إلى ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. وإثبات مواضع إخراج البخاري لكل شيخ له فوائد، منها: معرفة قدر ما لهذا الشيخ من الحديث عند البخاري، ومنها: معرفة شيوخ شيوخ البخاري المحمدين، فإنه يحتاج إليه في المهملين من شيوخ البخاري كما سيأتي مثبتاً في الباب الثاني.

٣- قمت بدراسة المواضع التي وقع فيها الإهمال في شيخ البخاري مستفيداً من كلام العلماء الذين تكلموا في هذا الباب.

أسأل الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني، إنه سميع مجيب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

= فوضع فهرسٍ لها يحتاج إلى صفحاتٍ يطول البحث بسببها مع عدم الحاجة إليه.

الفصل الأول: ترجمة موجزة للإمام البخاري – رحمه الله[١]:

اسمه: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم البخاري.

مولده: لم يختلف في ولادة الإمام البخاري أنها سنة أربع وتسعين ومائة في مدينة بخارى.

نشأته: توفي والده وهو صغير، فنشأ يتيماً في حجر أمه. وكان أول سماعه للحديث سنة خمس ومائتين من شيوخ بلده، وأول رحلته كانت مع أمه وأخيه إلى مكة سنة عشر ومائتين.

رحلاته: قال الإمام المزي: «رحل في طلب الحديث إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها، وبالحجاز والشام ومصر».

وكثرة ترحاله في البلاد أثمرت كثرة شيوخه كما سيأتي في الفصل التالي.

شيوخه: سيأتي الحديث في هذا في الفصل التالي إن شاء الله.

الرواة عنه: روى عنه بعض شيوخه كعبد الله بن نمير وعبد الله بن محمد المسندي وغيرهما. وروى عنه من أقرانه أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وإبراهيم الحربي وموسى بن هارون وصالح بن محمد الملقب بجزرة، ومسلم بن الحجاج وغيرهم.

ومن الرواة عنه أيضاً أبو القاسم البغوي وأبو محمد ابن صاعد وأبو بكر ابن خزيمة والحسين بن إسماعيل المحاملي البغدادي وهو آخر من حدث عنه ببغداد، وأبو عيسى الترمذي وتتلمذ عليه وأكثر من الاعتماد عليه، ومحمد بن

---

(١) قمت بتلخيص هذه الترجمة مما كتبه الإمام المزي في تهذيب الكمال (٢٤/٤٣٠)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/٣٩١)، والحافظ ابن حجر في هدي الساري (ص٥٠١).

يوسف الفربري راوية الصحيح، وغيرهم كثير.

ثناء العلماء عليه: قد استفاض عن أهل العلم الثناء على الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ولأن المقام هنا مقام اختصار فسأذكر طرفاً يسيراً من هذا الثناء.

فمن ذلك قول أبي حاتم الرازي: «لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن إسماعيل، ولا قدم منها إلى العراق أعلم منه».

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: «قد رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل»، وقال أيضاً: «هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلباً».

وقال صالح بن محمد جزرة: «ما رأيت خراسانياً أفهم من محمد بن إسماعيل».

وقال أبو بكر ابن خزيمة: «ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل».

وقال أبو عيسى الترمذي: «لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل البخاري».

وقال موسى بن هارون الحمّال: «عندي لو أنَّ أهل الإسلام اجتمعوا على أن يصيبوا آخر مثل محمد بن إسماعيل لما قدروا عليه».

مؤلفاته: أشهر كتبه الجامع الصحيح، وهو بالمنزلة التي لا تخفى، ومن تصانيفه الأدب المفرد ورفع اليدين في الصلاة والقراءة خلف الإمام، والتاريخ الكبير والأوسط والصغير، وخلق أفعال العباد، وكتاب الضعفاء، وكتب أخرى.

وفاته: توفي ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين بقرية من قرى سمرقند يقال لها خَرْتَنْك. رحمه الله وجزاه خيراً على ما قدم في خدمة الإسلام، إنه سميع مجيب.

الفصل الثاني: شيوخ الإمام البخاري في صحيحه:

المبحث الأول: عدة شيوخ الإمام البخاري:

جاء عن البخاري أنه قال: «كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث»[1].

حدث عن بعضهم في صحيحه، ولم يخرج لآخرين، إما لأنه لم يبلغ شرطه، أو لأن الحديث الذي حدثه به ليس على شرطه، أو لأنه لم يحتج إليه، لأن الحديث عنده من وجهٍ آخر أعلى وأقوى، أو لغير ذلك من الأسباب.

وقد قال الإمام ابن عدي: «جميع شيوخه الذين في جامعه مائتان وتسعة وثمانون شيخاً»[2].

وعددهم عند ابن منده ستة وثلاثمائة شيخٍ، وقد أدخل ابن منده في هؤلاء من خرج لهم البخاري في الشواهد ونحوها.

وعدد شيوخ البخاري عند الصَّاغاني اثنان وثلاثون وثلاثمائة شيخ.

المبحث الثاني: مراتب مشايخ الإمام البخاري الذين حدث عنهم:

قسمهم الإمامان الذهبي وابن حجر إلى خمس مراتب[3]. أما تقسيم الذهبي فقد اقتصر فيه على ذكر بعض الأمثلة في كل مرتبة حسب الطبقة. وأما تقسيم الحافظ ابن حجر فيظهر أنه أدق وأشمل، وذلك أنه قسم شيوخ البخاري

---

(١) هدي الساري (ص٥٠٣).

(٢) أسامي من روى منهم البخاري [ص١٧٨].

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/٣٩٥-٣٩٦)، هدي الساري (ص٥٠٣).

إلى خمس طبقات:

الطبقة الأولى: من حدثه عن التابعين، مثل محمد بن عبد الله الأنصاري ومكي بن إبراهيم وعبيد الله بن موسى وغيرهم.

الطبقة الثانية: من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين، كآدم بن أبي إياس وسعيد بن أبي مريم ونحوها.

الطبقة الثالثة: هي الوسطى من مشايخه، وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الأتباع، كسليمان بن حرب وقتيبة بن سعيد وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل وإسحاق وغيرهم، وهذه الطبقة قد شاركه مسلم في الأخذ عنهم.

الطبقة الرابعة: رفقاؤه في الطلب ومن سمع قبله قليلاً، كمحمد بن يحيى الذهلي وأبي حاتم الرازي وعبد بن حميد ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة ونظرائهم. وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته من مشايخه، أو لم يجده عند غيرهم.

الطبقة الخامسة: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد، سمع منهم للفائدة، كعبد الله بن حماد الآملي، وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي وغيرهما.

وقد قال وكيع بن الجراح:«لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عمن هو فوقه،وعمن هو مثله،وعمن هو دونه»،وهذا الذي صنعه الإمام البخاري كما مر.

المبحث الثالث: المؤلفات في شيوخ الإمام البخاري:

الكتبُ التي ترجمت لشيوخ الإمام البخاري مع تراجم بقية شيوخ الأئمة الستة ورجالهم مشهورةٌ كالكمال وتهذيبه وفروعه، ولكن أقتصر هنا على أشهر

الكتب المفردة في تراجم شيوخ الإمام البخاري في صحيحه[1] وهي:

١– أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه الذين ذكرهم في الجامع.

للحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ).

تحقيق: د. بدر بن محمد العماش.

٢– ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عند البخاري.

للحافظ أبي الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ).

٣– تسمية المشايخ الذين روى عنهم البخاري في صحيحه.

للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق ابن منده (ت ٣٩٥ هـ).

تحقيق: نظر محمد الفريابي.

٤– الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه.

للإمام أبي نصر أحمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي (ت ٣٩٨ هـ).

تحقيق: عبد الله الليثي.

٥– التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح.

للحافظ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤ هـ).

تحقيق: د. أبو لبابة حسين.

٦– أسامي شيوخ البخاري.

لأبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني (ت ٦٥٠ هـ).

ذكر فضيلة الدكتور بدر العماش أنه انتهى من تحقيقه.

---

(١) للاستزادة يمكن الرجوع إلى مقدمة محقق كتاب أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري – لابن عدي – للدكتور بدر العماش (ص٤٦–٥٣).

الباب الأول: من اسمه محمد من شيوخ الإمام البخاري ومواضع الرواية عنهم في صحيحه:

١. محمد بن أبان.

قال: «حدثنا غندر». (مواقيت الصلاة)، باب ٣١ [٥٨٧]. (الأذان)، باب ٥٦ [٦٩٦].

ومحمد بن أبان قد اختلف فيه: هل هو ابن عمران الواسطي الطحّان، أم هو محمد بن أبان بن وزير البلخي، مستملي وكيع بن الجراح.

فذكرهما ابن عدي في أسامي من روى عنهم البخاري(١)، ولعله لم يترجح له أيهما المراد بقول البخاري: «حدثنا محمد بن أبان».

وذهب الأئمة الدارقطني(٢) وابن منده(٣) وأبو نصر الكلاباذي(٤) والخطيب البغدادي(٥) إلى أن محمد بن أبان الذي يروي عنه الإمام البخاري في صحيحه هو البلخي.

أما أبو الوليد الباجي فقال: «الأظهر عندي أن المذكور في جامع البخاري هو الواسطي، وهو يروي عن البصريين كغندر البصري الذي روى عنه في صحيح

---

(١) رقم [٢٠٦-٢٠٧].

(٢) ذكر أسماء التابعين (١/٣٣٦).

(٣) تسمية المشايخ الذين روى عنهم البخاري في صحيحه (ص ٦٦).

(٤) الهداية والإرشاد (٢/٦٣٨).

(٥) تاريخ بغداد (٢/٧٩).

البخاري، وأما البلخي فيروي عن الكوفيين[١].

قال المزي عن هذا القول: «وهو محتمل؛ فإن البخاري ذكر الواسطي في التاريخ، ولم يذكر فيه البلخي»[٢].

واعترض الحافظ ابن حجر على قول الباجي في أن محمد بن أبان البلخي إنما يروي عن الكوفيين، فقال: «قد روى البلخي عن البصريين أيضاً: معاذ بن هشام ومن في طبقته، وذلك دليل على أنه هو الراوي عن غندر، بخلاف الواسطي؛ فإن شيوخه من البصريين قدماء»[٣].

والحافظ ابن حجر مع هذا التقرير توقف في كتابه فتح الباري في المراد به هنا، فقال: «لكل من القولين مرجح، وكلاهما ثقة»[٤].

والأشبه –كما قال المزي – أنه البلخيّ لما تقدم، ويؤيد ذلك أن البلخي قد وثق من قبل الأئمة وأثنوا عليه كما يظهر من ترجمته بخلاف الواسطي، فهو أولى أن يحمل عليه حديث البخاري. والله أعلم.

٢. محمد بن إسحاق بن منصور الكرماني، أبو عبد الله بن أبي يعقوب

قال: «حدثنا حسان بن إبراهيم». (البيوع)، باب ١٣ [٢٠٦٧]، (التفسير) سورة المائدة، باب١٣ [٤٦٢٤]، (الأحكام) باب ١٣[٧١٦٠].

٣. محمد بن أبي بكر المقدمي، أبو عبد الله الثقفي، مولاهم البصري

قال: «حدثنا فضيل بن سليمان»: (الصلاة) باب ٨٩ [٤٨٣]، (الحج)

(١) انظر: التعديل والتجريح (٢/٦٢٠).

(٢) تهذيب الكمال (٢٤/٢٩٦).

(٣) تهذيب التهذيب (٩/٣).

(٤) الفتح (٢/٧٤).

باب ٢٣ [١٥٤٥]، (الحج) باب ٧٠ [١٦٢٥]، (الحج) باب ١٢٨ [١٧٣١]، (الجهاد) باب ٤٦ [٢٨٥٤]، (بدء الخلق) باب ٨ [٣٢٤٧]، (مناقب الأنصار) باب ٢٤ [٣٨٢٦]، (المغازي) باب ٥٣ [٤٣٠٧]، (التفسير) سورة البقرة [٤٥٢١].

قال: «حدثنا معتمر بن عبيد الله»، (الصلاة) باب ٩٨ [٥٠٧]، (الأذان) باب ١٥٥ [٨٤٣]، (الاستسقاء) باب ١٤ [١٠٢١]، (فضائل الصحابة) باب ١٤ [٣٧٢٢] (النكاح) باب ١٠٧ [٥٢٢٦]، (الذبائح والصيد) باب ١٨ [٥٥٠١]، (اللباس) باب ٤٣ [٥٨٦١].

قال: «حدثنا حرمي بن عمارة» (الجمعة) باب ١٧ [٩٠٦].

قال: «حدثنا خالد بن الحارث البصري» (الأضاحي) باب ٦ [٥٥٥١].

قال: «حدثنا يزيد بن زريع» (الحج) باب ٣ [١٥١٧].

قال: «حدثنا عثَّام بن علي العامري» (العتق) باب ٣ [٢٥٢٠].

قال: «حدثنا عمر بن علي» (المغازي) باب ٤٤ [٤٢٦٤]، (الرقاق) باب ٢٣ [٦٤٧٤]، (الحدود) باب ١٩ [٦٨٠٧].

«حدثنا يوسف بن يزيد البصري أبو معشر البرَّاء» (الأشربة) باب ٣ [٥٥٨٤].

٤. محمد بن بشار بن عثمان العَبْد، أبو بكر البصري المعروف بِبُندار

قال: «حدثنا غندر محمد بن جعفر»: (العلم) باب ٢٥ [٨٧]، (العلم) باب ٣٥ [١٠٢]، (الوضوء) باب ١٧ [١٥٢]، (الغسل) باب ٤ [٢٥٥]، (التيمم) باب ٥ [٣٤٣]، (مواقيت الصلاة) باب ٩ [٥٣٥]، (مواقيت الصلاة) باب ١٨ [٥٦٠]، (الأذان) باب ١٤ [٦٢٥]، (الأذان) باب ٦٠

[٧٠١]، (الأذان) باب ٨٨ [٧٤٢]، (الأذان) باب ١٤١ [٨٢٢]، (سجود القرآن) باب ١ [١٠٦٧]، (التهجد) باب ٢٨ [١١٧١]، (العمل في الصلاة) باب ١٢ [١٢١٤]، (الجنائز) باب ٣ [١٢٤٤]، (الجنائز) باب ٦٥ [١٣٣٥]، (الجنائز) باب ٨٦ [١٣٦٩]، (الحج) باب ٣٤ [١٥٦٣]، (العمرة) باب ١١ [١٧٩٥]، (الصوم) باب ٥٨ [١٩٧٨]، (الصوم) باب ٦٣ [١٩٨٦]، (الصوم) باب ٦٨ [١٩٩٧]، (البيوع) باب ٢٤ [٢٠٨٤]، (البيوع) باب ١٠٠ [٢٢١٩]، (الشفعة) باب ٤ [٢٢٤٩]، (الحرث والمزارعة) باب ٤ [٢٣٢٤]، (المساقاة) باب ١٠ [٢٣٦٧]، (اللقطة) باب ١ [٢٤٢٦]، (الهبة) باب ٧ [٢٥٧٧]، (الهبة) باب ٧ [٢٥٧٨]، (الهبة) باب١٦[٢٥٩٥]، (الهبة) باب ٢٣ [٢٦٠٤]، (الصلح) باب ٦ [٢٦٩٨]، (الجهاد) باب ٢١ [٢٨١٧]، (الجهاد) باب ٤٦ [٢٨٥٧]، (الجهاد) باب ٩١ [٢٩٢٢]، (الجهاد) باب ١٤٤ [٣٠١٠]، (فرض الخمس) باب ١٠ [٣١٢٦]، (بدء الخلق) باب ٧ [٣٢٣٩]، (الأنبياء) باب ٢٤ [٣٣٩٥]، (الأنبياء) باب ٤٠ [٣٤٢٣]، (الأنبياء) باب ٥٠ [٣٤٥٥]، (المناقب) باب ١٣ [٣٥١٦]، (المناقب) باب ٢٥ [٣٦١٤]، (فضائل الصحابة) باب ٩ [٣٧٠٥]، (فضائل الصحابة) باب ٩ [٣٧٠٦]، (فضائل الصحابة) باب ٢٢ [٣٧٥٣]، (فضائل الصحابة) باب ٣٠ [٣٧٧٢]، (مناقب الأنصار) باب ٢ [٣٧٧٩]، (مناقب الأنصار) باب ٦ [٣٧٨٧]، (مناقب الأنصار) باب ٧ [٣٧٨٩]، (مناقب الأنصار) باب ٧ [٣٧٩٢]، (مناقب الأنصار) باب ٨ [٣٧٩٣]، (مناقب الأنصار) باب ١١ [٣٨٠١]، (مناقب الأنصار) باب ١٢ [٣٨٠٢]، (مناقب الأنصار) باب ١٤ [٣٨٠٦]، (مناقب الأنصار) باب ١٦

[٣٨٠٩]، (مناقب الأنصار) باب ٢٩ [٣٨٥٤]، (مناقب الأنصار) باب ٤٥ [٣٩٠٨]، (مناقب الأنصار) باب ٤٦ [٣٩٢٥]، (المغازي) باب ٣٠ [٤١٢١]، (المغازي) باب ٥١ [٤٢٩٣]، (المغازي) باب ٥٣ [٤٣٠٩]، (المغازي) باب ٥٤ [٤٣١٧]، (المغازي) باب ٥٦ [٤٣٢٦]، (المغازي) باب ٥٦ [٤٣٣٤]، (المغازي) باب ٧٢ [٤٣٨١]، (المغازي) باب ٨٣ [٤٤٣٥]، (التفسير) سورة البقرة، باب ٥١ [٤٥٤٢]، (التفسير) سورة النساء، باب ١٥ [٤٥٨٩]، (التفسير) سورة يونس، باب ٢ [٤٦٨٠]، (التفسير) سورة الحجر، باب ٣ [٤٧٠٣]، (التفسير) سورة الكهف، باب ٥ [٤٧٢٨]، (التفسير) سورة الأنبياء [٤٧٣٩]، (التفسير) سورة الفرقان [٤٧٦٣]، (التفسير) سورة ص [٤٨٠٦]، (التفسير) سورة حم عسق [٤٨١٨]، (التفسير) سورة الفتح [٤٨٣٤]، (التفسير) سورة اقتربت الساعة [٤٨٧٣]، (التفسير) سورة الضحى [٤٩٥١]، (التفسير) سورة لم يكن [٤٩٥٩]، (النكاح) باب ٣١ [٥١١٦]، (النكاح) باب ١١٢ [٥٢٣٤]، (الطلاق) باب ٤١ [٥٣٢٣]، (الأطعمة) باب ٢٥ [٥٤١٨]، (الأضاحي) باب ١ [٥٥٤٥]، (الأضاحي) باب ٨ [٥٥٥٧]، (المرضى) باب ٢١ [٥٦٧٦]، (الطب) باب ٢٤ [٥٧١٦]، (الطب) باب ٣٣ [٥٧٣٦]، (الطب) باب ٥٤ [٥٧٧٦]، (اللباس) باب ٣٠ [٥٨٤٠]، (اللباس) باب ٤٥ [٥٨٦٤]، (اللباس) باب ٦١ [٥٨٨٥]، (الاستئذان) باب ٤٨ [٦٢٩٢]، (الدعوات) باب ٤٧ [٦٣٧٨]، (الرقاق) باب ١ [٦٤١٣]، (الرقاق) باب ٧ [٦٤٢٨]، (الرقاق) باب ٤٥ [٦٥٢٦]، (الرقاق) باب ٤٥ [٦٥٢٨]، (الرقاق) باب ٥١ [٦٥٥٧]، (الرقاق) باب ٥١ [٦٥٦١]،

(القدر) باب ٣ [٦٥٩٧]، (الأيمان والنذور) باب ٩ [٦٦٥٤]، (الديات) باب ٢ [٦٨٦٩]، (الديات) باب ٢ [٦٨٧٠]، (الديات) باب ٧ [٦٨٧٩]، (التعبير) باب ٤ [٦٩٨٧]، (الفتن) باب ٥ [٧٠٦٦]، (الأحكام) باب ١٦ [٧١٦٢]، (أخبار الآحاد) باب ١ [٧٢٥٧]، (التوحيد) باب ١ [٧٣٧٣]، (التوحيد) باب ٣٣ [٧٤٨٧]، (التوحيد) باب ٥٤ [٧٥٥٢].

وقال: «حدثنا ابن أبي عدي»: (الغسل) باب ١٢ [٢٦٧]، (الأذان) باب ٦٥ [٧١٠]، (الكسوف) باب ٢٢ [١٠٣١]، (البيوع) باب ٢٩ [٢٠٩١]، (الخصومات) باب ٥ [٢٤٢٠]، (الهبة) باب ٢ [٢٥٦٨]، (الشهادات) باب ٢١ [٢٦٧١]، (الجهاد) باب ١٣٣ [٢٩٩٤]، (الجهاد) باب ١٨٤ [٣٠٦٤]، (بدء الخلق) باب ٦ [٣٢٢٢]، (الأنبياء) باب ٥٤ [٣٤٧٠]، (المناقب) باب ٢٥ [٣٥٧٢]، (المناقب) باب ٢٥ [٣٥٨٦]، (المغازي) باب ٣٥ [٤١٧٥]، (المغازي) باب ٧٤ [٤٣٨٨]، (التفسير) سورة الأنعام، باب ٣ [٤٦٢٩]، (التفسير) سورة النور [٤٧٤٧]، (التفسير) سورة النور [٤٧٥٦]، (النكاح) باب ٨٥ [٥١٩٣]، (الطلاق) باب ٢٨ [٥٣٠٧]، (الطب) باب ١٥ [٥٧٠٠]، (الأدب) باب ١٢٠ [٦٢١٧]، (الأيمان والنذور) باب ١١ [٦٦٥٩]، (الديات) باب ٢٠ [٦٨٩٥].

وقال: «حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي»: (العيدين) باب ١٣ [٩٧٢]، (البيوع) باب ٣٤ [٢٠٩٧]، (البيوع) باب ٧١ [٢١٦٢]، (الشهادات) باب ٣٥ [٢٦٣٤]، (الصلح) باب ١٣ [٢٧٠٩]، (فرض الخمس) باب ٥ [٣١٠٨]، (فضائل الصحابة) باب ٣٠ [٣٧٧١]،

(التفسير) سورة البقرة، باب ٣٠ [٤٥١٣]، (اللباس) باب ٢٠ [٥٨١٩]، (اللباس) باب ٢٣ [٥٨٢٥]، (اللباس) باب ١٠٠ [٥٩٦٦].

وقال: «حدثنا عثمان بن عمر»: (الحج) باب ١١٢ [١٧٠٦]، (التفسير) سورة البقرة، باب ١٠ [٤٤٨٥]، (اللباس) باب ٢٥ [٥٨٣٥]، (الأدب) باب ٤٤ [٦٠٤٧]، (الاعتصام) باب ٢٥ [٧٣٦٢]، (التوحيد) باب ٥١ [٧٥٤٢].

وقال: «حدثنا معاذ بن معاذ»: (المغازي) باب ٥٦ [٤٣٣٧] ، (الأيمان والنذور) باب ١٥ [٦٦٧٣] (١).

وقال: «حدثنا (عبد الملك بن عمرو القيسي) العقدي»: (الأحكام) باب ٢٢ [٧١٧٢].

وقال: «حدثنا أبو بكر الحنفي»: (الحج) باب ٣٣ [١٥٦٠].

وقال: «حدثنا يحيى بن سعيد»: (العلم) باب ١١ [٦٩]، (الأذان) باب ٣٦ [٦٦٠]، (الأذان) باب ٥٤ [٦٩٣]، (الأذان) باب ٩٥ [٧٥٧]، (الكسوف) باب ٢٢ [١٠٣١]، (الجهاد) باب ١٨٧ [٣٠٦٨]، (المناقب) باب ١ [٣٤٩٠]، (المناقب) باب ٢٣ [٣٥٦٢]، (فضائل الصحابة) باب ٥ [٣٦٧٥]، (مناقب الأنصار) باب ١٧ [٣٨١٠]، (الطلاق) باب ٤ [٥٢٦١]، (الاستئذان) باب ١٨ [٦٢٥٢]، (الرقاق) باب ٢٤ [٦٤٧٩]، (الديات) باب ٢١ [٦٨٩٦].

وقال: «حدثنا عبد الرحمن بن مهدي»: (الجنائز) باب ٣٨ [١٢٩٧]، (فضائل المدينة) باب ١ [١٨٧٠]، (المناقب) باب ٦ [٣٥١٥]، (المناقب)

---

(١) قال البخاري: «كتب إليَّ محمد بن بشار».

باب ٢٣ [٣٥٦٢]، (التفسير) سورة المائدة، باب ٢ [٤٦٠٦]، (التفسير) سورة الأنعام، باب ٤ [٤٦٣٠]، (التفسير) سورة المدّثر [٤٩٢٣] (١)، (اللباس) باب ٨٦ [٥٩٤٤](م)، (الأدب) باب ٩٠ [٦١٤٧].

وقال: «حدثنا معاذ بن هشام»: (الغسل) باب ١٢ [٢٦٨].

وقال: «حدثنا سهل بن يوسف»: (الجهاد) باب ١٨٤ [٣٠٦٤].

وقال: «حدثنا روح بن عبادة»: (المغازي) باب ٦١ [٤٣٥٠].

وقال: «حدثنا عبد الملك بن صبَّاح»: (الدعوات) باب ٦٠ [٦٣٩٨].

وقال: «حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث»: (الأطعمة) باب ١٢ [٥٣٩٣].

وقال: «حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري»: (التفسير) سورة الأحزاب [٤٧٨٣].

وقال: «حدثنا جعفر بن عون»: (الصوم) باب ٥١ [١٩٦٨]، (الأدب) باب ٨٦ [٦١٣٩].

وقال: «حدثني حرمي – هو ابن عُمارة البصري –»: (المغازي) باب ٣٨ [٤٢٤٢].

وقال: «حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى البصري»: (الاعتصام) باب ٦ [٧٣٣٩].

قال: «حدثنا أبو داود الطيالسي»: (المغازي) باب ٣٥ [٤١٥٣] (٢).

قال: «حدثنا عبد الله بن حُمْران»: (الأحكام) باب ٧ [٧١٤٨].

---

(١) قال البخاري: «حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي وغيره».

(٢) قال الإمام البخاري بعد أن أسند حديثاً: «تابعه محمد بن بشار حدثنا أبو داود...».

٥. محمد بن جعفر بن أبي مُواتية الكلبي أبو عبد الله، وقيل: أبو جعفر، الكوفي، ويقال: البغدادي، العلّاف، المعروف بالفَيْدي، نزيل فَيْد.

قال: «حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان»: (الهبة) باب ٢٧ [٢٦١٣].

٦. محمد بن جعفر السِّمناني القُومَسي، أبو جعفر بن أبي الحسين.

قال: «حدثنا عمر بن حفص(١)»: (المغازي) باب ٣٨ [٤٢٢٧].

٧. محمد بن حاتم بن بَزِيع البصري، أبو بكر، ويقال: أبو سعيد، ويقال: أبو عبد الله، نزيل بغداد.

قال: «حدثنا أسود بن عامر – شاذان –»: (الصلاة) باب ٩٣ [٥٠٠]، (فضائل الصحابة) باب ٧ [٣٦٩٧]، (المغازي) باب ٣٥ [٤١٧٦].

٨. محمد بن حَرْب بن خرْبان النشائي، أبو عبد الله الواسطي.

قال: «حدثنا يحيى بن أبي زكريا أبو مروان الغسَّاني»: (الجنائز) باب ٩٦ [١٣٨٩]، (الحج) باب ٧١ [١٦٢٦](م)، (الديات) باب ١٠ [٦٨٨٣]، (الاعتصام) باب ٢٨ [٧٣٧٠].

٩. محمد بن الحسين بن إبراهيم العامري، أبو جعفر بن إشكاب البغدادي.

قال: «حدثني حسين بن محمد المرّوذي»: (فضائل الصحابة) باب ٢٢ [٣٧٤٨].

وقال: «حدثني أبي»: (المغازي) باب ٤٣ [٤٢٥٢].

وقال: «أخبرنا عبيد الله بن موسى»: (استتابة المرتدين) باب ١

(١) من شيوخ البخاري.

[٦٩٢٠].

١٠. محمد بن الحكم المروزي، أبو عبد الله الأحول.

قال: «أخبرنا النضر بن شميل»: (المناقب) باب ٢٥ [٣٥٩٥]، (الطب) باب ٤٥ [٥٧٥٧].

١١. محمد بن خلف الحدَّادي، أبو بكر البغدادي المقرئ.

قال: «حدثنا أبو يحيى الحِمَّاني»: (فضائل القرآن) باب ٣١ [٥٠٤٨].

١٢. محمد بن رافع بن أبي زيد القشيري مولاهم النيسابوري.

قال: «حدثنا سريج بن النعمان»: (الصلح) باب ٧ [٢٧٠١]، (المغازي) باب ٤٣ [٤٢٥٢].

وقال: «حدثنا حسين بن علي الجعفي»: (فضائل الصحابة) باب ٩ [٣٧٠٤].

وقال: «حدثنا شبابة بن سوار»: (المغازي) باب ٣٥ [٤١٦٢].

١٣. محمد بن زياد بن عبيد الله، ابن أبي سفيان الزِّيادي، أبو عبد الله البصري، لقبه اليؤيؤ.

قال: «حدثنا محمد بن جعفر»: (الأدب) باب ٧٥ [٦١١٣].

١٤. محمد بن سابق التميمي مولاهم، أبو جعفر، ويقال: أبو سعيد البزاز الكوفي.

روى عنه البخاري على الشك: هل حدثه أو حدثه الفضل بن يعقوب عنه.

قال: «حدثنا شيبان أبو معاوية»: (الجهاد) باب ٣٦ [٢٧٨١].

١٥. محمد بن سعيد بن سليمان الكوفي، أبو جعفر ابن الأصبهاني، لقبه حمدان.

قال: «أخبرنا عبد الله بن المبارك»: (الأنبياء) باب ٢٧ [٣٤٠٢].

١٦. محمد بن سعيد بن الوليد الخزاعي، أبو عمرو، ويقال: أبو بكر، البصري، يقال له: مردويه.

قال: «حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى»: (الجهاد) باب ١٢ [٢٨٠٥].

وقال: «حدثنا زياد بن الربيع»: (المغازي) باب ٣٨ [٤٢٠٨].

١٧. محمد بن سنان الباهلي، أبو بكر البصري، المعروف بالعَوَقي.

قال: «حدثنا فليح بن سليمان»: (العلم) باب ٢ [٥٩]، (الصلاة) باب ٨٠ [٤٦٦]، (الأذان) باب ٩١ [٧٤٩]، (الجنائز) باب ٧١ [١٣٤٢]، (البيوع) باب ٥٠ [٢١٢٥]، (المساقاة) باب ٢٠ [٢٣٤٨]، (الجهاد) باب ٣٧ [٢٨٤٢]، (فرض الخمس) باب ٧ [٣١١٧]، (بدء الخلق) باب ٨ [٣٢٥٢]، (الأنبياء) باب ٤٨ [٣٤٤٣]، (التفسير) سورة النساء، باب ٢٦ [٤٦٠٤]، (الأدب) باب ٤٤ [٦٠٤٦]، (الرقاق) باب ٣٥ [٦٤٩٦]، (الأيمان والنذور) باب ١٢ [٦٦١٥]، (الاعتصام) باب ٢ [٧٢٨٠]، (التوحيد) باب ٣١ [٧٤٦٦]، (التوحيد) باب ٣٨ [٧٥١٩].

وقال: «حدثنا هشيم»: (التيمم) باب ١ [٣٣٥]، (الصلاة) باب ٥٦ [٤٣٨]، (فرض الخمس) باب ٨ [٣١٢٢].

وقال: «حدثنا سليم بن حيَّان»: (الجنائز) باب ٦٤ [١٣٣٤]، (المناقب) باب ١٨ [٣٥٣٤].

وقال: «حدثنا همام بن يحيى»: (فضائل الصحابة) باب ٢ [٣٦٥٣]، (الأطعمة) باب ٨ [٥٣٨٥].

١٨. محمد بن سلام بن الفرج السلمي مولاهم، أبو عبد الله البخاري البيكندي.

قال: «أخبرنا مخلد بن يزيد الحرَّاني»: (البيوع) باب ٩ [٢٠٦٢]، (بدء الخلق) باب ٦ [٣٢٠٩]، (الأدب) باب ١١٧ [٦٢١٣].

وقال: «أخبرنا إسماعيل بن جعفر»: (النكاح) باب ٦٠ [٥١٥٩]، (الأدب) باب ٦٩ [٦٠٩٥].

وقال: «أخبرنا أبو معاوية محمد بن خازم»: (العلم) باب ٥٠ [١٣٠]، (التيمم) باب ٨ [٣٤٧]، (العمرة) باب ٥ [١٧٨٣]، (التفسير) سورة تبت يدا أبي لهب [٤٩٧٢]، (النكاح) باب ٣٧ [٥١٣١]، (النكاح) باب ٩٥ [٥٢٠٦].

وقال: «أخبرنا مروان بن معاوية الفزاري»: (الحج) باب ٧٦ [١٦٣٧]، (جزاء الصيد) باب ٢٧ [١٨٦٥]، (فضائل المدينة) باب ١١ [١٨٨٧]، (المظالم) باب ٢٥ [٢٤٦٩]، (الأنبياء) باب ١ [٣٣٢٩]، (التفسير)سورة المائدة، باب ٦ [٤٦١١].

وقال: «أخبرنا جرير بن عبد الحميد»: (العتق) باب ١٣ [٢٥٤٣].

وقال: «أخبرنا عبيدة بن حُميد أبو عبد الرحمن»: (الأدب) باب ٤٩ [٦٠٥٥].

وقال: «أخبرنا عبدة بن سليمان»: (الإيمان) باب ١٣ [٢٠]، (مواقيت الصلاة) باب ٣١ [٥٨٨]، (الأطعمة) باب ١٢ [٥٣٩٤].

وقال: «أخبرنا هشيم بن بشير»: (التوحيد) باب ٣١ [٧٤٧١].

وقال: «أخبرنا عتَّاب بن بشير»: (الاعتصام) باب ١٨ [٧٣٤٧].

وقال: «أخبرنا عبد الله بن نمير»: (الحدود) باب ١٩ [٦٨٠٦].

وقال: «أخبرنا وكيع»: (العلم) باب ٣٩ [١١١]، (النفقات) باب ٣ [٥٣٥٧]، (الدعوات) باب ٥٨ [٦٣٩٢]، (الفرائض) باب ٢٣ [٦٧٦٠].

وقال: «أخبرنا إسماعيل بن عُلَيَّة»: (الدعوات) باب ٣٠ [٦٣٥١].

وقال: «أخبرنا أبو الأحوص سلام بن سليم»: (التهجد) باب ٧ [١١٣٢].

وقال: «أخبرنا يزيد بن هارون»: (الوضوء) باب ٣٥ [١٨١].

وقال: «حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي»: (العلم) باب ٣١ [٩٧].

وقال: «حدثنا محمد بن الحسن الواسطي»: (العلم) باب ٦ [٦٢](م).

وقال: «أخبرنا محمد بن فضيل»: (الإيمان) باب ٢٨ [٣٨]، (الأنبياء) باب ١٩ [٣٣٨٨]، (النكاح) باب ٢٩ [٥١١٣].

وقال: «أخبرنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي»: (الحيض) باب ٢٣ [٣٢٤]، (مواقيت الصلاة) باب ٢٣ [٥٦٨]، (الحرث والمزارعة) باب ١٣ [٢٣١٦]، (الشهادات) باب ١٦ [٢٦٦٢]، (الذبائح والصيد) باب ٢٨ [٥٥٢٨]، (الأضاحي) باب ٥ [٥٥٥٠]، (الأدب) باب ٣٧ [٦٠٣٠]، (الأدب) باب ٦٥ [٦٠٨٠].

١٩. محمد بن الصبَّاح الدولابي، أبو جعفر البغدادي، البزاز، مولى مزينة.

قال: «أخبرنا هشيم بن بشير»: (الأذان) باب ١٤٢ [٨٢٣].

وقال: «حدثنا إسماعيل بن زكريا»: (البيوع) باب ٤٩ [٢١١٨]، (الكفالة) باب ٢ [٢٢٩٤]، (الشهادات) باب ١٧ [٢٦٦٣]، (الجهاد) باب ١٠٨ [٢٩٥٥]، (مناقب الأنصار) باب ٤٥ [٣٩١٦] [1]، (الأطعمة) باب ٤٠ [٥٤٤١](م)، (الأدب) باب ٥٤ [٦٠٦٠]، (الأدب) باب ٦٧ [٦٠٨٣].

٢٠. محمد بن الصَّلت بن الحجاج الأسدي مولاهم، أبو جعفر الكوفي الأصم.

قال: «حدثنا عبد الله بن المبارك»: (فضائل الصحابة) باب ٦ [٣٦٨١].

٢١. محمد بن الصلت البصري، أبو يعلى التَّوَّزي.

قال: «حدثنا الوليد بن مسلم»: (الحدود) باب ١٦ [٦٨٠٣].

٢٢. محمد بن عبَّاد بن الزِّبرقان المكي.

قال: «أخبرنا سفيان بن عيينة»: (المغازي) باب ١٢ [٤٠٠٤].

٢٣. محمد بن عَبَادة بن البختري الأسدي، وقيل: العجلي، وقيل: الباهلي، أبو عبد الله، وقيل: أبو جعفر، الواسطي.

قال: «أخبرنا يزيد بن هارون»: (الأدب) باب ٧٤ [٦١٠٦]، (الاعتصام) باب ٢ [٧٢٨١].

٢٤. محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن أبي الثَّلج، أبو بكر، ويقال: أبو

(١) قال البخاري: «حدثني محمد بن الصباح أو بلغني عنه».

عبد الله، البغدادي.

قال: «حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري»: (بدء الخلق) باب ٧ [٣٢٣٤].

٢٥. محمد بن عبد الله بن حوشب الطائفي ثم الكوفي.

قال: «عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي»: (الأذان) باب ٣٣ [٦٥٥]، (الجنائز) باب ٤٥ [١٣٠٥]، (الجنائز) باب ٧٦ [١٣٤٩]، (المغازي) باب ٤ [٣٩٥٣]، (التفسير) سورة اقتربت الساعة [٤٨٧٥]، (الإكراه) باب ١ [٦٩٤١].

قال: «حدثنا هشيم بن بشير»: (الحج) باب ١٢٥ [١٧٢١]، (الجهاد) باب ١٩٥ [٣٠٨١].

قال: «حدثنا أسباط أبو اليسع البصري»: (البيوع) باب ١٤ [٢٠٦٩].

قال: «حدثنا إبراهيم بن سعد»: (التفسير) سورة النساء، باب ١٣ [٤٥٨٦].

٢٦. محمد بن عبد الله بن المبارك القرشي المخرمي، أبو جعفر البغدادي المدائني الحافظ، قاضي حُلوان.

قال: «حدثنا حُجَين بن المُثنَّى»: (المغازي) باب ٢٣ [٤٠٧٢].

قال: «حدثنا قُراد أبو نوح»: (الطلاق) باب ١٢ [٥٢٧٦].

٢٧. محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري، أبو عبد الله البصري القاضي.

قال: «حدثني أبي»: (الزكاة) باب ٣٧ [١٤٥٣] [١٤٥٤] [١٤٥٥]، (الشركة) باب ٢ [٢٤٨٧]، (فرض الخمس) باب ٥ [٣١٠٦]،

(التفسير)سورة آل عمران، باب ٥ [٤٥٥٥]، (اللباس) باب ٥٥ [٥٨٧٨]، (الحيل) باب ٣ [٦٩٥٥].

قال: «حدثني حميد الطويل»: (الصلح) باب ٨ [٢٧٠٣]، (التفسير سورة البقرة، باب ٢٣ [٤٤٩٩]، (الديات) باب ١٩ [٦٨٩٤].

٢٨. محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرقاشي، أبو عبد الله البصري.

قال: «حدثنا معتمر بن سليمان»: (المغازي) باب ٨ [٣٩٦٥]، (التفسير) سورة الأحزاب، باب ٨ [٤٧٩١].

٢٩. محمد بن عبد الله بن نُمير الهَمْداني الخارفي، أبو عبد الرحمن الكوفي الحافظ.

قال: «حدثنا محمد بن فضيل»: (العمل في الصلاة) باب ٢ [١١٩٩].

قال: «حدثنا محمد بن بشر»: (العتق) باب ٧ [٢٥٣٠]، (فضائل الصحابة) باب ٦ [٣٦٨٢]، (الأدب) باب ١٠٩ [٦١٩٤]، (الأحكام) باب ٣٢ [٧١٨٦].

قال: «حدثنا إسحاق بن منصور»: (العمل في الصلاة) باب ٢ [١١٩٩](م).

قال: «حدثنا وكيع»: (البيوع) باب ١١٠ [٢٢٣٠].

قال: «حدثنا أبي»: (الزكاة) باب ٢ [١٤٠١].

قال: «حدثنا عبد الله بن إدريس»: (الجهاد) باب ١٦٢ [٣٠٣٥]، (الأدب) باب ٦٨ [٦٠٨٩].

قال: «حدثنا محمد بن عبيد الطَّنافسي»: (فضائل الصحابة) باب ٢٣ [٣٧٥٥].

قال: «حدثنا يعلى بن عبيد الطَّنافسي»: (المغازي) باب ٣٥ [٤١٨٨].

قال: «حدثنا يزيد بن هارون»: (المغازي) باب ٥٤ [٤٣١٤].

٣٠. محمد بن عبد الرحيم بن أبي زهير القرشي العدوي، المعروف بصاعقة.

قال: «أخبرنا أبو سلمة الخزاعي منصور بن سلمة»: (الوضوء) باب ٧ [١٤٠].

قال: «أخبرنا سعيد بن سليمان»: (الوضوء) باب ٣٣ [١٧١]، (العيدين) باب ٤ [٩٥٣]، (الشهادات) باب ٢٨ [٢٦٨٤]، (التفسير) سورة الأنفال، باب ١ [٤٦٤٥]، (التفسير) سورة الحشر، باب ١ [٤٨٨٢]، (الإكراه) باب ٧ [٦٩٥٢].

قال: «حدثنا يزيد بن هارون»: (الصلاة) باب ١٨ [٣٧٨].

قال: «حدثنا أبو أحمد الزُّبيدي»: (الأذان) باب ١٤٠ [٨٢٠]، (المغازي) باب ١٠ [٣٩٨٥].

قال: «حدثنا عفّان بن مسلم»: (الزكاة) باب ١ [١٣٩٧]، (المظالم) باب ٢١ [٢٤٦٤].

قال: «حدثنا حجاج بن محمد»: (الزكاة) باب ٢٢ [١٤٣٤].

قال: «أخبرنا أبو بدر شجاع بن الوليد»: (المحصر) باب ٣ [١٨١٢].

قال: «حدثنا زكريا بن عدي»: (الوصايا) باب ٣ [٢٧٤٤]، (المغازي) باب ١٧ [٤٠٤٢].

قال: «أخبرنا روح بن عبادة»: (الوصايا) باب ٢٦ [٢٧٧٠]، (الجهاد) باب ١٨٥ [٣٠٦٥]، (الاعتصام) باب ٣ [٧٢٩٥].

قال: «حدثنا شبابة بن سوار»: (الجهاد) باب ١٣ [٢٨٠٨].

قال: «حدثنا داود بن رشيد»: (كفارات الأيمان) باب ٦ [٦٧١٥].

قال: «حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو معمر»: (المناقب) باب ٢٥ [٣٦٠٤].

قال: «أخبرنا سريج بن يونس»: (الطب) باب ٣ [٥٦٨١].

قال: «أخبرنا عباد بن موسى»: (الاستئذان) باب ٥١ [٦٢٩٩].

قال: «حدثنا حفص بن عمر»: (المغازي) باب ٣٦ [٤١٩٣].

قال: «أخبرنا يعقوب بن إبراهيم»: (الأضاحي) باب ١٦ [٥٥٧٤].

قال: «حدثنا معلى بن منصور»: (التفسير) سورة الأحزاب، باب ٦ [٤٧٨٧].

قال: «حدثنا هارون بن معروف»: (التفسير) سورة الممتحنة، باب ٣ [٤٨٩٥].

قال: «حدثنا سعيد بن الربيع الهَروي»: (التوحيد) باب ٥٠ [٧٥٣٦].

٣١. محمد بن عبد العزيز بن محمد العُمري، أبو عبد الله الرَّملي المعروف بابن الواسطي.

قال: «حدثنا أبو عمر حفص بن ميسرة»: (التفسير) سورة النساء، باب ٨ [٤٥٨١]، (الاعتصام) باب ١٤ [٧٣٢٠].

٣٢. محمد بن عبيد الله بن محمد بن زيد بن أبي زيد القرشي الأموي مولاهم، أبو ثابت المدني، مولى عثمان رضي الله عنه.

قال: «حدثنا إبراهيم بن سعد»: (الإيمان) باب ١٥ [٢٣]، (الفتن) باب ٩ [٧٠٨١]، (الأحكام) باب ٣٧ [٧١٩١].

قال: «حدثنا حاتم بن إسماعيل»: (المناقب) باب ٢٢ [٣٥٤١].

قال: «حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم»: (الصوم) باب ١٨ [١٩٢٠]، (مناقب الأنصار) باب ٩ [٣٧٩٧]، (المغازي) باب ٣١ [٤١٣١].

قال: «حدثنا عبد الله بن وهب»: (المكاتب) باب ٢٠ [٢٥٥٩].

قال: «حدثنا أسامة بن حفص»: (الذبائح والصيد) باب ٢١ [٥٥٠٧].

٣٣. محمد بن عبيد الله بن يزيد البغدادي، أبو جعفر بن أبي داود المنادي.

قال: «حدثنا روح بن عبادة»: (التفسير) سورة لم يكن، [٤٩٦١].

٣٤. محمد بن عُبيد بن ميمون القرشي التّيمي، أبو عبيد التَّبَّان المديني.

قال: «حدثنا عيسى بن يونس»: (الأذان) باب ١٥٨ [٨٥١]، (الحج) باب ٨٠ [١٦٤٤]، (الحج) باب ١٣٣ [١٧٤٣]، (الشهادات) باب ١١ [٢٦٥٥]، (التفسير) سورة براءة، باب ٩ [٤٦٦٦]، (فضائل القرآن) باب ٢٦ [٥٠٣٧/م]، (الرقاق) باب ٤٢ [٦٥١٠]، (الاعتصام) باب ٣ [٧٢٩٧].

٣٥. محمد بن عثمان بن كرامة العجلي مولاهم، أبو جعفر، وقيل: أبو عبد الله، الكوفي، ورّاق عبيد الله بن موسى.

قال: «حدثنا خالد بن مخلد»: (الرقاق) باب ٣٨ [٦٥٠٢]، (الحدود) باب ٢٤ [٦٨١٩].

٣٦. محمد بن عَرعَرة بن البرند القرشي السامي، أبو عبد الله، ويقال: أبو إبراهيم، ويقال: أبو عمرو، البصري.

قال: «حدثنا شعبة»: (الإيمان) باب ٣٦ [٤٨]، (الوضوء) باب ٦٢

[٢٢٦]، (مواقيت الصلاة) باب ٣٣ [٥٩٣]، (العيدين) باب ١١ [٩٦٩]، (الشروط) باب ١١ [٢٧٢٧]، (الجهاد) باب ٧١ [٢٨٨٨]، (الأنبياء) باب ٦ [٣٣٤٣]، (المناقب) باب ٢٥ [٣٦٢٧]، (مناقب الأنصار) باب ١٢ [٣٨٠٤]، (المغازي) باب ٨٣ [٤٤٣٠]، (فضائل القرآن) باب ٢٣ [٥٠٣٢]، (النكاح) باب ٨٥ [٥١٩٤]، (النفقات) باب ٨ [٥٣٦٣].

قال: «حدثني عمر بن أبي زائدة»: (الصلاة) باب ١٧ [٣٧٦]، (اللباس) باب ٤٢ [٥٨٥٩].

٣٧. محمد بن عقبة بن المغيرة، وقيل: ابن كثير، الشيباني أبو عبد الله، ويقال: أبو جعفر، الكوفي.

قال: «حدثنا أبو إسحاق الفزاري»: (الجمعة) باب ٤١ [٩٤٠].

قال: «حدثنا الفضيل بن سليمان النميري البصري»: (الاعتصام) باب ٢٤ [٧٣٥٧].

٣٨. محمد بن عمرو.

قال: «حدثنا مكي بن إبراهيم»: (البيوع) باب ٦٥ [٢١٥١].

قال الكلاباذي والحاكم وغيرهما: «هو محمد بن عمرو السواق البلخي»، قال الحافظ: «ويؤيده أن المكي شيخه بلخي».

وقال الدارقطني: «هو أبو غسَّان الرازي المعروف بزُنيج»[١].

ولكن ذكر الحافظان المزي وابن حجر أنه وقع في بعض روايات

---

(١) انظر: رجال صحيح البخاري للكلاباذي (٢/٦٧١)، تهذيب الكمال (٢٦/٢٢٥)، الفتح (٤/٤٣١) هدي الساري (ص ٢٤٩).

الصحيح عن الفربري عن البخاري قال: «حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة»، وهذا القول قال عنه الحافظ ابن حجر: هو أولى، وذلك لورود الرواية به.

٣٩. محمد بن العلاء بن كُريب الهَمْداني الكوفي، أبو كريب.

قال: «حدثنا حماد بن أسامة»: (العلم) باب ٢٠ [٧٩]، (العلم) باب ٢٨ [٩٢]، (الوضوء) باب ٤٥ [١٩٦]، (مواقيت الصلاة) باب ١٧ [٥٥٨]، (مواقيت الصلاة) باب ٢٢ [٥٦٧]، (الأذان) باب ٣١ [٦٥١]، (الكسوف) باب ١٤ [١٠٥٩]، (الزكاة) باب ٩ [١٤١٤]، (الزكاة) باب ٢٥ [١٤٣٨]، (الإجارة) باب ١١ [٢٢٧١]، (الحرث والمزارعة) باب ١٦ [٢٣١٩]، (المظالم) باب ٥ [٢٤٤٦]، (الشركة) باب ١ [٢٤٨٦]، (المكاتب) باب ١٧ [٢٥٥١]، (الوصايا) باب ٧ [٢٧٤٨]، (الجهاد) باب ٦٩ [٢٨٨٤]، (الجهاد) باب ١٢١ [٢٩٧٦]، (فرض الخمس) باب ١٥ [٣١٣٦]، (المناقب) باب ٢٥ [٣٦٢٢]، (مناقب الأنصار) باب ٣٧ [٣٨٧٦]، (المغازي) باب ١٠ [٣٩٨٧]، (المغازي) باب ٢٦ [٤٠٨١]، (المغازي) باب ٣١ [٤١٢٨]، (المغازي) باب ٣٨ [٤٢٣٠]، (المغازي) باب ٥٥ [٤٣٢٣]، (المغازي) باب ٥٦ [٤٣٢٨]، (المغازي) باب ٧٥ [٤٣٩٣]، (المغازي) باب ٧٨ [٤٤١٥]، (فضائل القرآن) باب ٢٣ [٥٠٣٣]، (الذبائح والصيد) باب ٣١ [٥٥٣٤]، (الأدب) باب ٣٧ [٦٠٢٨]، (الأدب) باب ١٠٩ [٦١٩٨]، (الاستئذان) باب ٤٩ [٦٢٩٤]، (الدعوات) باب ٤٩ [٦٣٨٣]، (الدعوات) باب ٦٦ [٦٤٠٧]، (الرقاق) باب ٢٦ [٦٤٨٢]، (الرقاق) باب ٤١ [٦٥٠٨]، (الأيمان والنذور) باب ١٨ [٦٦٧٨]، (التعبير) باب ٣٩ [٧٠٣٥]،

(التعبير) باب ٤٤ [٧٠٤١]، (الفتن) باب ٧ [٧٠٧١]، (الفتن) باب ٧ [٧٠٧٥]، (الأحكام) باب ٧ [٧١٤٩]، (الاعتصام) باب ٢ [٧٢٨٣]، (الاعتصام) باب ١٦ [٧٣٤٢]، (التوحيد) باب ٣١ [٧٤٧٦].

قال: «حدثنا عبد الله بن المبارك»: (فرض الخمس) باب ٨ [٣١٢٤]، (النكاح) باب ٥٨ [٥١٥٧].

قال: «حدثنا إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق»: (فضائل الصحابة) باب ٢٧ [٣٧٦٣].

قال: «حدثنا محمد بن فضيل»: (التوحيد) باب ٥٦ [٧٥٥٩].

٤٠. محمد بن عيسى بن نجيح البغدادي، أبو حفص ابن الطبَّاع[١].

قال: «حدثنا حماد بن زيد»: (الحج) باب ١٤٩ [١٧٦٩].

قال: «حدثنا هشيم»: (الأدب) باب ٦١ [٦٠٧٢].

٤١. محمد بن أبي غالب القَوْمسي، أبو عبد الله الطّيالسي، نزيل بغداد.

قال: «أخبرنا إبراهيم بن المنذر الحزامي»: (الاستئذان) باب ٣٤ [٦٢٧٢].

قال: «حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي سمينة»: (التوحيد) باب ٥٥ [٧٥٥٤].

٤٢. محمد بن غُرَير بن الوليد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزُّهري، أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن المدني، المعروف بالغُرَيري.

(١) روى عنه البخاري تعليقاً.

قال: «حدثنا يعقوب بن إبراهيم»: (العلم) باب ١٦ [٧٤]، (الزكاة) باب ٥٣ [١٤٧٨]، (المناقب) باب ٦ [٣٥١٣].

٤٣. محمد بن الفضل السَّدوسي أبو النعمان البصري المعروف بعارم.

قال: «حدثنا حماد بن زيد»: (الوضوء) باب ٧٣ [٢٤٤]، (الصلاة) باب ٨٤ [٤٧٣]، (مواقيت) باب ١٢ [٥٤٣]، (مواقيت الصلاة) باب ٣٢ [٥٨٩]، (الأذان) باب ١١٦ [٧٨٦]، (الأذان) باب ١٣٧ [٨١٥]، (الأذان) باب ١٤٠ [٨١٨]، (الجمعة) باب ٣٢ [٩٣٠]، (الوتر) باب ٢ [٩٩٥]، (التهجد) باب ٢١ [١١٥٦]، (السهو) باب ١٧ [١٢١٩]، (الجنائز) باب ١٩ [١٢٦٥]، (الجنائز) باب ٦٦ [١٣٣٧]، (الزكاة) باب ١٨ [١٤٢٩]، (الزكاة) باب ٧٧ [١٥١١]، (الحج) باب ١٠٥ [١٦٩٣]، (الحج) باب ١١٠ [١٧٠٣]، (الحج) باب ١٤٥ [١٧٥٨]، (جزاء الصيد) باب ٢٥ [١٨٥٦]، (جزاء الصيد) باب ٢٦ [١٨٦٢]، (الاعتكاف) باب ٦ [٢٠٣٣]، (البيوع) باب ٤٣ [٢١٠٩]، (البيوع) باب ٧٥ [٢١٧٢]، (الشركة) باب ١٥ [٢٥٠٥]، (العتق) باب ٤ [٢٥٢٤]، (الجهاد) باب ٧٥ [٢٨٩٤]، (فرض الخمس) باب ٢ [٣٠٩٥]، (فرض الخمس) باب ١٩ [٣١٤٤]، (الأنبياء) باب ١ [٣٣٣٣]، (مناقب الأنصار) باب ٢٥ [٣٨٣٠]، (المغازي) باب ٥٤ [٤٣٢٠]، (المغازي) باب ٥٧ [٤٣٣٨]، (التفسير) سورة النساء، باب ٢٠ [٤٥٩٧]، (التفسير) سورة المائدة، باب ١١ [٤٦٢٠]، (التفسير) سورة الأنعام، باب ٢ [٤٦٢٨]، (فضائل القرآن) باب ٣٧ [٥٠٦٠]، (النكاح) باب ٤٤ [٥١٤١]، (النكاح) باب ٨١ [٥١٨٨]، (الأطعمة) باب ٢٣ [٥٤١١]، (الذبائح والصيد) باب ٢

[٥٤٧١]، (الأدب) باب ٨٠ [٦١٢٧]، (الدعوات) باب ٥٣ [٦٣٨٧]، (الرقاق) باب ٤٢ [٦٥١٥]، (الرقاق) باب ٥١ [٦٥٥٨]، (الأيمان والنذور) باب ١ [٦٦٢٣]، (كفارات الأيمان) باب ٧ [٦٧١٦]، (كفارات الأيمان) باب ٩ [٦٧١٩]، (الديات) باب ٢٣ [٦٩٠٠]، (استتابة المرتدين) باب ٢ [٦٩٢٢]، (الإكراه) باب ٤ [٦٩٤٧]، (الحيل) باب ١ [٦٩٥٣]، (الفتن) باب ٢ [٧٠٥٤]، (الفتن) باب ٧ [٧٠٧٤]، (الأحكام) باب ٣٦ [٧١٩٠]، (التوحيد) باب ٢ [٧٣٧٧]، (التوحيد) باب ٥٦ [٧٥٥٨].

قال: «حدثنا جرير بن حازم»: (الجنائز) باب ٥٧ [١٣٢٣]، (المكاتب) باب ١٧ [٢٥٥٣]، (الجهاد) باب ٩٥ [٢٩٢٧]، (المغازي) باب ١٢ [٤٠١٦]، (اللباس) باب ٦٨ [٥٩٠٧]، (القدر) باب ١٦ [٦٦٢٠]، (الأيمان والنذور) باب ١ [٦٦٢٢]، (التوحيد) باب ٤٩ [٧٥٣٥].

قال: «حدثنا ثابت بن يزيد»: (فضائل المدينة) باب ١ [١٨٦٧]، (الجزية والموادعة) باب ٨ [٣١٧٠].

قال: «حدثنا مهدي بن ميمون»: (الصوم) باب ٦٢ [١٩٨٣]، (مناقب الأنصار) باب ٢٦ [٣٨٤٤]، (فضائل القرآن) باب ٢٨ [٥٠٤٣]، (التوحيد) باب ٥٧ [٧٥٦٢].

قال: «حدثنا معتمر بن سليمان»: (الأذان) باب ٤١ [٦٠٢]، (الأذان) باب ١٠٠ [٧٦٦]، (البيوع) باب ٩٩ [٢٢١٦]، (الهبة) باب ٢٨ [٢٦١٨]، (الاستئذان) باب ١٠ [٦٢٣٩].

قال: «حدثنا عبد الواحد بن زياد»: (الحيض) باب ٥ [٣٠٣]، (الصلاة) باب ١٠٧ [٥١٨]، (الحج) باب ١١٠ [١٧٠٢].

قال: «حدثنا هشيم بن بشير»: (النكاح) باب ١٠ [٥٠٧٩].

قال: «حدثنا أبو عوانة الوضّاح بن عبد الله»: (الإيمان) باب ٤٢ [٥٨]، (العلم) باب ٣ [٦٠]، (الغسل) باب ١٤ [٢٧٠]، (الجنائز) باب ٢١ [١٢٦٧]، (الحج) باب ١٤٥ [١٧٦٢]، (الإجارة) باب ١٦ [٢٢٧٦]، (المظالم) باب ١٤ [٢٤٥٦]، (الوصايا) باب ١٨ [٢٧٥٩]، (المناقب) باب ١٢ [٣٥٢٤]، (مناقب الأنصار) باب ٢٦ [٣٨٣٤]، (المغازي) باب ٥١ [٤٢٩٤]، (الأطعمة) باب ٨ [٥٣٨٩]، (الذبائح والصيد) باب ٢٥ [٥٥١٥].

٤٤. محمد بن كثير العَبْدي، أبو عبد الله البصري.

قال: «أخبرنا سفيان الثوري»: (العلم) باب ٢٨ [٩٠]، (الأذان) باب ١٣٦ [٨١٤]، (الجمعة) باب ٨ [٨٨٩]، (الاستسقاء) باب ١٣ [١٠٢٠]، (التهجد) باب ٤ [١١٢٥]، (الحج) باب ٥٠ [١٥٩٧]، (الحج) باب ٩٨ [١٦٨٠]، (الحج) باب ١١٠ [١٧٠٣]، (الحج) باب ١٢٠ [١٧١٦]، (الحج) باب ١٣٥ [١٧٤٧]، (البيوع) باب ٢ [٢٠٥١]، (البيوع) باب ٣ [٢٠٥٢]، (العتق) باب ٦ [٢٥٢٩]، (العتق) باب ١٦ [٢٥٤٧]، (الشهادات) باب ٧ [٢٦٤٧]، (الشهادات) باب ٩ [٢٦٥٢]، (الجهاد) باب ٦٢ [٢٨٧٥]، (الجهاد) باب ٨٩ [٢٩١٦]، (الجهاد) باب ١٥٤ [٣٠٢١]، (الجزية والموادعة) باب ١٧ [٣١٧٩]، (بدء الخلق) باب ١ [٣١٩٠]، (الأنبياء) باب ٨ [٣٣٤٩]، (المناقب) باب

٢٥ [٣٦٠٣]، (المناقب) باب ٢٥ [٣٦١١]، (فضائل الصحابة) باب ١ [٣٦٥١]، (فضائل الصحابة) باب ٥ [٣٦٧١]، (مناقب الأنصار) باب ٣٥ [٣٨٦٣]، (مناقب الأنصار) باب ٤٥ [٣٩١٣]، (المغازي) باب ٦ [٣٩٥٩]، (المغازي) باب ٢٩ [٤١١٣]، (المغازي) باب ٥٤ [٤٣١٥]، (التفسير) سورة المائدة، باب ١٥ [٤٦٢٦]، (التفسير) سورة براءة، باب ١٠ [٤٦٦٧]، (التفسير) سورة مريم، باب ٤ [٤٧٣٣]، (التفسير) سورة الروم [٤٧٧٤]، (التفسير) سورة المرسلات، باب ٢ [٤٩٣٢]، (فضائل القرآن) باب ٨ [٥٠٠١]، (فضائل القرآن) باب ٣٦ [٥٠٥٧]، (النكاح) باب ٧ [٥٠٧٢]، (الطلاق) باب ٥٠ [٥٣٤٥]، (النفقات) باب ١ [٥٣٥٤]، (الأطعمة) باب ١ [٥٣٧٣]، (الأطعمة) باب ٢١ [٥٤٠٩]، (الأشربة) باب ١٠ [٥٥٩٨]، (الطب) باب ٣٥ [٥٧٣٨]، (الأدب) باب ٣ [٥٩٧٢]، (الأدب) باب ١٥ [٥٩٩١]، (الأدب) باب ٢٠ [٦٠٠١]، (الأدب) باب ٣٩ [٦٠٣٤]، (الأدب) باب ٦١ [٦٠٧١]، (الأدب) باب ١٢٣ [٦٢٢١]، (الاستئذان) باب ٣٩ [٦٢٧٩]، (الرقاق) باب ٧ [٦٤٣٢]، (الرقاق) باب ٣٥ [٦٤٩٧]، (الحيل) باب ١٠ [٦٩٦٧]، (الفتن) باب ١٣ [٧٠٨٦]، (الأحكام) باب ٢٨ [٧١٨٠]، (الاعتصام) باب ١٦ [٧٣٢٥]، (التوحيد) باب ٢٨ [٧٤٥٨].

قال: «**أخبرنا شعبة**»: **(التيمم) باب ٥ [٣٤١]، (المناقب) باب ٢٠ [٣٥٣٨]، (فضائل القرآن) باب ١٠ [٥٠٠٨].**

قال: «**أخبرنا إسرائيل**»: **(الأنبياء) باب ٤٨ [٣٤٣٨].**

قال: «أخبرنا سليمان بن كثير[1]»: (التفسير) سورة النور، باب ٧ [٤٧٥١].

٤٥. محمد بن المثنى العنزي، أبو موسى البصري الحافظ، المعروف بالزَّمِن.

قال: «حدثنا يحيى بن سعيد القطان»: (الإيمان) باب ٣٢ [٤٣]، (الوضوء) باب ٦٣ [٢٢٧]، (الصلاة) باب ٤ [٣٥٥]، (الصلاة) باب ٤٨ [٤٢٧]، (مواقيت الصلاة) باب ٣ [٥٢٤]، (التهجد) باب ١٦ [١١٤٨]، (الجنائز) باب ٨٧ [١٣٧٥]، (الزكاة) باب ٥ [١٤٠٩]، (العمرة) باب ٧ [١٧٨٦]، (الصوم) باب ٢٤ [١٩٢٨]، (الصوم) باب ٦٨ [١٩٩٦]، (فضل ليلة القدر) باب ٣ [٢٠١٩]، (الاعتكاف) باب ٢ (؟) [٢٠٢٨]، (الجهاد) باب ٦١ [٢٨٧٤]، (الجهاد) باب ١٣٦ [٢٩٩٩]، (الجهاد) باب ١٩٢ [٣٠٧٦]، (الجزية والموادعة) باب ١٤ [٣١٧٥]، (بدء الخلق) باب ٤ [٣٢٠٤]، (المناقب) باب ٢٥ [٣٦٠٧]، (المناقب) باب ٢٥ [٣٦١٢]، (فضائل الصحابة) باب ٦ [٣٦٨٤]، (مناقب الأنصار) باب ٣٥ [٣٨٦٧]، (مناقب الأنصار) باب ٣٧ [٣٨٧٣]، (المغازي) باب ٤٤ [٤٢٦٦]، (المغازي) باب ٦٢ [٤٣٥٦]، (التفسير) سورة البقرة، باب ١٨ [٤٤٩٢]، (التفسير) سورة البقرة، باب ٢٤ [٤٥٠٤]، (التفسير) سورة براءة، باب ٥ [٤٦٥٨]، (التفسير) سورة النور، باب ٨

---

(١) أخو محمد بن كثير.

[٤٧٥٣]، (النكاح) باب ١٠٦ [٥٢١٩]، (الطلاق) باب ٢٥ [٥٣٠٣]، (النفقات) باب ٩ [٥٣٦٤]، (المرضى) باب ١٢ [٥٦٥٨]، (الطب) باب ٢٨ [٥٧٢٥]، (الأدب) باب ٢١ [٦٠٠٢]، (الأدب) باب ٦٨ [٦٠٩١]، (الدعوات) باب ٣٠ [٦٣٥٠]، (الرقاق) باب ٧ [٦٤٣١]، (الرقاق) باب ١٧ [٦٤٥٨]، (الأيمان والنذور) باب ١٤ [٦٦٦٣].

قال: «عبد الوهاب الثقفي»: (الإيمان) باب ٩ [١٦]، (الأذان) باب ١٨ [٦٣١]، (الجنائز) باب ٤٠ [١٢٩٩]، (الزكاة) باب ٣٢ [١٤٤٧](م)، (الحج) باب ٦١ [١٦١٢]، (الحج) باب ٨١ [١٦٥١]، (العمرة) باب ٦ [١٧٨٥]، (جزاء الصيد) باب ٩ [١٨٣٣]، (الجهاد) باب ٨٩ [٢٩١٥]، (بدء الخلق) باب ٢ [٣١٩٧]، (فضائل الصحابة) باب ١٥ [٣٧٢٥]، (المغازي) باب ٧٧ [٤٤٠٦]، (التفسير) سورة النور، باب ٨ [٤٧٥٤]، (استتابة المرتدين) باب ٦ [٦٩٣١]، (أخبار الآحاد) باب ١ [٧٢٤٦]، (التوحيد) باب ٢٤ [٧٤٤٧].

قال: «حدثنا عثمان بن عمر بن فارس»: (العمل في الصلاة) باب ١٨ [١٢٢٣]، (الأطعمة) باب ١٩ [٥٤٠٦].

قال: «حدثني غندر»: (الأذان) باب ١٦١ [٨٥٧]، (الحج) باب ٣٤ [١٥٦٥]، (مناقب الأنصار) باب ٤٦ [٣٩٣١]، (الطب) باب ٢٠ [٥٧٠٨]، (اللباس) باب ٩٦ [٥٩٦٢]، (الدعوات) باب ٤١ [٦٣٧٠]، (الرقاق) باب ٢٩ [٦٤٨٩]، (الأيمان والنذور) باب ٩ [٦٦٥٧]، (الأحكام) باب ٥١ [٧٢٢٢].

قال: «حدثنا ابن أبي عدي»: (العيدين) باب ٢١ [٩٨١]، (الحج) باب ٣٠ [١٥٥٥]، (البيوع) باب ٢ [٢٠٥١]، (المغازي) باب ٨ [٣٩٦٣]، (الذبائح والصيد) باب ١ [٥٤٧٠/م]، (الأشربة) باب ٢٨ [٥٦٣٣]، (اللباس) باب ٢٢ [٥٨٢٤]، (اللباس) باب ٦٨ [٥٩١٣]، (الأدب) باب ٨٨ [٦١٤١].

قال: «حدثنا أبو عاصم الضّحاك بن مخلد»: (الغسل) باب ٦ [٢٥٨].

قال: «حدثنا الوليد بن مسلم»: (الفتن) باب ١١ [٧٠٨٤].

قال: «حدثنا أبو أحمد الزُّبيري»: (المناقب) باب ٢٥ [٣٥٧٩]، (الطب) باب ١ [٥٦٧٨].

قال: «حدثنا يحيى بن كثير أبو غسّان»: (المناقب) باب ٢٥ [٣٥٨٣].

قال: «حدثنا فضل بن مساور»: (مناقب الأنصار) باب ١٢ [٣٨٠٣].

قال: «حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى»: (الحج) باب ١٢٥ [١٧٢٣]، (الطلاق) باب ٤٤ [٥٣٣١].

قال: «حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي»: (الدعوات) باب ٦٠ [٦٣٩٩].

قال: «حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري»: (الدعوات) باب ٥٨ [٦٣٩٦].

قال: «حدثنا يزيد بن هارون»: (الحج) باب ١٣٢ [١٧٤٢]، (الأدب) باب ٤٣ [٦٠٤٣].

قال: «حدثني خالد بن الحارث»: (الصوم) باب ٦١ [١٩٨٢]،

(الاعتكاف) باب ٤ [٢٠٢٣].

قال: «حدثنا محمد بن خازم أبو معاوية»: (الوضوء) باب ٥٦ [٢١٨].

قال: «حدثني عبد العزيز بن عبد الصمد»: (التفسير) سورة الرحمن، باب ٢ [٤٨٧٩].

قال: «حدثنا وهب بن جرير بن حازم»: (فضائل القرآن) باب ٩ [٥٠٠٧].

قال: «حدثنا معاذ بن معاذ»: (الصوم) باب ٦٧ [١٩٩٤]، (البيوع) باب ٧٠ [٢١٦١]، (المغازي) باب ٨ [٣٩٦٣/م].

قال: «حدثنا معاذ بن هشام»: (الصلاة) باب ٧٩ [٤٦٥]، (المناقب) باب ٢٨ [٣٦٣٩].

قال: «حدثنا أبو عامر العقدي»: (الجمعة) باب ١١ [٨٩٢].

قال: «حدثنا عبد الرحمن بن مهدي»: (المغازي) باب ٣٨ [٤٢٣٦]، (اللباس) باب ٨٧ [٥٩٤٨].

قال: «حدثنا حسين بن الحسن البصري»: (الكسوف) باب ٢٧ [١٠٣٧].

قال: «حدثنا إسحاق بن يوسف»: (الحج) باب ١٤٦ [١٧٦٣]، (الحدود) باب ٢٠ [٦٨٠٩].

٤٦. محمد بن محبوب البُناني، أبو عبد الله البصري.

قال: «حدثنا عبد الواحد بن زياد»: (الغسل) باب ١٠ [٢٦٥]، (البيوع) باب ٩٧ [٢٢١٤]، (السلم) باب ٦ [٢٢٥٢]، (الهبة) باب ٢٠ [٢٦٠٠]، (كفارات الأيمان) باب ٣ [٦٧١٠].

قال: «حدثنا حماد بن زيد»: (الأنبياء) باب ٨ [٣٣٥٨].

قال: «حدثنا أبو عوانة»: (الأدب) باب ٦٨ [٦٠٩٣]، (الدعوات) باب ٢٤ [٦٣٤٢].

٤٧. محمد بن مِسكين ين نُميلة اليماميّ، أبو الحسن، نزيل بغداد.

قال: «حدثنا بشر بن بكر»: (الأذان) باب ١٦٣ [٨٦٨].

قال: «حدثنا يحيى بن حسّان بن حيان أبو زكريا»: (الأنبياء) باب ١٧ [٣٣٧٨]، (فضائل الصحابة) باب ٥ [٣٦٧٤].

٤٨. محمد بن معمر بن رِبعيّ القيسيّ، أبو عبد الله البصري، المعروف بالبَحْراني.

قال: «حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد»: (الجمعة) باب ٢٩ [٩٢٣].

قال: «حدثنا روح بن عبادة»: (الرقاق) باب ٤٩ [٦٥٣٨].

٤٩. محمد بن مقاتل المَروزي، أبو الحسن الكسائي، سكن بغداد، وانتقل بأخرة إلى مكة.

قال: «أخبرنا عبد الله بن المبارك»: (العلم) باب ٧ [٦٥]، (العلم) باب ٢٦ [٨٨]، (الوضوء) باب ٧٥ [٢٤٧]، (مواقيت الصلاة) باب ١١ [٥٤٢]، (مواقيت الصلاة) باب ١٣ [٥٤٧]، (مواقيت الصلاة) باب ١٣ [٥٤٩]، (الأذان) باب ٨٤ [٧٣٦]، (الجمعة) باب ٢٣ [٩١٤]، (الجمعة) باب ٢٥ [٩١٦]، (الكسوف) باب ٢٣ [١٠٣٢]، (التهجد) باب ٥ [١١٢٦]، (التهجد) باب ١٩ [١١٥٢]، (العمل في الصلاة) باب ١١ [١٢١٢]، (الجنائز) باب ١٨ [١٢٦٤]، (الجنائز) باب ٢٦ [١٢٧٥]،

(الجنائز) باب ٧٥ [١٣٤٧]، (الحج) باب ٤٧ [١٥٩٢]، (الصوم) باب ٥٥ [١٩٧٥]، (الاعتكاف) باب ١٨ [٢٠٤٥]، (البيوع) باب ٨٥ [٢١٩٥]، (السَّلم) باب ٧ [٢٢٥٤]، (الحرث والمزارعة) باب ١١ [٢٣٣١]، (الحرث والمزارعة) باب ١٨ [٢٣٣٩]، (اللقطة) باب ٦ [٢٤٣٢/م]، (الرهن) باب ٤ [٢٥١٢]، (الهبة) باب ٧ [٢٥٧٩]، (الهبة) باب ٢٥ [٢٦٠٩]، (الشهادات) باب ٣٠ [٢٦٨٨]، (بدء الخلق) باب ٦ [٣٢٢٠]، (بدء الخلق) باب ٧ [٣٢٢٥]، (بدء الخلق) باب ٨ [٣٢٤٥]، (الأنبياء) باب ٤٨ [٣٤٤٦]، (فضائل الصحابة) باب ٥ [٣٦٦٥]، (المغازي) باب ٢٩ [٤١١٦]، (المغازي) باب ٣٨ [٤٢١٧]، (المغازي) باب ٥٣ [٤٣٠٤]، (المغازي) باب ٥٤ [٤٣٢٠]، (التفسير) سورة النساء، باب ٢٤ [٤٦٠١]، (التفسير) سورة بني إسرائيل، باب ٥ [٤٧١٢]، (النكاح) باب ٨٩ [٥١٩٩]، (النكاح) باب ٩٢ [٥٢٠٢]، (النكاح) باب ١٢٠ [٥٢٤٤]، (النفقات) باب ٥ [٥٣٥٩]، (الأطعمة) باب ١٠ [٥٣٩١]، (الأطعمة) باب ٢٦ [٥٤٢٢]، (الأطعمة) باب ٤٧ [٥٤٤٩]، (الأشربة) باب ٢٣ [٥٦٢٦]، (الطب) باب ١٣ [٥٦٩٦]، (اللباس) باب ٢٨ [٥٨٣٨]، (اللباس) باب ٨٣ [٥٩٣٧]، (اللباس) باب ٨٦ [٥٩٤٣]، (الأدب) باب ٩٥ [٦١٦٤]، (الاستئذان) باب ٤ [٦٢٣١]، (الاستئذان) باب ١٤ [٦٢٤٦]، (الاستئذان) باب ١٦ [٦٢٤٩]، (الاستئذان) باب ٢٤ [٦٢٦٠]، (الدعوات) باب ٦٧ [٦٤٠٩]، (الرقاق) باب ٤٤ [٦٥١٩]، (القدر) باب ٧ [٦٦١٠]، (القدر) باب ١٤ [٦٦١٧]، (الأيمان والنذور) باب ١ [٦٦٢١]، (الأيمان والنذور) باب ٢١

[٦٦٨٦]، (الحدود) باب ١٣ [٦٧٩٣]، (الحدود) باب ٢١ [٦٨١٤]، (استتابة المرتدين) باب ٤ [٦٩٢٦]، (الأحكام) باب ١٣ [٧١٥٩].

قال: «أخبرنا الحجاج بن محمد المصِّيصي»: (التفسير) سورة آل عمران، باب ١٦ [٤٥٦٨]، (التفسير) سورة النساء، باب ٢٢ [٤٥٩٩].

قال: «حدثنا أسباط بن محمد»: (التفسير) سورة النساء، باب ٦ [٤٥٧٩].

قال: «أخبرنا وكيع بن الجرَّاح»: (الاعتصام) باب ٥ [٧٣٠٢].

قال: «أخبرنا يعلى بن عبيد الطّنافسي»: (التفسير) سورة النمل، باب ٢ [٤٧٧٣].

قال: «أخبرنا النضر بن شميل»: (الأيمان والنذور) باب ١٦ [٦٦٧٥].

٥٠. محمد بن المِنهال التميمي المجاشعي، أبو جعفر، ويقال: أبو عبد الله الضرير البصري الحافظ.

قال: «حدثنا يزيد بن زريع»: (النكاح) باب ١٧ [٥٠٩٤]، (اللباس) باب ٦٤ [٥٨٩٢]، (الأدب) باب ٢٨ [٦٠١٥].

٥١. محمد بن مهران الجمّال، أبو جعفر الرازي.

قال: «حدثنا الوليد بن مسلم»: (مواقيت الصلاة) باب ١٨ [٥٥٩]، (الكسوف) باب ١٩ [١٠٦٥].

٥٢. محمد بن موسى بن عمران القطان، أبو جعفر الواسطي.

قال: «حدثنا أبو سفيان الحميري»: (التفسير) سورة ق، باب ١ [٤٨٤٩].

٥٣. محمد بن النَّضر بن عبد الوهاب النَّيسابوري.

قال: «حدثنا عبيد الله بن معاذ»: (التفسير) سورة الأنفال، باب ٤ [٤٦٤٩].

٥٤. محمد بن هشام بن عيسى الطّالقاني، أبو عبد الله المرُّوذي القصير، سكن بغداد في جوار أحمد بن حنبل.

قال: «حدثنا هشيم بن بشير»: (المغازي) باب ٣٥ [٤١٩١].

٥٥. محمد بن الوليد بن عبد الحميد القُرَشي البُسْري، أبو عبد الله

البصري، لقبه حَمْدان.

قال: «حدثنا محمد بن جعفر غندر»: (التفسير) سورة الفتح، باب ٥ [٤٨٤٣]، (النكاح) باب ١٢١ [٥٢٤٦]، (الأدب) باب ٦ [٥٩٧٧]، (أخبار الآحاد) باب ٦ [٧٢٦٧].

٥٦. محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس الذُّهلي، أبو عبد الله النيسابوري.

روى عنه البخاري في مواضع من صحيحه ولم ينسبه كما سيأتي في الفصول الثلاثة من الباب الثاني في هذا المبحث.

٥٧. محمد بن يحيى بن عبد العزيز اليشكري، أبو علي الصائغ المروزي.

قال: «حدثنا شاذان عبد العزيز بن عثمان»: (مناقب الأنصار) باب ١١ [٣٧٩٩].

٥٨. محمد بن يزيد الحِزامي الكوفي البزَّاز.

قال: «حدثنا الوليد بن مسلم»: (فضائل الصحابة) باب ٥ [٣٦٧٨].

٥٩. محمد بن يوسف الفريابي.

قال: «حدثنا سفيان[١] الثوري»: (العلم) باب ١١ [٦٨]، (الوضوء) باب ٢٢ [١٥٧]، (الوضوء) باب ٥٤ [٢١٤]، (الوضوء) باب ٧٠ [٢٤١]، (الغسل) باب ١ [٢٤٩]، (الأذان) باب ١٨ [٦٣٠]، (الأذان) باب ١٩ [٦٣٤]، (الأذان) باب ٦٣ [٧٠٤]، (الأذان) باب ٩٧ [٧٦١]، (الأذان) باب ١٥٥ [٨٤٤]، (الكسوف) باب ٢٩ [١٠٣٩]، (سجود القرآن) باب ٢ [١٠٦٨]، (الحج) باب ١٨ [١٥٣٧]، (الحج) باب ٢٦ [١٥٥٠]، (الحج) باب ٣٢ [١٥٥٩]، (المحصر) باب ١٠ [١٨٢٠]، (الاعتكاف) باب ٤ [٢٠٣٠]، (البيوع) باب ٤٦ [٢١١٣]، (الإجارة) باب ١

(١) قد يقع احتمال في تعيين سفيان هل هو الثوري أو ابن عيينة، وقد حرر الحافظان المزي وابن حجر ذلك في تحفة الأشراف وفتح الباري، فالاعتماد عليهما في ذلك.

[٢٢٦٠]، (الإجارة) باب ١٧ [٢٢٧٧]، (الحوالة) باب ٢ [٢٢٨٨]، (المساقاة) باب ١٧ [٢٣٨٠]، (اللقطة) باب ٦ [٢٤٣١]، (اللقطة) باب ١١ [٢٤٣٨]، (الجهاد) باب ١٣١ [٢٩٩٢]، (الجهاد) باب ١٣٢ [٢٩٩٣]، (الجهاد) باب ١٨١ [٣٠٦٠]، (فرض الخمس) باب ٧ [٣١١٥]، (بدء الخلق) باب ٤ [٣١٩٩]، (بدء الخلق) باب ١٠ [٣٢٥٩]، (الأنبياء) باب ٢٥ [٣٣٩٨]، (الأنبياء) باب ٤٨ [٣٤٤٧]، (الأنبياء) باب ٥٠ [٣٤٥٨]، (مناقب الأنصار) باب ٥٠ [٣٩٣٧]، (المغازي) باب ٥٣ [٣٩٤٧]، (المغازي) باب ٧٧ [٤٤٠٧]، (التفسير) سورة البقرة، باب ٢١ [٤٤٩٦]، (التفسير) سورة البقرة، باب ٥٢ [٤٥٤٣]، (التفسير) سورة آل عمران، باب ٧ [٤٥٥٧]، (التفسير) سورة المائدة، باب ٧ [٤٦١٢]، (التفسير) سورة الأعراف، باب ٢ [٤٦٣٨]، (التفسير) سورة النور، باب ٩ [٤٧٥٥]، (التفسير) سورة الحشر، باب ٤ [٤٨٨٦]، (فضائل القرآن) باب ١٨ [٥٠٢٢]، (فضائل القرآن) باب ٣٣ [٥٠٥٠]، (النكاح) باب ٣٨ [٥١٣٣]، (النكاح) باب ٧٠ [٥١٧٢]، (النكاح) باب ٩٣ [٥٢٠٤]، (النكاح) باب ١١٨ [٥٢٤٠]، (الأطعمة) باب ١٤ [٥٣٧٠]، (الأطعمة) باب ٣٤ [٥٤٣٤]، (الأطعمة) باب ٤١ [٥٤٤٢]، (الأطعمة) باب ٥٨ [٥٤٦٥]، (المرضى) باب ٢ [٥٦٤٧]، (اللباس) باب ٣٧ [٥٨٥٣]، (الأدب) باب ١٨ [٥٩٩٨]، (الأدب) باب ٣٦ [٦٠٢٦]، (الأدب) باب ٥٣ [٦٠٥٩]، (الأدب) باب ١٠٠ [٦١٧٩]، (الدعوات) باب ٤٣ [٦٣٧٢]، (الأيمان والنذور) باب ٣ [٦٦٢٨]، (الأيمان والنذور) باب ٢٢ [٦٦٨٧]، (الديات) باب ٣٢ [٦٩١٧]، (الإكراه) باب ٣ [٦٩٤٦]، (الحيل) باب ١٤ [٦٩٧٨]، (الفتن) باب ٦ [٧٠٦٨]، (الأحكام) باب ٥١ [٧٢١٨]، (الاعتصام) باب ١٦ [٧٣٤٤]، (التوحيد) باب ٤ [٧٣٨٠]، (التوحيد) باب ٢٢ [٧٤٢٧]،

(التوحيد) باب ٤٦ [٧٥٣١].

قال: «حدثنا الأوزاعي»: (الوضوء) باب ١٩ [١٥٤]، (الأذان) باب ١٠٩ [٧٧٨]، (الرقاق) باب ٣٤ [٦٤٩٤]، (الشركة) باب ١ [٢٤٨٥]، (الهبة) باب ٣٥ [٢٦٣٣،٢٦٣٢]، (الوصايا) باب ٩ [٢٧٥٠]، (فرض الخمس) باب ١٩ [٣١٤٣]، (بدء الخلق) باب ١١ [٣٢٨٥].

قال: «حدثنا إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي»: (الزكاة) باب ١٥ [١٤٢٢]، (التفسير) سورة النساء، باب ١٨ [٤٥٩٤].

قال: «حدثنا ورقاء بن عمر اليشكري»: (الوصايا) باب ٦ [٢٧٤٧]، (التفسير) سورة النساء، باب ٥ [٤٥٧٨]، (التفسير) سورة الأنفال، باب ١ [٤٦٤٦]، (الفرائض) باب ١٠ [٦٧٣٩].

٦٠. محمد بن يوسف البيكندي.

قال: «عن ابن عيينة»: (المغازي) باب ١٨ [٤٠٥١]، (الحدود) باب ٨ [٦٧٨٤]، (الحدود) باب ٤٦ [٦٨٥٩] [1].

(١) نص الأئمة الحاكم والكلاباذي وغيرهما على أن الراوي في هذه المواضع عن سفيان بن عيينة هو محمد بن يوسف البيكندي، وهو الذي اعتمده الحافظ المزي في تهذيب الكمال حيث رمز لسفيان بن عيينة في شيوخ محمد بن يوسف البيكندي بالرمز (خ) دون الفريابي.

ولكنه في التحفة ذكر في أحد مواضع رواية محمد بن يوسف عن ابن عيينة أنه الفريابي، وكذلك ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح في بعض المواضع أنه الفريابي أيضاً. والذي يترجح أنه البيكندي، لأنَّ شيوخ محمد بن يوسف الفريابي أقدم من سفيان بن عيينة حيث إن وفاة الفريابي (٢١٢هـ).

قال: «أخبرنا عبد الأعلى بن مسهر»: (العلم) باب ١٨ [٧٧].

قال: «حدثنا حماد بن أسامة»: (بدء الخلق) باب ٧ [٣٢٣٥].

قال: «حدثنا أحمد بن يزيد أبو الحسن الحرَّاني»: (المناقب) باب ٢٥ [٣٦١٥].

الباب الثاني: بيان المهمل من شيوخ الإمام البخاري ممن اسمه محمد(١):

المبحث الأول: المراد بالإهمال الواقع في شيوخ الإمام البخاري في صحيحه:

هو أن يورد الإمام البخاري حديثاً عن شيخ يذكره باسم لا يتميز به لعدم نسبته، فيحتمل أكثر من واحد لاشتراكهم في هذا الاسم، كأن يقول: حدثنا أحمد، أو محمد، أو محمد بن عبد الله، أو إسحاق، أو يحيى ونحو ذلك.

المبحث الثاني: سبب وقوع الإهمال في بعض شيوخ الإمام البخاري:

تعرض بعض من خفي عليهم محل محمد بن إسماعيل في الإتقان والورع والتمييز بالطعن عليه، بأنه حدث عن جماعةٍ من شيوخه لم ينسبهم، ودلس ذلك لضعفهم كي لا يعرفوا فيظهر به حالهم.

وقد ناظر الإمام الحاكم بعض هؤلاء، وأبطل مقالتهم، وبين تحري محمد ابن إسماعيل في الرجال، ولا سيما في كتابه الصحيح، وذكر أنه قد يظن في بعض شيوخه الجهالة بينما هم مشهورون عنده بالعدالة(٢).

ولرفع هذا اللبس عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري تتبع الحاكم

---

(١) رتبت أحاديث هذا الباب حسب ورودها في صحيح البخاري، وبدأت بذكر رقم الحديث فيه.

(٢) المدخل إلى الصحيح للحاكم (٢٣٣/٤) وانظر: هدي الساري (ص٢٣٥).

وغيره كما سيأتي في المبحث التالي مواضع الإهمال في شيوخ الإمام البخاري، وبينوا أنسابهم كما سيأتي في الفصول التالية إن شاء الله.

ولعل قائلاً يقول: ما السبب الذي دفع الإمام البخاري لإهمال أسماء بعض شيوخه؟

وللجواب عن هذا السؤال نقول: إن السبب في ذلك أحد الأمور التالية:

١- الاختصار، وهذا هو السبب الغالب في صنيع الإمام البخاري في هذا الباب. ومسلك الاختصار في الأسانيد مسلك مشهور عند المحدثين، تارةً يكون في صيغ الأداء، وتارةً يكون بجمع الأسانيد التي يكون مخرجها واحداً بسياقة واحدة والتمييز بين هذه الأسانيد بالرمز (ح)، وتارةً بالإحالة إلى إسنادٍ متقدم فيقال: وبه عن فلان، ونحو ذلك من صور الاختصار، ومن ذلك: الاختصار في أسماء الرواة، فيذكر بعض اسمه. ويشترط في كل ذلك ألا يوقع في اللبس والإيهام، وهذا ينطبق على ما وقع للإمام البخاري في هذا الباب، فإنه يختصر بعض أسماء الرواة، ويعلم هذا الراوي بالطرق التالية:

أ- أن يقع منسوباً في موضعٍ آخر، إما في الصحيح أو في كتابٍ آخر له.

ب- أن يعرف بالنظر إلى شيوخ هذا الراوي فيتميز.

جـ- تتبع المواضع التي يورد البخاري فيها الاسم مختصراً، ومحاولة معرفة من يريد به البخاري عند الإطلاق، ومعرفة ذلك إنما يكون بالاستقراء والنظر، وهذا إنما يكون لمن عنده معرفة بالإمام البخاري وشيوخه وحديثه، وقد تتبع ذلك جماعة من العلماء، ووضعوا له قواعد، سيأتي ذكرها إن شاء الله في المبحث الرابع.

ولعلّ من المناسب هنا أن نذكر بكلمة الشيخ العلامة عبد الرحمن

المعلمي – وهو الخبير بمنهج الإمام البخاري وكتبه – قال رحمه الله: «هذا وللبخاري رحمه الله ولوع بالاجتزاء بالتلويح عن التصريح كما جرى عليه في مواضع من جامعه الصحيح، حرصاً منه على رياضة الطالب واجتذاباً له إلى التنبيه والتيقظ والتفهم[1]».

٢- ذهب بعض العلماء إلى أن صنيع الإمام البخاري في بعض المواضع التي يهمل فيهما اسم شيخه فلا ينسبه هو من باب تدليس الشيوخ، وذكروا أن ذلك وقع منه في اسم محمد بن يحيى الذهلي حيث لم ينسبه في موضعٍ من المواضع، وإنما يقول فيه: «حدثنا محمد»، أو: «حدثنا محمد بن خالد».

وإنما لم ينسبه للوحشة بينهما رحمهما الله بسبب الفتنة المشهورة التي كانت بينهما في مسألة اللفظ بالقرآن[2].

وقد عدَّ هذا الصنيع من الإمام البخاري تدليساً جماعة من العلماء منهم الذهبي[3] وابن حجر[4] والسخاوي[5].

وقد نقل الحافظ السخاوي اعتذار بعضهم للبخاري في ترك التصريح باسم الذهلي، بأنَّ الإمام البخاري خشي من التصريح باسم الذهلي أن يكون كأنَّه بتعديله له صدّقه على نفسه فأخفى اسمه، والله أعلم بمراده[6].

---

(١) مقدمة تحقيق موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي (ص ١٤).

(٢) انظر: هدي الساري (ص ٥١٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/٣٩٦).

(٤) النكت (٢/٦١٦).

(٥) فتح المغيث (١/٣٣٥).

(٦) المرجع السابق (١/٣٣٧).

وهذا الاعتذار فيه ضعف، والأولى أن يقال: إن الإمام البخاري لا يشكُّ في صدق محمد بن يحيى الذهلي في الحديث، وأنه على شرطه في الحفظ والإتقان، ولذا حدث عنه، ولم يترك تسميته بسبب ضعفه، أو سماه باسم اشتهر به غيره، بل سماه إما باسم اشترك فيه معه غيره، كما في «محمد»، أو «محمد بن عبد الله»، أو نسبه بما لم يشتهر به كما في قوله «محمد بن خالد»، وترك نسبته بما اشتهر به لما يجد في نفسه عليه بسبب المحنة التي جرت عليه، وإن تحديثه عن الذهلي مع ما كان بينهما ليدل على ديانته. وبهذا يعلم أنَّ ما كان من محمد ابن إسماعيل في تسمية محمد بن يحيى الذهلي أمرٌ لا لوم عليه فيه، بل هو أمرٌ طبعي. فهذه أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها يقول لها النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم إذا كنت عنّي راضيةً، وإذا كنت عليَّ غضبى، فقالت: من أين تعرف ذلك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «أمَّا إذا كنت راضيةً فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم» فقالت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك» أخرجه البخاري[1].

وأيًّا كان الداعي للبخاري في ترك نسبة بعض شيوخه فإنَّ الأمر لا يعود إلى البخاري ولا إلى كتابه بالطعن، لأنه قد اشترط الصحة في كتابه، فلا يحدث إلا عن الثقات الحفاظ، فلو لم يعلم تعيين ما أهمل البخاري من أسماء شيوخه لكان بمنزلة قول المحدث: حدثني الثقة، فكيف وقد تبين للعلماء من هؤلاء الذين أهمل البخاري أسماءهم من شيوخه. وكذلك أيضاً فإنَّ البخاري قد صرّح بأسماء بعض شيوخه الذين قد تكلم فيهم ممن انتقى من حديثهم، ولو كان إنما يترك نسبة شيخه لضعفه لئلا يعرف –كما زعم بعضهم– لأهمل أسماء هؤلاء، وقد تبين

(١) (النكاح) باب ١٠٨، رقم [٥٢٢٨].

خلال البحث أن جميع من أهمل الإمام البخاري نسبتهم من شيوخه هم من الثقات الأثبات، والله أعلم.

المبحث الثالث: المؤلفات في بيان المهمل من شيوخ الإمام البخاري في صحيحه:

قال الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الجياني الغسَّاني في كتابه التعريف بشيوخٍ حدث عنهم محمد بن إسماعيل البخاري في كتابه وأهمل أنسابهم وذكر ما يعرفون به من قبائلهم وبلدانهم: «قد جمع أبو عبد الله محمد ابن عبد الله النيسابوري المعروف بالحاكم في كتابه الذي رسمه بالمدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم باباً في هذا المعنى، لكنه لم يستوعب كل ما في الكتاب من ذلك، وتكلم أيضاً أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن المعروف بالكلاباذي في كتابه المسمّى بـ«الإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد» في رجالٍ للبخاري في هذا الباب، ونسب جماعةً منهم، وقد نسب أبو علي ابن السكن جماعةً منهم في نسخته من الجامع التي رواها عن محمد بن يوسف الفربري عن البخاري، ونسب أيضاً أبو ذر عبد بن أحمد الهروي عن مشايخه الثلاثة الراوين عن الفربري في نسخته من الجامع جماعةً منهم، وغير من ذكرنا من أهل العلم بالصناعة، كأبي الحسن الدارقطني، وأبي أحمد ابن عدي، وأبي مسعود إبراهيم بن محمد الدمشقي، فإنهم تكلموا على هذه الأسماء، واستدلوا بالشيء بعد الشيء، إلى أن وقفوا على الحقيقة في أكثر ذلك، فجمعت في هذا الباب ما انتهى إليَّ من كلامهم، ولخَّصته وبينته، ليرتفع اللبس في ذلك عن الناظر في جمعنا هذا، وخرّجت ما اتفق لي ذكره من هذه الأسماء على حروف

المعجم، تقريباً على الطالب، والله الموفق للصواب»[١].

هذه مقدمة الحافظ أبي علي الغسَّاني لكتابه الذي تكلم فيه في المبهم من شيوخ البخاري، وهو جزءٌ من كتابه القيِّم الحافل «تقييد المهمل»[٢]. وهو –كما ذكر – قد جمع في كتابه هذا ما سطره العلماء قبله في هذا الباب وهم:

١– الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) في كتابه «المدخل إلى الصحيح»، وقد ذكر الحاكم في كتابه المدخل هذا ما يتعلق بالمهمل من شيوخ البخاري في الباب العاشر[٣].

٢– الكلاباذي في كتبه الإرشاد، وقد مرَّ ذكره في الكتب المؤلفة في شيوخ الإمام البخاري.

ونحوه ما ذكره أيضاً عن ابن عدي والدارقطني وأبي مسعود الدمشقي.

٣– أبو علي ابن السكن وأبو ذر الهروي في نسختهما من روايتهما لصحيح الإمام البخاري. هؤلاء فيمن ذكرهم الحافظ أبو علي الجياني، وهناك علماء جاءوا بعده تكلموا في هذا الباب أيضاً، ومن أشهرهم: الحافظ ابن حجر في كتابه هدي الساري – الذي جعله مقدمة لشرحه فتح الباري –، فقد عقد الفصل السابع منه في تبيين الأسماء المهملة التي يكثر اشتراكها في صحيح البخاري[٤].

---

(١) تقييد المهمل (٣/٩٤١).

(٢) يقع في المطبوع في المجلد الثالث (من ص ٩٤١ حتى ص ١٠٦٩).

(٣) يقع في المطبوع في المجلد الرابع (من ص ٢٣٣ حتى ص ٢٧٠).

(٤) يقع في المطبوع (من ص ٢٣٥ حتى ص ٢٥٦).

والحافظ ابن حجر قد بين أيضاً عند شرحه للحديث الذي وقع في إسناده إهمال في اسم شيخ البخاري المراد به.

وقد استفاد العيني في شرحه لصحيح البخاري من كلام ابن حجر في بيان المهمل من شيوخ البخاري، ويرجع العيني أيضاً إلى كتاب أبي علي الغسَّاني السابق الذكر وينقل منه مباشرة.

ومن الكتب المفيدة في هذا الشأن شرح القسطلاني لصحيح البخاري، حيث اعتمد النسخة اليونينية، والتي يقع في مواضع منها بيان المهمل من شيوخ البخاري كما سيأتي عند ذكر الأحاديث التي وقع فيها الإهمال في شيوخ البخاري المحمدين.

هذه أشهر المؤلفات والجهود التي بذلها العلماء في الكلام على المهمل من شيوخ البخاري، وما ذلك إلا نصرة للإمام البخاري ورداً على الطاعنين فيه وفي صحيحه.

المبحث الرابع: بعض القواعد التي ذكرها بعض أهل العلم في بيان المهمل من شيوخ الإمام البخاري المحمدين:

وقفت على بعض القواعد التي توصل إليها بعض العلماء نتيجة الاستقراء لبيان المهمل من شيوخ الإمام البخاري، وسأخص بالذكر هنا ما يتعلق بموضوع البحث وهم شيوخ الإمام البخاري المحمدون. فمن هذه القواعد:

١- قال الحافظ أبو علي ابن السكن: «كل ما في كتاب البخاري مما يقول فيه: «حدثنا محمد أخبرنا عبد الله» فهو محمد بن مقاتل المروزي عن عبد الله بن المبارك، وما كان فيه: «محمد» عن أهل العراق مثل أبي معاوية وعبدة

ويزيد بن هارون ومروان الفزاري فهو محمد بن سلام البيكندي»[١].

٢- قال الحافظ ابن حجر – بعد أن ذكر اختلافاً في تعيين شيخ البخاري المهمل –: «المهمل إنما يحمل على من يكون لمن أهمله به اختصاص، واختصاص البخاري بمحمد بن سلام مشهور»[٢].

٣- وقال الحافظ ابن حجر أيضاً: «محمد – غير منسوب – في البخاري إن روى عن المتقدمين كابن عيينة وأبي معاوية فهو ابن سلام، وإن روى عن المتأخرين كالمقريء وعثمان بن الهيثم ويعلى بن عبيد ومحاضر فهو محمد بن يحيى الذهلي»[٣].

٤- وقال الحافظ ابن حجر أيضاً: «تقرر أن البخاري حيث يطلق «محمد» لا يريد إلا الذهلي أو ابن سلام، ويعرف تعيين أحدهما من معرفة من يروي عنه»[٤].

هذه بعض القواعد المتعلقة ببيان المهمل من شيوخ البخاري المحمدين، وهي كما ذكر الحافظ ابن حجر قد يرد عليها ما يخالفها[٥]، فهي قواعد ليست مطردة ولكنها أغلبية، والله أعلم.

---

(١) تقييد المهمل (١٠٦٨/٣).

(٢) الفتح (٣١٢/١٣)، شرح حديث رقم [٧٣١٧].

(٣) تقريب التهذيب عقب الترجمة رقم [٦٤٢٢].

(٤) الفتح (٢٢٥/٦) شرح حديث رقم [٣٠٨٩].

(٥) هدي الساري (ص ٢٣٥).

الفصل الأول: من قال فيه الإمام البخاري: «حدثنا محمد»:

[٢٢٨] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد قال حدثنا أبو معاوية...» (الوضوء) باب ٦٣. هو ابن سلام (كما في اليونينية وما ذكره الحافظ في الفتح)، وقد تقدم في حديث محمد بن سلام أنه يروي عن أبي معاوية محمد ابن خازم في عدة مواضع.

[٢٤٣] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد قال أخبرنا سفيان بن عيينة...» (الوضوء) باب ٧٢. هو ابن سلام (كما في اليونينية وما ذكره الحافظ في الفتح).

[٤٣٤] قال الإمام البخاري:«حدثنا محمد قال أخبرنا عبدة...»(الصلاة) باب ٥٤. هو ابن سلام (كما في اليونينية وما ذكره الحافظ في الفتح)، ومحمد ابن سلام يروي عن عبدة بن سليمان في صحيح البخاري في مواضع كما تقدم.

[٦٠٦] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد قال أخبرنا عبد الوهاب...» (الأذان) باب ٢.هو ابن سلام (كما في اليونينية وما ذكره الحافظ في الفتح)، وقد تقدم أنَّ محمد بن سلام يروي عن عبد الوهاب الثقفي في صحيح البخاري في عدة مواضع.

[٧٢٩] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد قال أخبرنا عبدة...» (الأذان) باب ٨٠. هو ابن سلام كما تقدم في الحديث رقم [٤٣٤].

[٩١١] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد قال أخبرنا مخلد بن يزيد...» (الجمعة) باب ٢٠. هو ابن سلام (كما في اليونينية وما ذكره الحافظ في الفتح)، وحديث محمد بن سلام عن مخلد يزيد قد تقدم أنه في صحيح

البخاري في عدة مواضع.

[٩٧١] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا عمر بن حفص...» (العيدين) باب ١٢، قيل: محمد هو ابن يحيى الذهلي[١]، ووقع في رواية الأصيلي «حدثنا محمد البخاري» فعليه يكون القائل: «حدثنا محمد» هو الفربري راوية البخاري. قال الحافظ: «فعلى هذا لا واسطة بين البخاري وبين عمر بن حفص فيه، وقد حدث البخاري عنه بالكثير بغير واسطة، وربما أدخل بينه وبينه الواسطة أحياناً، والراجح سقوط الواسطة بينهما في هذا الإسناد وبذلك جزم أبو نعيم في المستخرج»[٢].

وما قال الحافظ هو الصواب لثبوت الرواية به، ويؤيد ذلك أنه في بعض روايات الصحيح ليس فيها قوله: «حدثنا محمد» والله أعلم.

وذكر الحافظ في هدي الساري[٣] أنه على فرض ثبوت ذكر محمد فيشبه أن يكون هو محمد بن جعفر السمناني، وما ذكره في الفتح هو الصواب كما تقدم.

[٩٨٦] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد قال أخبرنا أبو تُميلة يحيى بن واضح...» (العيدين) باب ٢٣. هو ابن سلام (كما في اليونينية وما ذكره الحافظ في الفتح). وقيل: هو ابن مقاتل.

(١) تقييد المهمل (١٠٤٤/٣)، إرشاد الساري (٦٦٩/٢).

(٢) الفتح (٥٣٦/٢).

(٣) (ص ٢٥٢).

قال الحافظ ابن حجر: والأول هو المعتمد[١]. وكذا اعتمده الإمام الكلاباذي[٢]، وكذا الحافظ المزي حيث ذكر محمد بن سلام في تلاميذ أبي تميلة ورمز له (خ).

[١٠١٣] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد قال أخبرنا أبو ضمرة أنس بن عياض...» (الاستسقاء) باب ٦. هو ابن سلام، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الهدي[٣] أنه وقع في رواية الأصيلي وغيره كذلك.

[١٠٢٨] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد قال أخبرنا عبد الوهاب...» (الاستسقاء) باب ٢٠. هو ابن سلام (كما في اليونينية وما ذكره الحافظ في الفتح). ونحو منه في الهدي[٤]. وقد تقدم عند الحديث رقم **[٦٠٦]** مثل ذلك.

[١٠٣٣] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد قال أخبرنا عبد الله...» (الاستسقاء) باب ١٠٣٣. محمد هو ابن مقاتل -كما في الحديث السابق له- وعبد الله هو ابن المبارك.

وحديث محمد بن مقاتل عن ابن المبارك مشهور كثير في صحيح البخاري كما تقدم عند ذكر حديث محمد بن مقاتل. وبهذا جزم الحافظ ابن

---

(١) الفتح (٢/٥٤٧).

(٢) الهداية والإرشاد (٢/٨٠١).

(٣) (ص ٢٥٠).

(٤) (ص ٢٥١).

حجر وغيره[١]. يضاف هنا ما ذكره الجياني بإسناده عن ابن السكن من أن محمداً هنا في صحيح البخاري هو ابن مقاتل. كما تقدم في المبحث الرابع من تمهيد هذا الباب عند ذكر بعض القواعد التي نص عليها بعض أهل العلم في بيان المهمل من شيوخ الإمام البخاري المحمدين.

[١٢٤٠] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا عمرو بن أبي سلمة...» (الجنائز) باب ٢.

قال الحافظ ابن حجر: كذا في جميع الروايات غير منسوب[٢]. وقد ذهب الإمام أبو نصر الكلاباذي إلا أنه الذهلي[٣]. وذكر المزي محمد بن يحيى الذهلي في تلاميذ عمرو بن أبي سلمة ورمز له (خ) فهذا يدل على أن الإمام المزي يذهب أيضاً إلى أن محمداً هنا هو الذهلي، والله أعلم.

[١٢٤٧] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية...» (الجنائز) باب ٥. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٢٨] وقد جزم به هنا أبو علي ابن السكن في روايته عن الفربري. قاله الحافظ ابن حجر[٤].

[١٢٤٧] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية...» (الجنائز) باب ٥. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٢٨] وقد جزم

---

(١) هدي الساري (ص٢٥١).

(٢) الفتح (١٣٥/٣).

(٣) الهداية والإرشاد (٦٨٧/٢،٣٥٥).

(٤) الفتح (١٤١/٣).

به هنا أبو علي ابن السكن في روايته عن الفربري. قاله الحافظ ابن حجر[١].

[١٤٩٦] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبد الله...» (الزكاة) باب ٦٣. تقدم عند الحديث رقم [١٠٣٣] أن محمداً هنا هو ابن مقاتل.

[١٦٠٤] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد حدثنا سريج بن النعمان...» (الحج) باب ٥٧. اختلف في محمد على أقوال، فقيل محمد بن عبد الله بن نمير، وقيل: محمد بن رافع، لأنه روى البخاري في صحيحه[٢] عنه عن سريج بن النعمان. ولكن ليس بهذا اللفظ، وهذا الذي رجحه أبو علي الجياني[٣]. وقيل: الذُّهلي، ولعل ذلك أيضاً لأنه روى عن سريج بن النعمان هذا الحديث كما عند ابن خزيمة[٤]. وهو قول الحاكم كعادته[٥]. ولكن كذلك، ليس باللفظ الذي ذكره البخاري هنا. وذكر الحافظ ابن حجر احتمال أن يكون هو البخاري نفسه، وصوَّب الحافظ ابن حجر[٦] أنه ابن سلام كما نسبه أبو ذر الهروي وجزم بذلك أبو علي ابن السكن في روايته. ويظهر أن نسبته محمد بن

---

(١) الفتح (١٤١/٣) والهدي (ص ٢٥٢).

(٢) حديث رقم [٢٧٠١، ٤٢٥٢].

(٣) تقييد المهمل (١٠٣٧/٣).

(٤) إتحاف المهرة (٢٥٨/٩).

(٥) تقييد المهمل (١٠٣٦/٣).

(٦) الفتح (٥٥٠/٣)، انظر كلام الحافظ أيضاً في الهدي (ص٢٥٠)، فإنه يفيد تقويته لقول من قال: إنه محمد بن رافع.

رافع أولى لما تقدم ولما سيأتي في الحديث رقم [٤٤٠٠].

[١٧٠٦] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى...» (الحج) باب ١١٢. قيل: ابن المثنَّى[١]. لأن البخاري حدث عنه عن عبد الأعلى –كما تقدم في حديث محمد بن المثنى– قال الحافظ ابن حجر: «وليس ذلك بلازم»، ورجح أنه ابن سلام[٢]، كما في بعض روايات الصحيح. وإذا جاءت الرواية فهي مقدمة في هذا الباب على غيرها كما تقدم في أول هذا الفصل، والله أعلم.

[١٧٥٣] قال الإمام البخاري: «وقال محمد حدثنا عثمان بن عمر...» (الحج) باب ١٤٢.

قال المزي: [٣] «محمد هذا قيل: إنه ابن يحيى – أي الذهلي[٤] –»، وقيل: «ابن سلام»[٥]، وقال أبو نصر: «هو محمد بن بشار أو محمد بن المثنى».

وذكر ابن حجر أن أبا علي ابن السكن نسبه في روايته بابن بشار. ثم قال الحافظ: «وهو المعتمد»[٦].

---

(١) تقييد المهمل (٣/١٠٢٥).

(٢) الفتح (٣/٦٤١).

(٣) تحفة الأشراف (٥/٤٠٥).

(٤) ذكره الجياني، تقييد المهمل (٣/١٠٣٣).

(٥) لم أقف على من ذكر ذلك.

(٦) الفتح (٣/٦٨٣).

ويؤيد ذلك أن الإمام البخاري يروي في صحيحه عن عثمان بن عمر من طريق محمد بن بشار، كما تقدم في حديثه.

[١٧٧٢] قال الإمام البخاري: «وزادني محمد حدثنا محاضر عن الأعمش...» (الحج) باب ١٥١. قال المزي:« يقال: إنه الذّهلي»، وبذلك جزم أبو علي الجياني(١). وذكر الحافظ ابن حجر أنه وقع في رواية أبي علي ابن السكن أنه ابن سلام(٢).

[١٨٠٩] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد قال حدثنا يحيى بن صالح...» (المحصر) باب ١. اختلف في محمد هنا على أقوال، فجزم الحاكم أنه الذهلي، وقيل: هو محمد بن مسلم بن وارة، وذكر الكلاباذي عن بعض شيوخه أنه محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي، وذكر أنه رآه في أصلٍ عتيق لصحيح البخاري(٣). قال الحافظ ابن حجر: ويؤيده أن الحديث وجد من حديثه عن يحيى بن صالح عند الإسماعيلي وأبي نعيم في مستخرجيهما، وذكر الحافظ احتمالاً رابعاً، وهو أن يكون محمد بن إسحاق الصّاغاني، وذكر أنه يروي هذا الحديث عن يحيى بن صالح أيضاً(٤).

ويظهر لي أن أقوى هذه الاحتمالات أن يكون أبا حاتم الرازي للمرجحات التي مرت، والله أعلم.

---

(١) تهذيب الكمال (٢٧/٢٦٠).

(٢) الفتح (٣/٦٩٧)، هدي الساري (ص٢٥٢).

(٣) الهداية والإرشاد (٢/٧٩٥).

(٤) الفتح (١٠/٤٤).

[١٩٧٣] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا أبو خالد الأحمر...» (الصوم) باب ٥٣. هو ابن سلام كما في اليونينية وما ذكره الحافظ في الفتح، وهو الذي اعتمده المزي في التحفة[١].

[١٩٨٦] قال الإمام البخاري: «وحدثني محمد حدثنا غندر حدثنا شعبة...» (الصوم) باب ٦٣.

قال الحافظ ابن حجر: الذي يظهر أنه بندار محمد بن بشار، وبذلك جزم أبو نعيم في المستخرج بعد أن أخرجه من طريقه[٢].

[٢٠٢٠] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عبدة...» (الاعتكاف) باب ٤، تقدم عند حديث [٤٣٤] أنه محمد بن سلام البيكندي.

[٢٠٤١] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا محمد بن فضيل ابن غزوان...» (الاعتكاف) باب ١٤، هو ابن سلام كما في اليونينية وماذكره الحافظ في الفتح. وهو الذي اعتمده المزي في التحفة[٣].

[٢٠٦٤] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد حدثنا محمد بن فضيل...» (البيوع) باب ١١، هو ابن سلام كما تقدم في الحديث السابق.

[٢٠٧١] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد حدثنا عبد الله بن يزيد...» (البيوع) باب ١٥.

جزم الحاكم – كعادته – أن محمداً هنا هو الذُّهلي. وكان الحافظ ابن

---

(١) تحفة الأشراف (١٩٢/١).

(٢) الفتح (٢٧٥/٤).

(٣) (٤٢١/١٢).

حجر يستظهر هذا القول[1]، حتى وقف على بعض روايات الصحيح عن الفربري عن البخاري: «حدثنا عبد الله بن يزيد» فمحمد على هذا هو البخاري نفسه، والقائل: حدثني محمد هو الفربري. وعبد الله بن يزيد المقريء قد أكثر عنه البخاري بلا واسطة[2].

[٢٢١٢] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد قال: سمعت عثمان بن فرقد...» (البيوع) باب ٩٥، هو ابن سلام كما في اليونينية.

وقال المزي: «وقيل: ابن عقبة، وقيل: ابن مقاتل[3]».

فإن كانت النسبة إلى ابن سلام ليست من قبل بعض الرواة عن الفربري فهو المعتمد، وإلا فالأمر محتمل. وانظر ما سيأتي عند الحديث رقم [٤١٤٥].

[٢٢٣٩] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا إسماعيل عن ابن أبي نجيح...» (السلم) باب ١، هو ابن سلام كما في الفتح[4]. ويؤيد ذلك أنه قد تقدم أن محمد بن سلام روى عن إسماعيل بن علية عند البخاري.

[٢٢٥١] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا يعلى حدثنا الأعمش...» (السلم) باب ٥، هو ابن سلام كما في اليونينية، وكذلك ذكر المزي في التحفة[5] والحافظ ابن حجر في هدي الساري[6].

[٢٣٢٧] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبد الله...»

---

(١) هدي الساري (ص٢٥١).

(٢) انظر: المرجع السابق، والفتح (٣٥٧/٤).

(٣) تهذيب الكمال (٤٧٦/١٩).

(٤) (٥٠١/٤).

(٥) (٣٥٨/١١).

(٦) (ص ٢٥٣).

(الحرث والمزارعة) باب ٧، هو ابن مقاتل كما تقدم عند الحديث رقم [١٠٣٣].

[٢٣٦٢] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا مخلد...» (المساقاة) باب ٨. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [١١٩]. وقد ذكر الحافظ هنا أنَّ في بعض روايات الصحيح: محمد بن سلام[١].

[٢٣٥٨] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا جرير عن المغيرة...» (الاستقراض) باب ١. جاء في رواية أبي ذر الهروي – كما ذكر الحافظ ابن حجر[٢]– محمد بن يوسف هو البيكندي. قال الجياني: وليس بشيء[٣].

وجاء في رواياتٍ أخرى: محمد بن سلام[٤]. وهو الذي رجحه الحافظ ابن حجر[٥].

ويظهر لي أنه هو الصواب، وقد تقدم أن البخاري قد خرج في صحيحه لمحمد بن سلام عن جرير بن عبد الحميد. وأما محمد بن يوسف البيكندي فلا قرينة على أنه هو المراد هنا، ولا سيما أن البخاري لم يكثر عنه كما تقدم عند ذكر حديثه. فلعلَّ تسميته بذلك من قبل بعض الرواة، ولذا ردَّه الجياني، والله أعلم.

---

(١) الفتح (٥/٤٨).

(٢) الفتح (٥/٦٦).

(٣) تقييد المهمل (٣/١٠٢٩).

(٤) الفتح (٥/٦٦).

(٥) الفتح (١٢/٤٨).

[٢٤١٦] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش...» (الخصومات) باب ٤، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٢٨].

[٢٤٥٠] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبد الله...» (المظالم) باب ١١، هو ابن مقاتل كما تقدم عند الحديث رقم [١٠٣٣].

[٢٥٠٧] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا وكيع...» (الشركة) باب ١٦، هو ابن سلام كما جزم بذلك ابن السكن وغيره[١]. ويؤيده أن الإمام البخاري خرج في صحيحه لمحمد بن سلام عن وكيع عدة أحاديث كما تقدم عند ذكر مواضع رواية البخاري لمحمد بن سلام.

[٢٥٥٢] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر...» (العتق) باب ١٧.

ذهب الحاكم إلى أنه الذهلي، ونسبه ابن السكن محمد بن سلام. قال أبو علي الجياني: «وما ذكره الحاكم أشبه»[٢]. وهذا الذي اعتمده المزي حيث ذكر الذهلي ضمن الرواة عن عبد الرزاق وأشار إليه بالرمز (خ).

قال الحافظ ابن حجر: «ويشبه عندي أن يكون محمد في الموضعين هو محمد بن رافع، فإن البخاري أخرج عنه عن عبد الرزاق غير ذلك»[٣].

وما ذكره الحافظ ابن حجر فيه نظر. فإنَّ البخاري لم يخرج لمحمد بن

---

(١) انظر هدي الساري (ص٢٥٣).

(٢) تقييد المهمل (٣/١٠٤٩).

(٣) هدي الساري (ص٢٥٣).

رافع عن عبد الرزاق شيئاً مصرحاً باسمه، ولذا لم يذكره المزي في التهذيب فيمن روى عن عبد الرزاق عند البخاري، والله أعلم.

[٢٦٦٦] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية...» (الشهادات) باب ١٩، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٢٨].

[٢٧٥٦] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا مخلد بن يزيد...» (الوصايا) باب ١٥، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [١١٩]. وكذلك وقع هنا في بعض روايات الصحيح[١].

[٢٨١٣] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبدة عن هشام بن عروة...» (الجهاد) باب ١٨. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٤٣٤]. وكذلك وقع هنا في بعض روايات الصحيح[٢].

[٣٠٨٩] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا وكيع...» (الجهاد) باب ١٩٩، جزم الحافظ ابن حجر بأنه ابن سلام[٣]. وقد تقدم أن البخاري يحدث عن محمد بن سلام عن وكيع في عدة مواضع.

[٣١٦٨] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا ابن عيينة عن سليمان الأحول...» (الجزية والموادعة) باب ٦، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٤٣].

[٣١٧٢] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا وكيع عن

---

(١) الفتح (٥/٤٥٣).

(٢) الفتح (٦/٣٧).

(٣) الفتح (٦/٢٢٥).

الأعمش...» (الجزية والموادعة) باب ١٠، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٣٠٨٩]، وكذلك وقع هنا في بعض روايات الصحيح[١].

[٣٢١٠] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا ابن أبي مريم...» (بدء الخلق) باب ٦، اختلف رواة الصحيح في هذا الإسناد، فمنهم من أثبت اسم محمد هنا، ومنهم من أسقطه[٢].

وعلى رواية من أثبته قيل: هو الذهلي[٣]. وقال أبو ذر الهروي بعد أن ساقه: محمد هذا هو البخاري.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا هو الأرجح عندي، فإنَّ الإسماعيلي وأبا نعيم لم يجدا الحديث من غير رواية البخاري فأخرجاه عنه، ولو كان عند غير البخاري لما ضاق عليهما مخرجه[٤].

وصنيع المزي في التحفة يدل على أنه يرى ذلك، حيث جعل الحديث للبخاري عن ابن أبي مريم[٥].

[٣٢٢٤] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا مخلد...» (بدء الخلق) باب ٧، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٩١١].

[٣٢٧٢] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبدة...» (بدء

---

(١) الفتح (٦/٣١٦).

(٢) الهدي (٢٥٠).

(٣) تقييد المهمل (٣/١٠٤٧).

(٤) الفتح (٦/٣٥٧).

(٥) التحفة (١٢/٢٥).

الخلق) باب ١١، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث [٤٣٤]. وكذلك نسبه هنا ابن السكن وجزم به أبو نعيم وغيره(١).

[٣٣٨٠] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عبد الله...» (الأنبياء) باب ١٧، هو ابن مقاتل كما تقدم عند الحديث [١٠٣٣].

[٣٣٨٣] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عبدة...» (الأنبياء) باب ١٩، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث [٤٣٤] وقد وقع في اليونينية منسوباً كذلك.

[٣٤٢١] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا سهل بن يوسف...» (الأنبياء) باب ٣٩، قال الكلاباذي: سألت أبا أحمد الحافظ – وهو أبو أحمد الحاكم– عنه فقال: هو ابن المثنى(٢).

وذكر الحافظ ابن حجر احتمال أن يكون ابن بشار(٣)، فقد روى عن سهل في صحيح البخاري كما تقدم في حديث محمد بن بشار.

وأما ابن السكن فنسبه إلى ابن سلام(٤). وهو الذي جزم به الحافظ ابن حجر في الفتح(٥). ولا أعلم حجة لمن قال: إنه ابن المثنى. والله أعلم.

[٣٤٦٣] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد حدثني حجاج حدثنا

---

(١) الفتح (٦/٣٩٢).

(٢) الهداية والإرشاد (١/٣٢٥).

(٣) الهدي (ص٢٥٠).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الفتح (٦/٥٢٧).

جرير...» (الأنبياء) باب ٥٠.

أشار الحافظ ابن حجر إلى أن بعضهم ذكر أن محمداً هنا هو البخاري[١]. وحجاج بن منهال من شيوخ البخاري.

وهذا يشكل عليه أن البخاري علقه عن حجاج بن منهال في موضعٍ آخر[٢]. مما يدل على أنه لم يسمع منه هذا الحديث، إلا على قول من يجوز أن يعلق الإمام البخاري عن بعض شيوخه ما سمعه منهم[٣].

وقد ذهب الحاكم –كعادته– إلى أن محمداً هنا هو الذهلي[٤].

ونسبه ابن السكن في روايته عن الفربري فقال: محمد بن معمر.

قال الجياني: «محمد بن معمر هذا مشهور بالرواية عن حجاج بن منهال»[٥].

ولم أقف لمحمد بن معمر هذا على رواية عن حجاج بن منهال في صحيح البخاري، ولم يذكر المزي حجاجاً في شيوخ محمد بن معمر. ويحتمل أن يكون محمد هنا هو ابن المثنى، فإنه يروي عن حجاج بن منهال[٦]. والله أعلم.

---

(١) فتح الباري (٥٧٩/٦) شرح حديث رقم [٣٤٦٤].

(٢) صحيح البخاري (الجنائز) باب ٨٣، وانظر: تعليق التعليق (٤٩٤/٢-٤٩٥).

(٣) فتح الباري (٥٥/١٠).

(٤) الهدي (ص٢٥٠).

(٥) تقييد المهمل (١٠٤١/٣).

(٦) تهذيب الكمال (٣٥٩/٢٦).

[٣٤٦٤] قال الإمام البخاري: «وحدثني محمد حدثنا عبد الله بن رجاء...» (الأنبياء) باب ٥١.

أشار الحافظ ابن حجر إلى أن بعضهم ذكر أن محمداً هنا هو البخاري[١]. وأيد من ذهب إلى ذلك أن عبد الله بن رجاء من شيوخ البخاري في مواضع من صحيحه. وجوز آخرون أن يكون محمد هو الذهلي[٢]. وجزم الحاكم بأنه محمد بن عبد الرحيم المعروف بصاعقة[٣]. والله أعلم.

[٣٥١٤] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عبد الوهاب الثقفي...» (المناقب) باب ٦.

خرج الإمام مسلم هذا الحديث في صحيحه عن محمد بن بشار ومحمد ابن المثنى عن عبد الوهاب، وهما من شيوخ البخاري كما تقدم، فيحتمل أنهما المراد هنا. وجوز آخرون أن يكون ابن سلام، وقد تقدم أن البخاري في مواضع عدة يروي عنه عن عبد الوهاب الثقفي. وجوز الحافظ ابن حجر أن يكون محمد بن عبد الله بن حوشب، لأن البخاري يروي عنه أيضاً عن عبد الوهاب الثقفي[٤].

وغلَّط الحافظ ابن حجر من قال: إن محمداً هنا هو الذهلي، وذلك أن الذهلي لا يروي عن عبد الوهاب الثقفي.

---

(١) فتح الباري (٦/٥٧٩).

(٢) المرجع السابق، وانظر: تقييد المهمل (٣/١٠٤٥).

(٣) التعديل والتجريح للباجي (٢/٨١٩).

(٤) الفتح (٦/٦٢٩).

[٣٥١٨] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا مخلد بن يزيد...» (المناقب) باب ٨، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم **[٩١١]**.

[٣٨١٥] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عبدة عن هشام ابن عروة...» (مناقب الأنصار) باب ٢٠، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم **[٤٣٤]**، وبذلك جزم الحافظ ابن السكن هنا.

[٣٩١١] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي...» (مناقب الأنصار) باب ٤٥. نسبه ابن السكن إلى ابن بشار بندار(١)، وقد تقدم أن الإمام البخاري روى عنه عن عبد الصمد. وذكر أبو نعيم احتمالاً آخر وهو أن يكون ابن المثنى(٢). وجزم الحافظ ابن حجر أنه ابن سلام(٣).

ولم أعرف ما الذي اعتمد عليه الحافظ في ذلك، حيث لم يرو البخاري في صحيحه لابن سلام عن عبد الصمد بخلاف ابن بشار، فكونه المراد هنا هو الأولى، والله أعلم.

[٤٠٧٧] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا أبو معاوية عن هشام...» (المغازي) باب ٢٥، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم **[٢٢٨]**، وبذلك جزم الحافظ ابن حجر هنا(٤).

[٤٠٩٤] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا

---

(١) الهدي (ص٢٥١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الفتح (٧/٢٩٤).

(٤) الهدي (ص٢٥٢).

سليمان التيمي...» (المغازي) باب ٢٨. هو ابن مقاتل كما تقدم عند الحديث رقم [١٠٣٣].

[٤١١٥] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا الفزاري وعبدة عن إسماعيل بن أبي خالد...» (المغازي) باب ٢٩. جزم الحافظ ابن حجر بأنه ابن سلام، وذكر أنه نسبه كذلك بعض رواة الصحيح(١). وقد تقدم أن البخاري روى في عدة مواضع في صحيحه عن محمد بن سلام عن مروان بن معاوية الفزاري وعبدة بن سليمان.

[٤١٤٥] قال الإمام البخاري: «وقال محمد حدثنا عثمان بن فرقد...» (المغازي) باب ٣٤. نسب في بعض روايات البخاري كما في اليونينية ابن عقبة، وكذلك ذكر الحافظ ابن حجر(٢). ونسبه ابن السكن إلى ابن مقاتل. قال الجياني: «وهذا عندي بعيد»(٣).

وقيل: ابن سلام(٤). والأول أولى إن كانت النسبة الواقعة في بعض الروايات ليست من قبل بعض الرواة عن الفربري، وإلا فالأمر محتمل. وانظر ما تقدم عند الحديث رقم [٢٢١٢].

[٤٢٥٧] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد عن سفيان بن عيينة...»

---

(١) المرجع السابق (ص٢٥٣).

(٢) الفتح (٧/٥٠٣).

(٣) تقييد المهمل (٣/١٠٣٥).

(٤) الهدي (ص٢٥٢).

(المغازي) باب ٤٣. جزم الحافظ ابن حجر بأنه ابن سلام(١)، وانظر ما تقدم عند الحديث رقم [٢٤٣].

[٤٤٠٠] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد حدثنا سريج بن النعمان...» (المغازي)باب ٧٧. جزم الحافظ ابن حجر هنا بأنه ابن رافع، وبذلك نسبه أبو ذر الهروي في روايته لهذا الحديث(٢)، وقد تقدم ذكر الاختلاف في نسبته عند الحديث رقم [١٦٠٤].

[٤٤٣٨] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا عفَّان عن صخر بن جويرية...» (المغازي) باب ٨٣، جزم الحاكم بأن محمداً هو الذهلي(٣)، وذكر الحافظ ابن حجر أن ذكر محمد سقط من رواية ابن السكن(٤). ولعل ابن السكن ظنَّ أن محمداً هو البخاري، لأن عفان من شيوخه، وقد وقع لابن السكن نحو ذلك في مواضع أخرى(٥).

[٤٤٧٩] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن ابن المبارك...» (التفسير) سورة البقرة، باب ٥. ذكر الحافظ ابن حجر أن ابن السكن نسبه فقال: محمد بن سلام(٦).

---

(١) الفتح (٥٨٢/٧).

(٢) الهدي (ص٢٥٠).

(٣) الهدي (ص٢٥٢).

(٤) المرجع السابق.

(٥) انظر ما سيأتي في الحديث [٤٥٤٥].

(٦) الفتح (١٥/٨).

قال الحافظ ابن حجر: «ويحتمل عندي أن يكون محمد بن يحيى الذهلي، فإنه يروي عن عبد الرحمن بن مهدي أيضاً».

وقال أبو علي الجياني: «الأشبه أنه محمد بن بشار أو محمد بن المثنى»[١].

وقد تقدم أن البخاري روى في مواضع عدة من صحيحه عن محمد بن بشار وابن المثنى عن ابن مهدي. ولذلك يظهر لي أنَّ هذا القول أولى، والله أعلم.

[٤٥١٩] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد قال أخبرني ابن عيينة عن عمرو...» (التفسير) سورة البقرة، باب ٣٤. هو ابن سلام كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر[٢]، وانظر ما تقدم عند الحديث رقم **[٢٤٣]**.

[٤٥٤٥] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا النُّفيلي حدثنا مسكين...» (التفسير) سورة البقرة، باب ٥٤. أسقط ابن السكن في روايته ذكر محمد، قال الحافظ ابن حجر: «الصواب إثباته، ولعلَّ ابن السكن ظنَّ أنَّ محمداً هو البخاري فحذفه، وليس كذلك».

وقد اختلف في شيخ البخاري «محمد» من هو؟ فقال الكلاباذي: «أُراه ابن يحيى الذهلي»[٣]، وقال الحاكم: «هو محمد بن إبراهيم البوشنجي»[٤].

---

(١) تقييد المهمل (١٠٢٦/٣).

(٢) الهدي (ص٢٥٠).

(٣) الهداية والإرشاد (٤٢٥/١).

(٤) التعديل والتجريح للباجي (٦١٨/٢).

وذكر أبو نعيم احتمالاً آخر: وهو أن يكون محمد بن إدريس الرازي أبا حاتم[1]، وذكر أنه روى هذا الحديث عن النفيلي، والله أعلم.

[٤٥٨٣] قال الإمام البخاري: حدثنا محمد أخبرنا عبدة عن هشام...» (التفسير) سورة النساء، باب ١٠. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٤٣٤].

[٤٦٢٠] قال الإمام البخاري: «زادني محمد عن أبي النعمان...» (التفسير) سورة المائدة، باب ١١. وقع منسوباً في رواية أبي ذر: «البيكندي»، وهو محمد بن سلام البيكندي كما في اليونينية والفتح. ورجح أبو علي الجياني أن يكون الذهلي[2]، والأول أولى، والله أعلم.

[٤٦٧٧] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد حدثنا أحمد بن أبي شعيب...» (التفسير) سورة براءة، باب ١٨. سقط ذكر محمد من رواية ابن السكن[3]، ولعل ذلك وقع منه مثل ما تقدم عند الحديث رقم [٤٤٣٨].

وقال الحاكم: «هو محمد بن النضر بن عبد الوهاب، أو محمد بن إبراهيم البوشنجي»[4]. وقال أبو علي الجياني: «والذي عندي أنه محمد بن يحيى الذهلي، لثبوت الحديث بعينه في علل حديث الزهري لمحمد بن يحيى

---

(١) الهدي (ص٢٥١).

(٢) تقييد المهمل (٣/١٠٤٦).

(٣) الهدي (ص٢٤٩).

(٤) التعديل والتجريح (١/٣٢٩).

الذهلي»[١].

قال الحافظ ابن حجر: والبخاري يستمد منه كثيراً – أي كتاب علل حديث الزهري–، وهو يهمل نسبه غالباً[٢]. وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن البيهقي أيضاً جزم بأن محمداً هنا هو الذهلي[٣]، والله أعلم.

[٤٦٨٩] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عبدة...» (التفسير) تفسير سورة يوسف، باب ٢، نسبه البخاري إلى ابن سلام في الموضع الآخر الذي ذكر فيه هذا الحديث، وهو الحديث رقم **[٣٣٨٣]**.

[٤٨٧٣] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا غندر حدثنا شعبة...» (التفسير) سورة اقتربت الساعة، باب ٤. روى الإمام مسلم هذا الحديث في صحيحه عن شيخيه محمد بن المثنى ومحمد بن بشار[٤].

ولذا جوّز بعضهم أن يكون أحدهما هو المراد بمحمد في إسناد البخاري هنا[٥].

وجوَّز الحافظ ابن حجر أن يكون محمد بن الوليد البُسري أو محمد بن أبان البلْخي[٦]، بناءً على أن كليهما روى البخاري عنهما عن غندر كما تقدم عند ذكر حديثهما.

وذكر الحافظ أيضاً احتمالاً آخر: وهو أن يكون المراد به هنا محمد بن

---

(١) انظر: تقييد المهمل (١٠٣٩/٣).

(٢) الفتح (١٩٤/٨).

(٣) الهدي (ص٢٥٠).

(٤) صحيح مسلم (٥٦٥/١)، (صلاة المسافرين) حديث رقم [٨٢٤].

(٥) انظر: الفتح (٤٨٥/٨).

(٦) الهدي (ص٢٥٢).

يحيى الذهلي، لأنه قد سمع من غندر[1]. وأولى هذه الأقوال هو القول بأنه محمد بن بشار أو ابن المثنى، لأنه ثبت أنهما رويا هذا الحديث عن غندر. وانظر ما تقدم في الحديث رقم [١٩٨٦].

[٤٨٧٥] قال الإمام البخاري: «وحدثني محمد حدثنا عفّان بن مسلم عن وهيب...» (التفسير) سورة اقتربت الساعة، باب ٥.

قال أبو علي الجياني: «لعله محمد بن يحيى الذهلي»، وبذلك جزم الحافظ ابن حجر[2]. وقد وقع لابن السكن مثل ما تقدم في الحديث رقم [٤٤٣٨].

[٤٩٣٥] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش...» (التفسير) سورة عم يتساءلون، باب ١، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٢٨].

[٥٠٩٨] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبدة عن هشام...» (النكاح) باب ١٩، هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٤٣٤].

[٥٢٦٥] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة...» (الطلاق) باب ٧. تقدم قريباً أنه ابن سلام كما في الحديث رقم [٢٢٨].

[٥٢٨٣] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبد الوهاب حدثنا

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الفتح (٤٨٦/٨).

خالد...» (الطلاق) باب ١٦. يحتمل ما تقدم عند الحديث رقم [٣٥١٤].

[٥٣٣٠] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عبد الوهاب حدثنا يونس...» (الطلاق) باب ٤٤. جزم الحافظ ابن حجر بأنه ابن سلام[١]، وانظر: الحديث السابق.

[٥٣٨٨] قال الإمام البخاري:«حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية حدثنا هشام...»(الأطعمة) باب ٨.هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٢٨].

[٥٤٨٧] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا ابن فضيل عن بيان...» (الذبائح والصيد) باب ١٠. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٠٤١].

[٥٦٥٢] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا مخلد عن ابن جريج...» (المرضى) باب ٦. هو ابن سلام كما صرح به البخاري نفسه حين روى هذا الحديث في كتابه الأدب المفرد[٢].

[٥٧١٨] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عتّاب بن بشير عن إسحاق...» (الطب) باب ٢٦. نقل الكلاباذي عن شيخه أبي أحمد الحاكم النيسابوري أنه قال: «هو ابن سلام البخاري»[٣]، وهو ظاهر صنيع المزي[٤].

وذكر الحافظ ابن حجر أنه كذلك نسبه أبو ذر الهروي في روايته

(١) الفتح (٩/٣٩٣).

(٢) فضل الله الصمد (١/٥٩٧) رقم [٥٠٦].

(٣) الهداية والإرشاد (٢/٥٩٨).

(٤) تهذيب الكمال (١٩/٢٨٧).

للصحيح[1].

ولكن الحافظ فسره بالذهلي في الفتح ولم يذكر غير ذلك[2]. ولم أقف على ما يؤيد هذا التفسير، ولم يُذكر عتاب بن بشير في شيوخ الذهلي، فالمعتمد أنه ابن سلام كما تقدم. والله أعلم.

[٥٧٧٩] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا أحمد بن بشير أبو بكر...» (الطب) باب ٥٦. وقع منسوباً في رواية أبي ذر الهروي إلى ابن سلام كما في اليونينية والفتح[3]، وبذلك جزم المزي في التهذيب[4].

[٥٧٨٥] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عبد الأعلى عن يونس...» (اللباس) باب ٢. تقدم أنه يحتمل ابن سلام وكذلك يحتمل أن يكون ابن المثنى، كما تقدم عند الحديث رقم [١٧٠٦] [5].

[٥٨٢٢] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد قال أخبرني مخلد...» (اللباس) باب ٢١. جزم الحافظ ابن حجر بأنه ابن سلام[6]، وقد تقدم عند الحديث رقم [٩١١] بيان ذلك.

[٥٨٣٩] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا وكيع أخبرنا

---

(١) الهدي (ص٢٥١).

(٢) الفتح (١٠/١٨٢).

(٣) الفتح (١٠/٢٥٩).

(٤) (١/٢٧٤).

(٥) انظر: الفتح (١٠/٢٦٧).

(٦) الفتح (١٠/٢٩٠).

شعبة...» (اللباس) باب ٢٩. نسبه ابن السكن في روايته إلى ابن سلام[١]، وبذلك جزم المزي[٢]. وانظر ما تقدم عند الحديث رقم [٢٥٠٧].

[٥٨٥٨] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا عيسى بن طهمان...» (اللباس) باب ٤١. هو ابن مقاتل كما تقدم عند الحديث رقم [١٠٣٣].

[٥٨٩٣] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عبدة أخبرنا عبيد الله بن عمر...» (اللباس) باب ٦٥. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٤٣٤].

[٥٩٢٠] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد قال أخبرني مخلد قال أخبرني ابن جريج...» (اللباس) باب ٧٢. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٩١١].

[٥٩٣٠] قال الإمام البخاري: «حدثنا عثمان بن الهيثم أو محمدٌ عنه عن ابن جريج...» (اللباس) باب ٨١. رجح الحاكم أن محمداً هنا هو الذهلي[٣]، وبذلك جزم الحافظ ابن حجر[٤].

[٥٩٤٠] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد حدثنا عبدة عن عبيد الله...» (اللباس) باب ٨٥. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم

---

(١) الفتح (١٠/٣٠٨).

(٢) تحفة الأشراف (١/٣٢٩).

(٣) تقييد المهمل (٣/١٠٤٦).

(٤) الفتح (١٠/٣٨٤).

[٤٣٤].

[٦٠٧٨] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبدة عن هشام بن عروة...» (الأدب) باب ٦٣. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٤٣٤].

[٦١٠٣] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد وأحمد بن سعيد قالا حدثنا عثمان بن عمر...» (الأدب) باب ٧٣. جزم الحافظ ابن حجر هنا أنه الذهلي(١)، وقد تقدم عند الحديث رقم [١٧٥٣] أن الأقرب أن يكون ابن بشار بندار، بل قال الحافظ هناك: «هو المعتمد».

[٦١١٢] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا إسماعيل بن جعفر...» (الأدب) باب ٧٥. هو ابن سلام(٢)، فإن البخاري يروي عنه عن إسماعيل بن جعفر كما تقدم.

[٦١٣٠] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية حدثنا هشام...» (الأدب) باب ٨١. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٢٨].

[٦١٥٠] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا عبدة أخبرنا هشام بن عروة...» (الأدب) باب ٩١. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٤٣٤].

---

(١) الفتح (١٠/٥٣١).

(٢) الهدي (ص٢٥٠).

[٦٢٣٢] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا مخلد أخبرنا ابن جريج...» (الأدب) باب ٥. وقع التصريح بنسبته إلى ابن سلام عند أبي ذر الهروي كما في اليونينية والفتح، وقد تقدم أيضاً عند الحديث رقم [٩١١] أن محمداً الراوي عن مخلد في صحيح البخاري هو ابن سلام.

[٦٣٧٧] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية أخبرنا هشام بن عروة...» (الدعوات) باب ٤٦. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٢٨].

[٦٤٣٧] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا مخلد أخبرنا ابن جريج...» (الرقاق) باب ١٠. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٩١١]، وقد نسب كذلك في بعض روايات الصحيح[١].

[٦٥٠١] قال الإمام البخاري: «وحدثني محمد أخبرنا الفزاري وأبو خالد الأحمر...» (الرقاق) باب ٣٨. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٤١١٥]، وقد نسب كذلك في بعض روايات الصحيح[٢].

[٦٦٣١] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد أخبرنا عبدة عن هشام بن عروة...» (الأيمان والنذور) باب ٣. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٤٣٤].

[٦٦٤٠] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق...» (الأيمان والنذور) باب ٣. نسبه بعض رواة الصحيح إلى ابن سلام، وبذلك جزم الحافظ ابن حجر[٣]، وقد تقدم في ترجمة ابن سلام أن

---

(١) الفتح (١١/٢٦٠).

(٢) الفتح (١١/٣٤٩).

(٣) الفتح (١١/٥٣٨)، الهدي (ص٢٥٠).

البخاري حدث عنه عن أبي الأحوص.

[٦٦٦٥] قال الإمام البخاري: «حدثنا عثمان بن الهيثم أو محمدٌ عنه عن ابن جريج...» (الأيمان والنذور) باب ١٥. تقدم عند الحديث رقم [٥٩٣٠] أنه الذهلي على ما ذهب إليه الحاكم وغيره.

[٦٧٥٨] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا جرير عن منصور...» (الفرائض) باب ٢٢. هو ابن سلام على الراجح كما تقدم عند الحديث رقم [٢٣٨٥].

[٦٨٧٧] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبد الله بن إدريس عن شعبة...»(الديات) باب ٥ .نسبه ابن السكن إلى ابن سلام(١)،وبذلك جزم المزي(٢).

ويحتمل أن يكون محمد بن عبد الله بن نمير، فيشبه أن يكون - كما تقدم- قد روى البخاري عنه عن عبد الله بن إدريس، وقد نسب الحافظ هذا الرأي إلى الكلاباذي(٣)، ولم أقف عليه. والله أعلم.

[٧٠١٢] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية أخبرنا هشام...» (التعبير) باب ٢١. ذكر الحافظ ابن حجر أنَّ في بعض روايات الصحيح نسب محمد إلى ابن العلاء أبي كريب، ولا دليل لهذه النسبة، فإن المعروف بالرواية عن أبي معاوية في صحيح البخاري هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٢٨]، ولذا قال الحافظ ابن حجر: «الظاهر أنه ابن سلام حيث أهمله»(٤).

---

(١) الفتح (٢٠٩/١٢).

(٢) التحفة (٤١٩/١).

(٣) الفتح (٢٠٩/١٢).

(٤) الهدي (ص٢٥٢).

[٧٠٧٢] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر...» (الفتن) باب ٧. تقدم عند الحديث رقم [٢٥٥٢] ذكر الخلاف في نسبته، وأن الأقرب أن يكون الذهلي.

[٧١٩٧] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا عبدة حدثنا هشام بن عروة...»(الأحكام) باب ٤١ .هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٤٣٤].

[٧٢٣٤] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا عبدة عن ابن أبي خالد...» (التمني) باب ٦. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٤٣٤].

[٧٣١٧] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية حدثنا هشام...» (الاعتصام) باب ١٣. هو ابن سلام كما تقدم عند الحديث رقم [٢٢٨].

[٧٣٧٥] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب...» (التوحيد) باب ١.

قال الحافظ ابن حجر: «سقط ذكر «محمد» عند أكثر رواة الصحيح وثبت في بعض النسخ»[1]. وعلى رواية من أثبت ذكر محمد فقد قال الكلاباذي: «أحسبه ابن يحيى الذهلي»[2].

قال الحافظ ابن حجر: «وعلى رواية الأكثر فمحمد هو البخاري المصنف، والقائل «قال محمد»، هو محمد الفربري»[3].

[٧٣٧٦] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية عن

---

(١) الفتح (٣٦٨/١٣). وانظر: الهدي (ص٢٥٠).

(٢) الهداية والإرشاد (٣٥/١).

(٣) الفتح (٣٦٨/١٣).

الأعمش...» (التوحيد) باب ٢. هو ابن سلام كما وقع منسوباً في بعض الروايات كما في اليونينية والفتح، وقد تقدم ذلك عند الحديث رقم [٢٢٨].

[٧٤٧٠] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد الحذاء...» (التوحيد) باب ٣١. يحتمل ما تقدم عند الحديث رقم [٣٥١٤] أن يكون محمد بن بشار أو محمد بن المثنى، وقد جاء في اليونينية أنه ابن سلام. وقد وقع في التحفة للمزي (١٢٧/٥) أن البخاري روى هذا الحديث عن محمد بن عبد الله عن الثقفي، والصواب: «محمد» من غير نسبة.

الفصل الثاني:من قال فيه الإمام البخاري:«حدثنا محمد بن عبد الله» :

[٢٦٩٣] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي وإسحاق بن محمد الفَروي»:(الصلح) باب ٣.

وقع هذا الحديث في بعض روايات الصحيح بإسقاط «محمد بن عبد الله» فصار الحديث عن البخاري عن عبد العزيز وإسحاق، وهما من شيوخ البخاري في الصحيح. وقد يروي عن إسحاق بواسطة[١].

وعلى أكثر الروايات التي فيها إثبات «محمد بن عبد الله» فقال الحاكم: هو الذهلي[٢].

نسبه البخاري إلى جده. وكذلك جزم المزي[٣].

---

(١) الفتح (٣٥٤/٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) تهذيب الكمال (٥٧٨/٢٥-٥٧٩).

[٢٨٠٩] وقال الإمام البخاري: «حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا حسين بن محمد أبو أحمد». (الجهاد) باب ١٤.

جزم أبو نصر الكلاباذي بأنه محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي. نسبه البخاري إلى جده[(١)].

ووقع في رواية ابن السكن «محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي».

قال الحافظ ابن حجر: إن لم يكن ابن السكن نسبه من قبل نفسه وإلا فما قاله –أي الكلاباذي– هو المعتمد.

وأيد الحافظ أنه الذهلي بأن ابن خزيمة روى هذا الحديث عن محمد بن يحيى الذهلي بهذا الإسناد.

وهو الذي اعتمده المزي، حيث ذكر حسين بن محمد المروزي ممن يروي عنهم الذهلي ورمز له (خ).

ويترجح مما تقدم أن محمد بن عبد الله هنا هو الذهلي. وما ذكره ابن السكن فيظهر أنه نسبه إلى ما ظهر له، والله أعلم.

[٤٢٧٣] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا حماد بن مسعدة...» (المغازي) باب ٤٥.

قيل: هو محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي[(٢)].

وقال الكلاباذي: يقال هو محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي النيسابوري، نسبه البخاري إلى جده[(٣)].

وجزم البرقاني بذلك[(٤)]. والله أعلم.

---

(١) رجال صحيح البخاري (١/١٧٢-١٧٣).

(٢) الفتح (٧/٥٩٢).

(٣) الهداية والإرشاد (١/٢٠٢).

(٤) الفتح (٧/٥٩٢).

[٤٧٢٩] قال الإمام البخاري: «حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا المغيرة...الحديث وعن يحيى بن بكير عن المغيرة مثله». (التفسير) سورة الكهف، باب ٦.

جزم الحافظ ابن حجر بأنه محمد بن يحيى الذهلي. نسبه إلى جد أبيه.

وهو ظاهر صنيع الحافظ المزي، حيث ذكر الذهلي فيمن يروى عن سعيد بن الحكم ابن أبي مريم ورمز له برمز البخاري (خ) [١].

وقوله: «وعن يحيى بن بكير» هو معطوف على سعيد ابن أبي مريم كما قال الحافظ ابن حجر[٢]. فيكون شيخ البخاري محمد بن عبد الله له في هذا الحديث شيخان: سعيد ابن أبي مريم ويحيى بن بكير.

وقد رجح المزي أن الإمام الذهلي هو المعنيُّ في الرواية هنا عن يحيى بن بكير[٣].

[٤٨٠٧] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد بن عبد الله حدثنا محمد ابن عبيد الطنافسي عن العوام...». (التفسير) تفسير سورة ص، باب ١.

قال الكلاباذي: أُراه ابن يحيى بن عبد الله الذهلي[٤].

وبذلك جزم محمد بن طاهر ابن القيسراني[٥] والمزي أيضاً[٦].

وذكر الحافظ ابن حجر عن بعضهم احتمالاً آخر وهو أنه يكون محمد ابن عبد الله بن المبارك المخرمي فإنه من هذه الطبقة[٧]. والله أعلم.

(١) تهذيب الكمال (١٠/٣٩٤).

(٢) الفتح (٨/٢٨٠).

(٣) تهذيب الكمال (٢٥/٥٧٩).

(٤) رجال صحيح البخاري (٢/٦٦٥).

(٥) الجمع بين رجال الصحيحين (ص٤٦٥).

(٦) تهذيب الكمال (٢٥/٥٧٨-٥٧٩).

(٧) الفتح (٨/٤٠٦).

[٦٧٢٢] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد بن عبد الله حدثنا عثمان ابن عمر بن فارس». (كفارات الأيمان) باب ١٠.

يرى الحافظ ابن حجر أنه لا يمكن تعيين شيخ البخاري هنا لأن جماعة من شيوخه يشتركون في هذا الاسم «محمد بن عبد الله»[١]، ونسبه الحافظ ابن حجر إلى المزي –ولم أقف عليه– أنه جزم بأن محمد بن عبد الله هنا هو الذهلي[٢]. ويؤيد ذلك أن الحافظ ابن الجارود روى هذا الحديث عن محمد ابن يحيى الذهلي عن عثمان بن عمر به[٣]. والله أعلم.

[٦٧٨٥] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد بن عبد الله حدثنا عاصم ابن علي...». (الحدود) باب ٩.

قال أبو عبد الله الحاكم: هو عندي محمد بن يحيى بن عبد الله[٤] –يعني الذهلي–، وهو ظاهر صنيع الحافظ المزي في التهذيب[٥].

وذكر الحافظ ابن حجر أنه يحتمل غيره من شيوخ البخاري ممن اسمه محمد بن عبد الله[٦].

[٦٩٠٨] قال الإمام البخاري: «حدثني محمد بن عبد الله حدثنا محمد ابن سابق...». (الديات) باب ٢٥.

قال الكلاباذي يقال إنه محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي[٧]. وبذلك جزم الحافظان المزي[٨]وابن حجر[٩].

---

(١) الفتح (٦٢٣/١١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المنتقى رقم [٣٣٨].

(٤) التعديل والتجريح (٩٩٦/٣).

(٥) (٥١٠/١٣).

(٦) الفتح (٨٧/١٢).

(٧) رجال صحيح البخاري (٦٥١/٢).

(٨) تهذيب الكمال (٥٧٩/٢٥).

(٩) الفتح (٢٦٢/١٢).

الفصل الثالث: من قال فيه الإمام البخاري: «حدثنا محمد بن خالد»:

ورد بهذا الاسم في صحيح البخاري في المواضع التالية:

[١٩٥٢] (الصوم) باب ٤٢، وجاء فيه: «حدثنا محمد بن خالد حدثنا محمد بن موسى بن أعين».

[٥٧٣٩] (الطب) باب ٣٥، وجاء فيه: «حدثنا محمد بن خالد حدثنا محمد بن وهب بن عطية».

[٧١٥٥] (الأحكام) باب ١٢، وجاء فيه: «حدثنا محمد بن خالد حدثنا الأنصاري محمد حدثنا أبي».

[٧٥١١] (التوحيد) باب ٣٦، وجاء فيه: «حدثنا محمد بن خالد حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل».

ذهب أبو نصر الكلاباذي إلى أنه محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد الذهلي[١] الإمام المعروف، فيكون نسبه إلى جد أبيه.

وممن قال بهذا القول أيضاً أبو مسعود الدمشقي وغيره.

وكذلك ذهب إليه الإمام المزي[٢]، وقال الحافظ ابن حجر: «هو الراجح»[٣].

قال الإمام المزي: «وقيل: إنه محمد بن خالد بن جَبَلة الرَّافقي، وليس هذا القول بشيء»[٤].

---

(١) الهداية والإرشاد (٢/٦٨٧).

(٢) تهذيب الكمال (٢٦/٦٢٢).

(٣) الفتح (٤/٢٢٧).

(٤) تهذيب الكمال (٢٥/١٥٦).

الخاتمة

بتوفيق الله وهدايته وتيسيره تمَّ هذا البحث، وقد ازددت فيه معرفة بصحيح الإمام البخاري، وازداد يقيني برفعة هذا الكتاب ومؤلفه، وتوصلت إلى عدة نتائج، منها:

١- شيوخ البخاري المحمدون في صحيحه ستون شيخاً أو يزيد. يتفاوتون في قدر إخراج البخاري لهم، فمنهم الذي أكثر الإمام البخاري الرواية عنه كمحمد ابن سلام وابن بشار وابن المثنى وابن مقاتل والفريابي وغيرهم. ومنهم من لم يرو عنه إلا القليل كمحمد بن الصلت بن الحجاج والتَّوّزي، ومحمد بن عبَّاد المكي ومحمد بن عبد الله بن أبي الثَّلج وغيرهم.

٢- المواضع التي وقع فيها الإهمال في شيوخ البخاري المحمدين اجتهد العلماء في بيانها، وقد اختلفوا في تعيينه في مواضع منها، وهذا الاختلاف لا يؤثر، لأنَّ كلهم ثقات.

٣- قد يقع اسم بعض المهملين في بعض الروايات منسوباً، والذي يترجح أنَّ هذه النسبة من رواة كتاب الصحيح بعد الفربري، كابن السكن وغيره.

٤- ممَّا زاد الإهمال الواقع في بعض شيوخ البخاري إشكالاً في بعض المواضع كون الإمام البخاري واسمه – محمد – يحتمل أن يكون هو المهمل، ويكون الراوي عنه وهو الفربري هو الذي يقول: «حدثنا محمد». وهذا يرد إذا كان شيخ البخاري المهمل «محمد» يروي عمن هو من شيوخ البخاري، فيرد هنا احتمال أن يكون «محمد» هنا هو البخاري، وهذا مثبت في البحث في مواضع من الفصل الأول من الباب الثاني.

هذه أهم النتائج التي توصلت إليها، أسأل الله أن أكون قد وفقت في خدمة السنة النبوية، في أصح كتابٍ بعد كتاب الله تعالى. وأسأله جل وعلا العفو عمَّا وقع فيه من خلل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

- الأدب المفرد – المطبوع مع شرحه فضل الله الصمد = فضل الله الصمد.
- أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه الذين ذكرهم في الجامع للحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: د. بدر العماش. الناشر: دار البخاري. الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط. دار الكتب العلمية – بيروت.
- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ أبي الحجاج المزّي، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، ط. المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- تدوين السنة النبوية، د. محمد بن مطر الزهراني. ط. مكتبة الصديق – الطائف – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- تسمية المشايخ الذين روى عنهم البخاري في صحيحه للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: نظر محمد الفريابي، ط. مكتبة الكوثر – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- التعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: د. أبو لبابة حسين. ط. دار اللواء – الرياض الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوّامة

ط. دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

- تقييد المهمل للحافظ أبي علي الجيّاني الغسّاني، تحقيق: علي العمران – محمد عزيز شمس، ط. دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني، الناشر: دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ أبي الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عوّاد، ط. مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ.
- الجامع الصحيح – صحيح البخاري – للإمام محمد بن إسماعيل البخاري-الطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣١١هـ، اعتنى بها: د. محمد زهير الناصر. (دار طوق النجاة).
- الجمع بين رجال الصحيحين لأبي الفضل محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني-الناشر: دار الكتب العلمية الطبقة الثانية: ١٤٠٥ هـ.
- ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عند البخاري للحافظ أبي الحسن الدارقطني، تحقيق: بوران الضّناوي –كمال يوسف الحوت، ط. مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي، أشرف على التحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط. مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.

- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للحافظ شمس الدين السَّخاوي، تحقيق: د. عبد الكريم الخضير، د. محمد بن عبد الله آل فهيد، الناشر: مكتبة دار المنهاج – الرياض – الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ.
- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للبخاري، تأليف: فضل الله الجيلاني، الناشر: المكتبة السلفية، ط: ١٣٧٨هـ.
- المدخل إلى الصحيح للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: د. ربيع بن هادي المدخلي. الناشر: مكتبة الفرقان – عجمان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.
- المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للحافظ أبي محمد ابن الجارود النيسابوري، الناشر: مطبعة الفجالة الحديثة – القاهرة.
- النكت على كتاب ابن الصلاح للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. ربيع بن هادي المدخلي، ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ.
- هدي الساري – مقدمة فتح الباري = فتح الباري.

فهرس الموضوعات

الموضوع ... الصفحة

تَأْثِيرُ سَمَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْمَدْعُوِّينَ

إِعْدَادُ :

د . مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التُّرْكِيِّ

الأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ بِكُلِّيَّةِ الآدَابِ وَالْعُلُومِ الإِنسَانِيَّةِ فِي جَامِعَةِ طَيْبَةَ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وجعله سراجًا منيرًا للسالكين سبيله، ويسر لنقله إلينا من اختاره ووفقه من أئمة الهدى، فوصل إلينا غضًّا كما أنزل، لم تصل إليه يد التبديل والتحريف، ولم تطمح إلى النيل منه أطماع الجاحدين والمعاندين، فكان ذلك مصداقًا لقوله جلَّ ذِكره في كتابه الحكيم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر ((٩))

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، بعثه الله في الأمة الأمية، فعلمها ونصحها، فقامت بحفظ كتاب ربِّها، ونقلته إلينا كما أنزل، على أدق أوجه التحري والإتقان .

أما بعد :

فالقرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى الذي تكلم به وأوحاه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الملك جبريل عليه السلام ، فهو الهدى والنور وهو الشفاء، وهو الذكر الذي به تطمئن القلوب، من حكم به عدل، ومن استهدى به هدي، ومن استشفى به شفي بإذن الله، عزَّ به أول هذه الأمة، ولا يعز آخرها إلا به .

فالقرآن من عند الله عز وجل،لا دخل لأيِّ بشرية فيه ، لا من محمد صلى الله عليه وسلم ولا من غيره، فلقد فات بيان القرآن طاقة بلغاء الجاهلية، وكانت له خصائص ظاهرة تجعل كل مقتدر بليغ مبين، وكل متذوق للبلاغة والبيان لا يملك إلا الإقرار له بأنه من غير جنس ما يعهده سمعه وذوقه، وأن مبلغه إلى الناس نبي مرسل، وأنه لا يطيق أن يختلقه أو يفتريه؛ لأنه بشر لا يدخل في قدرته إلا ما يدخل مثله في قدرة البشر، وأنه إن تقوّل غير ما أمر بتبليغه وتلاوته

بان للبشر كذبه، وحق عليه قول منزله من السماء سبحانه ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ الحاقة ٤٤–٤٧ .

ولقد اهتم السلف والخلف من هذه الأمة بكتاب ربها، فتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي، وتلقفه الصحابة رضي الله عنهم منه فحفظوه وفهموه وعملوا به، ثم جاءت من بعدهم الأجيال المتعاقبة، جيل من بعد جيل، فألفت فيه التآليف الكثيرة، فكتب في أول ما نزل وآخر ما نزل، وأخرى في ناسخه ومنسوخه وأخرى في محكمه ومتشابهه، وكتبٌ في التفسير بأنواعه، بالإضافة إلى كتب في فضائله، ولو رجعنا إلى محتوى أيّ كتاب من هذه الكتب لوجدنا الأبواب والفصول الكثيرة التي لا تكاد تحصى، حتى إنه لم يترك شيء يتعلق بالقرآن الكريم إلا دُرس وأُلِّف فيه، وما ذلك الحفظ إلا لحفظ الله له الذي ذكره بقوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(الحجر: ٩) .

فلا يخفى ما للقرآن العظيم من مكانة عند المسلمين، فهو كتاب ربهم وشرعه ودستوره الذي ارتضاه للناس إلى يوم الدين، وهو معجزة نبيهم التي تحدى بها العرب والعجم .

وقد لقي القرآن الكريم من المسلمين على مر العصور أبلغ العناية، وحظي بأقصى درجات الحرص والحيطة، فكان أهل كل عصر يجتهدون في المحافظة عليه بشتى الوسائل التي تتاح لهم، فلم يخل عصر من العصور، ولم يخل مصر من الأمصار، من حامل للقرآن، يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، كما لم يخل من مصحف شريف، سطرت فيه آيات القرآن، وحفظت من التحريف.

ففي زمن النبي، اجتهد صلوات الله وسلامه عليه في حفظ القرآن الكريم، حتى كان يعجل بحفظ القرآن حال نزوله عليه، إلى أن طمأنه الله بأن تحفيظه

مضمون عليه ، فقال ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة ١٧ – ١٩ ، كما حفظ القرآن خلائق لا يحصون من أصحابه رضي الله عنهم .

وتبرز أهمية القرآن الكريم بأنه من كلام رب العالمين وبما احتواه من إعجاز في لغته وأسلوبه وطرائق توجيهاته وإرشاداته في العبادات والأخلاق وإصلاح المجتمع . إضافة إلى توجيهاته في النواحي القضائية والمالية وفي تنظيم الأسرة والحقوق والواجبات وفي كل ما يهم الفرد والمجتمع، وإن من ضمن خصائص القرآن الكريم دقة ألفاظه وبلاغة معانيه وسهولة حفظه وحب تلاوته إضافة إلى معالجته للقضايا الإنسانية.

والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل .

المبحث الأول

تأثير سماع القرآن الكريم في المشركين

فكان القران آية خارقة للمعهود من سنن الاجتماع البشري في تأثيره بالتبع لكونه آية معجزة للبشر في لغته وأسلوبه.

وبعد أن قلّب حياة العرب في الجزيرة العربية من جهل إلى علم، ومن شرك إلى توحيد، ومن فرقة وفوضى إلى اجتماع وتنظيم، اندفعوا كالسيل الأتي على الأقطار من نواحي الجزيرة كلها، فأطاحوا بعروش الأكاسرة والقياصرة أعظم ملوك الأرض واقتلعوا جذور الشرك والظلم ونشروا التوحيد والحق والعدل ودخل الناس في دين الله أفواجاً مختارين الاهتداء بهذا القرآن، لا جرم أن سبب هذا كله هو تأثير القرآن العظيم بهذا الأسلوب الذي نراه في المصحف فقد كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجاهد به الكافرين كما أمره ﴿ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾الفرقان ٥٢ .

قال الفخر الرازي: وأما قوله ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبيراً ﴾ فقال بعضهم: المراد بذل الجهد في الأداء والدعاء، وقال بعضهم: المراد القتال، وقال آخرون: كلاهما، والأقرب الأول؛ لأن السورة مكية، والأمر بالقتال ورد بعد الهجرة بزمان وإنما قال ﴿ جِهَاداً كَبيراً ﴾ لأنه لو بعث في كل قرية نذيراً لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تلك المجاهدات وكثر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له ﴿ وَجَاهِدْهُمْ ﴾ بسبب كونك نذير كافة القرى ﴿ جِهَاداً كَبيراً ﴾ جامعاً لكل مجاهدة .[1]

(١) . ينظر: التفسير الكبير جـ٢٤/٨٧ .

وقال العلامة أبو السعود: أي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق والتشدد معهم ،كأنه نهيٌ لرسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة، لما أنه _ صلى الله عليه وسلم _ كان يود أن يدخلوا في الإسلام ويجتهد في ذلك بتأليف قلوبهم أشد الاجتهاد ﴿وَجَاهِدْهُمْ ﴾ أي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير أحوال الأمم المكذِّبة، ﴿ جِهَاداً كَبيراً﴾ فإن دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا، وقيل: الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة، وأنت خبير بأن مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة أصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير، اللهم إلا أن تجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من أحكام القرآن الكريم ملابساً بترك طاعتهم ،كأنه قيل فجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة ، وقد جعل الضمير لما دل عليه قول الله تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:٥١] من كونه صلى الله عليه وسلم نذير كافة القرى؛ لأنه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من أجل ذلك جهاده وعظم فقيل له صلى الله عليه وسلم وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى ﴿جِهَاداً كَبيراً﴾ جامعا لكل مجاهدة، وأنت خبير بأن بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد ،فإنه بين بنفسه وإنما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية .[١]

(١) . ينظر: إرشاد العقل السليم جـ٦/٢٢٥ .

ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير، والثاني الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه، ومعلوم أن جهاد المنافقين يكون بالحجة والقرآن، والمقصود أن سبيل الله هي الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به إلى الله .(١)

ثم كان يربي المؤمنين ويزكيهم، وبهدايته والتأسي بمبلّغه ربّوا الأمم وهذبوها، وقلما يقرؤه أحد كما كانوا يقرءون إلا ويهتدي به كما كانوا يهتدون، ثم حكموا الدنيا وساسوها بهذا القرآن الكريم؛ إذ لم يكن عندهم شيء من العلم بسياسة الأمم وإدارتها إلا هذا القرآن العظيم، والأسوة الحسنة بمبلِّغه ومنفذه الأول، وبسنته المطهرة أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم ، ولن يعود للمسلمين مجدُهم وعزّهم إلا إذا عادوا إلى هدايته.

لقد كان لهذا القرآن العظيم في حياة الناس مسلمهم وكافرهم تأثير بعيد الغور ، أما تأثيره في الكافرين فبنفوذ بلاغته وعظمة نظمه وأسلوبه في تقرير التوحيد وقوة حجته في ذلك ، ومن المعلوم أنهم كانوا يتفاوتون في الفهم تفاوتاً عظيماً لاختلاف درجاتهم في بلاغة اللغة وفهم المعاني العالية ، فهذا التأثير هو الذي أنطق الوليد بن المغيرة المخزومي بكلمته المشهورة لأبي جهل التي اعترف فيها بأنه الحق الذي يعلو، ولا يعلى، والذي يحطم ما تحته.

فأثره في المعاندين الذين صدوا عنه وأعرضوا ، وما نالهم وينالهم من الخسران المبين في الدنيا والآخرة ، قال تعالى واصفًا حالهم عند تلاوة القرآن عليهم ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا

(١) . ينظر: مفتاح دار السعادة جـ١/ ٧٠ .بإيجاز يسير .

إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال: ٣١) ، وقال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (لقمان: ٧)، وقال – عز وجل – ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٦) ، وقال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾(الأحقاف: ٧) ، وقال تعالى﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الجاثية: ٧–٨) ، فلما تلي عليهم القرآن وأدركوا قوته وَلَّوا وأعرضوا عنه ، وصمُّوا آذانهم، وأعموا أبصارهم، واتهموه بالسحر لَمَّا رأوا ما له من التأثير البالغ .

وقال بعد بيان حال المؤمنين وما أعدّ الله لهم من النعيم المقيم والفوز المبين ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ (الجاثية: ٣١)، وقال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الحج: ٧٢)، ولكن ليس لهم إلا الحسرة والندامة يوم القيامة، قال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الزمر: ٧١)، وبعد أن ذكر الله إقرارهم على أنفسهم بالكفر ذكر ندمهم واعترافهم بذنوبهم فقال ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ.فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك: ١٠–١١)، وقال عز وجل ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا

ضَالِّينَ. رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ . قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (المؤمنون: ١٠٥-١٠٨).

وهذا التأثير هو الذي كان يجذب رءوس أولئك الجاحدين المعاندين ليلاً لاستماع تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته على ما كان من نهيهم عنه ونأيهم عنه وتواصيهم وتقاسمهم بألا يستمعوا له ، ثم كانوا يتسللون فرادى مستخفين ويتلاقون في الطريق متلاومين .

وهذا التأثير أيضا هو الذي حملهم على منع أبي بكر الصديق ﷺ من الصلاة والتلاوة في المسجد الحرام ليلاً ، لما كان لتلاوته وبكائه في الصلاة من التأثير الجاذب إلى الإسلام ، وعللوا ذلك بأنه يفتن نساءهم وأولادهم ، بل هذا التأثير هو الذي حملهم على صدّ النّبي صلى الله عليه وسلم بالقوة عن تلاوة القرآن الكريم في البيت الحرام، وفي أسواق الموسم ومجامعه، وعلى نواصيهم بما حكاه الله عنهم في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾. (فصلت: ٢٦).

فكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعوه، فهذا من هجرانه، وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه .

قال الرازي: فكان إذا تكلم رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ في أول هذه السورة بهذه الألفاظ ما فهموا منها شيئاً، والإنسان حريص على ما منع، فكانوا يصغون إلى القرآن ويتفكرون ويتدبرون في مقاطعه ومطالعه رجاء أنه ربما

جاء كلام يفسر ذلك المبهم ويوضح ذلك المشكل، فصار ذلك وسيلة إلى أن يصيروا مستمعين للقرآن ومتدبرين في مطالعه ومقاطعه .[١]

فمن إعجاز القرآن العظيم قوة تأثيره على النفوس والقلوب فإنه ينفذ إلى القلب نفوذ السهم في الرمية، ويسيطر على العقول سيطرة الشمس على أفق الظلام كما شهد بذلك الموالي والمعادي، حتى إن الرجل العادي . فضلاً عن المتعلم . ليسمع القرآن فيجد من نفسه جاذبية عظيمة تجذبه إليه قسراً، يعرف أن هذا ليس من كلام البشر .

فشهادة الوليد بن المغيرة أبلغ فصحاء العرب في القرآن قد أعيت حيل القرشيين في محاربة القرآن بتكذيبه وإطفاء نوره والحد من تأثيره في قلوب سامعيه حينما اجتمعوا عنده يتشاورون فيما يمكن عمله لإبطال سحر البيان في هذا القرآن المعجز الذي كانت وفود القبائل الآتية إلى مكة للحج تستمع إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهو يرتله فيبلغ تأثير القرآن أعماق نفوسهم ويروعهم أسلوبه ومعناه، وحارت قريش في أمرها وكيف يصدون هذه القبائل عن الاجتماع بمحمد والاستماع لرسالته، فكانوا يقولون لهم مرة إنه كاهن، ومرة أخرى يقولون عنه أنه ساحر ومرة ثالثة يقولون عنه إنه شاعر.ولكن عقلاء القبائل ما كانت في قرارة نفسها تصدق هذا الكلام المناقض .

فقد سمع الوليد بن المغيرة عم أبي جهل القرآن مرة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقال لقومه من بني مخزوم: لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه

(١) . ينظر: التفسير الكبير جـ٢/١٠.

لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو، وما يعلى .

قال إسحاق بن راهوايه : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه ، فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله ، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً ، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له ، قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : قف عني حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره ، فنزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا.وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا .وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ.كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ.ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ (المدثر ١١ – ٢٥) [١]

---

(١) . أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، رقم " ٣٨٧٢" وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه .ا .هـ ينظر: المستدرك على الصحيحين جـ٢/٥٥٠ .

وقد رواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلاً أنه قرأ عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل ٩٠) .(١)

وأقبل الوليد على القوم بوجهه ، وظن القوم أن الوليد سيقف موقف الداعي لهذا الدين الجديد؛ فالأمر ليس ببعيد ؛ فمِن قَبْله ذهب عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتله ، وعاد من عنده مسلماً ، ولكن الوليد خيّب ظنهم فلم يكن إقباله عليهم إقبال المخلص الداعي لهذا الدين الجديد.بل كان المخلص الداعي لدينهم .

ويتكلم الوليد .. يصيح فيهم بأن قولوا في الرجل قولةً واحدةً .. ولا تختلفوا حتى لا يظهر كذبكم، ويعرض القوم آراءهم : نقول ساحر .. نقول شاعر .. نقول كاهن .. نقول كاذب .. والوليد لا يجد الوصف مناسباً فيردّه ، ويُسند إليه الأمر : قُل أنت يا أبا عمارة نسمع .

ويصمت الوليد .. يجولُ بفكره .. يحاول أن يجد نقيصة في الرجل أو في منهجه ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ يحاول الوليدُ ويحاول .. ولكن أنّى له ؟ ! فالرجل هو الصادق الأمين ، ومنهجه هو هو الذي وصفه من قبل بأن له حلاوة وعليه طلاوة .

قال ابن كثير: وفي ذلك قال الله تعالى إخباراً عن جهلهم وقلة عقلهم ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء:٥]، فحاروا ماذا يقولون فيه فكل شيء يقولونه باطل؛ لأن من خرج

(١) . أخرجه البيهقي في دلائل النبوة جـ٢/١٩٨.

عن الحق مهما قال أخطأ ، قال الله تعالى ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٩].(١)

وعن جابر بن عبد الله قال اجتمعت قريش للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولينظر ما يرد عليه.قالوا ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، قالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة.فقال يا محمد أنت خير أم عبد الله.فسكت رسول الله.ثم قال أنت خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت.وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك.إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا ففضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً.وأن في قريش كاهنا.والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى بأن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فنزوجك عشراً ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرغت ؟ قال : نعم ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حم . تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١: ١٣] فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا ، قال : لا ، فرجع إلى قريش، فقالوا ما وراءك.قال ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته ، قالوا : هل أجابك ؟ قال : نعم ، والذي نصبها بينة ما فهمت شيئا مما قال غير أنه قال : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة

(١) . ينظر: البداية والنهاية جـ٣/٦٢ .

عاد وثمود ، قالوا : ويلك يكلمك رجل بالعربية لا تدري ما قال ، قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة "(١)

وقال محمد بن إسحاق: حدثني داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن، وهو يصلي تفرقوا عنه، وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلي يسترق السمع دونهم فرقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم، ولم يستمع، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذي يستمع أنهم لم يستمعوا شيئا من قراءته وسمع من دونهم أشاح له يستمع، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ فلا يستمع من أراد أن يستمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به ﴿ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾.(٢)

فلم يزل يقرعهم النبي صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتكذيب والإغراء بالافتراء، وقد سمع أعرابي رجلا يقرأ ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]، فسجد فقيل له في ذلك.فقال سجدت لفصاحة هذا الكلام .

(١) . أخرجه أبو يعلى في مسنده، رقم ط١٨١٨" جـ٣/٣٤٩، وعبد بن حميد في مسنده، رقم "١١٢١"جـ١/٣٣٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي وثقة ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقيه رجاله ثقات .ا.هـ ينظر: مجمع الزوائد جـ٦/٢٠ .

(٢) . ينظر: سيرة ابن إسحاق جـ٤/١٨٦، البداية والنهاية جـ٣/٦١، الخصائص الكبرى للسيوطي جـ١/١٨٨.

وكان موضع التأثير في هذه الجملة هو كلمة [اصدع] في إبانتها عن الدعوة والجهر بها والشجاعة فيها، وكلمة ﴿بما تؤمر﴾ في إيجازها وجمعها، وسمع آخر رجلا يقرأ ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف:٨٠]، فقال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام[١]، وكون النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به وأن العرب عجزوا عن معارضته مما علم بالضرورة إجمالا وتصدى أهل علم البلاغة لتفصيله، قال السكاكي: واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، أو كالملاحة.[٢]

وقال الحليمي: ومن عظم قدر القرآن أنه تعالى خصه بأنه دعوة وحجة ولم يكن مثل ذلك لنبي قط، إنما كان لكل منهم دعوة ثم يكون له حجة غيرها، وقد جمعها الله لرسوله _ صلى الله عليه وسلم _ في القرآن، فهو دعوة بمعانيه حجة بألفاظه.وكفى الدعوة شرفا أن يكون حجتها معها.وكفى الحجة شرفا أن لا تنفصل الدعوة عنها .[٣]

وجمع كل شيء.ومن ذلك الإخبار بالمغيبات.وكان ما كان منها على طبق ما أخبر به.وكذلك الإخبار عن القرون السالفة كقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام.وقصة أهل الكهف.وقصة ذي القرنين والأمم الماضية كقصص الأنبياء مع أممهم .

ومن أحوالهم الدالة على تأثير القرآن فيهم أنه ربما وصلت آيات منه إلى مسمع أشدهم عداوة للإسلام فإذا به يتحول إلى أشدهم له مودة ، ويلقي وراء

---

(١) . ينظر: السيرة الحلبية جـ٣/٣٤٥ .

(٢) . ينظر: البرهان للزركشي جـ١/٣١١، الإتقان جـ٢/٤٧٨ .

(٣) . ينظر: فيض القدير جـ٤/٥٣٦ .

ظهره كل ما كان يكنه من عداوة وبغض للإسلام ونبيه ، بل ويتقدم مبايعاً موقناً أن هذه الكلمات ليست من قول بشر ، حدث هذا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ خرج ذات مساء متوشحاً سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطًا من أصحابه في بيت عند الصفا ، سمع أنهم مجتمعون فيه ، فقابله أحد أصحابه وعرف مقصده، فقال له : غرتك نفسك يا عمر ، أفلا رجعت إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ، فسأله عمر وقد رابه ما سمع : أي أهل بيتي تعني ؟ فأخبره أن صهره (وابن عمه) سعيد بن زيد قد أسلم ، وكذلك أسلمت زوجته أخت عمر فاطمة بنت الخطاب ، فذهب إليها عمر مغيظاً محنقاً ، وهنا سمع خباباً يتلو عليهما القرآن ، فاقتحم الباب وبطش بصهره وبأخته فاطمة ، ثم أخذ الصحيفة التي لمح أخته تخفيها عند دخوله ، فلما قرأ صدراً منها من سورة طه قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ، ثم ذهب من فوره إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعلن إسلامه.فكبر النبي تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه أن عمر قد أسلم وأعز الله به الإسلام.(١)

قال الدكتور أكرم ضياء العمري في عرضه لقصة إسلام عمر رضي الله عنه : أما قصة استماعه القرآن يتلوه الرسول صلى الله عليه وسلم في صلاته قرب الكعبة وعمر مستخف بأستارها، وكذلك قصته مع أخته فاطمة حين لطمها لإسلامها، وضرب زوجها سعيد بن زيد ، ثم اطلاعه على صحيفة فيها آيات وإسلامه ، فلم يثبت شيء من هذه القصص من طريق صحيحة ، ولكن الحافظ ابن حجر ذكر أن الباعث له على دخوله الإسلام ما سمع في بيت أخته فاطمة

(١) . ينظر: السيرة النبوية لابن هشام جـ٢/١٨٨، الكامل في التاريخ جـ١/٦٠٢ .

من القرآن.(1)، ولا شك أن القرآن ببيانه الساحر، وروعة تصويره لمشاهد القيامة، وصفة الجنة والنار كان له تأثير في اجتذاب عمر إلى صف المسلمين؛ لأن عمر كان يتذوق الكلام البليغ ويعجب به، وعدم ثبوت الروايات حديثيا لا يعنى حتمية عدم وقوعها تاريخيا)(2) .

وعندما رأى المشركون تأثير القرآن فيمن يستمع إليه، كان طريقهم لمقاومته، هو الحيلولة بمختلف الوسائل بين القرآن والناس، مهما كلفهم ذلك من تضحية، فتواصوا بعدم سماعه، وكانوا يلاقون القبائل الواردة إلى مكة في المواسم، يحذرونهم منه، ويحكي القرآن الكريم ذلك عنهم في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ فصلت ٢٦ .

كلمة كان يوصي بها الكبراء من قريش أنفسهم ويغرون بها الجماهير؛ وقد عجزوا عن مغالبة أثر القرآن في أنفسهم وفي نفوس الجماهير، وهي مهاترة لا تليق، ولكنه العجز عن المواجهة بالحجة والمقارعة بالبرهان ، ينتهي إلى المهاترة ، عند من يستكبر على الإيمان .

وما ذلك إلا لأنهم أدركوا تأثير هذا القرآن فيهم وفي أتباعهم، وهم يرون هؤلاء الأتباع كأنهم يسحرون بين عشية وضحاها بالآيات يسمعون إليها، فتنقاد إليها النفوس، وتهوي إليها الأفئدة.

هذا ، ولقد كان بعض الكبراء من قريش يأتون ليلاً خفية يستمعون تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن كما جرى ذلك لأبي جهل وأبي سفيان وغيرهما، وهذه القصص وأمثالها تدل دلالة ظاهرة على تأثير القرآن في النفوس

(١) . يشير إلى ما ذكره ابن حجر في الفتح جـ٧/١٧٦ .

(٢) . ينظر: السيرة النبوية الصحيحة ١/١٨٠، ١٨١

وأخذه بمجامع القلوب، ولكن هذا التأثير قد لا يظهر لكل أحد ، إنما يظهر لمن كان له ذوق ومعرفة بأساليب الكلام وبلاغة اللسان.

نعم لقد كان كبراء قريش يستمعون إلى القرآن ، ولكنهم يجاهدون قلوبهم ألا ترق له ، ويمانعون فطرتهم أن تتأثر به ؛ فجعل الله بينهم وبين الرسول حجاباً خفياً ، وجعل على قلوبهم أغلفة فلا تفقه القرآن ، وجعل في آذانهم وقرا فلا تعي ما فيه من توجيه ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥:٤٧] وقد رُوِيَ في السيرة عن محمد بن مسلم ابن شهاب عن الزهري أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس ابن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته ؛ فأخذ كل واحد منهم مجلساً يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا ، فقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قاله أول مرة ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ؛ فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس ابن شريق أخذ عصاه ،

ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، قال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به ، قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ؛ فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا سمعت ؟ قال : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه ! قال : فقام عنه الأخنس وتركه.(١)

فهكذا كان القوم تتأثر بالقرآن الكريم فطرتهم فيصدونها، وتجاذبهم إليه قلوبهم فيمانعونها ، فجعل الله بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم حجاباً خفياً لا يظهر للعيون ولكن تحسه القلوب ، فإذا هم لا ينتفعون به ، ولا يهتدون بالقرآن الذي يتلوه . وهكذا كانوا يتناجون بما أصاب قلوبهم من القرآن ، ثم يتآمرون على عدم الاستماع إليه؛ ثم يغلبهم التأثر به فيعودون ، ثم يتناجون من جديد ، حتى إنهم ليتعاهدون على عدم العودة ليحجزوا أنفسهم عن هذا القرآن المؤثر الجذاب الذي يخلب القلوب والألباب! ذلك أن عقيدة التوحيد التي يدور عليها هذا القرآن كانت تهددهم في مكانتهم وفي امتيازاتهم وفي كبريائهم فينفرون منها، قال تعالى ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء:٤٦]، نفوراً من كلمة التوحيد، التي تهدد وضعهم الاجتماعي ، القائم على أوهام الوثنية وتقاليد الجاهلية ، وإلا فقد كان كبراء قريش أذكى من أن يخفى عليهم ما في عقائدهم من تهافت ، وما في

(١) . ينظر: السيرة النبوية لابن إسحاق جـ٤/١٦٩، السيرة النبوية لابن هشام جـ٢/١٥٦ .

الإسلام من تماسك ، وأعرف بالقول من أن يغيب عنهم ما في القرآن من سمو وارتفاع وامتياز . وهم الذين لم يكونوا يملكون أنفسهم من الاستماع إليه والتأثر به ، على شدة ما يمانعون قلوبهم ويدافعونها!

ولقد كانت الفطرة تدفعهم إلى التسمع والتأثر؛ والكبرياء تدفعهم عن التسليم والإذعان؛ فيطلقون التهم على الرسول يعتذرون بها عن المكابرة والعناد : ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء:٤٧] وهذه الكلمة ذاتها تحمل في ثناياها دليل تأثرهم بالقرآن الكريم؛ فهم يستكثرون في دخيلتهم أن يكون هذا قول بشر؛ لأنهم يحسون فيه شيئاً غير بشري، ويحسون دبيبه الخفي في مشاعرهم فينسبون قائله إلى السحر، يرجعون إليه هذه الغرابة في قوله، وهذا التميز في حديثه ، وهذا التفوق في نظمه . فمحمد إذن لا ينطق عن نفسه ، إنما ينطق عن السحر بقوة غير قوة البشر! ولو أنصفوا لقالوا : إنه من عند الله عز وجل ، فما يمكن أن يقول هذا إنسان ، ولا خلق آخر من خلق الله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر أنواعاً من إعجاز القرآن : وهذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له إعجازه من هذا الوجه، ومن لم يظهر له ذلك اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبي صلى الله عليه وسلم وإخباره بعجزهم فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد.[١]

فقد ثبت أن القرآن الكريم جذبهم إليه بقوته في مظاهر كثيرة نذكر بعضها على سبيل التمثيل:

(١) . ينظر: الجواب الصحيح جـ٥/٤٣٥ .

المظهر الأول: أن هؤلاء المشركين مع حربهم له ونفورهم مما جاء به كانوا يخرجون من جنح الليل البهيم يستمعون إليه والمسلمون يرتلونه في بيوتهم فهل ذاك إلا لأنه استولى على مشاعرهم ولكن أبى عليهم عنادهم وكبرهم وكراهتهم للحق أن يؤمنوا به.بل جاءهم بالحق.وأكثرهم للحق كارهون .

المظهر الثاني : أن أئمة الكفر من المشركين كانوا يجتهدون في صد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن قراءته في المسجد الحرام وفي مجامع العرب وأسواقهم.وكذلك كانوا يمنعون المسلمين من إظهاره حتى لقد هالهم من أبي أبكر أن يصلي به في فناء داره.وذلك لأن الأولاد والنساء كانوا يجتمعون عليه يستمتعون بلذة هذا الحديث.ويتأثرون به ويهتزون له .

المظهر الثالث: أنهم ذعروا ذعرا شديداً من قوة تأثيره ونفوذه إلى النفوس على رغم صدهم عنه واضطهادهم لمن أذعن له.فتواصوا على ألا يسمعوه وتعاقدوا على أن يلغوا فيه إذا سمعوه .

المظهر الرابع: أن بعض شجعانهم وصناديدهم كان الواحد منهم يحمله طغيانه وكفره وتحمسه لموروثه على أن يخرج من بيته شاهرا سيفه معلنا غدره ناويا القضاء على دعوة القرآن ومن جاء بالقرآن.فما يلبث حين تدركه لمحة من لمحات العناية وينصت إلى صوت القرآن في سورة أو آية حتى يذل للحق ويخشع ويؤمن بالله ورسوله وكتابه ويخضع، وإن أردت شاهدا على هذا فاستعرض قصة إسلام عمر وهي مشهورة، أو فتأمل كيف أسلم سعد بن معاذ سيد قبيلة الأوس هو وابن أخيه أسيد بن حضير رضي الله عنهم أجمعين، وإليك كلمة قصيرة عن إسلام سعد وأسيد فيها نفع كبير.(١)

---

(١) . ينظر: مناهل العرفان جـ٢/٢٩٦ .

تروي كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مكة قبل الهجرة أرسل مع أهل المدينة الذين جاؤوا وبايعوه بيعة العقبة مبعوثين جليلين يعلمانهم الإسلام وينشرانه في المدينة هما مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنهما وقد نجح هذان في مهمتهما نجاحا بالغا وكان لها تأثير بالغ جزع لمثله سعد بن معاذ سيد قبيلة الأوس حتى قال لابن أخيه أسيد بن حضير ألا تذهب إلى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا فتزجرهما، فلما انتهى إليهما أسيد قال لهما: ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا.ثم هددهما، وقال اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة، رضي الله عن مصعب فقد تغاضى عن هذا التهديد، وقال لأسيد في وقار المؤمن وثباته أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره، ثم قرأ مصعب القرآن وأسيد يسمع فما قام من مجلسه حتى أسلم ثم كر راجعا إلى سعد، فقال له: والله ما رأيت بالرجلين بأسا.فغضب سعد وذهب هو نفسه ثائرا مهتاجا.فاستقبله مصعب بما استقبل به أسيدا.وانتهى الأمر بإسلامه أيضا.ثم كر راجعا فجمع قبيلته.وقال لهم ما تعدونني فيكم.قالوا سيدنا وابن سيدنا.فقال سعد كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا، فأسلموا أجمعين .[(١)]

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى: ما أظن امرأ سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثم لا يزعم أنه لم يتأثر به: قد نقول: فلم يتأثر به؟ والجواب أنه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه.

---

(١) . ينظر: تاريخ ابن الوردي جـ١/١٠٤، عمدة القارئ جـ١٦/٢٦٧، مختصر السيرة لمحمد بن عبد الوهاب ص١١٨ .

إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يرد الصواب إلى أولئك جميعا، وكأنه يعرف ضائقة كل ذي ضيق، وزلة كل ذي زلل، ثم تكفل بإزاحتها كلها، كما يعرف الراعي أين تاهت خرافه، فهو يجمعها من هنا وهناك، لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحد منها... حتى الذين يكذبون بالقرآن ويرفضون الاعتراف بأنه من عند الله.. إنهم يقفون منه مثلما يقف الماجن أمام أب ثاكل! قد لا ينخلع من مجونه الغالب عليه، ولكنه يؤخذ فترة ما بصدق العاطفة الباكية، أو مثلما يقف الخلي أمام خطيب يهدر بالصدق، ويحدث العميان عن اليقين الذي يرى ولا يرون.. إنه قد يرجع مستهزئا، ولكنه يرجع بغير النفس التي جاء بها. (١)

هذا التأثير النفسي الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله هو من أظهر خصائص القرآن الكريم التي تبرز عند سماعه ، فيمضي سامعه في تفكير يملك عليه أقطار نفسه، فيفضي به إلى الإيمان إذا صفت نفسه واستقامت فطرته ، أو يفضي به إلى مزيد من العناد يدفع به هذا التأثير الغالب خشية الاقتناع به إذا كان السامع غليظ القلب جاحدا للحق مظلم النفس، وعندها يأتي من أبواب التدليس والكذب ما يعلل به هذا العناد.

ولكل مما ذكرنا مما يفضي إليه تأثير القرآن في نفوس سامعيه أمثلة:

فمن أمثلة التأثير المفضي إلى الإيمان ما أخرجه البخاري من حديث جبير ابن مطعم أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا

(١) . ينظر: نظرات في القرآن للغزالي ص١٢٧، ١٢٨

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴾ (الطور: ٣٥-٣٧) كاد قلبي أن يطير » [١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعال قوله: " كاد قلبي أن يطير" قال الخطابي : كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها، ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدركها بلطيف طبعه، ثم قال (فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير، ومال إلى الإسلام) [٢] .

أما التأثير الذي قوبل بالعناد لدفعه وعدم الاستسلام له، فمن أمثلته ما ذكره السيوطي وغيره من مجيء عتبة بن ربيعة إلى النبي صل الله عليه وسلم وكلامه إياه فيما جاء به قومه مما يخالف ما هم عليه، وأن النبي صل الله عليه وسلم تلا عليه سورة فصلت إلى قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ وعند ذلك أمسك عتبة بيده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف ، وأنه قام لا يدري بِمَ يراجع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال: والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط، فما دريت ما أقول له [٣] .

وعاند عتبة وظل على كفره، وكان من قتلى المشركين في بدر، ومن هذا القبيل كذلك ما ورد في شأن الوليد بن المغيرة .

إن الأثر الذي يحدثه القرآن أعظم من أن تقوم له من الأرض جبالها الرواسي ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١).

(١) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب تفسير سُورَةُ ﴿وَالطُّورِ﴾، رقم "٤٥٧٣" جـ٤/١٨٣٩ .

(٢) ينظر: فتح الباري جـ٨ / ٦٠٣ .

(٣) . يراجع في ذلك: الدر المنثور للسيوطي جـ٧/٣١٠، ٣١١

وفي طبيعة هذا الأثر لدى المؤمنين جاء قول الله تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر:٢٣).

وفي طبيعة هذا الأثر لدى المعاندين جاء قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ (الإسراء:٤١) ، وفي كليهما على طريق المقابلة جاء قوله تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء:٨٢) .

هذا هو أثر القرآن تنطق به آياته المباركة، وينطق به كذلك واقع الناس في كل وقت، ومازلنا نشاهد هذا الأثر في نفوس سامعيه: خشوعا وخضوعا للحق إذا صفت الفطرة واستقامت النفوس، وخوفا من سطوة هذا الأثر إذا أظلمت القلوب وأصرت على الكفر، فتتخذ حينئذ من أجل ذلك وسائل تحول بينها وبين هذا التأثير، قال الله تعالى﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (فصلت:٢٦).

ذلك هو ما اصطلح على تسميته – من بين وجوه إعجاز القرآن – بالإعجاز النفسي ، وهو موضع عناية علماء المسلمين من قديم ، قال القاضي عياض مشيرا إلى تأثير سماع القرآن في النفوس وهو يعد من وجوه الإعجاز : (ومنها : الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيئة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله ، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ، ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ، ويودون انقطاعه لكراهتهم

له...،وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا ، وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه ، وتصديقه به) (١) .

فالقرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وخاتمها، وأطولها، وأشملها، وهو الحاكم عليها؛ فهو مشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السماوية السابقة، ويزيد عليها من المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية، والقرآن فيه نبأ السابقين، واللاحقين، وفيه الحكم، والحكمة، والأحكام.

والقرآن هو الحاكم المهيمن على الكتب السابقة؛ فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما حكم عليه بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل.

والقرآن جاء في الذروة من الفصاحة والبلاغة والإعجاز؛ فهو معجز في لفظه، ومعناه، وفي فصاحته، وإخباره عن الغيوب السابقة واللاحقة، وهو معجز في حكمه وأحكامه وفي كل ما جاء به، ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة؛ لأنها دلَّت عليه، وبشَّرت به.

فالعمل إذاً يكون بالقرآن الكريم، ولا يُقبل من أحد دينٌ إلا ما جاء في هذا القرآن؛ فهو رسالة الله الأخيرة للبشرية، بل هو عامٌّ للجن والإنس؛ بخلاف الكتب السماوية الأخرى التي كانت خاصة بأقوام معينين، وفترات معينة.

ثم إن القرآن محفوظ من الزيادة ، والنقص ، والتحريف ؛ فلقد تكفل الله_سبحانه_بحفظه ، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:٩)، والذكر هو القرآن ، والسنة النبوية .

والقرآن له أثر عظيم في القلوب؛ فما يسمعه أحد وهو ملقٍ سمعه إلا يجد أن له تأثيراً عظيماً في نفسه، ولو لم يفهم معانيه أو دلالاته، حتى ولو لم يكن يعرف اللغة العربية ، وهذا سرٌّ من أسرار القرآن التي تبيِّن عظمته.

---

(١) . الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ١/ ٢٣٠، ٢٣١ بتصرف .

ثم إن القرآن له أبلغ الأثر في رُقي الأمم وفلاحها؛ فهو الذي أخرج الله به من أمة العرب أعلام الحكمة والهدى، وجعلهم خير أمة أُخرجت للناس، بعد أن كانوا يتخبطون في دياجير الجهالة.

ومن خصائص القرآن: أن عجائبه لا تنقضي، وأنه لا يَخْلَق من كثرة الرد؛ فكلما أكثر الإنسان من قراءته زادت حلاوته مرة بعد مرة.

ومن خصائصه: أن الله يسَّر تعلمه وحفظه؛ ولهذا فإن كثيراً من أطفال المسلمين يحفظونه كاملاً عن ظهر قلب.

ومن خصائصه: أنه مشتمل على أعدل الأحكام، وأعظمها، وأشرفها، وأشملها، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وأحاط بها إجمالاً وتفصيلاً، ويشهد بذلك كل منصف عاقل، حتى ولو لم يكن مسلماً.

إن الدعوة إلى دين الله تعالى وإلى شريعة الله لا تكون إلا بالطرق التي شرعها الله عز وجل ، ولا شك أن الدعوة بالقرآن والسنة هي أقرب وسيلة إلى القبول، لكن لا مانع من أن يكون لدى الإنسان أدلة عقلية يؤيد بها الكتاب والسنة؛ لأن من الناس من لا يؤمن بالأدلة السمعية أي: بالقرآن والسنة، لكن إذا أتته الأدلة العقلية اقتنع، وهذا موجود في القرآن، فإن الله تعالى يحاج بعض المشركين بالأدلة العقلية، وهذا إبراهيم قال لأبيه:﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾ [مريم:٤٢] فحاجه بالأدلة العقلية، وكذلك حاج قومه بذلك -بالأدلة العقلية- حين رأى كوكباً، فقال: هذا ربي، ورأى القمر فقال: هذا ربي، ورأى الشمس فقال: هذا ربي، وكلها لما غابت تبينت أنها ليست آلهة، وأما كون النصارى واليهود لا يؤمنون بالقرآن فلا يخالهم لا يؤمنون به، لكن لا يؤمنون بعموم الرسالة .

المبحث الثاني

تأثير سماع القرآن الكريم في أهل الكتاب

وجاءت دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام من بعد دعوة الناس كافة إلى عبادة ربهم عز وجل ، وهم من جملة الناس تأكيدا لتلك الدعوة؛ ولأنَّهم أحقُّ الناس بالاستجابة لها والدخول فيها سراعاً، قال تعالى ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (البقرة: ٤١) ولأنهم أعلم الناس حينذاك بصدق الدعوة المحمدية، وإذا ما آمن أهل الكتاب بالإسلام كان ذلك أدعى إلى دخول غيرهم فيه أفواجاً، لذلك بسطت آيات ذلك العقد بسطا، وعظم القول في أهل الكتاب ونَعَى عليهم كثيراً من أفاعيلهم وكتمانهم الحق وهم يعلمون ، وتبديلهم قولاً غير الذي قيل لهم، وتوليهم من بعد أخذ الميثاق عليهم أن يأخذوا ما آتاهم بقوة ، ويذكروا ما فيه، وإيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض، وكفرهم بالكتاب المصدق لما معهم، وإعلانهم الإيمان بما أنزل عليهم وكفرهم بما وراء ذلك ، ونبذهم كتاب الله وراء ظهورهم كأنَّهم لا يعلمون ، وودّهم ردّ المسلمين عن دينهم ، وإنكارهم تحويل القبلة، وكتمانهم ما أنزل الله تعالى من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب ، فكان هذا البسط اعتناءً بشأن دعوتهم إلى الإسلام.

وهذا القرآن الذي يعرف كل أحد أنه الكتاب الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مملوء من دعوة أهل الكتاب إلى أتباعه وتكفير من لم يتبعه منهم ولعنه كما جاء بتكفير من لم يتبعه من المشركين وذمه، فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ [النساء:٤٧]،

وفي القرآن الكريم من قوله ﴿يا أهل الكتاب﴾ ، ﴿يا بني إسرائيل﴾ ما لا يحصى إلا بكلفة .

وقال تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ [البينة:١]، ومثل هذا في القرآن كثير جداً، وقد قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٥٨]

فكان من أهل الكتاب من الذين أراد الله تعالى بهم خيرًا كانوا قد تأثروا عند سماع القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة:٨٣]. هؤلاء أقرب الناس مودة للذين آمنوا، الذين يتأثرون إذا سمعوا القرآن ثم يسلمون في النهاية ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾.

قال الرازي: الضمير في قوله ﴿ سَمِعُوا ﴾ يرجع إلى القسيسين والرهبان الذين آمنوا منهم، ﴿ وَمَا أُنزِلَ﴾ يعني القرآن، إلى الرسول يعني محمداً عليه الصلاة والسلام. قال ابن عباس يريد النجاشي وأصحابه،وذلك؛ لأن جعفر الطيار قرأ عليهم سورة مريم، فأخذ النجاشي تبنة من الأرض، وقال والله ما زاد على ما قال في الإنجيل مثل هذا وما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة.[1]

فإن النجاشي قد تأثر تأثراً بالغاً عند سماعه القرآن الكريم ، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن شِهَابٍ عن أبي بَكْرِ بن عبد الرحمن بن الحرث

(١) . ينظر: التفسير الكبير جـ١٢/٥٧ .

ابن هِشَامٍ المخزومي عن أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أبي أُمَيَّةَ ابن الْمُغِيرَةِ زَوْجِ النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بها خَيْرَ جَارٍ النجاشي، آمنا على دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللَّهَ لاَ نُؤْذَى، وَلاَ نَسْمَعُ شَيْئاً نَكْرَهُهُ، فلما بَلَغَ ذلك قُرَيْشاً ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إلى النجاشي فِينَا رَجُلَيْنِ جَلِدَيْنِ، وأن يهدوا للنجاشي هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ من مَتَاعِ مَكَّةَ، وكان من أَعْجَبِ ما يَأْتِيهِ منها إليه الأَدَمُ، فَجَمَعُوا له أَدَماً كَثِيراً ولم يَتْرُكُوا من بطاركته بِطْرِيقاً إلا أَهْدَوْا له هَدِيَّةً ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مع عبد اللَّهِ بن رَبِيعَةَ بن الْمُغِيرَةِ المخزومي، وَعَمْرِو بن الْعَاصِ بن وَائِلٍ السهمي وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادفعوا إلى كل بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قبل أن تُكَلِّمُوا النجاشي فِيهِمْ ثُمَّ قَدِّمُوا للنجاشي هَدَايَاهُ ثُمَّ سَلُوهُ أن يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قبل أن يُكَلِّمَهُمْ، قالت: فَخَرَجَا فقدما على النجاشي، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فلم يَبْقَ من بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إلا دَفَعَا إليه هَدِيَّتَهُ قبل أن يُكَلِّمَا النجاشي ثُمَّ قَالاَ لِكُلِّ بِطْرِيقٍ منهم إنه قد صبا إلى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَم يَدْخُلُوا في دِينِكُمْ وجاؤوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لاَ نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنْتُمْ وقد بَعَثَنَا إلى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فإذا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتُشِيرُوا عليه بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا وَلاَ يُكَلِّمَهُمْ فإن قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْناً وأعلم بِمَا عَابُوا عليهم فَقَالُوا لَهُمَا نعم، ثُمَّ أنهما قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إلى النجاشي فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالاَ له أَيُّهَا الْمَلِكُ: إنه قد صبا إلى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ولم يَدْخُلُوا في دِينِكَ وجاؤوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لاَ نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أنت وقد بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ من آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْناً وأعلم بِمَا عَابُوا عليهم وَعَاتَبُوهُمْ فيه، قالت ولم يَكُنْ شيء أَبْغَضَ إلى عبد اللَّهِ ابن أبي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بن الْعَاصِ من أن يَسْمَعَ النجاشي كَلاَمَهُمْ، فقالت بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعَلَى بِهِمْ

عَيْناً وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عليهم فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا فَلْيَرُدَّاهُمْ إلى بِلاَدِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قال فَغَضِبَ النجاشي ثُمَّ قال لا ها اللَّهِ أيم اللَّهِ إذاً لاَ أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا وَلاَ أَكَادُ قَوْماً جاوروني وَنَزَلُوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أَدْعُوَهُمْ فاسألهم ما يقول هَذَانِ في أَمْرِهِمْ فَإِنْ كَانُوا كما يَقُولاَنِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إلى قَوْمِهِمْ وإن كَانُوا على غَيْرِ ذلك مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ ما جاوروني قالت: ثُمَّ أَرسَلَ إلى أَصْحَابِ رسول اللَّهِ صل الله عليه وسلم فَدَعَاهُمْ فلما جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ثُمَّ قال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ما تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إذا جِئْتُمُوهُ؟ قالوا: نَقُولُ: والله ما عَلَّمَنَا وما أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنٌ في ذلك ما هو كَائِنٌ، فلما جاءه وقد دَعَا النجاشي أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ، فقال: ما هذا الدِّينُ الذي فَارَقْتُمْ فيه قَوْمَكُمْ، ولم تَدْخُلُوا في ديني وَلاَ في دِينِ أَحَدٍ من هذه الأُمَمِ؟ قالت: فَكَانَ الذي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بن أبي طَالِبٍ، فقال له: أَيُّهَا الْمَلِكُ كنا قَوْماً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ ونسيء الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا على ذلك حتى بَعَثَ الله إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إلى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ ما كنا نَحْنُ نعبد وَآبَاؤُنَا من دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الحديث وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَأَمَرَنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ قال فَعَدَّدَ عليه أُمُورَ الإِسْلاَمِ فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ على ما جاء بِهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فلم نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَحَرَّمْنَا ما حُرِّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا ما أُحِلَّ لنا فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عن دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إلى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ من عِبَادَةِ اللَّهِ وأن نَسْتَحِلَّ ما كنا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ ، فلما قَهَرُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا

إلى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ على من سِوَاكَ وَرَغِبْنَا في جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لاَ نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قالت : فقال له النجاشي : هل مَعَكَ مِمَّا جاء بِهِ عَنِ اللَّهِ من شيء ؟ قالت: فقال له جَعْفَرٌ: نعم. فقال له النجاشي فَاقْرَأْهُ علي فَقَرَأَ عليه صَدْراً من ﴿كهيعص﴾ قالت: فَبَكَى والله النجاشي حتى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حتى أخضلوا مَصَاحِفَهُمْ حين سَمِعُوا ما تَلاَ عليهم، ثُمَّ قال النجاشي: إن هذا والله والذي جاء بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ من مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ ، انطَلِقَا فَوَاللَّهِ لاَ أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَداً وَلاَ أَكَادُ ، قالت أُمُّ سَلَمَةَ : فلما خَرَجَا من عِنْدِهِ قال عَمْرُو ابن الْعَاصِ والله لأنبئنهم غَداً عَيْبَهُمْ عندهم ثُمَّ استأصل بِهِ خَضْرَاءَهُمْ، قالت فقال له عبد اللَّهِ بن أَبِي رَبِيعَةَ وكان أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا لاَ تَفْعَلْ فإن لهم أَرْحَاماً وَإِنْ كَانُوا قد خَالَفُونَا ، قال والله لأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابن مَرْيَمَ عَبْدٌ ، قالت : ثُمَّ غَدَا عليه الْغَدَ فقال له : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ في عِيسَى ابن مَرْيَمَ قَوْلاً عَظِيماً، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فيه قال فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عنه قالت: ولم يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فقال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ في عِيسَى إذا سَأَلَكُمْ عنه قالوا: نَقُولُ والله فيه ما قال الله وما جاء بِهِ نَبِيُّنَا كَائِناً في ذلك ما هو كَائِنٌ فلما دَخَلُوا عليه قال لهم ما تَقُولُونَ في عِيسَى ابن مَرْيَمَ فقال له جَعْفَرُ بن أَبِي طَالِبٍ نَقُولُ فيه الذي جاء بِهِ نَبِيُّنَا هو عبد اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قالت فَضَرَبَ النجاشي يَدَهُ إلى الأَرْضِ فَأَخَذَ منها عُوداً ثُمَّ قال: ما عَدَا عِيسَى ابن مَرْيَمَ ما قُلْتَ هذا الْعُودَ فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حين قال ما قال، فقال وإن نَخَرْتُمْ والله، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بأرضي وَالسُّيُومُ الآمِنُونَ من سَبَّكُمْ غُرِّمَ ثُمَّ من سَبَّكُمْ غُرِّمَ .."(١)

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم "١٧٤٠" جـ١/٢٠١، والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب:
=

فالنجاشي من وراء البحار والقفار، سمع دعوى النبوة، وصدق بنبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – بناءً عَلَى بديهة ونظر وحكمة، ولم يكن بناءً عَلَى معجزة، فلم ير عصى تنقلب حية، ولم ير يداً بيضاء، أو ميتاً ينشر كما كَانَ عيسى عليه السلام ، فكان للقرآن أثره البالغ على أفئدة قساوسة النصارى، قال تعالى ﴿قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً* وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [١٠٧-١٠٩:سورة الإسراء]، فهم قوم من أهل الكتاب لما سمعوا القرآن خروا سجداً وقالوا : سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً .

قال القرطبي: هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل .(١)

وقال ابن كثير: وهذه الصفات توجد في اليهود ولكن قليلا كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس.وأما النصارى منهم يهتدون وينقادون للحق .(٢)

فالله قد وعد على ألسنة أنبيائه ورسله أن يبعث في آخر الزمان نبياً عظيم الشأن يظهر دينه على الدين كله ، وتنتشر دعوته في أقطار الأرض ، وعلى رأس

السير، باب: الأسير يستعين به المشركون على قتال المشركين، رقم "١٨٢٠٧" جـ٩/١٤٤، وذكره الهيثمي في مجمعه، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إسحق وقد صرح بالسماع .ا.هـ ينظر: مجمع الزوائد جـ٦/٢٧.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن جـ١٠/٣٤١ .

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير جـ١/٤٤٤ .

أمته تقوم الساعة وأهل الكتابين مجمعون على أن الله وعدهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ، فالسعداء منهم عرفوا الحق فآمنوا به واتبعوه ، والأشقياء قالوا نحن ننتظره ولم يبعث بعد رسولا ، فالسعداء لما سمعوا القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم عرفوا أنه النبي الموعود به فخروا سجداً لله إيماناً به وبرسوله وتصديقاً بوعده الذي أنجزه، فرأوه عياناً فقالوا : سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً .

فهؤلاء القوم قد أوصل الله تعالى لهم المنفعة بالقرآن فاتعظوا به، فإن القول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا باستماعه والتدبر بالنظر والاعتبار والاستماع ، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص ٥١:٥٢]

قال ابن عطية: قال الجمهور: معناه واصلنا لهم في القرآن وتابعناه موصولاً بعضه ببعض في المواعظ والزجر والدعاء إلى الإسلام، قال الحسن : وفي ذكر الأمم المهلكة وصلت لهم قصة بقصة حسب مرور الأيام .(١)

وقال تعالى في أهل الكتاب ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، ذكر هنا من صفات هذه الطائفة المؤمنة من أهل الكتاب أنها قائمة، أي: مستقيمة على الحق وأنها تتلو آيات الله آناء الليل وتصلي وتؤمن بالله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وذكر في موضع آخر أنها تتلو الكتاب حق تلاوته وتؤمن بالله، وهو قوله﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾

(١) . ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز جـ٤/٢٩١ .

[البقرة:١٢١] وذكر في موضع آخر أنهم يؤمنون بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليهم، وأنهم خاشعون لله لا يشترون بآياته ثمنا قليلا، وهو قوله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ [آل عمران:١٩٩].

وذكر في موضع آخر أنهم يفرحون بإنزال القرآن، وغير ذلك من الآيات البينات التي تدل على تأثر أهل الكتاب بالقرآن الكريم، ومن ثم لم يترددوا في النطق بشهادة التوحيد، كما هو حال ابن سلام، ومخيريق، وغيرهما من مسلمة أهل الكتاب .

المبحث الثالث

تأثير سماع القرآن الكريم في المؤمنين

أما تأثيره في المؤمنين فكان كل من يدخل في الإسلام قبل الهجرة يلقن ما نزل من القرآن الكريم ليعبد الله بتلاوته ويعلم الصلاة ، ولم يفرض في مكة من أركان الإسلام غيرها فيرتل ما يحفظه في صلاته اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم إذ فرض الله عليه التهجد بالليل من أول الإسلام، قال تعالى في أول سورة المزمل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ ثم قال في آخرها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾(المزمل: ٢٠) أي في صلاة الليل وغيرها.

وقد قال تعالى في وصفهم ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾ (الفرقان: ٦٤) ، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ، تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة: ١٥– ١٦) .

ومما ورد في وصفهم رضي الله عنهم أن الذين كان يمر ببيوتهم ليلاً يسمع منها مثل دوي النحل من تلاوة القرآن العظيم .

وقد شدّد بعضهم على أنفسهم، فكان يقوم الليل كله حتى شكا منهم نساؤهم، فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

فتزكية الصحابة وتربيتهم بهذا القرآن هي التي غيرت كل ما كان بأنفسهم من مفاسد الجاهلية وزكتها تزكية عالية وهى التي أحدثت أعظم تحول روحي

واجتماعي في التاريخ.هذا كله إنما كان بكثرة تلاوة القرآن في الصلاة وغير الصلاة وتدبره، وربما كان أحدهم يقوم الليل بآية واحدة يكررها متدبراً لها، وكانوا يقرءونه مستلقين ومضطجعين كما وصفهم الله ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٩١).

وأعظم ذكر الله تلاوة كتابه المشتمل على ذكر أسمائه وصفاته المقدسة وأحكامه وحكمه وسنته في خلقه وأفعاله في تدبير ملكه .

إن من يقرأ القرآن الكريم لا بد وأن تظهر على جوارحه آثاره بالعمل به أو بالأمر بما ورد فيه أو بالنهي عن زواجره أو بالاقتباس منه في كلامه أو بكثرة ترداد آياته والاستشهاد بها، ولا يخفى ما في ذلك من أثر واضح على تأثير كلام الله وفضل المرء على غيره من الناس.

كما يلاحظ أن قراءة القرآن حتى ممن لا يؤمن به من غير المسلمين مثلا تجعل الكلام سليما من الناحية اللغوية والبلاغية وحسن العبارة ودقة التعبير وسلامة اللفظ باللغة العربية.

إن قراءة القرآن في صلاة الليل هي أقوى وسيلة لبقاء التوحيد والإيمان غضا طريا نديا في القلب ، إنه المنطلَق لكل عمل صالح آخر من صيام أو صدقة أو جهاد وبر وصلة ، لما أراد الله سبحانه وتعالى تكليف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بواجب التبليغ والدعوة وهو حمل ثقيل جدا ؛ وجهه إلى ما يعينه عليه وهو القيام بالقرآن ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً * إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ﴾ [١-٧ سورة المزمل] .

إن العبد إذا تعلق قلبه بكتاب ربه فتيقن أن نجاحه و نجاته وسعادته وقوته في قراءته وتدبره تكون هذه البداية للانطلاق في مراقي النجاح وسلم الفلاح في الدنيا والآخرة .

إنَّ للقرآنِ سلطاناً على القلوبِ، وهيبة على الأرواحِ، وقوةً مؤثِّرةً فاعلةً في النفوسِ .

إن أثر القرآن لا ينحصر على من يعقله من البشر بل إن الجبال لتخشع من كلام الله تعالى وإن الحيوانات لَتُحِس بأثره ولكن ذلك لا يظهر للناس إلا بكرامة خارقة للعادة يُظهرها الله تعالى لمن يشاء من عباده مثل ما حصل لأسيد ابن حضير رضي الله عنه قال تعالى ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]. إن الآية تدعو الجميع إلى أن يستقل كل إنسان بالنظر إلى القرآن بعيدا عن إغواء داخلي أو خارجي، وبالنظر المنصف سيخشع العقل ويخشع القلب وتخشع الجوارح ، سيخشع العقل عندما يعرف الإعجاز الذي نزل به القرآن فيؤمن عن صدق بأنه ليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم بل من عند الله ، وسيؤمن بالله من خلال ما فيه من آيات وأخبار صادقة وهداية حكيمة ، إن معرفة معاني القرآن؛ طريق للتدبر، والتدبر طريق للفهم والاتعاظ والاعتبار والخشوع؛ لذلك كان السلف رضي الله عنهم يقرأ الواحد منهم آية واحدة، ويقوم يرددها إلى الفجر يبكي، هذا مالك ابن دينار رحمه الله كان يقرأ قول الله عز وجل ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ثم يقول: أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صُدع قلبه [1]. فقراءة القرآن لها أثر كبير في طرد الشيطان

---

(١) . ينظر: حلية الأولياء جـ٢/٣٧٨ .

ورقة القلب وبكاء العين ، فعند ابن أبي حاتم في تفسيره ، في سورة الغاشية، أن الرسول صلى الله عليه وسلم مرَّ بامرأة تقرأ في جنح الليل قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [الغاشية:١] فوضع صلى الله عليه وسلم رأسه على صائر الباب وهي تردد، ولا تدري أنه صلى الله عليه وسلم يستمع لقراءتها، وتقول ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾[الغاشية:١] وتبكي ، فأخذ صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول: نعم أتاني نعم أتاني(١)

روي عن أُسَيْدِ بن حُضَيْرٍ قال : بَيْنَمَا هو يَقْرَأُ من اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَفَرَسُهُ مربوط عِنْدَهُ إِذْ جَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ فَسَكَتَ وَسَكَتَتْ الْفَرَسُ ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ ، فَانْصَرَفَ وكان ابْنُهُ يحيى قَرِيبًا منها فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ ، فلما اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ فإذا مِثْلُ الظُّلَّةِ فيها أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ فَخَرَجَتْ حتى ما يَرَاهَا.فلما أَصْبَحَ حَدَّثَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: اقْرَأْ يابن حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يابن حُضَيْرٍ ، قال: فَأَشْفَقْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يحيى.وكان منها قَرِيبًا.فَرَفَعْتُ رَأْسِي.فَانْصَرَفْتُ إليه.فَرَفَعْتُ رَأْسِي إلى السَّمَاءِ فإذا مِثْلُ الظُّلَّةِ فيها أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حتى لَا أَرَاهَا. قال وَتَدْرِي ما ذَاكَ ؟ قال لَا ، قال: تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ الناس إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى منهم "(٢)

وقد وعى تاريخ القراءة أخبار جماعات من السلف صعقوا عند القراءة ، فذاك عليُّ بنُ الفُضيل بن عياضٍ يموتُ لمَّا سمع أباه يقرأُ ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ. مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ [الصافات:٨].

(١) . ينظر: تفسير ابن أبي حاتم جـ١٠/٣٤٢٠ .

(٢) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : نُزُولِ السَّكِينَةِ وَالْمَلَائِكَةِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، رقم "٤٧٣٠" جـ٤/١٩١٦ .

وعن مقاتل بن حيان قال: صليت خلف عمر بن عبد العزيز، فقرأ ﴿وَقِفُوهُم إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] فجعل يكررها، ولا يستطيع أن يجاوزها .

وعن سليمان بن حرب قال: سمعت حماد بن زيد يقول:كنا جلوساً عند يحيى البكّاء فقرأ عليه القارئ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ [الأنعام: ٢٧]وتلا ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام: ٣٠، فصاح صيحة فعادَوه . أي جعلوا يعودونه . منها أربعة أشهر ، وقال أبو سليمان الداراني: كان علي بن الفضيل بن عياض لا يستطيع أن يقرأ القارعة، وقال : وسمعت أبا سليمان يقول: ما رأيت أحداً الخوف أظهر على وجهه والخشوع في بدنه من الحسن بن صالح، قام ليلة إلى الصبح بـ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ:١] فلما بلغ إلى قوله ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُم إِلَّا عَذَاباً﴾ [النبأ:٣٠]، فغشي عليه حتى طلع الفجر [١] .

وعمرُ رضي الله عنه منْ سماعِه لآيةٍ ، يبقى مريضاً شهراً كاملاً يُعادُ ، كما يُعادُ المريضُ ، وهي قول الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾ [الرعد:٣١]

وأيضاً لما قرأ عمر رضي الله عنه ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير:١] وانتهى إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير:١٠] خرّ مغشياً عليه، ومرَّ يوماً بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة ﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور:١] ، فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ.مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾

(١) . ينظر: المجالسة وجواهر العلم جـ١/٣٨٨

[الطور:٨،٧] نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زماناً ورجع إلى منزله ، فمرض شهراً يعوده الناس ، ولا يدرون ما مرضه .[١]

وهي صورة تمثل حقيقة، فإن لهذا القرآن لثقلاً وسلطاناً وأثراً مزلزلاً لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته، ولقد وجد عمر بن الخطاب ﷺ ما وجد ، عندما سمع قارئاً يقرأ ﴿وَالطُّورِ﴾ فارتكن إلى الجدار.ثم عاد إلى بيته يعوده الناس شهراً مما ألم به!

واللحظات التي يكون فيها الكيان الإنساني متفتحاً لتلقي شيء من حقيقة القرآن يهتز فيها اهتزازاً ويرتجف ارتجافاً، ويقع فيه من التغيرات والتحولات ما يمثله في عالم المادة فعل المغنطيس والكهرباء بالأجسام .أو أشدّ .

فكتاب الله عز وجل مطالبه عظيمة، ولا يمكن أن يحب العبد الله عز وجل حتى يحب القرآن، فأثر القرآن وتعاليم الإسلام التي أكسبتهم هذه الفضائل والمكارم وصاغتهم هذه الصياغة الكريمة فيمن عرفوا من الناس فآمنوا بالإسلام دينا وبالقرآن معجزة لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

وقد أنست شدة المصيبة عمر رضي الله عنه هذه الآية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤]، يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قام يومئذ فقال إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران عليه السلام ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله

(١) . ينظر: إحياء علوم الدين جـ٤/١٨، التخويف من النار لابن رجب ص٣٠ .

صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى عليه السلام، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ، فخرج أبو بكر فقال: على رسلك ياعمر أنصت، فحمد الله تعالى وأثنى عليه.ثم قال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله تعالى حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية ، فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، فأخذها الناس من أبي بكر ، وقال عمر : فوالله إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .(١)

وقال ميمون بن مهران: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٤٣] صاح سلمان الفارسي – رضي الله عنه – ، ووضع يده على رأسه ، وخرج هارباً ثلاثة أيام لا يقدرون عليه.(٢)

وروي أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس الغداة، فلما قرأ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر:٨] خرّ مغشياً عليه فحمل ميتاً.(٣)

وعبدُ اللهِ بنُ وهبٍ مرَّ يوم الجمعةِ فسمع غلاماً يقرأُ ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر:٤٧]، فأُغمي عليه ، ونُقل إلى بيتهِ ، وبقي ثلاثة أيامٍ مريضاً ، ومات في اليوم الرابعِ .(٤)

---

(١) . أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: بَاب مَرَضِ النبي ﷺ، وَوَفَاتِهِ، رقم "٤١٨٧" جـ٤/١٦١٨، وينظر: السيرة لابن هشام جـ٦/٧٥، تاريخ الطبري جـ٢/٢٣٢ .

(٢) . ينظر: إحياء علوم الدين جـ٤/١٨٦ .

(٣) . نفس المصدر .

(٤) . ينظر: سير أعلام النبلاء جـ٩/٢٢٧، صفة الصفوة جـ٤/٣١٣ .

وكما يخشع العقل المفكر والقلب المتأثر تخشع الجوارح بالعمل، وخشوعها بالعمل يكون من منطلق الإيمان بالله وبالقرآن المعجز وبما فيه من هداية هي المثالية في كل مجال من مجالات النشاط البشرى، كما يقول سبحانه ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩]، فهو يهدي البشرية لأقوم سبيل في كل شأن من شؤون حياتها .

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا صلى الله عليه وسلم يرشد ويسدّد من اهتدى به(لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) يقول: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل ، وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه، وهو الإسلام، يقول جلّ ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضل عنها سائر أهل الملل المكذبين به.(١)

كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل بالقرآن الكريم ، فقد كان خُلُقُه القرآن ، تلقيا وتعليما وتبليغا وعملا وتطبيقا، وبهدايته المثالية والحرص على تطبيقها تكونت أمة كانت خير أمة أخرجت للناس ، قوة وتماسكا وحضارة ومدنية، ولم يفارق رسول الله الدنيا إلا بعد أن أوصانا بالتمسك به حتى لا نضل، والغاية من تدبر القرآن والخشوع له تقوية إيماننا بالله ، وإسعاد الإنسان في دنياه وأخراه .

تلك مظاهر لفعل القرآن بنفوس من آمنوا به وأصبحوا من تابعيه ومحبيه كما فعل القرآن بعمر وسعد وأسيد، ألم يعودوا من خيرة جنود الإسلام ودعاته من يوم أسلموا.بل من ساعة أسلموا، وهناك مظاهر أربعة لهذا الضرب أيضا:

---

(١) . ينظر: جامع البيان جـ١٥/٤٦ .

المظهر الأول: تنافسهم في حفظه وقراءته في الصلاة وفي غير الصلاة، حتى لقد طاب لهم أن يهجروا لذيذ منامهم من أجل تهجدهم به في الأسحار ومناجاتهم العزيز الغفار. وما كان هذا حالا نادرا فيهم. بل ورد أن المار على بيوت الصحابة بالليل كان يسمع لها دويا كدوي النحل بالقرآن. وكان التفاضل بينهم بمقدار ما يحفظ أحدهم من القرآن، وكانت المرأة ترضى. بل تغتبط أن يكون مهرها سورة يعلمها إياها زوجها من القرآن .

المظهر الثاني: عملهم به وتنفيذهم لتعاليمه في كل شأن من شؤونهم تاركين كل ما كانوا عليه مما يخالف تعاليمه ويجافي هداياته، طيبة بذلك نفوسهم. طيّعة أجسامهم. سخية أيديهم وأرواحهم. حتى صهرهم القرآن في بوتقته وأخرجهم للعالم خلقا آخر مستقيم العقيدة. قويم العبادة. طاهر العادة. كريم الخلق. نبيل المطمح .

المظهر الثالث: استبسالهم في نشر القرآن والدفاع عنه وعن هدايته فأخلصوا له وصدقوا ما عاهدوا الله عليه. فمنهم من قضى نحبه وهو مدافع عنه ومنهم من انتظر حتى أتاه اليقين وهو مجاهد في سبيله مضحٍّ بنفسه ونفيسه، ولقد بلغ الأمر إلى حد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرد بعض من يتطوع بالجندية من الشباب لحداثة أسنانهم. وكان كثير من ذوي الأعذار يؤلمهم التخلف عن الغزو حتى ليود الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتخلف معهم جبرا لخاطرهم، ويرسل سراياه وبعوثه بعد أن ينظمها ويزودها بما تحتاجه ولا يخرج معهم. روى مالك والشيخان أن رسول الله قال: والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا

عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل [1] .

المظهر الرابع: ذلك النجاح الباهر الذي أحرزه القرآن في هداية العالم فقد وجد قبل النبي أنبياء ومصلحون وعلماء ومشترعون وفلاسفة وأخلاقيون وحكام ومتحكمون.فما تسنى لأحد من هؤلاء.بل ما تسنى لجميعهم أن يحدثوا مثل هذه النهضة الرائعة التي أحدثها محمد في العقائد والأخلاق وفي العبادات والمعاملات وفي السياسة والإدارة وفي كافة نواحي الإصلاح الإنساني.وما كان لمحمد ولا لألف رجل غير محمد أن يأتوا بمثل هذا الدستور الصالح الذي أحيا موات الأمة العربية في أقل من عشرين سنة، ثم نفخ فيهم من روحه.فهبوا بعد وفاته ينقذون العالم.ففتحوا ملك كسر وقيصر.ووضعوا رجلا في الشرق ورجلا في الغرب.وخفقت رايتهم على نصف المعمور في أقل من قرن ونصف قرن من الزمان .

أفسحر هذا أم هو برهان عقلي لمحه المنصفون من الباحثين.فاكتفوا من محمد بهذا النجاح الباهر دليلا على أنه رسول من رب العالمين .

إن فعل القرآن في نفوس العرب كان أشد وأرقى وأبلغ مما فعلت معجزات جميع الأنبياء.وإن شئت مقارنة بسيطة فهذا موسى عليه السلام قد أتى بني إسرائيل بآيات باهرة من عصا يلقيها.فإذا هي ثعبان مبين، ومن يد يخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين.ومن انفلاق البحر فإذا هو طريق يابسة يمشون فيها ناجين آمنين، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في مصر وفي طور سينا مدة التيه.فهل تعلم مدى تأثير هذه الهدايات في إيمانهم بالله ووحدانيته وإخلاصهم لدينه ونصرة رسوله، إنهم ما كادوا يخرجون من البحر بهذه المعجزة الإلهية الكبرى

(١) . رواه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد ، باب فضل الجهاد .... .

ويرون بأعينهم عبدة الأصنام والأوثان حتى كان منهم ما حكاه الله في القرآن ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ *إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٨:١٤٠]، ثم لما ذهب موسى إلى مناجاة ربه واستخلف عليهم أخاه هارون عليهما السلام نسوا الله تعالى وحنوا إلى ما وقر في نفوسهم من الوثنية المصرية وخرافاتها فعبدوا العجل، كما تحدثت سورة الأعراف بذلك ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٨]، ولما دعاهم موسى إلى قتال الجبارين في الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أبوا وخالفوا وفضّلوا القعود والخزي على القتال والنزول إلى ميادين الجهاد ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٢:٢٤] فهؤلاء أصحاب موسى عليه السلام ، فانظر إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كيف تأثروا بالقرآن، حتى ليحدث التاريخ عنهم أنهم قطعوا شجرة الرضوان وهي تلك الشجرة التاريخية المباركة التي ورد ذكرها في القرآن وما هذا إلا لأن الناس تبركوا بها فخاف عمر إن طال الزمان بالناس أن يعودوا إلى وثنيتهم ويعبدوها فأمر بقطعها ووافقه الصحابة على ذلك .

وكذلك يذكر التاريخ أن محمدا صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه حين عزم على قتال المشركين في غزوة بدر فقالوا: والله لو استعرضت بنا هذا البحر . يريدون البحر الأحمر . فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، إنا لا نقول لك ما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون(١)، هكذا كانوا يفضلون مصافحة المنايا في ميادين الجهاد ويتهافتون على الغزو طمعا في الاستشهاد وهكذا حصروا على الموت فوهبهم الله الحياة وأتقنوا صناعة الموت فدانت لهم الملوك وعنت الكماة، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.(٢)

فإن لكتاب الله الكريم منزلة عظمى عند كل مسلم فهو النور المبين الذي يهتدي به وهو الروح الذي يحيا به وهو الصراط المستقيم، تكفل الله تعالى بحفظه وأخبر أن لو أنزل على الجبال الرواسي لتصدعت قال تعالى ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر:٢١] وعاتب الله المؤمنين إبان نزول الوحي بقوله ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦] .

وإن رقة القلب ودمعة العين عند قراءة القرآن أو سماعه سمة من سمات السلف رضي الله عليهم ، قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٩] هذه مبالغة في وصفهم ومدح لهم وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئا أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويخضع ويذل، قال: وفي الآية دليل على

(١) . ينظر: الطبقات الكبرى جـ٢/١٤، السيرة لابن هشام جـ٣/١٦٢ .

(٢) . ينظر: مناهل العرفان جـ٢/٢٩٧ .

جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى أو على معصيته في دين الله وأن ذلك لا يقطعها ولا يضرها .(١)

كان عبدالأعلى التيمي يقول :من أوتي من العلم مالا يبكيه لخليق ألا يكون أوتي علما ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء فقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء:١٠٧،١٠٨].(٢)

"وإن ما يحصل للمؤمنين عند الاستماع لآيات الله والذكر المشروع من وجل القلب ودمع العين واقشعرار الجسوم فهذا أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب والسنة، قال تعالى﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر:٢٣] وقال تعالى ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨] يخبر تبارك وتعالى أن وجل الذين أوتوا العلم من قبلنا ومخافتهم كانت عن فهم آياته في كتابه وتدبر قوله وقد ضمن جل وعز لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن لمن اتبع منهم ما في كتابه من الهدى الإجارة من الضلالة في الدنيا والسعادة في الآخرة والنجاة من الشقاء ، قال القرطبي : في هذه الآية دلالة على أن لآيات الرحمن تأثيراً في القلوب .(٣)

وكان علماء السلف يدركون أثر القرآن.ولذلك يعظون ويذكرون بآياته ، ويبكون ، فيكون لها موقع عظيم في نفوس الخلق .

---

(١) . ينظر: الجامع لأحكام القرآن جـ١٠/٣٤١ .

(٢) . ينظر: الزهد لابن المبارك جـ١/٤١ .

(٣) . ينظر: الجامع لأحكام القرآن جـ١١/١٢٠ .

فعن ابن عباس ﷺ قال: إذا قرأتم سجدة (سبحان) [الإسراء:١٠٨] ، فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه (١) ، وروي عن حَمْزَةَ بن عبد اللَّهِ أَنَّهُ أخبره عن أبيه قال لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ قِيلَ له في الصَّلاَةِ.فقال مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ.قالت عَائِشَةُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إذا قَرَأَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ.قال مُرُوهُ فَيُصَلِّي فَعَاوَدَتْهُ.قال مُرُوهُ فَيُصَلِّي.إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ "(٢) ، وصلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصبح ، فقرأ سورة يوسف ، حتى سالت دموعه، على ترقوته (٣) ، وعن أبي رجاء قال: رأيت ابن عباس ، وتحت عينيه مثل الشراك البالى من الدموع (٤) ، وعن أبي صالح قال: قدم ناس من أهل اليمن على أبى بكر الصديق ، فجعلوا يقرأون القرآن ويبكون ، فقال أبو بكر الصديق : هكذا كنا (٥)

والطريقة في تحصيل البكاء يكون بتدبر وعده ووعيده وما يصحب ذلك من ذكر وصف الجنة والنار وغير ذلك مما ينتج عنه دمع العين ووجل القلب .

قال ابن تيمية رحمه الله : وما يحصل عند السماع والذكر المشروع من وجل القلب ودمع العين واقشعرار الجسوم فهذا أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب والسنة.أما الاضطراب الشديد والغشي والموت والصيحات فهذا إن كان صاحبه مغلوبا عليه لم يُلَمْ عليه كما قد يكون في التابعين ومن بعدهم فإنّ

---

(١) . ينظر: الكشاف جـ٣/٢٧ .

(٢) . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجماعة والإمامة ، باب أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ، رقم "٦٥٠ " جـ١/٢٤١ .

(٣) . ينظر: التبيان في آداب حملة القرآن ص٤٤ .

(٤) . نفس المصدر .

(٥) . نفس المصدر .

منشأه قوة الوارد على القلب مع ضعف القلب، والقوة والتمكن أفضل كما هو حال النبي صل الله عليه وسلم وأصحابه .(١)

فالمؤمنون أجمعوا قلوبهم، وألقوا أسماعهم للقرآن الكريم، فانتفعوا به، وتأثرت به قلوبهم، قال ابن القيم(٢): إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وأَلْقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه وإليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ، قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧]، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد .

فقوله تعالى « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى » إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هاهنا، وهذا هو المؤثر، وقوله تعالى « لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ » فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس:٦٩،٧٠]أي حي القلب، وقوله« أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ » أي وجَّه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام، وقوله تعالى «وَهُوَ شَهِيدٌ » أي: شاهد القلب حاضر غير غائب .

قال ابن قتيبة: استمع كتاب الله، وهو شاهد القلب والفهم ، ليس بغافل ولا ساه "(٣) ، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب

(١) . ينظر: فتاوى ابن تيمية جـ٢٢/٥٢٢ .

(٢) . ينظر: الفوائد ص٣ .٨

(٣) . ينظر: تفسير غريب القرآن ص ٤١٩ .

وغيبته عن تعقل ما يقال له، والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر .

فإن قيل : إذا كان التأثير إنما يتم بمجموع هذه، فما وجه دخول أداة «أو» في قوله تعالى : « أو ألقى السمع» والموضع موضع واو الجمع « يقصد واو العطف التي تجمع بين شيئين فحينما تقول : جاء محمد وعلي، فقد اجتمع مجيء كل منهما» لا موضع « أو » التي هي لأحد الشيئين .

قيل : هذا سؤال جيد، والجواب عنه أن يقال : خرج الكلام بـ « أو » باعتبار حال المخاطب المدعو، فإن من الناس من يكون حي القلب واعيه، تامّ الفطرة، فإذا فكّر بقلبه وجال بفكره، دله قلبه وعقله على صحة القرآن وأنه الحق، وشهد قلبه بما أخبر به القرآن، فكان ورود القرآن على قلبه نوراً على نور الفطرة، وهذا وصف الذين قيل فيهم : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾ [سبأ:٦]، وقال في حقهم ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور:٣٥]، فهذا نور الفطرة على نور الوحي، وهذا حال صاحب القلب الحي الواعي، فصاحب القلب يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن فيجدها كأنها قد كتبت فيه، فهو يقرأها عن ظَهْر قَلْب .

ومن الناس من لا يكون تامَّ الاستعداد، واعي القلب، كامل الحياة، فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل، ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وذكاء فطرته

مبلغ صاحب القلب الحي الواعي، فطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعه للكلام وقلبه لتأمله والتفكر فيه وتعقل معاينه، فيعلم حينئذ أنه الحق، فالأول حال من رأى بعينه ما دعي عليه وأخبر به، والثاني حال من علم صدق المخبر وتيقنه وقال : « يكفيني خبره » فهو في مقام الإيمان ، والأول في مقام الإحسان ، هذا وقد وصل إلى علم اليقين ، وترقى قلبه منه إلى منزلة عين اليقين ، وذاك معه التصديق الجازم الذي خرج به من الكفر ودخل به في الإسلام ، فعين اليقين نوعان : نوع في الدنيا ونوع في الآخرة ، فالحاصل في الدنيا نسبته إلى القلب كنسبة الشاهد إلى العين ، وما أخبرت به الرسل من الغيب يعاين في الآخرة بالأبصار ، وفى الدنيا بالبصائر ، « البصائر: من البصيرة وهي التعقل والفطنة والانتباه . » فهو عين يقين في المرتبتين "(١) . .

ويؤكد جورجي زيدان في كتابه (آداب اللغة العربية) تأثير القرآن في أخلاق أهله وعقولهم وقرائحهم ومعاملاتهم فالصبغة القرآنية أو الإسلامية – كما يقول – تظهر في مؤلفات المسلمين ، ولو كانت في موضوعات علمية . كالفلسفة والفلك والحساب ، فضلا عن العلوم أو الآداب الشرعية .

وبعد أن يشير جورجي زيدان إلى تأثير القرآن في حياة المسلمين المعاشية والاجتماعية يقول : ". . وهذا ما لا نراه في الأناجيل – مثلا – فإنها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة فقط.ولا نجد فيها شرعا، ولا حكومة ولا أحوالا شخصية . . أو نحو ذلك " . ثم يضيف : " وبالجملة فإن للقرآن تأثيرا في آداب اللغة العربية ، ليس لكتاب ديني مثله في اللغات الأخرى "(٢) .

---

(١) . ينظر: الفوائد ص ٣ .

(٢) . ينظر: آداب اللغة العربية جـ١/٩٥ .

وجورجي زيدان هذا – كما نعلم – كاتب مسيحي معروف ، فاعترافه بتأثير القرآن على المسلمين خلقا وأدبا ولغة وثقافة ، وخلو الكتب الأخرى ، ومنها الأناجيل ، من هذا التأثير – اعترافه هذا له قيمته الكبيرة ، ودلالته الخاصة .

إن فهم القرآن وتدبره مواهب من الكريم الوهاب يعطيها لمن صدق في طلبها وسلك الأسباب الموصلة إليها بجد واجتهاد، أما المتكئ على أريكته المشتغل بشهوات الدنيا ويريد فهم القرآن فهيهات هيهات ولو تمنى على الله الأماني.

والمقصود الأعظم من إنزال القرآن والأمر بقراءته تدبر آياته، قال الله ﷻ ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [ص:٢٩] ، ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢] ، ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨]، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧]

قال ابن مسعود رضي الله عنه : " إذا أردتم العلم فانثروا هذا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين " (١)

وقال الحسن بن علي رضي الله عنه : إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار " (٢) ، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : " لقد عشنا دهرا طويلا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، ثم لقد رأيت

---

(١) . ينظر: الزهد لابن المبارك، رقم "٨١٤" جـ١/٢٨٠ .

(٢) . ينظر: التبيان في آداب حملة القرآن ص٢٩ .

رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل "(١) ، وقال الحسن : قراء القرآن ثلاثة أصناف: صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به ، وصنف أقاموا حروفه ، وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم واستدروا به الولاة كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله ، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم فركدوا به في محاريبهم وحنوا به في برانسهم واستشعروا الخوف فارتدوا الحزن.فأولئك الذين يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء.والله لَهؤلاء الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر "(٢)

هذا هو أثر القرآن على المدعوين تنطق به آياته المباركة، وينطق به كذلك واقع الناس في كل وقت، ومازلنا نشاهد هذا الأثر في نفوس سامعيه: خشوعا وخضوعا للحق إذا صفت الفطرة واستقامت النفوس، وخوفا من سطوة هذا الأثر إذا أظلمت القلوب وأصرت على الكفر، فتتخذ حينئذ من أجل ذلك وسائل تحول بينها وبين هذا التأثير، قال الله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (فصلت:٢٦).

إن الدعوة بالقرآن ، وإلى ما فيه من الهداية سبيل محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان صلى الله عليه وسلم يدعو بالقرآن وينذر به ، وكان هديه وقوله وبيانه للناس وحياً يوحى، فهو المبلغ عن الله تعالى .

---

(١) . أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، رقم "٥٠٧٣" جـ٣/١٢٠ .

(٢) . ينظر: المناظرة في القرآن ٣٩ .

الخاتمة

أولا : أهم النتائج :

١ . أن تأثير القرآن الكريم في قلوب المدعوين له أشكال متعددة ، فمنه ما هو راجع إلى لغته وبلاغته ، ومنه ما هو راجع إلى عظمته وقداسته ، ومنه ما هو راجع إلى فوائده وبدائعه التي يحتويها ، ومنه ما هو راجع إلى ذاتيّته ، فإنه كلام رب العالمين سبحانه .

٢ . أن فوائد القرآن الكريم التي تعود على المدعوين كثيرة ، لكن بعضهم يأباها، إذ هو لا يدرك قيمته لمرض فيه ، كالمريض لا يشعر بحلاوة الشيء بسبب مرضه .

٣ . أن كل إنسان يجد دواء أمراضه وحل مشكلاته في القرآن الكريم حي يسمعه أو يتلوه ، فيقف على الآية أو الآيات يتدبرها جيدا ، وكأنها نزلت تعنيه هو دون غيره .

٤ . أن خطاب القرآن الكريم للمدعوين بتأثيره هذا يركز على أصناف ثلاثة منهم، وهم المشركون وأهل الكتاب والمؤمنون ، وتأثير القرآن في المدعوين من المشركين وأهل الكتاب يتجلى من خلال الجدل والحوار العقليين ، بينما تأثيره في المدعوين من المؤمنين يتجلى في استثارة الإيمان الكامن في قلوبهم وتقوية معاني الطاعة .

ثانيا : التوصيات :

١ . محاولة إسماع المشركين وأهل الكتاب القرآن الكريم الذي هو كلام الله بأي وسيلة ممكنة ، لاسيما في وسائل الإعلام المختلفة والأماكن العامة ليقين أثره في نفوس سامعيه .

٢ . حاجة الدعاة خاصة إلى حفظ كتاب الله تعالى ، وكثرة تلاوته ، حتى يقوى يقينهم ، وتكون حجتهم على ألسنتهم من كلام ربهم الذي له هذا التأثير العجيب على الناس أجمعين .

٣ . حاجة المؤمنين عامة إلى كثرة سماع القرآن وتلاوته وتدبره ، لما له من عظيم الأثر عليهم في زيادة إيمانهم وقوة يقينهم .

والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل .

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم .

٢. إحياء علوم الدين : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار النشر: دار اا المعرفة – بيروت.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود محمد ابن محمد العمادي ، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيرو

٤. البداية والنهاية : إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ) مكتبة المعارف ، بيروت .بدون

٥. البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) دار المعرفة ، بيروت ١٣٩١هـ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .

٦. تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

٧. تاريخ ابن الوردي ، تأليف: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي ، نشر: دار الكتب العلمية ، لبنان / بيروت ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى .

٨. تاريخ آداب اللغة: جورجي زيدان ، دار الهلال، القاهرة ١٩٥٧م .

٩. التبيان في آداب حملة القرآن، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، دار النشر: الوكالة العامة للتوزيع – دمشق – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، الطبعة: الأولى .

١٠. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار النشر: مكتبة دار البيان – دمشق – ١٣٩٩، الطبعة: الأولى .

١١. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى .

١٢. تفسير القرآن لابن أبي حاتم،: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية – صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب

١٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ) ، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٤. الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٥٧٦ هـ) ، نشر : دار الشعب – القاهرة .

١٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تأليف: أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) ، نشر : مطبعة المدني – مصر، تحقيق : علي سيد صبح المدني .

١٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، نشر : دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة .

١٧. حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة، تأليف: عبد الله بن أحمد ابن محمد المقدسي أبي محمد، دار النشر: مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩، الطبعة الأولى، تحقيق : عبد الله يوسف الجديع .

١٨. الخصائص الكبرى: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٩. الدر المنثور : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ) دار الفكر، بيروت ١٩٩٣.

٢٠. دلائل النبوة :لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) دار التراث ، بيروت ، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م.

٢١. الزهد : عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

٢٢. سنن الترمذي : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩ هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت ، تحقيق أحمد شاكر ، وآخرين .

٢٣. سنن الدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي (ت٢٥٥ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق فؤاد أحمد زولا ، وخالد السبع العلمي .

٢٤. سيرة ابن إسحاق : محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١ هـ) معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ، تحقيق محمد حميد الله .

٢٥. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون : علي بن برهان الدين الحلبي ، نشر دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٠ هـ .

٢٦. السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت٢١٣ هـ) دار الجيل، بيروت ط الأولى ١٤١١ هـ ، تحقيق طه عبد الرؤف .

٢٧. السيرة النبوية الصحيحة : أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة السادسة ١٤١٥هـ .

٢٨. سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي .

٢٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، دار التراث، القاهرة .

٣٠. صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت ٢٥٦)، دار ابن كثير– بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ،١٩٨٧م تحقيق مصطفى ديب النجا .

٣١. صفة الصفوة : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، نشر دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م ، الطبعة الثانية، تحقيق: محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي .

٣٢. الطبقات الكبرى، تأليف: محمد بن سعد بن منيع أبي عبدالله البصري الزهري، دار النشر: دار صادر – بيروت .

٣٣. عمدة القارئ : بدر الدين محمد بن أحمد العيني (ت ٨٨٥ هـ) ، دار إحياء التراث ، بيروت .

٣٤. الفتاوى الكبرى لابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، (ت٧٢٨ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، تحقيق عبد الرحمن محمد النجدي .

٣٥. فتح الباري : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، تحقيق محب الدين الخطيب.

٣٦. الفوائد ، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، نشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٣ – ١٩٧٣، الطبعة : الثانية .

٣٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى .

٣٨. الكامل في التاريخ : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ، الطبعة: ط٢، تحقيق: عبد الله القاضي .

٣٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .

٤٠. المجالسة وجواهر العلم، تأليف: أبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، نشر دار ابن حزم – لبنان/ بيروت – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى .

٤١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، نشر دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، الطبعة الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد .

٤٢. مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، نشر دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م ، الطبعة الأولى ، تحقيق: حسين سليم أسد.

٤٣. مسند البزار : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، نشر مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت . المدينة ، ١٤٠٩ هـ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله

٤٤. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت

٤٥. المنتخب من مسند عبد بن حميد : عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي ، نشر مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م ، الطبعة الأولى ، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي .

٤٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي ، نشر دار الريان للتراث . دار الكتاب العربي ، القاهرة . بيروت ، ١٤٠٧ هـ .

٤٧. نظرات في القرآن : الشيخ محمد الغزالي ، دار الكتب الحديثة .

فهرس الموضوعات

مَجَلَّةُ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ – الْعَدَدُ ١٦١

أَقْوَالُ الْإِمَامِ عَفَّانَ بْنِ مُسْلِمٍ الصَّفَّارِ(ت ٢٢٠) فِي جَرْحِ الرُّوَاةِ وَتَعْدِيلِهِمْ

جَمْعٌ وَدِرَاسَةٌ

إِعْدَادُ :
د. عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصَّيَّامِ
الْأُسْتَاذِ بِقِسْمِ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي جَامِعَةِ الْمَلِكِ سُعُودٍ

مقدّمـــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله– صلى الله عليه وسلم .

أما بَعْدُ :

فإنَّ دراسة نقاد الحديث المتقدمين ورواد هذا الفن وجمع أقوالهم ودراستها وتحليلها خطوة هامة في طريق فهم مصطلحاتهم وعلومهم المتنوعة، ومدى اتفاقهم واختلافهم، وأسباب ذلك، ويحصل بمثل هذه الدراسات رصد الحركة الحديثية بتفصيلاتها في تلك الفترة.

ومن المظاهر السليمة في الدراسات الحديثية المعاصرة العناية بهذا الجانب من الدراسات، وأستطيع القول: إنَّ معظم أئمة الإسلام المصنفين قد حظوا بدراسات علمية منهجية أكاديمية، على تفاوت كبير بين هذه الدراسات من حيثُ الجودة وعدمها، ومن حيثُ الإبداع والابتكار(١).

ومن النقاد الذين أسهموا في الحديث وعلومه الإمام الحافظ عَفّان بن مسلم الصفار، وهذا العَلَم الناقد ممن أسهم في الحركة الحديثية في ذلك الوقت سواء من خلال جمع الحديث وروايته أو نقد الأحاديث والرجال، حتى

(١)وللفائدة يراجع: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومراكز البحوث في الجامعات، وينظر كتاب "المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف" لمحمد خير رمضان (١٤٨٩/٣ومابعده)،وكذلك كتاب "دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة" لنفس المؤلف(٨٧٩/٢ ومابعده).

إنَّ الإمام أحمد بن حنبل قال لابنه صالح حين قدم من البصرة :« لِمَ لم تكتب عن عمرو بن مرزوق؟ فقال: نهيت، فقال: عَفّان كان يرضى عمرو بن مرزوق، ومن كان يرضي عَفّان!»[(١)].

وقال الإمام علي بن المديني–وهو من كبار أئمة الحديث والمقدم في علل الأحاديث– قال عنه:«أبو نعيم [(٢)]، وعَفّان، صدوقان، لا أقبل كلامهما في الرجال هؤلاء لا يدعون أحدا إلا وقعوا فيه»[(٣)]، قال الذهبي :« يعني: أنه لا يختار قولهما في الجرح لتشديدهما، فأما إذا وثقا أحدا فناهيك به»[(٤)].

وقد كنتُ معجبا بسيرته العلمية والعملية، فيسر الله لي كتابة بحث في سيرته العلمية والعملية بعنوان :«الإمام عَفَّان بن مُسْلِم الصّفار(ت٢٢٠) ومنهجه في التلقي والأداء والنقد»، وأثناء العمل في البحث جمعتُ أقوال عفان في الرجال، فرأيتُ من المناسب إفرادها ببحث يجمعها و يدرسها ويبين من خلالها منهج عفان في الجرح والتعديل، خاصة ما يتعلق بتشدده في الرواة، فكان هذا البحث المتواضع الذي أسأل الله أن ينفع به، وأن يرزق كاتبه الإخلاص في القول والعمل.

- **عنوان البحث:**

عنوان البحث :«أقوالُ الإمام عَفّان بن مُسْلِم الصّفار(ت٢٢٠) في جرح الرواة وتعديلهم–جمع ودراسة–»

---

(١)الجرح والتعديل (رقم١٤٥٦).

(٢)هو: الفضل بن دكين.تقريب التهذيب (رقم٥٤٠١).

(٣) سؤالات الآجري (رقم٩٨٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/٢٥٠).

- **حدود البحث:**

ستكون حدود بحثي بإذن الله تعالى جمع أقوال الإمام عَفّان بن مُسْلِم في جرح الرواة وتعديلهم من جميع الكتب التي يذكر فيها قوله.

ومن هنا يعلم أنّ سيرته وترجمته وما يتعلق بها ليست داخلة في حدود هذا البحث حيث أفردتُ لها بحثا مستقلا.

وكذلك حديثه ومروياته، ونقوله عن النقاد والأئمة ليست داخلة في حدود البحث، وكذلك أقواله المتعلقة بغير النقد مثل سنة الولادة والوفاة والصفات الخَلقية والخُلقية.كل هذه لا تدخل في حدود البحث–ولكن من باب الفائدة وضعتُ ملحقا لأقوال عفان المتعلقة بغير جرح الرواة وتعديلهم .

- **مصطلحات البحث[1] :**

الجرح: الطعن في العدالة أو الضبط أو فيهما.

التعديل: الحكم بوجودهما (العدالة والضبط).

- **أهمية البحث وأسباب اختياره:**

- **إمامة عَفَّان بن مُسْلِم في علم الحديث ونقد الرواة، بل طبقة كبار النقاد من تلاميذ عفان ومن الملازمين له، وعلى رأسهم: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، والفلاّس، وأبو حاتم الرازي وغيرهم.**
- **عناية أئمة الحديث وكبار النقاد بنقل أقوال عفان في الرواة والاحتجاج بها.**

---

(١)انظر: الجرح والتعديل للدكتور إبراهيم اللاحم (ص٣٠)، ضوابط الجرح والتعديل للدكتور عبد العزيز العبداللطيف (ص١٠).

- وصف بعض النقاد لعفان بالتشدد في نقد الرواة.
- عدم وجود دراسة تجمع أقوال عفان في الرواة مع التحليل والنقد.

● الدراسات السابقة :

لم أقف بعد البحث والتقصي على من بحث هذا الموضوع بمفرداته المذكورة في العنوان، وفي حدود البحث.

● منهجُ الْبَحْث:

يعتمد الْبَحْث في مثل هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي لجميع كتب الرجال والعلل والسؤالات، وكتب علوم الحديث وغيرها لجمع وتتبع أقوال عَفّان في الرجال ومِنْ ثَمَّ مقارنة رأي عَفّان ببقية النقاد المعاصرين له أومن طبقة أقرانه ومن قبلهم، أو غيرهم من النقاد حسب هدف البحث وحاجته.

● إجراءات البحث :

١. حصر جميع الرواة الذين جرحهم أو عدلهم عَفّان بن مسلم.
٢. ذكر ترجمة موجزة للراوي في حدود سطر واحد يعرف باسم الراوي ونسبه وكنيته وموطنه ووفاته ومن خرّج له.
٣. ذكر قول عَفّان بن مسلم من المصادر الأصلية التي ذكرته.
٤. الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد مع التركيز على المعاصرين لعَفّان سواء من شيوخه أو من أقرانه أو من تلاميذه، مع ملاحظة أنّ الهدف هو معرفة منهج عَفّان من حيث جرح الرواة وتعديلهم، وليس الترجمة للرواة وتحقيق القول فيهم، فكل ما يخدم هدف البحث سيكون محل العناية والتحقيق، دون توسع واستطراد.

٥. ذكرت أقوال عَفّان التي قد يفهم منها جرح الراوي، ولكن عند التحقيق لا تدل على ذلك كما في ترجمة جويرية بن أسماء، وعبد الوهاب الثقفي.

٦. الأقوال التي لا أنسبها لمصدر معين فهي من كتاب "تهذيب التهذيب".

- خطة البَحْث:

يتكون البحث مِنْ مُقدمةٍ، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخَاتمةٍ،وملحق وفهارس :

-المقدمة: وهي هذه.

-المبحث الأوَّل: الرواة الذين جرحهم عَفّان بن مسلم .

-المبحث الثاني: الرواة الذين عدلهم عَفّان بن مسلم.

-المبحث الثالث: خلاصة منهج عَفّان بن مسلم في الجرح والتعديل.

-الخاتمة.

-ملحق: الرواة الذين تكلم فيهم عَفّان بن مسلم بغير الجرح أو التعديل.

-فهرس المصادر والمراجع .

- فهرس الموضوعات .

وبعدُ.فهذا "جهدُ المقل والقدر الذي واتاه { وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ}(الطلاق: ٧)، وإليه سبحانه وتعالى السؤال أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه

الكريم، مقتضيا لرضاه، وأن لا يجعل العلم حجة على كاتبه في دنياه وأخراه، وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل"[1].

(١) مقتبس من مقدمة العلائيّ لكتابه "نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذي اليدين من الفوائد" (ص٣٦).

المبحث الأوَّل

الرواة الذين جرحهم عَفّان بن مسلم[١]

١) جُوَيرية بنُ أسماء الضُّبعيّ،أبو أسماء البَصْرِيّ (ت ١٧٣)– خ م د س ق –[٢].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال عَفّان بن مسلم :« كان جويرية بن أسماء صاحب علم كثير، وكان يمتنع لا يملي علينا، فجاءه إنسان فسأله عن قراءة القرآن على غير طُهْر فقال: ما عندي فيه شيء.

فحدّثته فيه عن ابن عباس، وأبي هريرة، وغيرهما[٣]، قال: فقال: لا أراك هاهنا!، فحدّثني وأملى علي، فلمّا أملى عليّ تركتُه فلم آته »[٤].

وقال عَفّان :« كان صخر أثبت في الحديث وأعرف به من جويرية»[٥].

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

قال أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين عن جويرية :«ليس به بأس »[٦] زاد أحمد: ثقة، وقال أبو حاتم :«صالح الحديث»[٧].

---

(١) بدأتُ بالجرح قبل التعديل لأنّ أشد ما انتقد على عفان تشدده في جرح الرواة فناسب البدء به لأهميته.

(٢) تهذيب الكمال (١٧٢/٥)، تهذيب التهذيب (٣٢١/١)، تقريب التهذيب (رقم:٩٨٨).

(٣) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (١٩٠/١ رقم ١١٠٨ وما بعده).

(٤) طبقات ابن سعد (٢٨١/٩).

(٥) طبقات ابن سعد (٢٧٥/٩)، الجعديات (رقم٢٥٧٤).

(٦) الجرح والتعديل (٢/ ٥٣١رقم ٢٢٠٦).

(٧)المرجع السابق.

ورجح ابن حجر أنه صدوق وهو الذي يظهر، وقد ذُكرت له بعض الأوهام والأخطاء[1].

ولكن أرى أن تَرْكَ عَفّان له نوع من التشدد فلم أر أحدا تكلم فيه، مع تعديل أئمة الحديث له، وتخريج البخاري ومسلم له في الأصول، فله في البخاري (٤٣) رواية، وعند مسلم (١١) رواية.

والذي يظهر أنّ سبب ترك عَفّان له هذا الموقف الذي ذكره من تمنع جويرية عن الإملاء عليه أولا، ثم أملى عليه لمّا رأى من سعة علم عَفّان ومعرفته بالحديث وبأقوال الصحابة، وليس لظهور منكرات وأخطاء لجويرية، ولو كان كذلك لصرّح عَفّان بهذا السبب، فتحصل أنّ ترك عَفّان له ليس من جرح في الراوي إنما لموقف معين أثر في نفس عَفّان فجعله ينفر منه لبشرية الناقد، والله أعلم.

وأما تقديم صخر بن جويرية على جويرية بن أسماء فيأتي التعليق عليه في ترجمة صخر بن جويرية.

****

٢) حميد بن الأسود بن الأشقر البَصْرِيّ، أبو الأسود الكَرَابيسي[2] –خ ٤–[3].

- **<u>قول عَفّان بن مسلم:</u>**

قال العقيلي :«حدثني الخضر بن داود قال: حدثنا ابن هانئ قال: قلتُ

---

(١) انظر علل ابن أبي حاتم (رقم١٥٣٧).

(٢)الكرابيسي –بكسر موحدة وسكون ياء وسين مهملة–: نسبة إلى بيع الكرابيس وهي الثياب. الأنساب (٥/٤٢).

(٣) تهذيب الكمال (٧/٣٥٠)، تهذيب التهذيب (١/٤٩٢)، تقريب التهذيب (رقم:١٥٤٢).

لأبي عبدالله : تحفظ عن حنظلة ، عن سالم ، عن ابن عمر ، سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: لا تحل الحدود فوق ثلاث ، يعني الإحداد[١]، فعجب منه، وقال: هذا حديث منكر!، ثم قال: من غير حنظلة. قلت: حميد بن الأسود، قال: كان عَفّان يحمل على هذا الشيخ ، وكان عبدالرحمن[٢] ختنه»[٣].

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

قال القواريريُّ :«أخبرنا أبو الأسود حميد بن الأسود –وكان صدوقا– »[٤]، وقال أبو حاتم :«ثقة»[٥]، وقال الدارقطني :«لا بأس به »[٦]، وذكره ابن حبان في " الثقات"[٧].

وقال أحمد :«سبحان الله! ما أنكر ما يجئ به»، وقال البرذعيُّ :« قلتُ لأبي زرعة في حديث احتججت عليه عن حميد بن الأسود أبي الأسود فدفعه، فقلت له: حميد صدوق؟ فقال: حميد في حديثه شيء، ربما وهم»[٨]، وقال

---

(١) لم أقف على من أخرجه من هذا الطريق، ولا من طريق حميد بن الأسود، وقال ابن حجر في فتح الباري (٩/٤٨٧) :« ذكر الأثرم أن أحمد سئل عن حديث حنظلة عن سالم عن ابن عمر رفعه " لا إحداد فوق ثلاث " فقال : هذا منكر ، و المعروف عن ابن عمر من رأيه ».

(٢) يعني عبد الرحمن بن مهدي.

(٣) الضعفاء للعقيلي (١/ ٢٦٨).

(٤)الجرح والتعديل (٣ / رقم ٩٦٠).

(٥) المرجع السابق.

(٦) سؤالات الحاكم (رقم٣٠٠).

(٧) (٨/ ١٩٦).

(٨) سؤالات البرذعيّ (١/٣٧٨).

الساجي والأزدي:«صدوق عنده مناكير».

وقال ابن حجر :«روى له البخاري حديثين مقرونا بيزيد بن زريع فيهما، أحدهما في تفسير سورة البقرة، والآخر في الجهاد »[1].

قلتُ: لعل هذا الراوي لا ينزل عن مرتبة الصدوق، كما قال القواريري، وفي هذا جمع بين الأقوال، حيث إنّ له بعض المنكرات كما قال الإمام أحمد والساجي، وقد رجح ابنُ حجر أنه :«صدوق يهم قليلا»،وقال الذهبي :«صدوق»[2].

ولم يذكر الإمام أحمد–رحمه الله– نصَّ كلام عَفّان في هذا الراوي، لينظر مدى تشدد عَفّان من عدمه، فكلمة :«يحمل عليه » جرح في حميد، ولكن جرح مجمل لم يفسر فربما قال عَفّان عن حميد :«يروي منكرات»، وربما قال أشدّ من ذلك، وربما قال أخفّ.

ولكن يبقى أنَّ هذا الجرح من عفان يعدُّ في حيز الجرح المقبول؛ لأنّ حميد بن الأسود مختلف فيه بين النقاد، والله أعلم.

****

٣) الرَّبيعُ بنُ صَبِيح –بفتح المهملة– السّعدي البَصْرِيّ (ت١٦٠)– خت ت ق– [3].

(١)مقدمة الفتح (١ / ٣٩٧)، ورقم الحديث في كتاب التفسير (٤٥٣٦في الجهاد (رقم٣٠٨٢)، وله موضع ثالث معلقا كتاب الأدب (رقم٦٠١٦).

(٢) ديوان الضعفاء (رقم١١٦٠).

(٣) تهذيب الكمال (٩/ ٨٩)، تهذيب التهذيب (١ /٥٩٣)، تقريب التهذيب (رقم:١٨٩٥).

■ **قول عَفّان بن مسلم:**

قال عَفّان :« أحاديث الربيع مقلوبة كلها»[١].

وقال ابنُ سعد:«رَوَى عنه الثوريّ، وأمّا عَفّان فتركه فلم يحدّث عنه»[٢].

■ **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

جمهور النقاد على تضعيف الربيع بن صَبِيح؛ فقد ضعفه ابن المديني[٣]، وابن معين[٤]،وابن سعد[٥]، والفلاس، ويعقوب بن شيبة[٦]، والنسائي، وكان يحيى بن سعيد لا يرضاه[٧]، وقال الشافعي :«كان الربيع بن صَبِيح رجلا غزا، وإذا مُدِحَ الرجلُ بغير صناعته فقد وَهَصَ، يعني: دَقّ»[٨].

وأثنى عليه آخرون وعدّلوه وألمسُ من الثناء عليه أمرين:

الأوَّل: النظر لعبادة الرجل وجلالته ومكانته، فقد كان على مستو عال من العبادة، قال ابن حبان :«كان من عباد أهل البصرة وزهادهم، وكان يشبه بيته بالليل ببيت النحل من كثرة التهجد، إلا أن الحديث لم يكن من صناعته، فكان يهم فيما يروي كثيرا حتى وقع في حديثه المناكير من حيث لا يشعر، فلا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد، وفيما يوافق الثقات فإن اعتبر به معتبر لم أر

(١)الضعفاء للعقيلي (٢ / ٥٢)، وإسنادها صحيح.

(٢) طبقات ابن سعد (٢٧٧/٩).

(٣) سؤالات ابن أبي شيبة له (رقم: ٢٥).

(٤)الجرح والتعديل (رقم ٢٠٨٤).

(٥)طبقات ابن سعد (٢٧٧/٩).

(٦)تهذيب التهذيب (١ /٥٩٣).

(٧)الكامل (٣٧/٤).

(٨)الجرح والتعديل(رقم٢٠٨٤).

بذلك بأسا»[١].

الثاني: أنَّ من عدَّله عدّله بألفاظ متوسطة ليس فيها توثيق مثل قول أحمد ابن حنبل:« لا بأس به، رجل صالح»[٢]**، وكذلك قول أبي زرعة :« شيخ صالح صدوق »**[٣].

فالذي يظهر أنَّ الربيع ضعيف، يقبل في الشواهد والمتابعات، وقد ذكر ابن عدي في الكامل عددا من الأحاديث التي استنكرت عليه وبان غلطه فيها.

فتبين مما تقدم أنَّ قول عَفّان موافق–بالجملة– لقول جمهور النقاد في جرح الربيع بن صَبِيح،وبيان أنه يقلب الحديث فيبدل راو مكان راو، وإسناد مكان إسناد، ومتن بدل متن.وهكذا مما يعد قلبا للحديث[٤].

وأكثر من ذلك أنَّ عَفّان سار على منهجه في عدم الرواية عن الضعفاء عنده، وقد بينا في البحث الآخر أنَّ عَفّان ممن لا يروي إلا عن ثقة.

وأنبه أنّ في عبارة عَفّان نوعا من التشدد حيث وصف كل أحاديث الربيع بأنها مقلوبة، ومثل هذا لو كان كذلك لكان في منزلة الضعيف جدا، أو مُطَّرح الحديث، بينما نجد أنّ ألفاظ بقية النقاد في تضعيفه ليست بالشديدة جدا، مع وجود من عدّله وقوّاه بألفاظ متوسطة التعديل، وهذا الذي دعاني لتقييد موافقة عفان للجمهور بلفظة (بالجملة).

****

(١) المجروحين (١ / ٢٩٦).

(٢)العلل (١/ ١٣٥).

(٣)الجرح والتعديل(رقم٢٠٨٤).

(٤) ينظر في تعريف المقلوب: فتح المغيث (٢/ ١٣٣)، تدريب الراوي (١/٣٤٢).

٤) رَوحُ بنُ أسلم الباهلي، أبو حاتم البَصْرِيّ (ت ٢٠٠)–ت–[١].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال عَفّان:« كذّاب »[٢].

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

جميع النقاد المعاصرين لعَفّان على ضعف هذا الراوي فقال ابن معين :«ليس بذاك ، لم يكن من أهل الكذب»[٣]، وقال ابن أبي شيبة :« سمعتُ عليا يقول: روح بن أسلم ذهب حديثه يعني: ضاع »[٤]. وقال البخاري :«يتكلمون فيه »[٥]، وقال أبو حاتم :« لين الحديث ، يُتكلم فيه »[٦]، وقال الدارقطني :«ضعيف، متروك »[٧].

ولكن لم أجد من كذبه سوى عَفّان، وخالفه في هذا بقية النقاد؛ فعبارة ابن معين واضحة في أنه لا يتعمد الكذب، وكأنّ ابن معين يعرّض في كلامه هذا بعَفّان ابن مسلم، وكذلك ألفاظ بقية النقاد ليس فيها إلا الضعف، أو الترك فحسب.

ومن هنا يبين لنا تشدد عَفّان بن مسلم في تكذيبه روح بن أسلم.

****

---

(١)تهذيب الكمال (٩/٢٣٢)، تهذيب التهذيب (١/٦١٣)، تقريب التهذيب (رقم:١٩٦٠).

(٢)الجرح والتعديل (٣/رقم٢٢٥٦).

(٣) المرجع السابق.

(٤)سؤالات ابن أبي شيبة (رقم ١٩٩)، وإنما ضاع حديثه لضعفه وعدم أخذ الناس عنه.

(٥)التاريخ الكبير (٣/رقم١٠٥٤)، الكامل (٣ / ١٤٣).

(٦)الجرح والتعديل (٣/رقم٢٢٥٦).

(٧) تهذيب التهذيب (١/٦١٣).

٥) رَوح بنُ عُبادة بن العلاء القيسي، أبو محمد البَصْرِيّ (ت٢٠٧)– ع–[١].

■ قول عَفّان بن مسلم:

قال يعقوب بن شيبة :« سمعت عَفّان بن مسلم لا يرضى أمر روح بن عبادة.

قال وحدثني محمد بن عمر قال سمعت عَفّان بن مسلم –وذكر روح بن عبادة– فقال: هو عندي أحسن حديثاً من خالد بن الحارث، وأحسن حديثاً من يزيد بن زريع فلم تركناه؟– يعني كأنه يطعن عليه .

فقال له أبو خثيمة: ليس هذا بحجة كل من تركته أنت ينبغي أن يترك؟! أما روح بن عبادة فقد جاز حديثه، الشأن فيمن بقي.

قال يعقوب: وأحسبُ أنّ عَفّانا لو كانت عنده حجةٌ مما يُسقِطُ بها روح بن عبادة لاحتجَّ بها في ذلك الوقت.

ولم أسمع في روح شيئاً أشد عندي من شيء دفع إلى محمد بن إسماعيل صاحبنا كتاباً بخطه نسخت منه فكان فيه حدثنا عَفّان قال: حدثني غلام من أصحاب الحديث يقال له: عمارة الصيرفي[٢] أنه كان يكتب عن روح بن عبادة هو وعلي بن المديني وحدثهم بشيء عن شعبة، عن منصور، عن إبراهيم، قال: فقلت له: هذا عن الحكم.

قال فقال روح لعلي بن المديني: ما تقول؟ قال: صدق، هو عن الحكم، قال فأخذ روح قلماً فمحا منصور وكتب الحكم.

(١) تهذيب الكمال (٩/ ٢٣٨)، تهذيب التهذيب (١/٦١٤)، تقريب التهذيب (رقم:١٩٦٢).

(٢) لم أقف على ترجمته بعد البحث.

قال عَفّان فسألت علي بن المديني، وعمارة معي، فقال: صدق قد كان هذا.

قال عَفّان: فلما كان بعد ذلك سألتُ علياً عما أخبرني فقال: لا، ما أحفظه.

فقلت له: أنت حدثتني فما ينفعك جحودك الآن! »[1].

■ **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

من أجود من جمع ما قيل في روح بن عبادة بما يخدم موضوع البحث ابن حجر في مقدمة الفتح[2] فقال :« روح بن عبادة ... أدركه البخاريُّ بالسنّ، ولم يلقه، وكان أحد الأئمة، وثقه علي بن المديني، ويحيى بن معين، ويعقوب بن شيبة، وأبو عاصم، وابن سعد، والبزار وأثنى عليه أحمد وغيره[3]، وقال يعقوب ابن شيبة: قلت لابن معين: زعموا أنَّ يحيى القطان كان يتكلم فيه؟ فقال: باطل، ما تكلم فيه، وقال ابن المديني: كان ابن مهدي يطعن عليه في أحاديث لابن أبي ذئب، ومسائل عن الزهري، كانت عنده، فلما قدمتُ المدينة أخرجها إلي معن بن عيسى، وقال: هي عند بصري لكم يقال له: روح سمعها معنا، قال: فأتيت ابن مهدي فأخبرته، فقال: استحله لي، وكان عَفّان يطعن عليه فردَّ ذلك عليه أبو خيثمة فسكت عنه، وقال أبو خيثمة[4]: أشد ما رأيت عنه أنه حدث

---

(١)تاريخ بغداد (٩ / ٣٨٧).

(٢) (ص٤٢٢)، وأقوال النقاد الذين نقل عنهم ابن حجر موجودة في الجرح والتعديل (٣ /٢٢٥٥)، و طبقات ابن سعد(٢٩٦/٧)، وتاريخ بغداد (٩ / ٣٨٧).

(٣)وقال أبو حاتم :« صالح محله الصدق»

(٤) كذا وقع في مقدمة الفتح، والذي يظهر لي أنّ القائل هو: يعقوب بن شيبة كما في النص

مرة فردّ عليه ابنُ المديني اسما فمحاه من كتابه، وأثبت ما قال له علي، قلت: هذا يدل على إنصافه، وقال أبو مسعود: طعن عليه اثنا عشر رجلا فلم ينفذ قولهم فيه، قلت: احتج به الأئمةُ كلّهم».

وقد علق الذهبي على كلام ابن مهدي فيه بقوله :« هذا تعنتٌ، وقلة إنصاف؛ في حق حافظ قد روى ألوفا كثيرة من الحديث، فوهم في إسناد، فروح لو أخطأ في عدة أحاديث في سعة علمه، لاغتفر له ذلك أسوة نظرائه، ولسنا نقول: إن رتبة روح في الحفظ والإتقان كرتبة يحيى القطان، بل ما هو بدون عبد الرزاق، ولا أبي النضر »[1]، وقال أيضا :« ثقة مشهور حافظ من علماء أهل البصرة»[2].

ومما تقدم يتبين أنَّ سبب طعن عَفّان في روح قبول روح للتلقين، وقد كان من منهج عَفّان التشديد في مسألة قبول التلقين كما بينت ذلك في البحث الآخر في فقرة:«لا يقبل التلقين ويشدد فيه».

ولكن عند الموازنة بين صواب روح –مع كثرة مروياته– وخطئه نجد أنّ خطأه قليل لا يذكر في جنب صوابه كما قال الذهبيّ–رحمه الله .

فتلخص أنّ عَفّان تشدد في هذا الراوي مع مخالفة الحفاظ له في ذلك، وردّهم عليه مباشرة كما وقع من أبي خيثمة، والله أعلم.

****

المنقول من تاريخ بغداد.

(١)السير (٩/ ٤٠٦).

(٢)ميزان الاعتدال (٢ / ٥٩).

٦) سعيد بن عامر الضبعي، أبو محمد البَصْرِيّ (ت٢٠٨)– ع–[١].

- قول عَفّان بن مسلم:

قال ابن سعد :«كان ثقة صالحا، وقال عَفّان: أكتُبُ عنه الزّهد»[٢].

- الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

هذا الرجل له جلالة ومكانة في بلده، ومعروف بالصلاح والعبادة، قال يحيى بن سعيد :«هو شيخ المصر منذ أربعين سنة»، وقال زياد بن أيوب :«ما رأيت بالبصرة مثل سعيد بن عامر».

أما من حيث الضبط والإتقان فالنقاد مختلفون فيه فقد وثقه ابن معين، وابن سعد، والعجلي، وقال أبو حاتم الرازي :«كان رجلا صالحا، وكان في حديثه بعض الغلط،وهوصدوق»[٣]،وقال البخاري:«كثير الغلط»[٤]،ورجح ابن حجر أنه ثقة صالح

ويظهر من قول عَفّان أنه يميل إلى أنه يكتب عنه أحاديث الرقاق والزهد ونحو ذلك دون أحاديث الأحكام، ومثل هذا الاجتهاد لا يظهر عندي أنه من التشدد لأنّ هناك من تكلم في سعيد كما تقدم، ولأنّ له بعض المناكير التي ظهرت له[٥].

وقول عَفّان هذا يفيدنا أنه من النقاد الذين يتساهلون في الترغيب والترهيب كما هو قول عدد من أئمة الحديث[٦] .

---

(١) تهذيب الكمال (١٠/ ٥١٠)، تهذيب التهذيب (٢/٢٧)، تقريب التهذيب (رقم:٢٣٣٨).

(٢) طبقات ابن سعد (٩/٢٩٧).

(٣)الجرح والتعديل (٤/ رقم: ٢٠٨).

(٤) علل الترمذي الكبير (رقم١٧٩).

(٥) ينظر علل الترمذي الكبير (رقم ١٢٢، ١٢٣)، وعلل ابن أبي حاتم (رقم ٦٢٢ ، ٦٨٣ ، ٧٧٦ ، وعلل الدارقطني (رقم: ٥٢٤، ١٦٦٢، ٢١٣٠).

(٦)انظر: المستدرك على الصحيحين (١/٦٦٦)، الجامع لأخلاق (٢/٩١)، الكفاية (ص١٣٣)، شرح علل الترمذي (١/٣٧٢).

٧) سليمان بن داود البَصْرِيّ الشاذكوني، أبو أيوب البَصْرِيّ(ت ٢٣٤)[١].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال عَفّان :« جاءني الشَّاذكوني فأمليتُ عليه عبد الواحد بن زياد من أوله إلى آخره شيخاً شيخاً فبلغني بعد خمس سنين أو ست أنه يحدث به عن عبدالواحد،فقلتُ لهم: وَيْحَكم منِّي سَمِعَ هذا!!»[٢].

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

رمى الشاذكوني بالكذب عددٌ من كبار النقاد.قال ابن معين :«جربت على الشاذكوني الكذب»، وسئل صالح جزرة عن الشاذكوني فقال: ما رأيت أحفظ منه. قيل: بم كان يتهم ؟ قال: كان يكذب في الحديث »، وقال البخاري :«هو أضعف عندي من كل ضعيف ».

ويبدو أنه كان حافظا ولكنه لم يكن يتورع عن الكذب وسرقة الحديث، ولما قدم بغداد لم يتبين للحفاظ حاله فأثنى عليه أحمد بن حنبل وغيره، ثم تبين لهم حاله بعد وتعمده الكذب وغير ذلك مما رمي به مما لا يليق بعالم، والله أعلم.

وكلام عَفّان بن مسلم يؤيد قول من رماه بالكذب، فقد حدّثه بأحاديث عن عبدالواحد بن زياد ثم تبين لعَفّان أن الشاذكوني سرق هذه الأحاديث وحدّث بها مباشرة عن عبد الواحد بن زياد.

---

(١) الكامل (٤/٢٩٩)، تاريخ بغداد (١٠/٥٥)، وجميع النقول المذكورة في هذه الترجمة من هذين المصدرين.

(٢)تاريخ بغداد (٤ / ١٠٩).

٨) الضحاك بن مخلد الشيباني، أبو عاصم النبيل البَصْرِيّ(ت٢١٢) –ع–[١].

- قول عَفّان بن مسلم:

قال الأثرم :« سمعتُ أبا عبد الله –ذكر رواية أبي عاصم عن أبي عوانة[٢]– فقال: قال عَفّان: رأيتُ أنا أبا عاصم عند أبي عوانة يأخذ أخذا سيئا»[٣].

- الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

أبو عاصم النبيل متفق على توثيقه ، قال الخليلي :« متفق عليه زهدا، وعلما، وديانة، وإتقانا»[٤]، فلا كلام في عدالته و إتقانه.

وكلام عَفّان بن مسلم منصبٌ في طريقة سماع أبي عاصم عن أبي عوانة، ولم يوضّح عَفّان طريقة الأخذ السيِّء هذه، ومن عرف تشدد عَفّان في السماع وطريقته في العرض وتكرار ذلك مما بينته في البحث الآخر " الإمام عَفّان بن مسلم ومنهجه في التلقي والأداء والنقد" لم يستغرب هذا القول من عَفّان، وربما لو فسّر عَفّان هذه الطريقة لتبين أنها ليست بقادحة في طريقة سماع أبي عاصم من أبي عوانة.

وقد تتبعت رواية أبي عاصم عن أبي عوانة فلم أجد له شيئا في الكتب الستة ولا مسند أحمد ولا صحيحي ابن حبان ولا ابن خزيمة وغيرها من الكتب مما يدل على قلة روايته عنه وكذلك قلة اعتماد أصحاب الكتب عليه.

وكذلك لم أجد له ما يستنكر إلا أثرا رواه عن أبي عوانة ، عن الحكم ، عن

(١) تهذيب الكمال (١٣/ ٢٨١)، تهذيب التهذيب (٢/ ٢٢٥)، تقريب التهذيب (رقم:٢٩٧٧).

(٢) هو:الوضاح بن عبدالله اليشكري، تأتي ترجمته في المبحث الثاني برقم (١٣).

(٣)سؤالات الأثرم لأحمد بن حنبل (ص ٤٠ رقم٤٧).

(٤) الإرشاد (٣/٥٢١).

إبراهيم ، عن الأسود ، عن عمر قال: « مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ فَهُوَ حُرٌّ »[1] ، وخالفه عبد الرحمن بن مهدي ، فقال حدثنا أبو عوانة ، عن الحكم –ولم يذكر بعده أحدا ، لا من إبراهيم ، ولا من الأسود– قال : قال عمر : « مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ فَهُوَ حُرٌّ ».

وقد أجاب عن هذا الاختلاف الطحاوي في مشكل الآثار[2] فقال :« أن عبد الرحمن بن مهدي كذلك رواه عن أبي عوانة ، وأما أبو عاصم فرواه عن أبي عوانة ، كما ذكرناه عنه ، وهو حافظ متقن ، ومن كان كذلك كانت زيادته على الحافظ المتقن مقبولة ، ومما يؤكد ما قد روى أبو عاصم عليه هذا الحديث عن أبي عوانة ما حدثنا أحمد بن شعيب قال : أخبرنا عمرو بن علي قال : سمعت أبا الوليد يعني : الطيالسي يقول : رأيت في كتاب أبي عوانة يعني : هذا الحديث : حدثنا الحكم ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عمر[3] ، ثم ذكر مثله.يعني مثل حديث أبي عاصم، فعقلنا بذلك أن أبا عاصم حفظ من إسناد هذا الحديث عن أبي عوانة ، مما لم يحفظه عنه عبد الرحمن ، ومن حفظ شيئا كان أولى ممن قصر عنه».

****

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (رقم٤٨٩٠).

(٢) (٤٤٤/١٣).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (رقم٤٨٩١).

٩) عبد الرحمن بن مهدي العنبري، أبو سعيد البَصْرِيّ (ت١٩٨)–ع–[١].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال عَفّان :« كان ابن مهدي كثير التصحيف»[٢].

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل :« حدثني أبي قال: قال عَفّان: قال يحيى ابن سعيد: إن عبدالرحمن بن مهدي يقول: إن شعبة كان لا يقول:حدثنا فلان، الذي حدث عنه شعبة.

قال أبي: وإنما أراد عَفّان أن يعيب بهذا عبد الرحمن »[٣] .

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

عبد الرحمن بن مهدي إمام كبير، من أئمة الجرح والتعديل، وممن استفاضت شهرته.فلا كلام في ضبطه وإتقانه، غير مسألة وقوع التصحيف منه تطرقتُ إليه في البحث الآخر.و بينتُ أنّ عَفّان كان عجبا في العناية بكتابه ضبطا وحفظا ونقطا.وذكرت هناك قول أبي زرعة الدمشقي :«سمعت عَفّان بن مُسْلِم يقول: سمعت حَمّاد بن سلمة يقول لأصحاب الحديث:ويحكم، غيّروا. يعني قيّدوا واضبطوا، ورأيت عَفّان يحض أصحاب الحديث على الضبط والتغيير؛ ليصححوا ما أخذوا عنه من الحديث»[٤].

وبينتُ أيضا أنه ذُكرتْ بعض التصحيفات لابن مهدي[٥]، ولكن لتشدد

(١) تهذيب الكمال (١٧/ ٤٣٠)، تهذيب التهذيب (٢/٥٥٦)، تقريب التهذيب (رقم:٤٠١٨).

(٢)تصحيفات المحدثين (١/١١٥).

(٣)العلل (رقم٥٤٧).

(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (رقم١٢٢١)، الكفاية (رقم٧٦٥).

(٥) قال ابن أبي حاتم :« شهاب بن شرنفة...سمعت أبي يقول: غلط ابن مهدى في اسم أبيه فقال:

عَفّان في هذا الباب وصف أخطاء ابن مهدي بالكثرة بينما كان أبوزرعة ألطف في التعبير كما قال البرذعيُّ :«شهدتُ أبا زرعة ذكر عبدالرحمن بن مهدي ومدحه، وأطنبَ في مَدْحِه، وقال: وهم في غير شيء، قال: عن شهاب بن شريفة، وإنما هو: شهاب بن شُرْنُفة. وقال: عن سماك عن عبدالله بن ظالم، وإنما هو: مالك بن ظالم. وقال: عن هشام عن الحجاج عن عائد بن بطة، وإنما هو: ابن نضلة عن عليٍّ في الحدود. وقال: عن قيس بن جبير، وإنما هو: قيس بن حبتر.. »[1] .

وقول عَفّان هذا يفسّر لنا قولَ ابن معين–لما سأله محمدُ بنُ العباس النسائي: من أثبت عبدالرحمن بن مهدي أو عَفّان؟– :« إنَّ عبدالرحمن أحفظُ لحديثه وحديث الناس، ولم يكن من رجال عَفّان في الكتاب، وكان عَفّان أسن منه بسنتين»[2]، فمسألة العناية بالكتب وضبطها وشكلها من المسائل الهامة عند عَفّان بن مُسْلِم، ولم يكن ابن مهدي في الدرجة العالية من إتقان الكتاب ولذا وقعت فيه بعض التصحيفات، والله أعلم.

وأما الخبر الآخر وهو نقل عَفّان لكلام يحيى بن سعيد كي يعيب على عبد الرحمن بن مهدي فلم أجد تفصيلا واضحا يبين سياق القول، ويبين سبب قول ابن مهدي في شعبة، وما موقف يحيى القطان؟ ولكن ربما يكون هذا من كلام الأقران بعضهم في بعض، فجميع هؤلاء جازوا القنطرة حفظا وإتقانا وجلالة، والله أعلم.

= شهاب بن شريفة » الجرح (رقم١٥٨٧).

(١) سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي (٢/٣٢٦).

(٢) تاريخ بغداد (١٢/٢٧٤).

١٠) عبد الغفار بن القاسم،أبو مريم الأنصاري الكوفي(ت بعد ١٦٠هـ)[١].

▪ قول عَفّان بن مسلم:

قال العقيليُّ :« حدثنا الفضل بن جعفر قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عامر قال: حدثنا عَفّان قال: حدثنا شعبة عن الحكم عن مقسم : في الرجل إذا قتل صيدا.فلم يكن عنده جزاء قوم ذلك الصيد دراهم، ثم قومت الدراهم طعاما، فيصوم لكل نصف صاع يوما.

فقال أبان: هو عن ابن عباس وشهد له أبو مريم.

قال عَفّان –يعنى: أبان بن تغلب–: وبئس الشاهد – يعنى: أبا مريم–»[٢].

وقال أحمد بن حنبل :« قال عَفّان: خرجت أنا وبهز ، إلى الكوفة فقال لي بهز : اذهب بنا إلى أبي مريم ، فقلت : لا »[٣].

▪ الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

اتفق النقاد على جرح هذا الراوي في الضبط والعدالة، فقال علي بن المدينى :«كان يضع الحديث، ويقال: كان من رءوس الشيعة »[٤]، وقال ابن معين :« ليس بشيء »[٥]، وقال أحمد بن حنبل :« كان يحدث بلايا

---

(١)الضعفاء للعقيلي (٥ /٣٣٧)، الجرح والتعديل (٦/ رقم ٢٨٤).

(٢)الضعفاء للعقيلي (٥ /٣٣٧)، والمقصود أنّ عفان قال لأبان بن تغلب: إنّ أبا مريم بئس الشاهد، وبئس لفظ ذم كما لا يخفى.

(٣) العلل–رواية عبد الله (رقم ٢٨٧، ٢٤٧٣)، الضعفاء للعقيلي (٥ /٣٣٧).

(٤) الكامل (١٨/٧).

(٥)تاريخ ابن معين . رواية الدوري–(٣/رقم١٧٧٨).

في عثمان، وكان يشرب حتى يبول في ثيابه »[١]، وقال محمد بن عوف الحمصي :«ذكر لأحمد بن حنبل أبو مريم. فقال: ليس بثقة، كان يحدث ببلايا في عثمان – رضي الله عنه – ، وعامة حديثه بواطيل »[٢].

قال أبو حاتم :«متروك الحديث، كان من رؤساء الشيعة »[٣].

قلتُ: هذا الراوي متفق على تركه كما هو بيّن، فجرحُ عَفّان لهذا الراوي منسجمٌ مع كلام بقية النقاد، وأكثر من ذلك أنّ عَفّان بن مسلم لم يذهب إليه بسبب ما عرف عنه من الكذب والرفض وقلة الديانة، نسأل الله العافية والسلامة.

****

١١) عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، أبو محمد البَصْرِيّ (ت١٩٤)– ع–[٤].

- قول عَفّان بن مسلم:

قال عَفّان :« كنتُ أكتبُ عن عبد الوهاب الثقفي، فقال لي يوماً: عمّن أنتَ أروى؛ عن ابن عون[٥]؟ قلت له: عن سليم بن أخضر[٦]، فقال: جئني

(١)الضعفاء للعقيلي (٥ /٣٣٧).

(٢)الجرح والتعديل (٦/ رقم ٢٨٤).

(٣)المرجع السابق (٦/ رقم ٢٨٤).

(٤) تهذيب الكمال (١٨/ ٥٠٣)، تهذيب التهذيب (٢/ ٦٣٨)، تقريب التهذيب (رقم: ٤٢٦١).

(٥) هو: عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون البصري، ثقة ثبت فاضل، من أقران أيوب في العلم والعمل والسِنّ، مات سنة خمسين ومائة على الصحيح (ع). تقريب التهذيب (رقم:٣٥١٩).

(٦)هو: سُليم –بالتصغير– بن أخضر البصري، ثقة ضابط، مات سنة ثمانين ومائة (م ت س).تقريب التهذيب (رقم:٢٥٢٣).

بكتابك!، فقلتُ له: أنت هاهنا؟ قال: فتركته»(١).

■ **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

كبار أئمة الحديث ونقاده على توثيق عبد الوهاب فقد وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، والعجلي وغيرهم.

والذي يظهر لي أنّ تَرْكَ عَفّان له نوع من التشدد فلم أر أحدا تكلم فيه، مع تعديل أئمة الحديث له كما تقدم، وتخريج البخاري ومسلم له في الأصول(٢).

وسبب ترك عَفّان له هذا الموقف الذي ذكره، وتقدم في البحث الآخر عناية عَفّان بكتابه ضبطا وحفظا ونقطا، ومن حفظه أن لا يجعل أحدا من غير الحفاظ النقاد يطلع عليه، وكان من سير الرواة في ذلك الزمان أنهم لا يخرجون كتبهم وأصولهم إلا للحفاظ النقاد المنتصبين للجرح والتعديل من باب التوثيق وبيان ضبط الكتاب وحفظه، وصدق المعلومة(٣).

فتحصل أنّ ترك عَفّان لعبد الوهاب ليس من جرح في الراوي إنما لموقف معين أثر في نفس عَفّان فجعله ينفر منه لبشرية الناقد، والله أعلم.

*****

(١) العلل (رقم٢٥٥٨)، الضعفاء للعقيلي (٧٦/٣).

(٢) انظر البخاري (رقم:١٦، ١٨٢، ٣٢٤، ٥٦٨، ٦٠٦ وغيرها) ومسلم (رقم:٤٣، ١٧٧، ٢٦٧، ٢٧٤ وغيرها).

(٣) ينظر في هذا كتاب "الجرح والتعديل" للشيخ إبراهيم اللاحم (ص٦٩).

١٢) عثمان بن مقسم البُرِّيّ ، أبو سلمة الكندي البَصْرِيّ(١) .

■ قول عَفّان بن مسلم:

قال عَفّان :« كان عثمان البُرِّيّ يرى رأي القدر، وكان يغلط في الحديث، وكان يجد في كتابه الصواب فلا يرجع إلى كتابه، وكان يحدث عشرين حديثا عن علي، وعبد الله، وعمر، وأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ثم يقول: هذا كله باطل.ثم يَحْمَدُ ابنَ أبي حماد(٢) فيقول: هذا هو الحق، وكان يقول: اكتب زبيد بن الصلت، في الناس من يقول: زبيد، ويضحك»(٣).

قال عَفّان:« كان عثمان البُرِّيّ يغلط في الحديث، وكان يقول: اكتب زُبيد ابن المصلت، هِيهِ والناسُ يقولون: زبيد بن الصلت(٤) ثم يضحك»(٥).

قال عَفّان :« سمعتُ عثمان البري –ذكر الميزان عنده–فقال: له كفتان!!– ينكر الميزان»(٦).

■ الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

جمهور النقاد على جرح هذا الراوي في الضبط والعدالة، فقال أحمد بن

---

(١)الجرح والتعديل (٦ / ١٦٧رقم ٩١٨) التاريخ الكبير (٦ / ٢٥٢رقم٢٣١٩)، ضعفاء العقيلي (٣ /٢١٧)، سير أعلام النبلاء (٧ / ٣٢٦).قال الذهبي :«قلت: روى له الترمذي حديثا من طريق زيد بن الحباب، عن أبي سلمة الكندي، عن فرقد السبخي، فهو البري».

(٢) كأن معناه أنه يستخف بالأحاديث وينكرها ويثني على رأي "ابن أبي حماد" ولم يتبين لي من هو ؟.

(٣)ضعفاء العقيلي (٣ /٢١٩).

(٤) الجرح والتعديل (رقم٢٨١٦).

(٥)تصحيفات المحدثين (١/٧٠).

(٦)ضعفاء العقيلي (٣ / ٢١٩).

حنبل :« عثمان البري، حديثه منكر، وكان رأيه رأي سوء»(١) ،وقال يحيى ابن معين :« عثمان البرى ليس بشيء »(٢) ،وقال أبو حاتم :«متروك الحديث»(٣).

ومما تقدم يبين أنّ عَفّان لم يتشدد في هذا الراوي،بل جرحه جرحا مفسرا، موافقا في ذلك كبار أئمة النقد.

****

١٣) قيس بن الربيع الأسدي،أبو محمد الكوفي (ت١٦٨)– د ت ق –(٤).
(٤)

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال الخطيب :«أخبرنا البَرقانيُّ(٥)، قال: قرأتُ على أبي العباس محمد بن حمدان(٦)، حدثكم أبو العباس السراج(٧)، قال: سمعت الجوهري(٨) قال:

(١)الجرح والتعديل (٦/ ١٦٨رقم٩١٨).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) تهذيب الكمال (٢٤/٢٥)، تهذيب التهذيب (٣/٤٤٧)، تقريب التهذيب (رقم:٥٥٧٣).

(٥) هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو بكر البرقاني، ثقة إمام، (ت٤١٥). السير (١٧/ ٤٦٤).

(٦) هو:محمد بن أحمد بن حمدان،أبو العباس النيسابوري،الإمام الحافظ(ت٣٥٦).السير (١٦/ ١٩٣).
.(١٩٣

(٧) هو: محمد بن إسحاق السراج، أبو العباس البغدادي، ثقة حافظ، (ت٣١٣).السير (١٤/٣٨٨).

(٨) هو: حاتم بن الليث، أبو الفضل الجوهري، قال الخطيب :«كان ثقة ثبتا، متقنا حافظا»، (ت٢٦٢).تاريخ بغداد (٩/١٥٣).

حدثنا عَفّان قال: كان قيس ثقة، يوثقه الثوري، وشعبة»[1].

وقال عَفّان :«حدثني معاذ بن معاذ قال: قال لي شعبة: ألا ترى إلى يحيى بن سعيد يقع في قيس بن الربيع الأسدي.لا والله ما إلى ذلك سبيل.

قال عَفّان: قلت ليحيى بن سعيد : هل سمعت من سفيان يقول فيه يُغَلّطه، أو يتكلم فيه بشيء؟ قال : لا ، قلت ليحيى : أفتتهمه بكذب ؟ قال: لا، قال عَفّان: فما جاء فيه بحجة»[2].

وقال أبوحاتم :« كان عَفّان يروي عن قيس، ويتكلم فيه، فقيل له: تتكلم فيه؟ فقال: قدمت عليه فقال: حدثنا الشيباني عن الشعبي، فيقول له رجلٌ: ومغيرة، فيقول: ومغيرة، فقال له: وأبو حصين، فقال: وأبو حصين»[3].

وقال الدوري :« سمعتُ يحيى –وسئل عن قيس بن الربيع– فقال: قال عَفّان: أتيناه فكان يحدث، فربما أدخل حديث مغيرة في حديث منصور»[4].

وقال ابن حبان :«قال عَفّان: كنتُ أسمع الناس يذكرون قيسا فلم أدر ما علته، فلمّا قدمنا الكوفة أتيناه، فجلسنا إليه.فجعل ابنه يلقنه.ويقول له: حصين.فيقول: حصين، فيقول رجل آخر: ومغيرة.فيقول: ومغيرة، فيقول آخر: والشيباني.فيقول: والشيباني »[5].

(١)تاريخ بغداد (١٤/٤٧٢).

(٢)تاريخ بغداد (١٤/٤٧٢).

(٣)الجرح والتعديل (٧ /رقم ٥٥٣).

(٤)تاريخ ابن معين –رواية الدوري– (٢١٨٤)، الجعديات (رقم: ١٦٩٤).

(٥)المجروحين (٢ / ٢١٩).

■ **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

قيس بن الربيع ضعفه جمهور النقاد منهم: وكيع، وابن المديني، وابن معين، وأحمد، وأبو زرعة، وأبوحاتم وغيرهم، وقال الفلاس :« كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عن قيس بن الربيع، وكان عبدالرحمن حدثنا عنه قبل ذلك، ثم تركه »(١).

وبمقابل هؤلاء وثقه شعبة والثوري–كما نقل عَفّان في كلامه–، ومعاذ بن معاذ وغيرهم.

وعندي أنّ أفضل من جمع بين هذا التعارض في قيس بن الربيع الحافظ ابن حبان في المجروحين. حيث قال:«قد سبرت أخبار قيس بن الربيع من رواية القدماء والمتأخرين وتتبعتها فرأيته صدوقا مأمونا. حيث كان شابا فلما كبر ساء حفظه وامتحن بابن سوء فكان يدخل عليه الحديث فيجيب فيه ثقة منه بابنه، فلما غالب المناكير على صحيح حديثه ولم يتميز استحق مجانبته عند الاحتجاج، فكل من مدحه من أئمتنا، وحث عليه كان ذلك منهم لما نظروا إلى الأشياء المستقيمة التي حدث بها عن سماعه.

وكل من وهاه منهم فكان ذلك لما علموا مما في حديثه من المناكير التى أدخل عليه ابنه وغيره.

قال عَفّان: كنتُ أسمع الناس يذكرون قيسا فلم أدر ما علته، فلمّا قدمنا الكوفة أتيناه، فجلسنا إليه فجعل ابنه يلقنه ويقول له: حصين. فيقول: حصين، فيقول رجل آخر: ومغيرة. فيقول: ومغيرة، فيقول آخر: والشيباني

(١)الجرح والتعديل (٧ /رقم٥٥٣).

فيقول: والشيباني »[1].

وهذا الجمع من ابن حبان يحل إشكال توثيق عَفّان له مرة، ومرة يجرحه، فمن خلال ضم كلام عَفّان بعضه لبعض يبين أنّ عَفّان بن مسلم كان يوثقه تقليدا لشعبة والثوري، ثم رأى أنّ النقاد الآخرين –مثل يحيى القطان، ووكيع وابن مهدي وغيرهم– يتكلمون فيه، فلم يدر ما سبب ذلك، وكان يبحث عن جرح مفسر لقيس، ويحاور شيخه يحيى القطان في هذا–كما تقدم–، حتى قدم الكوفة فاكتشف العلة بنفسه وأنه كان يلقن فيتلقن، وهذا جرح شديد في الراوي، وكأنّ هذا التلقين متأخر بعد وفاة شعبة والثوري فلم يكتشفا المنكرات التي ظهرت له.

وقال أحمد بن حنبل . وذكر قيساً . :« كان له ابن يأخذ حديث مِسْعر ، وسفيان الثوري ، والمتقدمين ، فيدخلها في حديث أبيه ، وهو لا يعلم »[2].

وفي كلام عَفّان عدة فوائد تتعلق بمنهجه في الجرح والتعديل.منها:

- أثر التلقين في جرح الرواة.
- عدم التقليد في نقد الرواة، وطلب الأدلة على جرحهم.
- أنه ربما يخفى على الناقد سبب الطعن في الراوي، وربما يكتشفه، وربما لا يكتشفه، فيكون هذا من أسباب الاختلاف بين النقاد، وهنا تطبق قاعدة الجرح المفسر يقدم على التعديل المجمل.
- تغير اجتهاد الناقد في الرواة لظهور أدلة وقرائن خفيت عليه.

****

(١) المجروحين (٢/١١٨-١١٩).

(٢) الكامل (٦/ ٣٩).

١٤) محمد بن ثابت بن أسلم البناني البَصْرِيّ –ت–[١].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال عَفّان–كما في «الجرح والتعديل»– :« محمد بن ثابت البنانى رجلٌ ضعيفُ الحديث »[٢].

وفي كتاب «تاريخ أسماء الثقات» لابن شاهين[٣]–:«وكان عَفّان يقول: محمد بن ثابت البناني صدوق في نفسه، ولكنه ضعيف الحديث ».

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

اتفق النقاد على ضعف محمد بن ثابت فقال يحيى بن معين :«ليس بشيء »[٤]، وقال البخاري :«فيه نظر »[٥]، وقال أبو حاتم :«منكر الحديث، يكتب حديثه، ولا يحتج به»[٦]، وضعفه أبوزرعة، وأبو داود، والنسائي وغيرهم.

---

(١) تهذيب الكمال (٥٤٧/٢٤)، تهذيب التهذيب (٥٢٤/٣)، تقريب التهذيب (رقم:٥٧٦٧).

(٢)الجرح والتعديل (٧ /رقم١٢٠٣)، قال ابن حجر بعد نقله كلام ابن أبي حاتم :« كذا ذكر ابن أبي حاتم!، والذي في تاريخ ابن أبي خيثمة هذه القصة عن محمد بن ثابت العبدي، فالله أعلم »، قلتُ: ولم أجد كلام عفان في المطبوع من تاريخ ابن أبي خيثمة، ولكن تعدد المصادر التي تنسب القول لعفان في البناني دليل على صحته، فممن نقل قول عفان ابنُ أبي حاتم، وابنُ شاهين، والخليليُّ، ومما ينبغي التفطن له أن البناني والعبدي كلاهما ضعيف الحديث.

(٣)(رقم: ١٢٠٣)، وكذلك في الإرشاد للخليلي (٨٨٢/٣).

(٤) تاريخ الدوري (٢ / ٥٠٧).

(٥) التاريخ الكبير (١/رقم١٠٣).

(٦)الجرح والتعديل (٧ /رقم١٢٠٣).

فحكم عَفّان على هذا الراوي موافق لحكم بقية، وليس في قوله تشدد أو تعنت.

١٥) محمد بن طلحة بن مصرف، أبو عبد الله اليامي (ت١٦٧)–خ م د ت عس ق–[١].

■ قول عَفّان بن مسلم:

قال عَفّان :«كان محمّد بن طلحة يروي عن أبيه، وأبوه قديم الموت، وكان النّاس كأنهم يكذبونه، ولكن من كان يجترئ أن يقول لمحمد بن طلحة إنك تكذب؟، كان من فضله وكان»[٢].

■ الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

أعدل الأقوال عندي في الحكم على محمد بن طلحة ما اختاره الذهبي في قوله :« صدوق مشهور، محتج به في الصحيحين »[٣].

ولكن المسألة التي تحدث عنها عفان مسألة أخرى تتعلق بسماع محمد بن طلحة من أبيه.فبين عفان أنّ هناك من يشكك في سماعه من أبيه، ولم يسمّ أحدا من هؤلاء، ولم أجد من كذبه في سماعه من أبيه، ولكن وجدت خلافا بين النقاد في سماعه من أبيه:

فطائفة تثبت سماعه من أبيه وعلى رأسهم الإمام البخاري فقال في التاريخ الكبير:« سمع أباه »[٤] ، وخرّج له في صحيحه عن أبيه–كما سيأتي–، وقال

(١) تهذيب الكمال (٤١٧/٢٥)، تهذيب التهذيب (٥٩٥/٣)، تقريب التهذيب (رقم:٥٩٨٢).

(٢) طبقات ابن سعد (٤٩٧/٨)

(٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٨٨)، وينظر –مع المراجع السابقة– مقدمة الفتح (ص٤٣٩).

(٤)التاريخ الكبير (١٢٢/١رقم٣٥٨).

ابن معين :« ثقة يقال سمع من أبيه وهو صغير »[١]، وقال العجلي :«كوفي ثقة إلا أنه سمع من أبيه وهو صغير »[٢].

وطائفة لم تثبت سماعه من أبيه كما حكى ذلك عفان بن مسلم، وقال الدارقطني –وهو متأخر عن عفان–قال :« لم يسمع من أبيه »[٣].

والذي يظهر أنه لم يسمع من أبيه سماع تمييز وفهم.ومما يؤيد ذلك ما رواه عباس الدوري في تاريخه :«عن يحيى بن معين: قال أبو كامل مظفر بن مدرك: قال محمد بن طلحة: أدركتُ أبي كالحلم، قال أبو الفضل: قلت أنا ليحيى كم يروي محمد بن طلحة عن أبيه؟ قال:قد روى عن أبيه أحاديث صالحة»[٤]، وفي الجعديات[٥] :«قال يحيى: وسمعت والله أبا كامل يقول : أما محمد بن طلحة ، فقال:أهاب حديث أبي، والله ما أذكر أبي إلا كالحلم».

ومعنى ذلك أنه لما توفي والده كان عمره في حدود أربع سنوات ربما يزيد قليلا أو ينقص، ومثل هذا السن لا يعقل ما يحدث به عقل فهم وتمييز وتحمل، ربما يعقل بعض الكلمات، وبعض الأحداث التي يشاهدها كما قال محمود بن الربيع :«عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجّة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو »[٦].

وأمّا أن يتحمل أحاديث ويحفظها ويضبطها ففي هذا السن لا يمكن، ولذا قال

---

(١) الكامل (٧/ ٤٧٤).

(٢) معرفة الثقات (٢/٢٤١رقم١٦١٠).

(٣)العلل (٤/٣١٥).

(٤)تاريخه (٢/ ٥٢٣)، الجرح والتعديل (٧/ رقم:١٥٨١)، الكامل (٧/ ٤٧٤).

(٥) (رقم٢٢٨٨).

(٦) أخرجه البخاري (رقم٧٧)، ومسلم (رقم٣٣).

ابن معين :«ولم يكن يقول في حديثه : حدثنا أبي »[1]، وصرّح محمد بن طلحة بأنه يتهيب حديث أبيه، وذلك لصغر سنه في ذلك الوقت.

ومع ما تقدم يبقى أنّ روايته عن أبيه صالحة للاحتجاج لعدة أمور:

الأوَّل: أن الدوري–كما تقدم– سئل ابن معين: كم يروي محمد بن طلحة عن أبيه؟ قال:قد روى عن أبيه أحاديث صالحة » وصالحة وإن كان يسبق للذهن صلاحية العدد، إلا أنه ربما قصد بها الاستقامة، وقد تتبعتُ أحاديثه عن أبيه فلم أجد له ما يستنكر، والأحاديث التي وقفت عليها مما صحَّ إسناده إليه:

١–حديثه عن أبيه عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلا على من دونه فقال النبي صلى الله عليه وسلم :«هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم »[2]، وقد تابع محمد بن طلحة: مسعر بن كدام[3].

٢– حديثه عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« مَنْ مَنَحَ مِنْحَةَ وَرِقٍ، أَوْ مِنْحَةَ لَبَنٍ، أَوْ هَدَى زُقَاقًا، فَهُوَ كَعِتَاقِ نَسَمَةٍ، وَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَهُوَ كَعِتَاقِ نَسَمَةٍ..»[4]، وهو حديث طويل ربما رواه بعضهم مختصرا، وقد تابع محمد بن طلحة كبار الثقات منهم: منصور بن

---

(١) معرفة الرجال (رقم٦٧٢)

(٢) كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (رقم٢٨٩٦).

(٣) أخرجها النسائي في السنن، الجهاد، الاستنصار بالضعيف (رقم٣١٧٨) وغيره، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه: أحمد (رقم١٨٥١٦).

المعتمر[١]، وأبو إسحاق السبيعي[٢]، وشعبة بن الحجاج[٣] وغيرهم.

٣- حديثه عن أبيه عن هلال بن يساف ، عن سعيد بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«اسكن حراء ، فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد »[٤] وقد توبع في الحديث: حيث رواه جمع عن حصين بن عبد الرحمن عن هلال –به–[٥].

الثاني: أنّ رواية محمد عن أبيه، والغالب أنَّ المرء أعلم الناس بوالده وأخباره حيث يأخذها عن أهل بيته، ومن هنا قوى الحفاظ رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه مع اتفاقهم على عدم سماعه منه لصغر سنه، ولذلك قال يعقوب بن شيبة :« إنما استجاز أصحابنُا أن يدخلوا حديثَ أبي عبيدة عن أبيه في المسند–يعني في الحديث المتصل–،لمعرفة أبي عبيدة بحديث أبيه وصحتها، وأنه لم يأت فيها بحديث منكر»[٦]، وقال ابن رجب : «وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، لكن رواياته عنه صحيحة »[٧].

الثالث: ومما يؤيد قوة الاحتجاج بروايته عن أبيه أن الرجل صاحب فضل– كما قال عفان– وعبادة وصلاح.فمثل هذا يبعد أن ينسب لنفسه ما ليس صحيحا، والله أعلم.

****

---

(١)أخرجه: أبوداود (رقم٦٦٤).

(٢)أخرجه: الترمذي (رقم١٩٥٧) وقال :«هذا حديث حسن صحيح غريب ».

(٣)أخرجه: أحمد (رقم٧٧٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (رقم٨٩٠)، والشاشي في المسند (رقم٢٠١).

(٥) أخرجه: أبوداود (رقم٤٦٤٨)، والترمذي (رقم٣٧٥٧) وقال :«حسن صحيح ».

(٦)شرح علل الترمذي (١/ ٥٤٤).

(٧)فتح الباري – له – (٧: ١٧٤).

١٦) محمد بن الفضل السدوسي الملقب (عارم)، أبو النعمان البَصْرِيّ (ت٢٢٤)–ع–[١].

- قول عَفّان بن مسلم:

قال محمد بن إسماعيل :« قام رجل إلى عَفّان فقال : يا أبا عثمان ، حدثنا بحديث حَمّاد بن سلمة ، عن حميد، عن أنس أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » ، فقال له عَفّان : إن أردته عن حميد عن أنس[٢]؛ فاكتر زورقا بدرهمين وانحدر إلى البصرة يحدثك به عارم عن حميد عن أنس!، فأما نحن فحدثنا حَمّاد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة »[٣].

- الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

عارم من الثقات الأثبات ، بل قال أبوحاتم – على تشدده في التزكية– : «إذا حدثك عارم فاختم عليه، وعارم لا يتأخر عن عَفّان، وكان سليمان بن حرب يقدم عارما على نفسه، إذا خالفه عارم في شيء رجع إلى ما يقول عارم، وهو أثبت أصحاب حماد بن زيد بعد عبد الرحمن بن مهدي »[٤].

ولكن نصَّ النقاد على اختلاط عارم والذي تحرر لي في وقت اختلاطه أنَّ

---

(١) تهذيب الكمال (٢٦/٢٨٧)، تهذيب التهذيب (٣/٦٧٥)، تقريب التهذيب (رقم:٦٢٢٦).

(٢) أخرجه من هذا الوجه المعلول البزار في مسنده (رقم٦٦١٩) وقال :«هذا الحديث لا نعلم رواه عن حماد، عن حميد، عن أنس إلا محمد بن الفضل »، والعقيلي في الضعفاء (٤/١٢٢)..

(٣) الضعفاء للعقيلي (٤/١٢٢)، الكفاية (رقم٣٨٣).

(٤) الجرح والتعديل (٨/ ٥٨رقم ٢٦٧).

التغير بدء به :«سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم راجعه عقله ثم استحكم به الاختلاط سنة ست عشرة ومائتين »[١] كما قال أبوداود، ثم إنّ هذا الاختلاط الذي وصفه أبوداود بالمستحكم ليس شديدا–فيما يظهر لي– يبين ذلك قول أبي حاتم :« اختلط عارم في آخر عمره وزال عقله، فمن سمع منه قبل الاختلاط فسماعه صحيح.وكتبتُ عنه قبل الاختلاط سنة أربع عشرة، ولم أسمع منه بعد ما اختلط، فمن سمع منه قبل سنة عشرين ومئتين، فسماعه جيد، وأبو زرعة لقيه سنة اثنتين وعشرين »[٢]، وقد بلغ الاختلاط غايته سنة عشرين ومئتين إلى وفاته سنة أربع وعشرين ومائتين–رحمه الله– وذكر العقيلي وغيره نصوصا أخر تبين هذا الأمر لا نطيل بذكرها.

ولم تظهر له منكرات بعد اختلاطه إلا النزر اليسير كما قال الدارقطني: «تغير بأخرة، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر، وهو ثقة»[٣].

ومن هذا النزر اليسير الحديث الذي ذكره عَفّان حديث :« اتقوا النار ولو بشق تمرة » فقد حدّث به عارم سنة سبع عشرة ومائتين –كما في رواية علي ابن عبد العزيز عند العقيلي[٤]– على الخطأ، بينما رواه على الصواب سنة ثمان ومائتين، ولم يكن تغير بعد، قال العقيلي :« حدثناه جدي قال: حدثنا عارم سنة ثمان ومائتين قال:حدثنا حماد بن سلمة عن حميد، عن الحسن أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: –فذكر مثله–.

---

(١)الضعفاء للعقيلي (١٢١/٤).

(٢)الجرح والتعديل (٨/ ٥٨رقم ٢٦٧).

(٣) سؤالات السلمي للدارقطني (رقم:٣٩٠).

(٤)الضعفاء للعقيلي (١٢٢/٤).

قال جدي: حججتُ سنة خمس عشرة ورجعتُ إلى البصرة، وقد تغير عارم، فلم أسمع منه بعد شيء حتى مات، ومات سنة أربع وعشرين ومائتين».

والذي يظهر لي أنَّ كلام عَفّان في عارم كان بعد تغير عارم؛ ربما في حدود سنة سبع عشرة ومائتين وهي السنة التي حدّث فيها بهذا الحديث المعلول.

وفي كلام عَفّان ما يبين عدم قبوله للتلقين، والتنفير منه، وهذا يدل على ضبطه وشدة إتقانه.

*****

١٧) نصر بن طريف، أبو جُزَيّ الباهلي[١].

- قول عَفّان بن مسلم:

قال محمد بن إسماعيل الصائغ :«دخلنا على عَفَّان وهو مريضٌ، فإذا عند رأسه قِمَطران[٢]، وعليهما رِبَاط، فقال له أبو العباس–جار له–: ما هذا القمطرين عليهما الرباط إلى الساعة؟!، فقال له عَفَّان: هذه من حديث أبي جُزِي[٣]، ما فتحتها إلى الساعة»[٤].

- الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

هذا الراوي متفق على ضعفه وتركه قال عنه أحمد بن حنبل :«لا يكتب

(١) لسان الميزان (٣/٦٩).

(٢) القِمَطْرُ والقِمْطَرَةُ: ما تُصان فيه الكتب. لسان العرب(٥ / ١١٦).

(٣) هو: نصر بن طريف، أبو جزي الباهلي، متروك الحديث. لسان الميزان (٣/٦٩).

(٤) الضعفاء للعقيلي (٤/ ٢٩٧).

حديث أبي جزي نصر بن طريف » [١]، وقال يحيى بن معين :«أبو جزي ليس حديثه بشيء »[٢].

وقال الفلاس:«اجتمع أهل العلم من أهل الحديث أنه لا يروى عن جماعة سماهم، أحدهم: أبو جُزي نصر بن طريف»[٣].

ومما تقدم يبين أنّ عَفّان لم يتشدد في هذا الراوي بل تركه لشدة ضعفه كما هو قول جميع النقاد.

****

١٨) هشام بن زياد بن أبي يزيد، أبو المقدام المدني –ت ق–[٤].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال الحسن بن علي الحلواني:«رأيت في كتاب عَفّان حديث هشام أبي المقدام حديث عمر بن عبد العزيز[٥]. قال هشام: حدثني رجلٌ يقال له يحيى

(١)الجرح والتعديل (٨/ ٤٦٦رقم ٢١٣٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) تهذيب الكمال (٣٠/ ٢٠٠)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٧٠)، تقريب التهذيب (رقم: ٧٢٩٢).

(٥) أخرجه بطوله: عبد بن حميد في مسنده (رقم٦٧٤) والعقيلي في الضعفاء (٤/٣٤٠)، وابن عدي في الكامل (٧/١٠٦) وغيرهم.جميعهم من طريق هشام بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي قال : عهدت عمر بن عبد العزيز رحمه الله وهو علينا عامل بالمدينة وهو شاب غليظ البضعة ممتلئ الجسم...الخ وفيه :« حدثني ابن عباس ورفع ذلك إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– قال : « إن لكل شيء شرفا ، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، وإنما يجالس بالأمانة... ». قال العقيلي :« وليس لهذا الحديث طريق يثبت».

ابن فلان عن محمد بن كعب، قال: قلت لعَفّان: إنهم يقولون: هشام سمعه من محمد بن كعب؟، فقال: إنما ابتلي من قبل هذا الحديث، كان يقول: حدثني يحيى عن محمد[1]، ثم ادعى بعد أنه سمعه من محمد»[2].

وقال البرقاني :« قلت له–يعني للدارقطني–: حديث هشام بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس الحديث الطويل الذي فيه ذكر عمر بن عبد العزيز ؟ فقال: أفسده عَفّان؛ لأنه قال: حدثنيه هشام قديما عن فلان عن محمد بن كعب، قال أبوالحسن: وبودي أن يكون صحيحا فإنه عندنا عالٍ ، حدثنا به عن عبيد الله العيشي، عن هشام »[3].

- **المـوازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

هذا الراوي متفق على ضعفه وترك حديثه، قال ابن معين–في رواية–: «كذاب».

ويظهر لي أنّ من أسباب كشف كذب هشام بن زياد ضبط عَفّان بن مُسْلِم ودقته حيث ضبط أنه حدّثه قديما عن يحيى عن محمد بن كعب، ثم ادعى بعد أنه سمعه من محمد بن كعب وهذا كذب، ومن هنا كشف كذبه ولهذا قال الدارقطني :« أفسده عَفّان»، فما أدقَّ نقد المحدثين وأفطنهم!.

وفي هذا النص من الفوائد:

---

(١) أخرجه من هذا الوجه ابن سعد في الطبقات (٥/٣٧٠) قال: أخبرنا عَفّان بن مسلم قال: حدثنا أبو المقدام هشام قال: حدثني يحيى بن فلان قال: قدم محمد بن كعب القرظي على عمر بن عبد العزيز، قال: وكان عمر حسن الجسم..الخ.

(٢) مقدمة صحيح مسلم (ص١٤)، سؤالات الآجري (رقم ١٣٤٢)، الضعفاء للعقيلي (٤/٣٣٩).

(٣) (سؤالاته: الترجمة ٥٨٥).

–جلالة عَفّان بن مسلم وإمامته في الجرح والتعديل.

–بيان كيفية معرفة النقاد لأوهام الرواة وأخطائهم وكذبهم.

–دقة المعايير التي سلكها المحدثون لكشف أحوال الرواة.

–حفظ الله لهذا الدين بهؤلاء الأئمة الحفاظ الذين تفرغوا لهذه السنة العظيمة، وذبوا عنها.

****

١٩) وهب بن جرير بن حازم، أبو عبد الله الأزدي البَصْرِيّ ، (ت٢٠٦)–ع–[١].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال ابن سعد :«كان عَفّان يتكلم فيه»[٢]، وكذلك قال العجلي[٣].

وقال الآجري :«قلت لأبي داود : بلغك عن عَفّان إنه ليُكَذّب وهب بن جرير ؟ فقال: حدثني عباس العنبري قال: سمعت عليا يقول : أبو نعيم، وعَفّان، صدوقان[٤]، لا أقبل كلامهما في الرجال هؤلاء لا يدعون أحدا إلا وقعوا فيه.

---

(١) تهذيب الكمال (٣١/ ١٢١)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٢٩)، تقريب التهذيب (رقم:٧٤٧٢).

(٢) طبقات ابن سعد (٩/٢٩٩).

(٣) معرفة الثقات (رقم: ١٩٥٣).

(٤) المراد بالصدوق هنا من بلغ الغاية في الإتقان والضبط هذا معناها الأصلي في اللغة وفي لسان الشرع، وإن كان المحدثون يستعملون هذه اللفظة في الراوي المتوسط الحال، وسياق الكلام وقرائن الحال تفسر مراد الناقد في إطلاق لفظة :«صدوق»، قال الدكتور عبد العزيز التخيفي :«وبالجملة فإنَّ مادة صَدَقَ وما يشتق منها أكثر استعمالاً في خطاب الشارع من وَثَقَ، بل إنَّ لفظة (صدوق) أقوى دلالة على غاية التثبت في القول من صيغة ثقة وذلك من حيث اللغة، ومن حيث استعمال الشارع »(دراسة المتكلم فيهم من رجال تقريب التهذيب ١/ ١٣٦)، وينظر للفائدة: لسان العرب (١٠: ١٩٣)، معجم مقاييس

قال أبو داود : عند وهب بن جرير ، عن شعبة أربعة آلاف حديث.

قال عَفّان: كاد وهب أن يقول: أخبرنا شعبة.

وسمعت أبا داود يقول : قال عبد الرحمن بن مهدي : رجال يحدثون عن شعبة ما رأيناهم عند شعبة، ولا، ولا، يعني وهب بن جرير»[1].

وقال عبد الله بن أحمد :«قال أبي: وهب بن جرير، كان صاحب سنة سمعتُ أَبي يقول: قال عبدالرحمن بن مهدي: هاهنا قوم يحدثون عن شعبه ما رأيتهم. قلت له: من يعني بهذا؟ قال: وهب بن جرير. قال أبي: ما رُئي وهب عند شعبة، ولكن كان صاحب سنة، حدّث–زعموا–عن شعبة نحوًا من أربعة آلاف حديث. قال عَفّان: هذه أحاديث الرصاصي. قلت لأبي: ما هذا الرصاصي؟ قال: كان إنسان بالبصرة، يقال له: الرصاصي، وكان قد سمع من شعبة حديثًا كثيرًا. قال أبو عبد الرحمن: الرصاصي هذا عبد الرحمن بن زياد[2]، وقع إلى مصر. قال أبي: قال وهب بن جرير: كتب لي أبي إلى شعبة فكنت أجيء فأسأله»[3].

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

اللغة (٣/ ٣٣٩).

(١)سؤالات الآجري (رقم٩٨٠).

(٢)هو: أبو عبد الله: من أهل العراق، سكن مصر يروي عن شعبة والمسعودي وغيرهما، روى عنه الحميدي وسلمان بن شعيب الكيساني وأهل بلده، قال أبوزرعة :« لا بأس به، حدثنا عنه الحميدي »، وقال أبو حاتم :« صدوق »، وقال ابن حبان –في الثقات–:«ربما أخطأ ».ترجمته: التاريخ الكبير (٥ / ٢٨٣رقم٩١٧)، الثقات لابن حبان (٨/ ٣٧٤)، الجرح والتعديل (٥/٢٣٥)، لسان الميزان (٢/٩١).

(٣)العلل (٢٣٨٦ و٢٣٨٧)، الضعفاء للعقيلي (٤/ ٣٢٤)، الكامل (٨/٣٤٢).

من أجود من جمع ما قيل في وهب بن جرير بما يخدم موضوع البحث ابنُ حجر في مقدمة الفتح[١] فقال :«وهب بن جرير بن حازم البَصْرِيّ، أحد الثقات، ذكره ابنُ عدي في الكامل، وأورد قول عَفّان فيه أنه لم يسمع من شعبة، وقال أحمد عن ابن مهدي: ما كنا نراه عند شعبة، قال أحمد: وكان وهب صاحب سنة، ووثقه ابن معين، والعجلي، وابنُ سعد، وقال أبو داود: سمع أبوه من ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب نسخة فاشتبهت عليه فحدث بها عن أبيه، عن يحيى بن أيوب، عن يزيد بن أبي حبيب، وأشار ابن يونس في ترجمة يحيى بن أيوب إلى نحو ذلك، قلتُ: ما أخرج له البخاري من هذه النسخة شيئا، واحتج به الأئمة، وأوردوا له من حديثه عن شعبة ما توبع عليه ».

قلتُ: وهب بن جرير جمهور النقاد على توثيقه، ومن طعن فيه إنما طعن بروايته عن شعبة بن الحجاج، وكلام عَفّان فيه متوجه لهذا السبب فقط، ولهذا كان موقف النقاد من هذا الطعن واضح وصريح بأنه تشدد من عَفّان، وأنه ثبت سماعه منه في مجالس خاصة كما يستفاد هذا من قول وهب نفسه حيث يقول:«كان شعبة يجيء إلى أبي يسمع منه ، فكنت أفيده عنه ، فجعل لي كل يوم خمسة أحاديث يحدثني بها »[٢].

وكذلك قول أحمد بن حنبل المتقدم :« قال وهبُ بنُ جرير: كتب لي أبي إلى شعبة فكنت أجيء فأسأله ».

وقال الإمامُ البخاري في التاريخ الكبير:«سمع شعبة،سمع منه الحميدي »،

(١)(ص٤٧٣)،وأقوال النقاد الذين نقل عنهم ابن حجر موجودة في المصادر المذكورة في الهوامش السابقة.

(٢)الجرح والتعديل (٩ / ٢٨رقم١٢٤).

وأخرج له في الصحيح عن شعبة (١٩) رواية(١)، وكذلك الإمام مسلم في صحيحه في (١٦) موضعا (٢)، و في بعض الرويات التصريح بالسماع من شعبة.

وأقوال النقاد في تقديم وهب في شعبة كثيرة.منها:

–قول الدورقي : « إذا خرَّجتُ حديث شعبة لم أُقدم على وهب بن جرير أحداً »(٣).

– وسأل أحمد بن سعيد الدارمي أحمد بن حنبل : عمن أكتب حديث شعبة ؟ قال : « كنا نقول . وأبو داود حي : يُكتب عن أبي داود ، ثم عن وهب ، أما أبو داود فللسماع ، وأما وهب فللإتقان »(٤).

–وقال أحمد بن منصور الرمادي : « اجتمعت ليلة مع محمد بن مسلم بن وارة ، فذكرنا أصحاب شعبة . فقلت أنا : أبو النضر أثبت من وهب بن جرير . وقال هو : وهب بن جرير أثبت . فغدونا على أبي عبد الله أحمد بن حنبل فقال : أبو النضر ؛ كتب عن شعبة إملاءً »(٥).

–وقال ابن أبي حاتم : « سئل أبي عن محل حرمي بن عمارة ، فقال : ليس هو في عداد يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي ، وغُندَر ، وهو مع عبد

---

(١) منها (٢٤٢٥، ٣٩٤٩، ٣٩٥٦، ٤٣٨٧) وغيرها.

(٢) منها (٣٤٨، ١٤٢٧، ١٤٢٧، ١٥١٥) وغيرها.

(٣)الكامل (٣٤٢/٨).

(٤) إكمال تهذيب الكمال (٥٤/٦).

(٥) تاريخ بغداد(٦٥/١٤) ، تهذيب الكمال (١٣٤/٣٠).

الصمد بن عبد الوارث ، ووهب بن جرير ، وأمثالهما »[١].

–وقال إسحاق بن أحمد الفارسي :« وسئل العباس الدوري عن موسى بن مسعود ، والحوضي؟ فقال: الحوضي أوثق وأحسن حديثاً وأشهر ، كان يُعدّ الحوضي مع عبد الصمد ، ووهب بن جرير»[٢].

وغير ذلك من الأقوال التي لا نطيل بذكرها.

وأمَّا قول عَفّان:«هذه أحاديث الرصاصي» بمعنى أنّ أحاديث وهب التي يرويها عن شعبة هي نفسها أحاديث الرصاصي، فالجواب:

أنَّ الرصاصي–وتقدم أنه صدوق– مكثر عن شعبة كما قال الإمام أحمد، فلا يمنع أن يشتركا في رواية أحاديث معينة عن شعبة فلا يعلم بها عَفّان!، فالإحاطة بمثل هذه الأمور متعذرة، ولو كان أخذها من الرصاصيّ ونسبها لنفسه لما فات هذا على كبار أئمة الحديث الذين وثقوه، واعتمدوا حديثه، وخرجوها في أصح الكتب، ومن المحتمل أنّ وهب بن جرير أخذ أحاديث الرصاصي وسئل عنها شعبة فحدثه بها، والله أعلم.

وخلاصة القول في وهب بن جرير ما قاله الذهبي في « الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم»[٣]، قال : « وهب بن جرير ثقة حافظ ، حديثه في الكتب ، ضُعف في شعبة ، نعم ما هو كغُنْدَر ».

فتلخص مما تقدم أنّ عَفّان تشدد في هذا الراوي مع مخالفة النقاد له في ذلك، والله أعلم.

---

(١)الجرح والتعديل (٣٠٧/٣رقم ١٣٦٨).

(٢)تهذيب الكمال (٢٩/٧).

(٣) (ص١٨٨).

وفيما تقدم فوائد تتعلق بباب الجرح والتعديل.منها:

-ربما يخفى سماع راو من راو على ناقد معين لا على الجميع، فقد خفي سماع وهب من شعبة على عَفّان، وابن مهدي.

-ربما سمع راو من شيخه وحده.

-عناية أئمة الحديث بمسألة السماع والتثبت منها.

-أن مسائل الجرح والتعديل وما يتعلق بها من المسائل الاجتهادية التي يختلف فيه النقاد لأسباب كثيرة.منها: خفاء بعض الأمور على الناقد، تشدد الناقد.

-أهمية جمع نصوص النقاد والنظر فيها مجتمعة لمحاولة الجمع بينها أو الترجيح.

****

المبحث الثاني

الرواة الذين عدلهم عَفّان بن مسلم

١. حماد بن سلمة بن دينار البَصْرِيّ، أبو سلمة (ت١٦٧)– خت م ٤ –[(١)].

- قول عَفّان بن مسلم:

قال إسحاق الحربي :« كنا عند عَفّان فقال له رجل: حدثك حماد؟ فقال: من حماد ويلك؟ قال: ابن سلمة!، قال: ألا تقول أمير المؤمنين؟! »[(٢)]

- الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

يظهر لي أنّ وصف عَفّان بن مسلم لحماد بأنه أمير المؤمنين بسبب جلالة حماد بن سلمة ومكانته ورفعة قدره، وقوة عبادته، وهذا لا إشكال فيه بين أئمة الحديث ونقاده، وقال حجاج بن المنهال :«حدثنا حماد بن سلمة، وكان من أئمة الدين».وقال عبدالله بن المبارك :«دخلت البصرة فما رأيت أحدا أشبه بمسالك الأول من حماد بن سلمة»، وقال علي بن المديني :«من تكلم في حماد بن سلمة فاتهموه في الدين »، وقال نحوه يحيى بن معين.

وأما من حيث الضبط والإتقان فهو ثقة عابد له أوهام، من أثبت الناس في حديث ثابت البناني، وحميد الطويل، وعمار بن أبي عمار، وعلي بن زيد بن جدعان، وهشام بن عروة، قال أحمد بن حنبل:((أعلم الناس بحديث ثابت، وعلى بن زيد، وحميد حمادُ بنُ سلمة))[(٣)]، ونحو ذلك قال ابن مهدي –وجعل

(١) تهذيب الكمال (٧/ ٢٥٣)، تهذيب التهذيب (١/ ٤٨١)، تقريب التهذيب (رقم:١٤٩٩).

(٢)الكامل (٣ /٣٩)

(٣) علل ابن أبي حاتم (رقم: ٢١٨٥).

بدل علي بن زيد هشام بن عروة-، وأبو حاتم، وقال يعقوب بن شيبة :((حماد ابن سلمة ثقة، في حديثه اضطراب شديد؛ إلاّ عن شيوخ فإنه حسن الحديث عنهم، متقن لحديثهم، مقدم على غيره فيهم، منهم: ثابت البناني، وعمار بن أبي عمار))[١]، وقال الذهبيّ :((إمام، ثقة، يهم كغيره، احتج به مسلم))[٢].

وقد بينتُ في البحث الآخر " الإمام عَفّان بن مسلم ومنهجه في التلقي والأداء والنقد" أنَّ عَفّان من المقدمين في حماد بن سلمة ومن أصحابه الملازمين له، ولذا اعتمده الإمام مسلم في صحيحه راويا عن حماد.

*****

٢. خليفة بن غالب المؤذن أبو غالب البَصْرِيّ- عخ-[٣].

- قول عَفّان بن مسلم:

قال عبد الله بن أحمد:«حدثني أبي قال: حدثنا عَفّان قال: حدثي خليفة بن غالب – ثقة كذا قال عَفّان- قال: سألتُ عائشة بنت سعد عن تسبيح الضحى؟ فقالت: كان سعد يصلي الضحى ثمان ركعات»[٤].

- الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

قال أحمد بن حنبل :«هو أوثق من خالد بن عبد الرحمن السلمي»[٥]، قال

(١)شرح علل الترمذي (٢/٦٢١-٦٢٤).

(٢)ديوان الضعفاء (ص١٠٠ رقم١١١٨).

(٣) تهذيب الكمال (٨/٣٢٠)، تهذيب التهذيب (١/ ٥٥٢)، تقريب التهذيب (رقم:١٧٤٦).

(٤) العلل-رواية عبد الله- (رقم١٧٣٩).

(٥)العلل-رواية عبد الله- (رقم ٢٦٣٥).

يحيى بن معين :« صالح »[١]، وقال أبو حاتم :«شيخ محله الصدق»[٢] ، وقال أبو عبيد الآجري:«سألت أبا داود عنه فوثقه»[٣] .

ومما تقدم يظهر أنَّ عَفّان بن مسلم عدّل هذا الراوي بلفظ رفيع بخلاف ابن معين، وأبي حاتم الذين عدلاه بلفظ متوسط، وإن كان الخلاف فيما يظهر لي في الألفاظ فقط فابن معين وأبوحاتم ربما تشددا في الراوي.

وهذا الراوي لم أجد من قدحه أو استنكر عليه شيئا من مروياته، والله أعلم.

*****

٣. سليمان بن حرب الأزدي الْوَاشِحِيُّ –بمعجمة ثم مهملة– الْبَصْرِيّ (ت٢٢٤)– ع–[٤].

- قول عَفّان بن مسلم:

قال أبوحاتم الرازي :« سليمان بن حرب إمام من الأئمة كان لا يدلس، ويتكلم في الرجال، وفي الفقه وليس بدون عَفّان ولعله أكثر منه، وقد ظهر من حديثه نحو عشرة آلاف ما رأيتُ في يده كتابا قط... ولقد حضرتُ مجلس سليمان بن حرب ببغداد فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل... وكان لا يسأل عن حديث إلا حدث من حفظه، وسئل عن حديث فتح مكة فحدثنا به من حفظه.

فقمنا من مجلسه فأتينا عَفّان فقال : ما حدثكم أبو أيوب ؟ وإذا هو

(١)الجرح والتعديل (٣ / الترجمة ١٧٢٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣)سؤالات الآجري (٢ / رقم١٣٤٧).

(٤) تهذيب الكمال (١١/ ٣٨٤)، تهذيب التهذيب (٢/٨٨)، تقريب التهذيب (رقم:٢٥٤٥).

يعظمه»[١].

- **المموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

متفق على جلالته وإتقانه وفضله، وكلام عَفّان يدل على جلالة سليمان وإمامته.

*****

٤. شعبة بن الحجاج العتكي، أبو بسطام الواسطي ثم البَصْرِيّ (ت١٦٠)–ع–[٢].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال الزعفراني :«سمعتُ أحمدَ بنَ حنبل يسألُ عَفّان: أيما أقلُّ خطأ: شعبةُ أو سفيان؟ فقال: شعبة بكثير»[٣].

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

شعبة متفق على جلالته وإتقانه وإمامته، وكذلك سفيان الثوري فهما من كبار أئمة الحديث في زمانهما، والمفاضلة بينهما من الصعوبة بمكان، فهناك أقوال تقدم شعبة، وهناك أقوال تقدم سفيان، فمن الأقوال في تقديم الثوري قول يحيى

---

(١)الجرح والتعديل (٤/١٠٨رقم٤٨١).

(٢) تهذيب الكمال (١٢/٤٧٩)، تهذيب التهذيب (٢/١٦٦)، تقريب التهذيب (رقم:٢٧٩٠).

(٣) الكامل (١/١٥٦)، شرح علل الترمذي (١/١٧٥)، و مختصر الكامل في الضعفاء للمقريزي (ص٣٩) ووقع هذا النص في سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٧) هكذا :« قال الزعفراني: سمعت أحمد بن حنبل يسأل عفان: أيهما أكثر غلطا، سفيان أو شعبة ؟ قال: شعبة بكثير.فقال أحمد: في أسماء الرجال »، فانقلب المعنى تماما؟، ولعل الصواب ما ورد في المصدرين، لأنه تكرر فيهما، ولأنّ ابن عدي ساق النص في سياق الثناء على شعبة بن الحجاج.

ابن سعيد :«ليس أحد أحب إليّ من شعبة ، ولا يعدله أحد عندي ، وإذا خالفه سفيان أخذتُ بقول سفيان»[١]، ومن الأقوال في تقديم شعبة قول ابن أبي حاتم : « قيل لأبي: ألم يكن للثوري بصر بالحديث كبصر شعبة؟ قال: كان الثوري قد غلب عليه شهوة الحديث وحفظه، وكان شعبة أبصر بالحديث وبالرجال ، وكان الثوري أحفظ ، وكان شعبة بصيراً بالحديث جداً ، فهماً له ، كأنه خلق لهذا الشأن »[٢].

والذي يظهر لي عدم المفاضلة المطلقة بينهما–كما يظهر من قول أبي حاتم– فلكل أوصاف يتفوق بها على الآخر، يدل على ذلك قول محمد بن العباس النسائي :«سألت أبا عبد الله–يعني أحمد بن حنبل– من أثبت: شعبة أو سفيان؟ فقال: كان سفيان رجلاً حافظاً، وكان رجلاً صالحاً، وكان شعبة أثبت منه، وأنقى رجالاً »[٣]، وقوله :«كان شعبة يحفظ، لم يكتب إلا شيئاً قليلاً، وربما وهم في الشيء، وسبق شعبة الثوري في نحو ثلاثين شيخاً»[٤].

وأمّا مسألة أيهما أقل خطأ فرأي عَفّان أنّ شعبة أقل خطأ من الثوري، وخالفه غيره من الأئمة فقال محمد بن خلاد سمعت يحيى بن سعيد –وذكر شعبة وسفيان– فقال :«سفيان أقل خطأً ، لأنه يرجع إلى كتاب» [٥]، وقال إسحاق ابن هانئ[٦] :«قلتُ لأحمد: إن اختلف سفيانُ وشعبةُ في الحديث فالقول قول

(١) الجرح والتعديل (١/٦٣).

(٢)الجرح والتعديل (١/ ١٢٨).

(٣)تاريخ بغداد (٩/ ٢٦٣).

(٤)تاريخ بغداد (٩/ ٢٥٩).

(٥) العلل–رواية عبد الله– (رقم ٥٠٤٥).

(٦) سؤالاته (رقم ٢١٦٣)

مَنْ ؟ قال:سفيان أقل خطأً، وبقول: سفيان آخذ».

ولا أستطيع الترجيح بين القولين إلا أني أرجح أنّ شعبة أكثر خطأ من سفيان في أسماء الرجال كما قال ذلك أحمد بن حنبل، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وأبو داود وغيرهم من أئمة الحديث(١).

*****

٥. صخر بن جويرية، أبو نافع مولى بني تميم أو بني هلال – خ م د ت س _(٢).

- قول عَفّان بن مسلم:

قال عَفّان :« كان صخر أثبت في الحديث وأعرف به من جويرية(٣)»(٤).

- الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

صخر هذا ثقة، فقد وثقه ابن سعد، وابن معين، والذهليُّ وغيرهم، قال أحمد بن حنبل :((شيخ ثقة ثقة))، وقال أبو زرعة وأبو حاتم :((لا بأس به)) (٥).

وجويرية بن أسماء تقدم أنه صدوق.

(١)ينظر: مسائل الإمام أحمد . برواية ابن هانئ (٢/٢٤٥-٢٤٦)، الجرح والتعديل (٤/رقم١٦٠٩)، العلل لابن أبي حاتم (١/٥٦و٩٠و١٠٨و١٣٢و١٩٩و٣٩٩و٢٥٤ وغيرها) شرح علل الترمذي (١/٤٥٠).

(٢) تهذيب الكمال (١٣/١١٦)، تهذيب التهذيب (٢/٢٠٤)، تقريب التهذيب (رقم: ٢٩٠٤).

(٣) تقدمت ترجمته في المبحث الأوّل (رقم١).

(٤)طبقات ابن سعد (٩/٢٧٥)، الجعديات (رقم٢٥٧٤).

(٥)الجرح والتعديل (٤ / ٤٢٧ رقم١٨٨٠).

ومضمون كلام النقاد يفيد ما قاله عَفّان من ترجيح صخر على جويرية.

وهذا الكلام من عَفّان يفيدنا أن له عناية بالترجيح بين الرواة وهذا جانب دقيق من الكلام في الرواة وهو معرفة مراتب الثقات ، وترجيح بعضهم على بعض عند الاختلاف.

*****

٦. عبد المؤمن بن عبيد الله السدوسي،أبو عبيدة البَصْرِيّ – قد فق –[١].

- قول عَفّان بن مسلم:

وقال عبد الله :«حدثني أبي قال: حدثنا عَفّان قال: أحفظه عن شيخ ثقة عبد المؤمن بن عبيد الله السدوسي قال:الحسن البَصْرِيّ:الحسن بن يسار» [٢].

- الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

وثق عبد المؤمن هذا ابنُ معين، وقال أحمد بن حنبل :«ما به بأس»، وقال أبو داود، وأبو حاتم:«لا بأس به »[٣] .

فنلحظ أنّ عَفّان رفع من شأنه مقارنة بقول أحمد وأبي داود وأبي حاتم.

*****

٧. عمر بن علي الْمُقَدَّمِيُّ، أبو حفص البَصْرِيّ (ت١٩٠)– ع–[٤].

- قول عَفّان بن مسلم:

(١) تهذيب الكمال (١٨/٤٤٤)، تهذيب التهذيب (٢/٢٠٤)، تقريب التهذيب (رقم: ٢٩٠٤).

(٢)العلل (٦٨٠ و٥٥٧٤)، الجرح والتعديل (٦/ ٦٥ الترجمة ٣٤٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) تهذيب الكمال (٢١/ ٤٧٠)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٣)، تقريب التهذيب (رقم:٤٩٥٢).

قال عَفّان :«كان عمر بن علي رجلاً صالحاً، ولم يكونوا ينقمون عليه شيئاً غير أنه كان مدلّساً، وأمّا غير ذلك فلا، ولم أكن أقبل منه حتى يقول:حدّثنا»[١].

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

من تأمل أقوال النقاد في عمر بن علي رأى أنهم متفقون على توثيقه ، وإنما نقموا عليه التدليس الشديد، قال محمد بن سعد :«كان ثقة، وكان يدلس تدليسا شديدا، وكان يقول: سمعت وحدثنا، ثم يسكت.ثم يقول: هشام بن عروة، الأعمش »[٢]، وقال نحو هذا أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم[٣].

فقول عَفّان في عمر متفق مع قول بقية النقاد، ويبين لي أن عَفّان يقصد (بصالح) هنا صالحية الحديث كما يدل عليه سياق كلامه.

ومن نظر في أقوال النقاد يلمس جليا أنّ عمر بن علي كان متفننا في التدليس وأتعب النقاد في تتبعه ومعرفته، حتى قال أحمد بن حنبل :«ما أعياني أحد في التدليس ما أعياني عمر بن علي الْمُقَدَّمِيُّ، يقول لي: اكتب:حدثنا» [٤]

وفي هذه الترجمة وقول عَفّان جملة من الفوائد.منها:

–التدليس الشديد جرح عند أئمة الحديث، ولكنه جرح بصفة مخصوصة، ولذا لا تنافي بين التوثيق والتدليس، فربما يكون الراوي ثقة مدلسا كما في حال عمر بن علي.

---

(١) طبقات ابن سعد (٩/٢٥٢)، تهذيب الكمال (٢١/ ٤٧٣).

(٢)طبقات ابن سعد (٩/٢٥٢).

(٣) أقوالهم في الجرح والتعديل (٦/ رقم: ٦٠٧٨)، وبقية المصادر المذكورة سابقا.

(٤)سؤالات الآجري (٢ /٢٩رقم١٠٢٠).

– أنّ هذا الجرح يندفع بالتصريح بالتحديث، ولذا لم يقبل عَفّان رواية عمر حتى يصرح بالتحديث.

– تنوع التدليس عند الرواة المتقدمين، وبعضه شديد الخفاء والدقة؛ ومنه تدليس القطع الذي وقع من عمر بن علي.

*****

٨. عمران بن دَاوَر –بفتح الواو بعدها راء– أبو العَوّام القطان البَصْرِيّ (ت١٤٩)–خت ٤–[١].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال عَفّان:«حدثنا عمران بن داور وكان ثقة»[٢].

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد[٣]:**

قال عمرو بن علي :«كان عبد الرحمن بن مهدي يحدث عنه، وكان يحيى لا يحدث عنه،وقد ذكره يحيى يوما فأحسن الثناء عليه »، وقال أحمد بن حنبل :«أرجو أن يكون صالح الحديث »،وقال ابن معين :«ليس بالقوي »، وفي رواية :«لم يرو عنه يحيى بن سعيد، وليس هو بشيء »، وقال البخاري :«صدوق يهم ».

وقد ضعفه أبو داود والنسائي وغيرهم.

والذي يلفت الانتباه هنا أنّ عَفّان عدّل هذا الراوي بلفظ رفيع (ثقة) مقارنة بشيوخه ومعاصريه الذين منهم من ضعفه ومنهم من توسط في تعديله، وقد ذكر

---

(١) تهذيب الكمال (٣٢٨/٢٢)، تهذيب التهذيب (٣١٨/٣)، تقريب التهذيب (رقم:٥١٥٤).

(٢)الكامل (١٦٢/٦).

(٣) جميع هذه النقول من الكامل لا بن عدي.

له العقيلي[١]، وكذلك ابن عدي بعض المنكرات التي تفرد بها.

والذي يظهر لي أنّ عَفّان لم يخبر حاله جيدا. لذا حكم على ظاهر أمره كما يقع من بعض النقاد: أن يعدل راويا، ولم يبلغه أنّ له منكرات تنزل من شأنه، والله أعلم.

*****

٩. عمرو بن مرزوق الباهلي –يقال: مولاهم– أبو عثمان البَصْرِيّ (ت٢٢٤)– خ د–[٢].

■ قول عَفّان بن مسلم:

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن الفضل الأسدي: « قال أحمد بن حنبل لابنه صالح، حين قدم من البصرة: لم لم تكتب عن عمرو بن مرزوق ؟ فقال: نهيت، فقال: عَفّان كان يرضى عمرو بن مرزوق، ومن كان يرضي عَفّان؟ »[٣].

وقال أبو زرعة: «بلغني عن أحمد بن حنبل أنه قال: عَفّان كان يرضى عمرو ابن مرزوق، ومن كان يرضى عَفّان ؟! »[٤].

وقال عبد الله بن أحمد: «سألت أبي: عن عمرو بن مرزوق ؟ فقال: كان صاحب خير، كان غزاء، ثم قال: قال عَفّان: كان عمرو بن مرزوق صاحب أبي داود الطيالسي يطلب معه الحديث»[٥].

---

(١) الضعفاء (٣/٣٠٠).

(٢) تهذيب الكمال (٢٢/ ٢٢٤)، تهذيب التهذيب (٣/٣٠١)، تقريب التهذيب (رقم: ٥١١٠).

(٣) الجرح والتعديل (٦/ رقم١٤٥٦).

(٤) المرجع السابق.

(٥) العلل (٢٤١٥).

■ **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد[١] :**

جمهور النقاد وكبار الأئمة على توثيق عمرو هذا.فممن وثقه ابن سعد، وأحمد ابن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم وغيرهم، ولم يلتفت النقاد لمن تكلم فيه.قال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن حنبل، وقلت له: إن علي بن المديني تكلم في عمرو بن مرزوق، فقال: عمرو بن مرزوق، رجل صالح، لا أدري ما يقول علي؟!.

وقول أحمد بن حنبل أفاد أنّ عَفّان كان يرضى عمرو بن مروزق.ولذا كان يحدث عنه[٢]، وإن كنتُ لم أقف على لفظ عَفّان في عمرو بن مرزوق، ولكن شهادة الإمام أحمد كافية في تقرير تعديل عَفّان لعمرو بن مرزوق.

وفي النصوص المتقدمة جملة من الفوائد.منها:

– أن أحمد يرى أنّ عَفّان من النقاد الذين لا يرضون عن أي أحد إلا من بلغ الغاية في الضبط والإتقان، وهذا المعنى تكرر عن غير أحمد بن حنبل كما تقدم.

–جلالة عَفّان بن مسلم وأنه من الأئمة الذين يؤخذ عنهم نقد الرواة وبيان أحوالهم.

–اختلاف أئمة الحديث في جرح الرواة وتعديلهم كلٌ بحسب منهجه وعلمه.

– أنّ من قرائن ترجيح تعديل الراوي تعديل المتشدد له كما يظهر من قول أحمد بن حنبل.

****

١٠. مبارك بن فَضَالة –فتح الفاء وتخفيف المعجمة–أبو فضالة

(١) جميع النقول التي لم تعز هنا من كتاب "الجرح والتعديل" وبقية المصادر المذكورة في ترجمة الراوي.

(٢) كما في مسند أحمد بن حنبل (رقم٢٧١٢٨).

البَصْرِيّ (ت١٦٦) خت د ت ق–[١].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال الفلاس :«سمعتُ عَفّان يقول: كان مبارك ثقة وكان، وكان »[٢].

وقال ابنُ سعد :«و عَفّان بن مسلم يرفعه ويوثقه، ويحدث عنه»[٣].

قال أبو حاتم :«كان عَفّان يُطرى مبارك بن فضالة ويقول: كان يحدّث في مجلس يونس بن عبيد»[٤].

وقال الفضل:«سمعت أبا عبد الله –وسأله أبو جعفر: مبارك أحب إليك أم الربيع ؟– قال: ربيع. وأما عَفّان وهؤلاء فيقدمون مباركاً عليه، ولكن الربيع صاحب غزو وفضل »[٥].

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد[٦] :**

اختلـف المعاصرون لعَفّان من شيوخه ونظرائه وتلاميذه في مبارك هذا:

فوثقه هشيمُ بنُ بشير، وأبو زرعة، وابن معين–في رواية–.

---

(١) تهذيب الكمال (٢٧/ ١٨٠)، تهذيب التهذيب (٤/١٨)، تقريب التهذيب (رقم:٦٤٦٤).

(٢)الجرح والتعديل (٨ / ٣٣٩رقم:١٥٥٧).

فائدة: ذكر ابن أبي حاتم في ترجمة مبارك قاعدة مفيدة في اختلاف الروايات عن ابن معين والترجيح بينها وهي :« قال أبومحمد:اختلفت الرواية عن يحيى بن معين في مبارك بن فضالة والربيع بن صبيح؟ وأولاهما أنْ يكون مقبولا منهما محفوظا عن يحيى ما وافق أحمد وسائر نظرائه».

(٣) طبقات ابن سعد (٩/٢٦٧).

(٤)الجرح والتعديل (٨ / ٣٣٩رقم:١٥٥٧).

(٥)المعرفة والتاريخ (١ / ٢١٠).

(٦) جميع الأقوال مأخوذة من المصادر المذكورة سابقا وهي"الجرح والتعديل"، "والكامل"لابن عدي، وتهذيب الكمال وفروعه.

وتوسط فيه آخرون.منهم:علي بن المديني، وابن معين–في رواية–، والعجلي.

وضعفه آخرون.منهم: أحمد بن حنبل–في قول–، ابن معين–في رواية–.

وقال عمرو بن علي:«كان يحيى، وعبد الرحمن لا يحدثان عنه »، وقال أيضا:«سمعت يحيى بن سعيد يحسن الثناء على مبارك بن فضالة ».

وفصّل في حاله آخرون: فقال أحمد :«ما روى عن الحسن–البَصْرِيّ– فيحتج به».

وإن كنتُ أميل إلى التوسط في حاله جمعا بين الأقوال، ولأنَّ له بعض المنكرات، مع ملاحظة التفصيل في أقسام حديثه إلاّ أن تحرير الحكم على الرواة ليس مقصدي في هذا البحث إلا ما كان يخدم هدف البحث كما تقدم في إجراءات البحث؛ ولكن ما يعنيني هنا أنَّ عَفّان بن مسلم لم يتفرد بتوثيقه، بل اجتهد عفان في الحكم عليه وفق ما تبين له مثل بقية النقاد الذين اختلفوا فيه لأسباب عديدة.مثل: عدم الاطلاع على منكراته، عدم التتبع الدقيق لجميع حديثه، الاختلاف في منهج النقاد أنفسهم من حيث التشدد والاعتدال ونحو ذلك.

ومن أوضح الأمور في أسباب الاختلاف أنّ أحمد بن حنبل لما سأله أبو جعفر: مبارك أحب إليك أم الربيع ؟ قال: ربيع. وأما عَفّان وهؤلاء فيقدمون مباركاً عليه، ولكن الربيع صاحب غزو وفضل، فرجح الربيع على مبارك لأمر آخر خارج عن الحفظ والضبط وهو أنّ الربيع صاحب غزو وعبادة، وهذا المعيار لم يلتفت إليه الآخرون الذين نظروا لمجرد الحفظ والضبط عن الشيوخ.

*****

١١. محمد بن سنان الباهلي أبو بكر البَصْرِيّ العَوَقي –بفتح المهملة

والواو بعدها قاف– (ت٢٢٣)– خ د ت ق–[١].

■ قول عفّان بن مسلم:

قال محمد بن عبدالله بن أبي الثلج[٢]:«ما رأيتُ عَفّان يثني على أحدٍ إلا على محمد بن سنان العَوَقي لما بَلَغه أنه قد حدّث، قال: عن مثلِهِ فاكتبوا»[٣].

■ الموازنة بين قول عفّان وأقوال النقاد:

قال يحيى بن معين :« ثقة »، وقال أبو حاتم :«صدوق »، واعتمده البخاري في الصحيح، ولم أر من تكلم فيه، فهو محل للتعديل والقبول كما قال عفّان.

وقول ابن أبي الثلج هذا يدعم قول من يصف عَفّان بالتشدد في تزكية الرجال فهو يصرح أنه لم ير عَفّان يثني على أحد إلا على هذا الراوي.

على أنّ ابن أبي الثلج إنما يحكي ما رأى وإلا فقد ثبت أنّ عَفّان أثنى على عدد من الرواة وقد ذكرناهم في هذا البحث.

*****

١٢. موسى بن خلف العمّي –بتشديد الميم– أبو خلف البَصْرِيّ – خت د س–[٤].

---

(١) تهذيب الكمال (٣٢٠/٢٥)، تهذيب التهذيب (٥٨١/٣)، تقريب التهذيب (رقم:٥٩٣٥).

(٢) هو: البغدادي، أصله من الري، صدوق،مات سنة سبع وخمسين ومائتين.روى له (خ ت). تقريب التهذيب (رقم:٥٩٩٩).

(٣)الجرح والتعديل (٧ /٢٧٩رقم: ١٥١٦).

(٤) تهذيب الكمال (٥٥/٢٩)، تهذيب التهذيب (٤/ ١٧٣)، تقريب التهذيب (رقم:٦٩٥٨).

■ **قول عَفّان بن مسلم:**

قال ابنُ أبي حاتم :« أخبرنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى –فيما كتب إليّ– قال: حدثني عَفّان قال: حدثنا أبو خلف موسى بن خلف – وأثنى عليه عَفّان ثناء حسنا– وقال: ما رأيت مثله قط »[١].

وقال أحمد بن حنبل عن عَفّان: حدثنا موسى بن خلف، وكان يعد من البُدلاء[٢].

■ **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

قال يعقوب بن شيبة :« ثقة »، وقال ابن معين –في رواية– :« ليس به بأس»، وقال أبو حاتم :«صالح الحديث ».

وقال ابن معين–في رواية– :« روى عنه عَفّان، ضعيف»[٣]، وقال أبو داود :«ليس به بأس، ليس بذاك القوي ».

هذا الراوي قال عنه الدارقطني :« ليس بالقوي ، يعتبر به ، حدث عنه عَفّان»[٤] ، ويبدو أنّ هذا حكم معتدل في هذا الراوي.فألمس من تعديل من عدله ملاحظة دين موسى وصلاحه، ومعروف أنّ يعقوب بن شيبة يكثر من استخدام هذا الأسلوب في الحكم على الرواة عند ضعفهم وصلاح دينهم

(١)الجرح والتعديل (٨ /١٤٠رقم٦٣٤).

(٢) العلل (رقم ٥٨٨٣)، وينظر مسند أحمد بن حنبل (رقم١٥٦٧١، ١٧١٧٠، ١٧٨٠٠).

(٣)المجروحين (٢/ ٢٤٠)، وقال عنه ابن حبان :« كان رديء الحفظ يروي عن قتادة أشياء مناقير، وعن يحيى بن أبي كثير مالا يشبه حديثه، فلما كثر ضرب هذا في روايته استحق ترك الاحتجاج به فيما خالف الإثبات، وانفرد، جميعا».

(٤)سؤالات البرقاني، (رقم ٥٠١).

وعبادتهم[1] ، ولعل قول ابن معين، وأبي داود من هذا القبيل، فابن معين صرّح بضعفه في رواية.

والذي يظهر لي أنّ قول عَفّان في هذا الراوي منصب على دينه وصلاحه كما صرّح بذلك في عدّه من البدلاء.

*****

١٣. وَضَّاح -بتشديد المعجمة ثم مهملة- بن عبد الله اليشكري -بالمعجمة-الواسطي البزاز مولى يزيد بن عطاء اليشكري، أبو عوانة مشهور بكنيته (ت١٧٥)-ع-[2].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

وقال أبو طالب :«سئل أحمد بن حنبل: أبو عوانة أثبت، أم شريك؟ قال: إذا حدث أبو عوانة من كتابه فهو أثبت، وإذا حدث من غير كتابه فربما وهم، قال عَفّان: كان أبو عوانة صحيح الكتاب، كثير العجم والنقط، كان ثبتًا، وأبو عوانة في جميع حاله أصح حديثًا عندنا من هشيم»[3].

وقال الفضل :«وسئل-يعنى أحمد بن حنبل- أبو عوانة أثبت، أو شريك؟ فقال: إذا حدّث أبو عوانة من كتابه فهو ثبت، وإذا حدث من غير كتابه ربما وهم. قال عَفّان: كان أبو عوانة صحيح الكتاب، كثير العجم والنقط، كان

---

(١) ينظر :«الموسوعة العلمية الشاملة عن الإمام يعقوب بن شيبة » (١/٥٣٨).

(٢) تهذيب الكمال (٣٠/٤٤١)، تهذيب التهذيب (٤/٣٠٧)، تقريب التهذيب (رقم: ٧٤٠٧).

(٣)الجرح والتعديل (٩/ ٤٠رقم ١٧٣).

ثبتًا»[١].

وقال عرفة بن الهيثم :«سمعتُ يحيى بن معين وأبا خيثمة يسألان عَفّان عن شعبة وأبي عوانة؟ فقال: كان شعبة يحذف الأحاديث[٢]، وكان أبو عوانة يكتبها بأصولها»[٣].

وقال عَفّان بن مسلم :«كان أبو عَوانة يتحفّظ ويملي علينا، ويخرج الحديث الطويل فيقرأه أو يمليه»[٤].

قال الإمام أحمد بن حنبل في المسند :« حدثنا عَفّان قال حدثنا أبو عوانة عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: إن الله يمهل حتى يذهب ثلث الليل...، وقال عَفّان:كان أبو عوانة حدث بأحاديث عن أبي إسحاق.ثم بلغني بعد أنه قال: سمعتها من إسرائيل، وأحسب هذا الحديث فيها»[٥].

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

اتفق النقاد على أنّ كتاب أبي عوانة من أصح الكتب، وأقوال النقاد في هذا كثيرة، وقد تقدم قول أحمد بن حنبل، وقال عبد الرحمن بن مهدي :«أبو

(١)تاريخ بغداد (١٥/٦٤٢)، المعرفة والتاريخ (٢/١٦٨).

(٢) معناه أنّ شعبة يحذف المتون ويبقى الإسناد وطرف المتن، أما أبو عوانة فيكتب الجميع، وهذا الذي تبين لي من خلال جمع الأقوال والنظر فيها.

(٣) تاريخ بغداد (١٥/٦٤١).

(٤) طبقات ابن سعد (٩/٢٨٩).

(٥) مسند أحمد بن حنبل (رقم٨٩٧٤).

عوانة وهشام كسعيد بن أبي عروبة وهمام: إذا كان الكتاب فكتاب أبي عوانة صحيح، وإذا كان الحفظ فحفظ هشام، وإذا كان الكتاب فكتاب همام وإذا كان الحفظ فحفظ سعيد »[١]، وقال نحو ذلك شعبة، والبخاريُّ، ويعقوب بن شيبة وغيرهم.

وقال ابن عبد البر: ((أجمعوا على أنه ثقة ثبت حجة فيما حدّث من كتابه، وكان إذا حدث من حفظه ربما غلط))[٢].

فنلمس مما تقدم موافقة عَفّان للنقاد في جودة كتاب أبي عوانة، بل النقاد استفادوا صحة كتاب أبي عوانة من قول عَفّان كما يظهر من قول أحمد بن حنبل، ومنه يظهر دقة حكم عَفّان على الرواة والتفصيل في أحوالهم، وأهمية ضبط الكتاب عند أئمة الحديث.

*****

١٤. يزيد بن إبراهيم التستري –بضم المثناة وسكون المهملة وفتح المثناة ثم راء– نزيل البصرة، أبو سعيد (ت١٦٣)– ع–[٣].

- قول عَفّان بن مسلم:

قال ابن سعد :« كان ثقة ثبتا، وكان عَفّان يرفعُ أمره، وكان ينزل في باهلة، عند مقبرة بني سهم»[٤].

- الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:

---

(١)تاريخ بغداد (١٥/٦٤١).

(٢)الاستغناء (٢/٨٥١-٨٥٢ رقم٩٩٧).

(٣) تهذيب الكمال (٣٢/ ٧٧)، تهذيب التهذيب (٤/٤٠٤)، تقريب التهذيب (رقم:٧٦٨٤).

(٤) طبقات ابن سعد (٩/٢٧٧)، الجعديات (رقم٣١٩٢).

اتفق النقاد على توثيق يزيد بن إبراهيم فممن وثقه وكيع بن الجراح، وأحمد ابن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم وغيرهم.

*****

١٥. يزيد بن هارون بن السلمي، أبو خالد الواسطي، (ت٢٠٦)– ع –[١].

- **قول عَفّان بن مسلم:**

قال أحمد بن سنان :«قال عَفّان: أخذ يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة حفظا، وهى صحاح بها من الاستواء غير قليل.ومدحها »[٢] .

- **الموازنة بين قول عَفّان وأقوال النقاد:**

يزيد بن هارون متفقٌ على ثقته وإمامته وعبادته، قال أبو حاتم :((ثقة إمام صدوق لا يسأل عن مثله))، وقد اعتمد الإمام مسلم في صحيحه على يزيد بن هارون في الرواية عن حماد بن سلمة[٣].

وقول عَفّان يفيد في ترجيح يزيد بن هارون على غيره عند الاختلاف عن حماد بن سلمة، وتقدم أنّ معرفة مراتب الثقات ، وترجيح بعضهم على بعض عند الاختلاف جانب دقيق من الكلام في الرواة وله أثر كبير في الجانب التطبيقي من نقد الأسانيد.

(١) تهذيب الكمال (٣٢/٢٦١)، تهذيب التهذيب (٤/٤٣١)، تقريب التهذيب (رقم:٧٧٨٩).

(٢)الجرح والتعديل (٩ / ٢٩٥رقم١٢٥٧).

(٣) ينظر صحيح مسلم (١٨١–١٨٠٨–١٨٠٩–٢٠٣٧–٢٣١٢–٢٣٢٦–٢٧١٥–٢٨٠٧).

المبحث الثالث

خلاصة منهج عَفّان بن مسلم في الجرح والتعديل

يمكن إجمال منهج عفان بن مسلم في الجرح والتعديل في النقاط التالية:

- **تشدد عفان في جرح الرواة، وهذا مستفاد من عدة أمور:**

الأول: أقوال أئمة الجرح والتعديل، ومن الأقوال في ذلك:

- **قول الإمام علي بن المديني:« أبو نعيم، وعَفّان، صدوقان، لا أقبل كلامهما في الرجال.هؤلاء لا يدعون أحدا إلا وقعوا فيه»[١]، قال الذهبي :« يعني: أنه لا يختار قولهما في الجرح لتشديدهما، فأما إذا وثقا أحدا فناهيك به»[٢].**
- **وقول أحمد بن حنبل لابنه صالح حين قدم من البصرة :« لِمَ لم تكتب عن عمرو بن مرزوق؟ فقال: نهيت، فقال: إنّ عَفّان كان يرضى عمرو ابن مرزوق ومن كان يرضي عَفّان!» [٣].**
- **وقول زهير بن حرب في رده على عفان لما تكلم في روح بن عبادة فقال له زهير :«ليس هذا بحجة.كل من تركته أنت ينبغي أن يترك؟! أما روح بن عبادة فقد جاز حديثه الشأن فيمن بقي ».**
- **وقول محمد بن عبدالله بن أبي الثلج:«ما رأيتُ عَفّان يثني على أحدٍ إلا على محمد بن سنان العَوَقي لما بَلَغه أنه قد حدّث، قال: عن مثلهِ**

---

(١) سؤالات الآجري (رقم٩٨٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٢٥٠).

(٣)الجرح والتعديل (رقم١٤٥٦).

فاكتبوا»[١].

الثاني: تشدده في بعض الرواة، وهذا التشدد أخذ عدة صور، فمن صور التشدد:

- مخالفة جمهور النقاد في تضعيف من هو ثقة عندهم كما في ترجمة وهب بن جرير، وروح بن عبادة.
- ترك بعض الرواة مع ثقتهم وعدم وجود سبب كاف لتركهم،مثل: وعبد الوهاب الثقفي، وجويرية بن أسماء.
- شدة العبارة وقوتها مع أنّ حال الراوي أخف من ذلك كما في ترجمة عبد الرحمن بن مهدي، والربيع بن صبيح، والضحاك بن مخلد، وروح ابن أسلم.

على أنّ المعول عليه عندي في وصف عفان بالتشدد أقوال النقاد المتقدمة، وذلك لأنَّ أقوال عفان التي وقفنا عليها قليلة، ولا تعطي تصورا دقيقا عن منهجه من حيث التشدد وعدمه، وكذلك لم أجد في أقواله التي وقفتُ عليها–مع قلتها– على تفردات بينة وواضحة في تشدد عفان، فما من ناقد إلاّ وتجد له بعض الأحكام التي ظاهرها التشدد موازنة بنظرائه من النقاد.

ومما يوضح هذا أن لعفان أقوالا في تعديل الرواة لو نظر إليها مجردة لعدّ عفان من المتساهلين موازنة بنظرائه من النقاد.مثل قوله في خليفة بن غالب، وعمران ابن داور، ومبارك بن فضالة.

فالعبرة عندي هو النظر في ترجمة الراوي المعين والموازنة بين أقوال النقاد،

(١)الجرح والتعديل (٧ /٢٧٩رقم: ١٥١٦)

وأدلة كل قول، مع إعمال قواعد الجرح والتعديل التي طبقها النقاد في الحكم على الرواة.

ففي مثل حال إمامنا عفان بن مسلم ينظر فإن وثق أحدا فناهيك به، ويعد هذا مزية للراوي، وإذا جرح راويا فينظر في أقوال بقية النقاد وأدلة كل فريق.

تنبيه:

قال المعلمي–رحمه الله– :« وقد كان من أكابر المحدثين وأجلتهم من يتكلم في الرواة فلا يعول عليه ولا يلتفت إليه–ثم ذكر كلام علي بن المديني المتقدم– وأبو نعيم وعفان من الأجلة، والكلمة المذكورة تدل على كثرة كلامهما في الرجال، ومع ذلك لا تكاد تجد في كتب الفن نقل شيء من كلامهما»[1].

قلتُ: وفي إطلاق هذا الكلام نظر، فلم يزل النقاد يعولون على كلام عفان ويلتفون إليه ما لم يخالف غيره، وتقدم من النصوص العديدة أنّ كبار النقاد منهم: أحمد بن حنبل، وابن معين، وابن المديني، وأبو حاتم ينقلون قوله، ويحتجون به وعند التعارض والمخالفة يطالب بالحجة كما في قول أبي خيثمة لعفان في مناظرته إياه في روح بن عبادة :« فقال له أبو خيثمة: ليس هذا بحجة كل من تركته أنت ينبغي أن يترك؟! أما روح بن عبادة فقد جاز حديثه الشأن فيمن بقي.

قال يعقوب بن شيبة: وأحسبُ أنّ عَفّانا لو كانت عنده حجةٌ مما يُسِقطُ بها روح بن عبادة لاحتجَّ بها في ذلك الوقت ».

---

(١) مقدمة الجرح والتعديل (ص ٣).

- أنّ ثناء عفان على بعض الراوة ربما يحمل على دينهم وصلاحهم، والسياقُ وقرائنُ الأحوال هي التي تحدد المراد.
- تشدد عفان في الرواة الذين يقبلون التلقين كما في ترجمة روح بن عبادة، ومحمد بن الفضل، وهذا ربما يفيد في تحديد أسباب تشدد عفان في بعض الرواة لمسألة معينة وهي التلقين.
- ربما ترك عفان بعض الرواة لنفرة منهم لا لضعفهم كما هو الشأن في تركه لجويرية بن أسماء، وعبد الوهاب الثقفي، وربما تركهم لضعفهم عنده.مثل تركه للربيع بن صبيح، ونصر بن طريف.
- مناظرة عفان للنقاد ومذاكرتهم في جرح الرواة وتعديلهم طلبا للحجة والبرهان كما في ترجمة روح بن عبادة، وقيس بن الربيع.
- عناية عفان بمراتب الثقات ، وترجيح بعضهم على بعض عند الاختلاف كما في ترجمة صخر بن جويرية، ويزيد بن هارون.
- تفاوت درجات الضعفاء عند عفان.فهناك من الضعفاء من يقبل حديثه في الرقائق والزهد دون الأحكام كما في ترجمة سعيد الضبعي.

خاتمة البحث

وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات

في نهايةِ هذا البحث يحسنُ أن أذكر أبرز نتائج البحث، فمن ذلك:

١- جلالة عفان بن مسلم في علم الحديث خاصة علم الجرح والتعديل، مما جعل النقاد ينقلون أقواله ويعتمدونها خاصة في تزكية الرواة، ومن الأئمة الذين ينقلون قول عفان: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم الرازي وغيرهم.

٢-عناية عفان ببيان مراتب الراوة وتقديم بعضهم على بعض.

٣-تحرر للباحث أنّ العمدة في وصف عفان بالتشدد أقوال كبار أئمة الحديث ونقاده.فأقوال عفان ليست كثيرة بحيث نحكم عليها من خلالها بالتشدد، هذا أمر، وأمر آخر أن عفان كما تشدد في بعض الرواة تساهل في توثيق آخرين موازنة بمعاصريه وأقرانه.

٤- لا يقبل عفان رواية المدلس شديد التدليس حتى يصرح بالتحديث.

٥-أنَّ عفان ممن لا يروي إلا عن ثقة، وهذا مما يفيد في دراسة أحوال شيوخه الذين زادوا على (١٣٠) شيخا.

٦-تفاوت درجة الضعف عند عفان، فهناك من الضعفاء من يقبل حديثه في الرقائق والزهد دون الأحكام.

٧-أنّ مما يزيد أهمية أقوال عفان أنّ غالب من تكلم فيهم من أهل بلده البصريين، وأكثرهم ممن لقيهم وباشر السماع منهم.

٨- أن مسائل الجرح والتعديل وما يتعلق بها من المسائل الاجتهادية التي يختلف فيه النقاد –بل ربما اختلف قول الناقد في راو واحد!- لأسباب كثيرة.منها: خفاء بعض الأمور على الناقد، تشدد الناقد.

٩- أهمية السياق وقرائن الأحوال في معرفة مراد الناقد من كلامه.

١٠- تغير اجتهاد الناقد في الرواة لظهور أدلة وقرائن خفيت عليه.

١١- أثر التلقين في جرح الرواة.

١٢- مناظرة النقاد بعضهم لبعض، وطلب الحجة والبرهان على ضعف الراوي وهذا يقرر قاعدة ضرورة تفسير الجرح عند تعارضه مع التعديل.

التوصيات:

- العناية بهذا النوع من الدراسات والبحوث التي تعنى بالنقاد غير المشهورين وأثرهم النقدي في علوم الحديث.
- ضرورةُ فهم أقوال النقاد وتفسيرها حسب زمانهم وما كانوا عليه في تلك الفترة.

وأخيراً أسأل الله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص في السر والعلن، وأن يحفظنا من فتنةِ القولِ والعملِ، إنه على كل شيءٍ قدير، وصلى اللهُ على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبهِ وسلّم.

ملحق

الرواة الذين تكلم فيهم عَفّان بن مسلم بغير الجرح أو التعديل[1]

- **أبان بن يزيد العطار(ت١٦٠)، قال عفان :«كان يكنى أبا يزيد »[2].**

******

- **جرير بن حازم، أبو النضر البصري (ت١٧٠)، قال عفان :« جاء أبو جزي ، واسمه نصر بن طريف ، إلى جرير بن حازم ، يشفع لإنسان يحدثه . فقال جرير : حدثنا قتادة ، عن أنس . قال: كانت قبيعة سيف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، من فضة . قال أبو جزي : كذب والله ، ما حدثناه قتادة إلا عن سعيد بن أبي الحسن »[3] .**

****

- **إسماعيل بن إبراهيم ابن علية (ت١٩٣)، قال عَفّان :« وكانَ ابنُ علية وهو شابٌّ من العُبّاد بالبصرة»[4].**

---

(١)ذكرتُ في هذا الملحق الرواة الذين تكلم فيهم عَفّان بن مسلم ولم يظهر لي أنّ هذا الكلام يدرج في الجرح أو في التعديل، إمّا لأنه في قضية معينة لا يمكن من خلالها أخذ حكم جازم في هذا الراوي المعين، أو لأنه متعلق بالسماع، أو خُلق ونحو ذلك، كذلك ذكرتُ في الملحق بشر المريسيّ وقد حَكَم عليه عَفّان بالكفر، ففقد أهم شرط في قبول الراوي وهو الإسلام.

(٢)طبقات ابن سعد (٧ /٢٨٤).

(٣)العلل (رقم٣١٢ و١٢٨٨).

(٤)تاريخ بغداد (٧ /٥٤٠)، ومالك: خازن النار!، وقد كفر بشر بن غياث عدد من الأئمة، قال الخطيب :«وحكي عنه أقوال شنيعة، ومذاهب مستنكرة، أساء أهل العلم قولهم فيه بسببها، وكَفَّره أكثرهم لأجلها » (٥٣٢/٧)، وقال شبابة بن سوار :«اجتمع رأيي، ورأيُ أبي النضر هاشم بن القاسم، وجماعة من الفقهاء على أنّ المريسي كافرٌ جاحد.. »، وممن كفره أيضا: قتيبة بن سعيد، وأقوالهم في تاريخ بغداد وغيره.

- **بشر بن غياث بشر المريسي (ت٢١٨)، قال إبراهيم بن الحسين :«ركب عَفّان بن مسلم يوماً، وأنا قابضٌ على عنان البغلة، فاستقبلنا شيخٌ قصيرٌ، كبيرُ الرأس، كبير الأذنين، فقال: نحْ البغلة! نحْ البغلة! أمَا ترى الكافر؟ فقلت: من هذا يا أبا عُثمان قال: هذا بشر بن غياث، بشر المريسي قال إبراهيم: ويوم مات بشر جعل الصبيان يتعادون بين يدي الجنازة ويقولون: من يكتب إلى مالك؟ من يكتب إلى مالك»(١).**

****

- **بهز بن أسد العمي أبو الأسود البصري (بعد المائتين)،قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :« حدثني أبي قال: حدثنا بهز بن أسد، أبو الأسود العمي، قال: وقفنا أبا الأشهب فوقف لنا، فقال: حدثنا الحسن. قال أبي: فقال عفان : إنما جاء معنا بهز إلى أبي الأشهب مجلسًا، أو مجلسين»(٢).**

****

- **ثابت بن يزيد أبو زيد، قال عفان :«دلنا شعبة على ثابت بن يزيد أبي زيد»(٣).**

******

- **سعيد بن أبي عروبة مهران اليشكري، مولاهم، أبو النضر البصري (ت١٥٧)، قال عَفّان :« وأرواهم للحديث على وجهه سعيد بن أبي**

(١)تاريخ بغداد (٣ / ١٩٤)

(٢)العلل (رقم٣٩٤).

(٣)الجرح والتعديل - (ج ٢ / ص ٤٦٠).

عروبة »[(1)]، وقال :«كان سعيد بن أبي عروبة يروي عن قتادة مما لم يسمع شيئا كثيرا، ولم يكن يقول فيه حدثنا»[(2)].

****

- **حماد بن سلمة قال الدوري :«سمعت عَفَّان بالبصرة يقول : ما سمعت من حَمّاد بن سلمة حديثاً قط في المجلس إلا أتيته في منزله حتى أقرأه عليه »[(3)]، وقال عَفَّان :« اختلفتُ أنا وفلان إلى حَمّاد بن سلمة سنة لا نكتب شيئا، وسألناه الإملاء، فلما أعياه، دعا بنا إلى منزله، فقال: ويحكم تُشْلُون [(4)] عليَّ الناس، قلنا: لا نكتب إلا إملاء، فأملى بعد ذلك»[(5)].وقال عَفّان بن مسلم :«قد رأيتُ من هو أعبد من حماد بن سلمة، ولكن ما رأيتُ أشدّ مواظبة على الخير، وقراءة القرآن، والعمل لله من حماد بن سلمة»[(6)]. وقال عفان :« كنا عند حماد بن سلمة فأخطأ في حديث، وكان لا يرجع إلى قول أحد، فقيل له: قد خولفت فيه، فقال:**

---

(١)الكامل لابن عدي (٤/ ٤٤٨)، وفي موضع من الكامل (١٣٥/٨) وفي المعرفة والتاريخ (٢٨٦/٢) أنَّ هذا من كلام قتادة ونصه:«قال عفان قال قتادة أرواهم عني حديثا مطر وأرواهم للحديث على وجهه سعيد بن أبي عروبة ».

(٢)طبقات ابن سعد (٧ / ٢٧٣).

(٣) رواية الدوري (١٨١٩و٢٣٦١) .

(٤) تشلون: أي: تغرون، من أشليت الكلب على الصيد: إذا أغريته. لسان العرب (١٧٤/١٩).

(٥) تاريخ بغداد (٣٥٢/١٤)، تهذيب الكمال (١٦٦/٢٠). قلتُ: ومعلوم أنَّ أجل أنواع السماع ما يكتب الإنسان في الإملاء.قال السمعاني :« أخذ الحديث عن المشائخ يكون على أنواع... وأصحُّ هذه الأنواع: أن يملي عليك وتكتبه من لفظه، لأنك إذا قرأت عليه ربما يغفل، أو لا يستمع، وإن قرأ عليك؛ فربما تشتغل بشيء عن سماعه... كان زهير لا يأخذ حديثا إلا إملاء » أدب الإملاء والاستملاء (١٢٢/١).

(٦)الحلية (٢٥٠/٦).

من ؟ قالوا: حماد بن زيد، فلم يلتفت، وقالوا: وهيب، فلم يلتفت، فقال له إنسان: إنّ إسماعيل بن علية يخالفك؟ فقام فدخل ثم خرج فقال: القول ما قال إسماعيل بن إبراهيم»(١). قال ابن عدي : عفان بن مسلم يقول اختلف أصحابنا في سعيد بن أبى عروبة وحماد بن سلمة فصرنا إلى خالد بن الحارث فسألناه فقال حماد أحسنهما حديثا وأثبتهما لزوما للسنة قال فرجعنا إلى يحيى بن سعيد فأخبرناه فقال قال لكم وحفظهما قال فقلنا ما قال إلا ما أخبرناك (٢)

****

- شعبة بن الحجاج العتكي (ت١٦٠) وقال عَفّان :« كان شعبة من العباد»(٣).

****

- صالح بن بشير، أبو بشر المري البصري (ت١٧٢)، قال عَفّان :« كنا نأتي مجلس صالح المري ، نحضره وهو يقص ، وكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور ، يفزعك أمره من حزنه وكثرة بكائه، كأنه ثكلى، وكان صالح شديد الخوف من الله،كثير البكاء »(٤).

****

- عبد الوارث قال عبدالله بن أحمد :«سمعت القواريري يقول: ذهبت أنا وعَفَّان إلى عبد الوارث(٥). فقال: أيش تريدون؟ فقال له عَفَّان: أخرج

(١) الجرح والتعديل (٢/ ١٥٣).

(٢) الكامل (٢/ ٢٥٣).

(٣) الجرح والتعديل (١٧٢/١)

(٤)طبقات ابن سعد (٩ / ٣٠٨)، حلية الأولياء (٣ / ٣٤).

(٥) هو: ابن سعيد التنوري، ثقة ثبت.التقريب (رقم٤٢٥١).

حديث ابن جحادة[1]، فأملاه من كتابه، حدثنا محمد بن جحادة. قال: حدثني وائل بن علقمة، عن وائل بن حجر. قال: فقال له عَفَّان: هذا كيف يكون؟ حدثنا به همام فلم يقل هكذا .قال: فضرب بالكتاب الأرض. وقال: أخرج إليكم كتابي، وتقولون أخطأت »[2].

****

- **عبيد الله بن الحسن ، وقال عَفَّان: « سألتُ عبيد الله بن الحسن[3] أن يخرج إلي كتاب الجريري فأبى؛ وقال : ائت هلال بن حِقّ[4]، فإنه عنده، قال : وجدت أحضر العلم منفعة ما وعيته بقلبي ولكنه بلساني»[5].ومن لطيف ما مرَّ علي من أخبار عَفَّان في هذا الباب ما رواه ابن الأعرابي في معجمه[6] عن عَفَّان قال :«كلفني سليمان بن المغيرة[7] شراء هاون[8] فاشتريته له ، ثم حدثنا بحديث ، فقلت : أقرؤه عليك ، فقرأته فاستفهمته ، أو أعدت عليه ، فقال : « الهاون في البيت فإن شئت فاذهب فخذه».**
- **قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري (ت١١٧)، قال عَفّان :«كان قتادة يقيسُ على قول سعيد بن المسيب، ثمّ يرويه عن سعيد بن**

(١) محمد بن جحادة، ثقة.التقريب (رقم٧٥٨١).

(٢) العلل (رقم٩٧٤).

(٣) هو: العنبري البصري قاضيها ثقة فقيه، مات سنة ثمان وستين ومائة.التقريب (٤٢٨٣).

(٤) هو: هلال بن حق بكسر المهملة أبو يحيى البصري مقبول.التقريب (٧٣٣٢).

(٥) الجامع لأخلاق الراوي (رقم ١٥٣٠).

(٦) (رقم ٢٥٠).

(٧) هو: القيسي مولاهم أبو سعيد البصري، متفق على توثيقه وجلالته، مات سنة خمس وستين ومائة. ومائة. تهذيب التهذيب (١٠٨/٢).

(٨) الهاون: هو أداة تستخدم للدق بها. لسان العرب (٤٣٨/١٣).

المسيب، قال: وذاك قليل»[١].

****

- مبارك بن فضالة (ت١٦٦)، قال عفان:«سمعت عَفّان :« كان من النساك»[٢].

******

- محمد بن سعيد بن زياد القرشي، قال ابن أبي حاتم :« سمع منه أبي، ولم يحدث عنه سمعته يقول: هو منكر الحديث، مضطرب الحديث، ضعيف، كان عَفّان اتكأ عليه»[٣].

******

- همام بن يحيى وقال أبو داود :« سمعت أحمد قال: قال عَفَّان: حدثنا همام يومًا بحديث فقيل له فيه، فدخل فنظر في كتابه. فقال: ألا أراني أخطئ وأنا لا أدري، فكان بعد يتعاهد كتابه »[٤]، وقال أحمد أيضاً :«قال عَفَّان: حدثنا يومًا همام. قال فقلت له: إن يزيد بن زريع حدثنا عن سعيد، عن قتادة، ذكر خلاف ذلك الحديث قال: فذهب فنظر في الكتاب، ثم جاء فقال: يا عَفَّان، ألا تراني أخطئ وأنا لا أعلم، قال عَفَّان: وكان همام إذا حدثنا بقرب عهده بالكتاب، فقل ما كان يخطئ »[٥].

وقال أيضاً:« وكان يحيى ينكر على همام أنه يزيد في الإسناد. ثم

(١)طبقات ابن سعد (٩/ ٢٢٩).

(٢)الكامل (٨ / ٢٤).

(٣)الجرح والتعديل (٧ / ٢٦٥).

(٤)سؤالات أبي داود لأحمد (رقم٤٩٠).

(٥) العلل(رقم٦٨٢).

قال: زعم عَفَّان. قال: كان يحيى يسألني عن همام، كيف قال همام حيث قدم معاذ بن هشام، وذاك أنه وافق هشامًا في أحاديث. قال أبي: وكان يحيى يرى أنه ليس مثل سعيد »[1].وقال أحمد أيضاً:« كان يحيى يحدث عن أبان العطار، ولا يحدث عن همام، فلما قدم –زعموا– معاذ ابن هشام، وحدث بأحاديث وافق فيها هماماً، قال عَفَّان: فكان يحيى يقول لي بعد ذلك: كيف قال همام في هذا الحديث؟ يتذاكرونه بينهم »[2].فقد قال الإمام أحمد بن حنبل :«حدثنا عَفَّان وبهز. قالا: حدثنا همام. قال: أخبرنا قتادة. قال عَفَّان في حديثه قال: حدثني شريك بن خليفة. قال بهز في حديثه: وكان من الأزارقة. قال: سألت عبدالله بن عمرو آكل وأنا جنب ؟ قال: توضأ وضوءك للصلاة ثم كل[3].قال عَفَّان: قلت ليحيى: أخطأ هشام، وسعيد، وأصاب همام. قال: كيف يا مجنون؟ قلت: وافق سعيد همامًا على عبدالله بن عمرو، ووافق هشام همامًا على شريك.قال أبي: وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عبدالله بن عمرو.وقال هشام: عن شريك بن خليفة، عن ابن عمر في الجنب يغسل رأسه»[4].وقال أحمد بن حنبل :« قال عَفَّان: حدثنا يومًا همام. قال فقلت له: إن يزيد بن زريع حدثنا عن سعيد، عن قتادة، ذكر خلاف ذلك الحديث قال: فذهب فنظر في الكتاب، ثم جاء فقال: يا عَفَّان، ألا تراني أخطئ وأنا لا أعلم قال عَفَّان: وكان همام إذا حدثنا بقرب

(١) العلل(رقم: ٢٧٨ و١٢٣١ و٢٤٦٨).

(٢) سؤالات أبي داود لأحمد (رقم٤٩١).

(٣) وأخرجه ابن المنذر في الأوسط (٢ /٢٩٩) من طريق همام–به–.

(٤) العلل (رقم٣٩٢)، التاريخ الكبير (رقم ٢٦٥٢).

عهده بالكتاب، فقل ما كان يخطئ »[١].وقال عَفَّان بن مُسْلِم :« كان يحيى بنُ سعيد يعترض على همام في كثير من حديثه، فلما قدم معاذ بنُ هشام نظرنا في كتبه، فوجدناه يوافق هماما في كثير مما كان يحيى ينكره، فكفَّ يحيى بعد عنه »[٢].

****

- **وضاح بن عبد الله أبو عوانة (ت١٧٥)، قال عَفّان :« كان أبو عوانة يلبس قلنسوة»[٣] ، قال عفان أول من أهلك أبان ابن أبي عياش أبو عوانة جمع أحاديث الحسن عامته فجاء به إلى أبان فقرأه عليه[٤] .**

****

- **وهيب بن خالد بن عجلان ، قال عفان :« هو مولى باهلة»[٥].**

****

- **يزيد بن إبراهيم التستري (ت١٦٣)**

وقال عَفّان: « كان يزيد بن إبراهيم إذا حدث عن الحسن لم يلحن، وإذا حدّث عن محمد لحن»[٦].

- **شيخ من العوقة ، قال ابن حبان :«ومنهم من كان يحدث عن شيوخ لم يرهم بكتب صحاح، فالكتب في نفسها صحيحة إلا أن سماعه عن أولئك الشيوخ لم يكن، ولا رآهم كأبي صالح صاحب الكلبي والكلبي**

---

(١) العلل (رقم٦٨٢)، الجامع لأخلاق الراوي (١٠٣٤).

(٢) الجرح والتعديل (٩ / ١٠٨)، مستخرج أبي عوانة (رقم٣٨٤).

(٣)طبقات ابن سعد (٢٨٩/٩).

(٤)الكامل لابن عدي (١ / ٣٨٣) .

(٥) طبقات ابن سعد (٧ / ٢٨٦) .

(٦) الجعديات (رقم٣١٩٣).

وذويهم . أخبرني محمد بن المنذر، حدثنا محمد بن إبراهيم أبو أمية قال: سمعت عفان يقول: كان بالبصرة بالعوقة شيخ يحدث عن قتادة، فكتبنا عنه، ثم سألناه: كيف كان إقبال قتادة عليك ؟ فقال: ما سمعت من قتادة شيئا، فقلنا هو الذي حدثنا، قال: هذا شيء أرجو أن ينفعكم الله تعالى به قال: فجعل يحثنا على البقية أن نكتب عنه، وجعلنا فتعجب منه[1].

(١) المجروحين (١ / ٧١) .

فهرس المصادر والمراجع

- أدب الإملاء والاستملاء.تأليف: عبدالكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، دراسة وتحقيق: أحمد محمود، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، مطبعة المحمودية ـ جدة ـ.
- الإرشاد في معرفة علماء الحديث.الخليل بن عبد الله القزويني (ت ٤٤٦ هـ)، تحقيق د. محمد سعيد إدريس، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، مكتبة الرشد.
- الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى.تأليف: يوسف بن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق وتخريج د. عبدالله بن مرحول السوالمة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع – الرياض.
- الأنساب، للإمام السمعاني، عبدالكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ)، تعليق عبدالله البارودي دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ – ١٩٨٨م.
- الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف.تأليف: محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت٣١٨هـ)، تحقيق د.صغير حنيف، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، دار طيبة – الرياض–.
- البحر الزخار" مسند البزار" ، للبزار (ت ٢٩٢ هـ) ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن السلفي ، وعادل بن سعد ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، مؤسسة علوم القرآن – بيروت ، ومكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة .
- التاريخ، للإمام يحيى بن معين ، برواية الدوري ، تحقيق : د. أحمد نور سيف ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ، مركز البحث العلمي ، جامعة الملك عبدالعزيز .
- تاريخ أسماء الثقات ، لابن شاهين : أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان ، تحقيق : صبحي السامرائي ، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ)، الدار السلفية .

- التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، محمد بن إسماعيل ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت .
- تاريخ بغداد ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، تحقيق : د.بشّار عوّاد معروف، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للحافظ السيوطي (ت٩١١)، تحقيق نظر الفريابي، مكتبة الكوثر، الرياض. الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- تصحيفات المحدثين: لأبي أحمد العسكري(ت ٣٨٢ هـ)، تحقيق: د. محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ.
- تقريب التهذيب ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد عوامة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، دار الرشيد ، سوريا .
- تهذيب التهذيب ، لابن حجر ، تحقيق : إبراهيم الزيبق ، عادل مرشد ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للمزي : يوسف بن عبدالرحمن ، تحقيق : بشار عواد ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- الثقات ، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي ، دائرة المعارف العثمانية الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ .
- الثقات لابن شاهين= انظر: تاريخ أسماء الثقات.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب البغدادي : أحمد بن علي(ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق: محمود الطحان ، الطبعة الأولى١٤٠٣ هـ ، مكتبة المعارف ، الرياض .

- الجرح والتعديل ، للإمام عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ، تحقيق : عبدالرحمن المعلمي ، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ .
- الجرح والتعديل ، تأليف د. إبراهيم اللاحم ، مكتبة الرشد .
- الجعديات = انظر : مسند علي بن الجعد.
- حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصبهاني : أحمد بن عبدالله ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
- دراسة المتكلم فيهم من رجال تقريب التهذيب.تأليف د. عبدالعزيز بن سعد التخيفي –رسالة دكتوراه– جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين، قسم السنة وعلومها، ١٤٠٥ هـ.
- دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة.تأليف : محي الدين عطية، وصلاح الدين حفني، ومحمد خير يوسف، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، دار ابن حزم – بيروت –.
- ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين ، للذهبي ، تحقيق: حماد الأنصاري ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .
- الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم ، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق: محمد الموصلي ، الطبعة الأولى١٤١٢ هـ ، دار البشائر الإسلامية .
- أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية، مع تحقيق كتابه الضعفاء وأجوبته على أسئلة البرذعي.دراسة و تحقيق د. سعدي الهاشمي، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ، دار الوفاء للطباعة– مصر–.
- سؤالات أبي بكر الأثرم أبا عبد الله أحمد بن حنبل تحقيق: خير الله الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، دار العاصمة.

- سؤالات البرذعي = انظر: أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية.
- سؤالات البرقاني للدارقطني، تأليف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: د. عبدالرحيم محمد أحمد القشقري، الطبعة الأولى١٤٠٤هـ، كتب خانه جميلي –باكستان– .
- سؤالات السلمي للدارقطني ، تحقيق د.سعد الحميد ، و د. خالد الجريسي ، دار الجريسي للطباعة.
- سؤالات ابن أبي شيبة لابن المديني ، تحقيق: محمد علي الأزهري ، الفاروق الحديثة للنشر .
- سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود ، تحقيق : د. عبدالعليم البستوي ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، مكتبة دار الاستقامة ، مكة المكرمة ، مؤسسة الريان، بيروت.
- سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني ، تحقيق : د. موفق عبدالقادر ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، مكتبة المعارف ، الرياض.
- السنن الكبرى للنسائي ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، الطبعة الأولى١٤٢٢ هـ ، مؤسسة الرسالة .
- سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي: محمد بن أحمد ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرين ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- شرح علل الترمذي ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق : د. نور الدين عتر ، دار الملاح للطباعة والنشر.
- شرح معاني الآثار ، للطحاوي ، تعليق : محمد زهري النجار ، الطبعة الثانية١٤٠٧هـ ، دار الكتب العلمية .
- صحيح البخاري ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، الطبعة الأولى

(مصورة عن الطبعة السلطانية) ، تاريخ النشر: ١٤٢٢هـ ، دار طوق النجاة .

- صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الإسلامية ، إستانبول ، تركيا .
- الطبقات الكبرى ، لابن سعد : محمد بن سعد بن منيع ، تحقيق: علي محمد عمير، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- الضعفاء الكبير ، لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ضوابط الجرح والتعديل ، مع دراسة تحليلية لترجمة إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السّبيعي ، تأليف د. عبدالعزيز بن إبراهيم العبداللطيف ـ رحمه الله ـ مكتبة العبيكان .
- علل الترمذي الكبير ، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، ترتيب : أبي طالب القاضي ، تحقيق : السامرائي والنوري والصعيدي ، الطبعة الأولى١٤٠٩ هـ ، عالم الكتب.
- علل الحديث ، لابن أبي حاتم الرازي ، إشراف: سعد الحميد، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ .
- العلل ومعرفة الرجال ، للإمام أحمد بن حنبل ، رواية عبدالله بن أحمد ، تحقيق : وصي الله عباس ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت.
- العلل ومعرفة الرجال عن الإمام أحمد ، رواية المروذي وغيره ، تحقيق : د. وصي الله عباس ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، الدار السلفية ، بومباي – الهند.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية ، للدارقطني : علي بن عمر ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، مع التكملة تحقيق:

محمد الدباسي، دار طيبة ، الرياض .

- فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، للسخاوي : محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢ هـ) ، تحقيق : عبد الكريم الخضير، ومحمد الفهيد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ هـ ، دار المنهاج بالرياض .
- الكامل في الضعفاء ، لابن عدي : عبدالله بن عدي الجرجاني ، تحقيق:عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية.
- الكفاية في معرفة أصول علم الرواية.الخطيب البغدادي أحمد بن علي(ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: أبي إسحاق الدمياطي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، دار الهدى–مصر–.
- لسان العرب.لابن منظور، الطبعة الأولى، دار صادر – بيروت.
- لسان الميزان، تأليف: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: الشيخ عبد الفتَّاح أبو غدَّة، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية .
- المجروحين ، لابن حبان : محمد بن حبان البستي ، تحقيق : محمود زايد ، الطبعة الأولى١٣٩٦ هـ ، دار الوعي ، حلب.
- مختصر الكامل في الضعفاء، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي،، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، مكتبة السنة، مصر.
- مسائل الإمام أحمد بن حنبل ، برواية ابن هانئ ، تحقيق : زهير الشاويش ، الطبعة الأولى١٤٠٠ هـ ، المكتب الإسلامي.
- المستدرك على الصحيحين.أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم(ت ٤٠٥ هـ)، دار الباز –مكة المكرمة.
- مسند الإمام أحمد ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ ،

مؤسسة الرسالة.

- مسند عبد بن حميد– المنتخب–.تأليف: عبد بن حميد الكشي (ت ٢٤٩هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي، ومحمود الصعيدي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، عالم الكتب – بيروت –.
- مسند علي بن الجعد (الجعديات) ، للبغوي : أبي القاسم (ت٣١٧) تحقيق : عبد الهادي بن عبد القادر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ ، مكتبة الفلاح ، الكويت .
- المصنف ، لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: حمد الجمعة، ومحمد اللحيدان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف ، تأليف محمد خير رمضان، مكتبة الرشد .
- معرفة الثقات.أحمد بن عبدالله العجلي(ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: عبد العظيم البستوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، مكتبة الدار– المدينة المنورة–.
- معرفة الرجال عن يحيى بن معين. رواية: أحمد بن محمد بن محرز، تحقيق: محمد القصار ومحمد الحافظ وغزوة بدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، مجمع اللغة العربية–دمشق–.
- المعرفة والتاريخ ، للفسوي : يعقوب بن سفيان ، تحقيق : د. أكرم العمري ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
- مقدمة فتح الباري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ، المكتبة السلفية ، القاهرة.
- موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله ، جمع وترتيب : السيد أبو المعاطي النوري ، أحمد عبد الرزاق عيد، محمود محمد خليل ،

الطبعة الأولى ١٤١٧ – ١٩٩٧م ، عالم الكتب بيروت لبنان .

- الموسوعة العلمية الشاملة عن الإمام يعقوب بن شيبة السدوسي، د.علي الصياح، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، أضواء السلف–الرياض– .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي : محمد بن أحمد ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .
- هدي الساري = ينظر مقدمة فتح الباري.

البرامج الحاسوبية:

- « برنامج موسوعة الحديث الشريف » ، إنتاج شركة حرف لتقنية المعلومات.
- « جامع الحديث النبوي» ، إنتاج شركة إيجيكوم لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات.
- « برنامج جامع السنة» ، إنتاج الشركة العربية لتقنية المعلومات.
- « برنامج الجامع الكبير للتراث» ، إنتاج شركة التراث.
- « الموسوعة الشاملة»، موسوعة مجانية قام بإعدادها مجموعة من طلاب العلم ومجموعة من المبرمجين، تحمل من الإنترنت.

فهرس الموضوعات

كِتَابُ تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ

لِشِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْحِجَازِيِّ

(ت٨٧٥ هـ)

دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقٌ

إِعْدَادُ :

د . مَاجِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَلِيلٍ الْحَازِمِيِّ

الْأُسْتَاذِ الْمُشَارِكِ بِالْمَعْهَدِ الْعَالِي لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى

مقدمة التحقيق

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(١) .﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾(٢).﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾(٣).   وبعد :

فلقد عُنى علماء المسلمين قديماً وحديثاً بالتأليف في موضوع تربية الأولاد ؛ وما ذاك إلا لأهمية تربية الأولاد في الإسلام –منذ مرحلة الطفولة– تربية إسلامية صحيحة من الناحية الإيمانية والفكرية والجسمية والأخلاقية في ضوء المنهج الرباني ؛ لأن تربية الأولاد تربية صحيحة تعود بالخير والنفع على الأمة جميعاً.ولهذا جاء في القرآن الكريم الترغيب بالدعاء للأبناء الصلاح وأن يكونوا قرة أعين كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا

(١) سورة آل عمران:١٠٢ .

(٢) سورة النساء:١ .

(٣) سورة الأحزاب:٧٠-٧١ .

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[1] . ومن تأمل المكتبة الإسلامية قديماً وحديثاً وجد أنها تزخر بالكثير من الكتب والبحوث والدراسات التي تناولت موضوع تربية الأولاد مما يؤكد أهمية تربية الأولاد في الفكر التربوي الإسلامي ، وممن كتب في هذا الموضوع قديماً الإمام الغزالي ، والقابسي ، وابن سحنون ، وابن جماعة ، وابن القيم ، والإمام الزرنوجي ...... وغيرهم .

وكتاب " تربية الأولاد "لشهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الحجازي من كتب التراث الإسلامي التي تحدثت عن موضوع تربية الأولاد بنوعٍ من الشمول والإيجاز .

هذا.ولما كان الاهتمام بكتب التراث الإسلامي – دراسةً وتحقيقاً – من الأولويات التي يجب على أساتذة التربية الإسلامية العناية بها ؛ خاصةً إذا عُلم أن المكتبة الإسلامية تكاد تفتقد إلى مثل هذا النوع من الدراسة والتحقيق للمخطوطات التربوية ؛ مقارنة مع علوم الشريعة المختلفة .

والمتأمل في كتب التراث الإسلامي يعجب حين يقف على الكم الهائل من المخطوطات في مختلف فروع العلوم الإسلامية بصفة عامة ، والتربية الإسلامية بصفة خاصة . ولعل هذا ما يفسر لنا دعوة بعض العلماء المعاصرين بأن : " تلتزم كلياتنا الجامعية ذات الطابع الثقافي الإسلامي تكليف طلبة

---

(١) سورة الفرقان:٧٤ .

الدراسات العليا أن يقوم كل منهم بتحقيق مخطوط يمت بصلة إلى موضوع الرسالة التي يتقدم بها ... ؛ وعسى أن يأتي اليوم الذي يكون فيه هذا الأمر ضريبة علمية لابد من أدائها "[١] .

ومع أهمية هذا القول ووجاهته من الناحية النظرية ؛ إلا أن واقع طلبة الدراسات العليا – في الغالب الأعم – في الوقت الراهن بحاجةٍ إلى إعادة نظرٍ في مستوى تأهليهم العلمي والبحثي – وبخاصة في الكليات التربوية – إلى امتلاك الأدوات العلمية ، والخلفية الشرعية للتعامل مع دراسة وتحقيق المخطوطات .

وقد كان من توفيق الله عز وجل لي أن أطلع على رسالة : " تربية الأولاد " لشهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الحجازي المتوفى سنة (٨٧٥ هـ) ، فوقع في نفسي دراستها وتحقيقها خدمةً للمعتنين بهذا الشأن ؛ وإثراءً للمكتبة التربوية الإسلامية .

فقمت بدراسة النص وتحقيقه والتعليق على بعض المسائل التي أشعر أنها بحاجة إلى تعليق ، وقدمت بمقدمة ترجمت فيها للمؤلف تناولت فيها : اسمه ونسبه ، مولده ، نشأته وشيوخه ، مؤلفاته ، وفاته .

---

(١) تحقيق النصوص ونشرها ، عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الخامسة ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤١٠هـ ، ص٦ .

كما قمت بكتابة منهجي في تحقيقي المخطوط متبعاً المنهج العلمي المتعارف عليه بين الباحثين في التحقيق . ثم تناولت في القسم الأخير النص المحقق ، ووضعت فهرساً للموضوعات التي تناولها المؤلف .

وختاماً : أحسب أني بذلت في تحقيق ودراسة هذا المخطوط الجهد والوسع . هذا وأسأل الله العلي الكريم أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه ، صواباً لا رياء فيه وسمعة .

ترجمة المؤلف:

اسمه ونسبه[١] : أحمد بن محمد بن علي بن حسين بن إبراهيم ، أبو الطيب شهاب الدين ابن الشيخ الصالح المقرئ شمس الدين الأنصاري الخزرجي السعدي العبادي شهاب الدين المصري الشافعي المعروف بالشهاب الحجازي ؛ من شيوخ الأدب في مصر ، نظم الشعر ، وعني بالموسيقى ، وقرأ الحديث و الفقه واللغة ، وتصدر للتدريس .

مولده: ولد في القاهرة في شعبان سنة (٨٧٥هـ)

دراسته وشيوخه : قرأ الحديث والفقه واللغة ، وتصدر للتدريس ، وقد أجاز له الحافظ زين الدين العراقي ، وسمع على المجد الحنفي ، والبدر النسابة ، والبرهان الأنباسي ، وابن أبي المجد وغيرهم .

وحضر دروس الكمال الدميري ، وسمع من شرحه لابن ماجه ، ولازم العز بن جماعة ، والولي العراقي ، والشمس البرماوي ، والبساطي ، وعُني بالأدب كثيراً إلى أن تقدم فيه ، وصار أحد أعيانه .

(١) انظر نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي (ص ٦٣) ، الأعلام للزركلي (١ / ٢٣٠) ، الضوء اللامع لأهل القرن السابع للسخاوي (٢ / ١٤٧) ، بدائع الزهور لابن إياس الحنفي (١٢٥/٢) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (٧ / ٣١٩) .

مؤلفاته : للشهاب الحجازي – رحمه الله – مؤلفات كثيرة في الأدب وفي غيره من الفنون،منها :

١ . قلائد النحور من جواهر البحور .

٢ . رسالة فيما وقع في القرآن الكريم على أوزان البحور العروضية .

٣ . جنة الولدان – رسالة – .

٤ . الكنس الجواري .

٥ . القواعد المقامات من شرح المقامات الحريرية.

٦ . أجوبة اعتراضات ابن الخشاب على الحريري .

٧ . تخميس البردة.

٨ . ديوان شعره – المفرد – .

٩ . روض الآداب .

١٠ . نيل الرائد في زيادات النيل .

١١ . التذكرة ، نحو ٧٠جزءاً

١٢ . حبيب الحبيب ونديم الكئيب .

١٣ . شرح المعلقات.

١٤ . مصنف الألغاز والأحاجي .

وفاته : توفي – رحمة الله – في القاهرة يوم الأربعاء سابع رمضان سنة (٨٧٥)

منهج التحقيق ووصف النسخة المعتمدة :

أولاً : منهج التحقيق

لقد كان من توفيق الله تعالى أن أعمل في تحقيق هذا المخطوط ، وأن أقدمه للمكتبة التربوية الإسلامية محققاً للمرة الأولى ، معتمداً في ذلك على نسخة دار الكتب الأهلية الظاهرية بدمشق ؛ فقمت بعد قراءة المخطوط ونسخه بتصحيح ما وقع فيه من تحريف وتصحيف وأخطاء ، مع إثبات حواشيه التي تضمنت عزو الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية ، وعنيت عناية خاصة بتخريج ودراسة الأحاديث والآثار الواردة في المتن ، ونسبة الأقوال إلى قائليها ، كما قمت بشرح الكلمات الغريبة ،والتعريف بالأعلام والأماكن ، والتعليق على بعض المسائل التي تحتاج إلى تعليق ؛ مع الحرص الشديد على عدم الإكثار من التعليقات والحواشي ؛ حتى لا يفقد الكتاب متعته ؛ مراعياً في ذلك بذل الجهد ليكون متن المخطوط أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه[١].

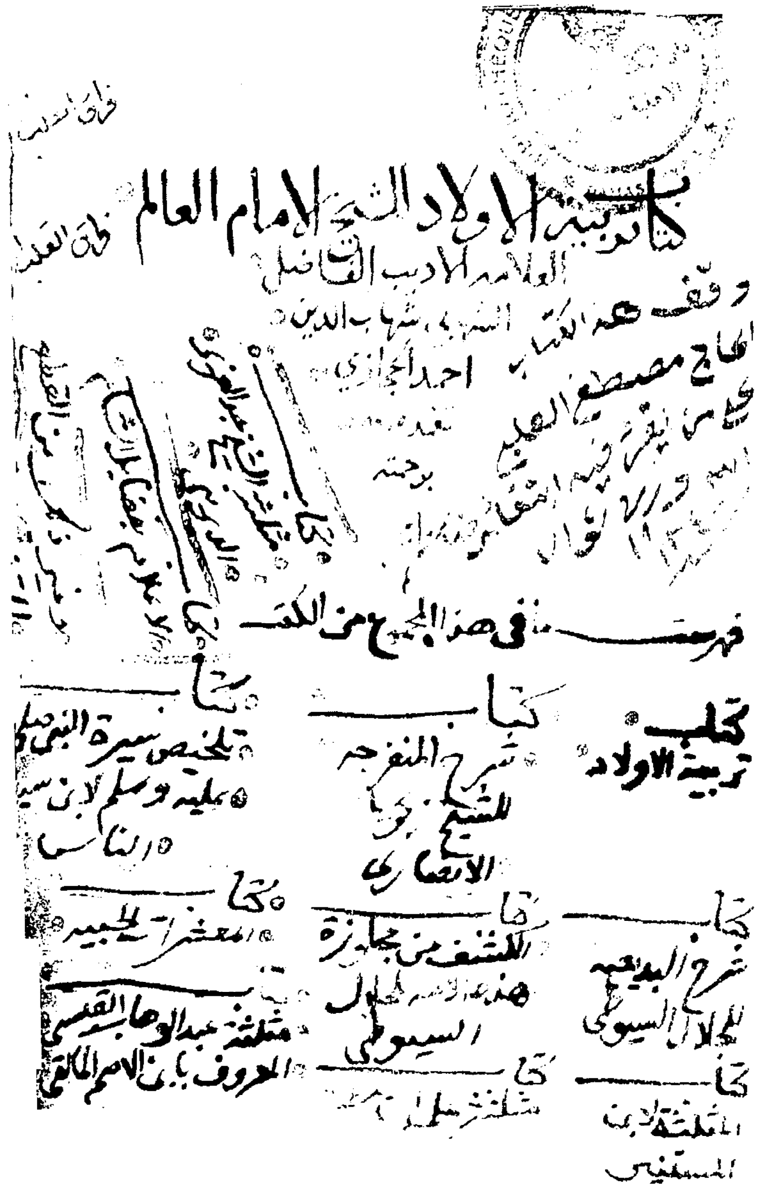
ثانياً : وصف النسخة المعتمدة

وهي نسخة دار الكتب الأهلية الظاهرية بدمشق ، وهي مصورة عن مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت الرقم (١٠٠٤) ؛ وهي نسخة كاملة وقديمة ، ناسخها غير معروف .

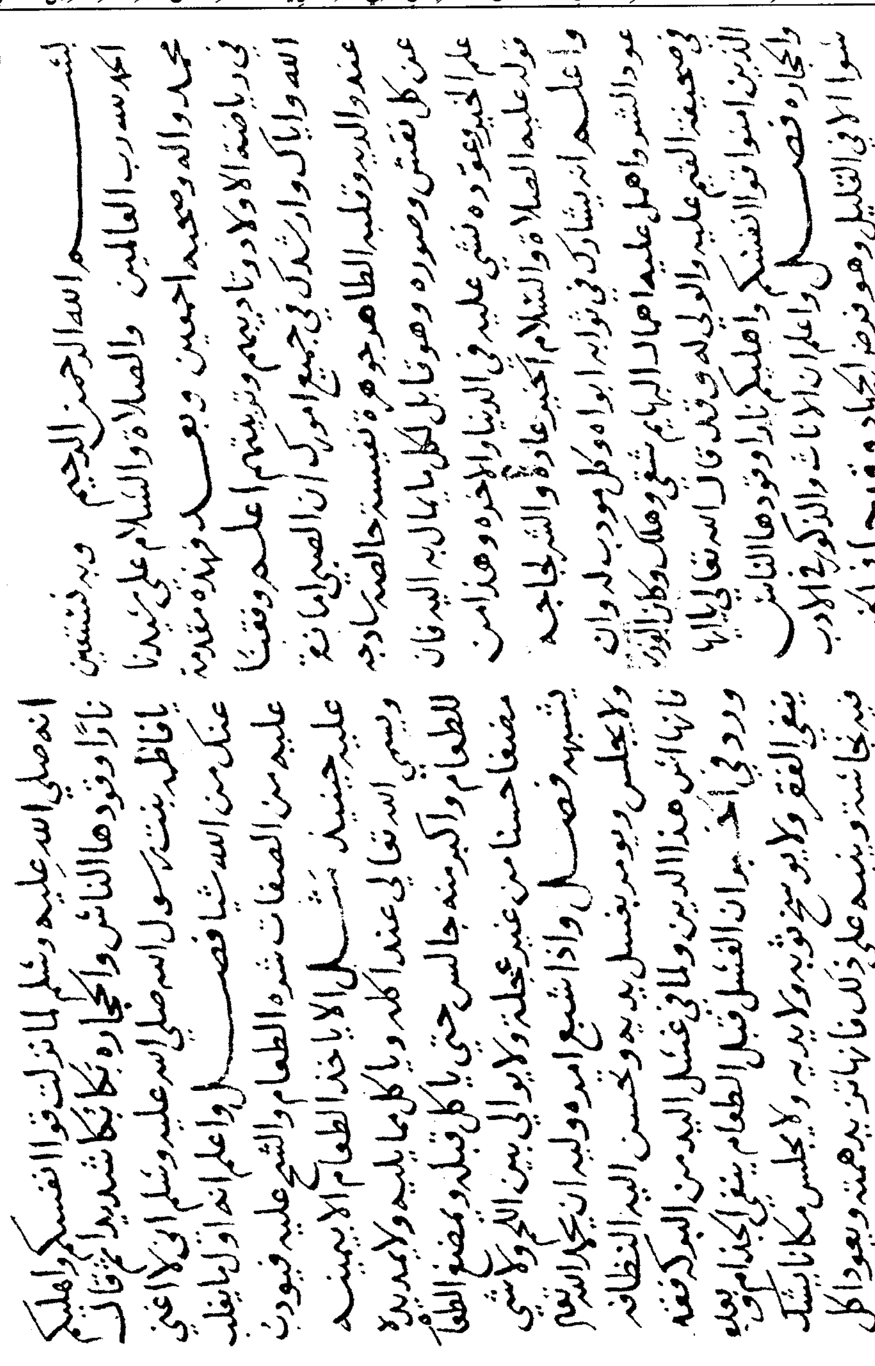
(١) تحقيق النصوص ونشرها ، مرجع سابق ، ص٤٢ .

وعدد لوحاتها (٥) ألواح ، وكل لوحة مؤلفة من وجهين ، وعدد الأسطر في كل وجه ما بين (١٥- ١٦) سطراً ، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر ما بين (١٠-١١) كلمة تقريباً .

وليس فيها طمس أو بياض ، وليس عليها تعليقات ولا شروح ولا هوامش ، وعلى صفحة الغلاف كُتب اسم الكتاب ومؤلفه ، واسم صاحب الوقف وسنة الوقف .



صفحة الغلاف ويظهر فيها اسم المخطوط واسم المؤلف



الورقة الأولى من المخطوط

ما فعلت والقبيح عندهم ما تركت علمهم كتاب الله تعالى
ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تدعهم عنه فيهجروه روهم
من الشعر أعفه ومن الكلام أشرفه ولا تخرجهم من
علم إلى غيره حتى يحكموا الأول فإن ازدحام الكلام
في السمع مظلة في الفهم هددهم بي وأدبهم عني وكن
كالطبيب الحاذق الذي لا يعجل بالدوا قبل معرفة الدا
وجنبهم محادثة النسا وروهم سنن الحكما ولا تتكل على
عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك والسلام
تم بحمد الله تعالى وعنايته
وصلى الله على سيدنا
محمد وآله
وسلم
م

الصفحة الأخيرة من المخطوط

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... ؛ وبعد فهذه مقدمة في رياضة الأولاد وتأديبهم وتربيتهم(١).

اعلم وفقنا الله وأرشدك في جميع أمورك أن الصبي إما نعمة عند والديه(٢) ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة عن كل نقش وصورة .

---

(١) موضوع تربية الأولاد وتأديبهم ، من الموضوعات التي اعتنى بها كثير من المربين المسلمين ؛ كالإمام الغزالي في رسالته أيها الولد ، وإحياء علوم الدين ، حيث تناول فيه بعض موضوعات تربية الأولاد . وللإمام الزرنوجي في رسالته تعليم المتعلم طريق التعلم ، وابن القيم في كتابه تحفة المودود وأحكام المولود ، وبدر الدين ابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم ، وأبو الحسن علي بن محمد بن خلف الفقيه القيرواني ، المعروف بالقابسي ، في الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين . وأبو عبد الله محمد بن سحنون في كتاب آداب المعلمين ... وغيرهم .

(٢) في هذا إشارة إلى مسئولية الوالدين في التربية ؛ فقد أكدت الشريعة الإسلامية على أن من واجب الوالدين تربية أولادهم وتوجيههم وتعليمهم وتأديبهم ، دل على ذلك ما رواه عبد الله بن عمر — رضي الله عنهما — قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .... " رواه البخاري . (١ / ٢٦٨) . وروى الحاكم من حديث أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن " المستدرك على الصحيحين (٤ / ٢٩٢) . قال الحاكم : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " .

وروى ابن حبان عن قتادة عن الحسن أن النبي ﷺ قال : " إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه أحفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته " . صحيح ابن حبان : (١٠ / ٣٤٥) .

وهو قابل لكل ما يمال به إليه ، فإن عُلم الخير وعوّده نشي عليه في الدنيا والآخرة ، وهذا من قوله عليه السلام " الخير عادة والشر لجاجة[١] "[٢].

واعلم أنه يشارك في ثوابه أبواه وكل مؤدب له[٣]، وإن عود الشر[٤] وأهمل عليه إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في صحيفة القيم عليه والولي له.وقد قال

فهذه الأحاديث وغيرها تدل دلالة واضحة على مسئولية الوالدين في تربية أولادهم التربية الإسلامية ، قال ابن القيم – رحمه الله – : " فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة . وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينفعوا آباءهم كباراً " تحفة المولود : ص١٨٠ .

قال الإمام الشوكاني : " بل وصية الله تعالى للآباء بأبنائهم سابقة في التنزيل على وصية الأولاد بآبائهم فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه فقد أساء إليه ، وأكثر عقوق الأولاد آخراً بسبب الإهمال أولاً ".فيض القدير :(١ / ٢٢٦) .

(١) اللَّجاج واللَّجاجة : الخصومة ، وقد يقال : لجِجْت – بالكسر – تلَجّ – بالفتح – ولجَجْت – بالفتح – تلِج – بالكسر – وهو لجوج ولجوجه. القاموس المحيط مادة (لجج) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢٢١) ، وصححه ابن حبان (٨/٢) والبيهقي في الشعب (٤٠٠/٦) ، والطبراني في المعجم الكبير (٣٨٥/١٩) ، ومسند الشاميين (١٥٩/٢) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٥١) ، وقال الأرنؤوط : إسناده حسن . (التعليق على صحيح ابن حبان ٨/٢).وفي رواية ابن ماجه زيادة "من يرد الله به خيراً يفقه في الدين " .

(٣) فيه إشارة إلى أن المؤدب والمعلم يشاركان الآباء مسئولية تربية الأبناء ، فالمعلم والمربي إن أحسنا تربية الأبناء كانا لهما الأجر والثواب ، وإن فرطا فإنهما معرضان للعقاب ؛ يقول الشيخ عبد الله ناصح علوان : " لهذا كله نجد أن الإسلام حمّل الآباء والأمهات والمربين جميعاً مسئولية التربية في أبعد حدودها ، وفي أوسع مراميها .. وحذرهم وأنذرهم أن الله سبحانه مسائلهم في يوم العرض عليه عن هذه الأمانة ، هل أدّوها ؟ وعن هذه الرسالة هل بلّغوها ؟ وعن هذه المسئولية هل تحمّلوها " . تربية الأولاد في الإسلام : (٧٨٦/٢) .

(٤) لأن أقوم التقويم وأنفعه ما كان في سن مبكرة ، قال ابن الجوزي : " وأقوم التقويم ما كان في الصغر ، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعباً . قال الشاعر :

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومتــه الخـــــشب

الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[1] .

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل ... وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب

فتبدأ تربية الأولاد منذ نعومة أظفارهم ، فلا يؤخر الوالدين أو يسوفان تربية أولادهم وتوجيههم إلى كل ما فيه نفعهم كتعليمهم الصلاة ، وتعويدهم على الصيام ، وتعليمهم آداب الطعام والشراب ... ؛ حجة أنهم ما زالوا صغاراً . فإهمال تربيتهم في سن الصغر ربما يؤصل في الأولاد العادات السيئة والأخلاق الرذيلة ؛ فيصعب عندئذ على الوالدين تربيتهم على محاسن الأخلاق وفضائل الأعمال .. ؛ وأفضل سن لتعليم الأولاد وتربيتهم وتعويدهم ، هي ما بين سن الفطام إلى السنة الخامسة من عمره . فإن الطفل في هذه السن عادة ما يتقبل سريعاً ما يوجه إليه ؛ ويحاكي والديه في كثير من أفعالهما .وربما دل على ذلك ما رواه الإمام البخاري – رحمه الله –من حديث أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ :"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ..." .صحيح البخاري:(١/ ٤٦٥)

فالطفل في سنواته الأولى كما يؤكد بعض التربويين " يتعلم في سنواته الأولى أكثر بكثير مما يتصوره الآباء ، فإن العادات يمكن أن يكتسبها بسهولة كلما كانت سنه أصغر ، فإن ٩٠% من العملية التربوية تتم في السنوات الخمس الأولى ،كما أن الطفل في هذه الفترة يميل إلى إرضاء والده ، ويحاول أن يخرج منه عبارات الثناء والإعجاب " . انظر : مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة : ص٨١ .

(١) سورة التحريم :٦ .قال ابن سعدي – رحمه الله – : " ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله امتثالاً ، ونهيه اجتناباً ، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب ، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم ، وإجبارهم على أمر الله . فلا يَسْلم العبد ، إلاّ إذا قام بما أمر الله به في نفسه ، وفيمن تحت ولايته وتصرفه " . تيسير الكريم الرحمن : (٥/٢٩٦) .

وأخرج الطبري بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؛ قوله : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ يقول: اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ومروا أهليكم بالذكر ، ينجيكم الله من النار " .

فصل :

واعلم أن الإناث والذكور في الأدب سوا[1] ، إلا في القليل وهو فرض الجهاد[2] ؛ وقد جاء الخبر أنه ﷺ لما نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ

وعن مجاهد قال : " اتقوا الله ، وأوصوا أهليكم بتقوى الله . قال قتادة : يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله ، وينهاهم عن معصيته ، وأن يقوم عليهم بأمر الله ، يأمرهم به وينهاهم عن معصيته ، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به،ويساعدهم عليه؛فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها ، وزجرتهم عنها ".التفسير الصحيح : (٤/ ٥١٠)

(١) فيه تأكيد على ضرورة العدل في التربية بين الذكور والإناث ؛ فقد ذهب جمهور العلماء إلى استحباب العدل والتسوية بين الأولاد ، وكراهية التفضيل بينهم ؛ استناداً لما روي عن رسول الله ﷺ في الأمر بالعدل في العطية . انظر الفقه الإسلامي وأدلته : (٥ / ٣٤) . والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة منها قوله ﷺ : " اعدلوا بين أولادكم في العطية " . صحيح البخاري : (٢ / ٩١٣) . بل كان ﷺ يأمر بالعدل بين الأبناء حتى في القُبل ، فقد روى عن أنس ﷺ : " أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه ، وجاءته بنت له فأجلسها بين يديه . فقال رسول الله ﷺ : ألا سويت بينهم " . معجم الزوائد : (٨ / ١٥٦) .

ويشير بعض التربويين إلى أن الأمر بالعدل بين الأبناء سببه دفع التحاسد والتباغض بين الأبناء ، إذ إن هناك اتفاقٌ بين التربويين – كما يقول الإستانبولي – : " على أن أشد العوامل إثارةً للحسد في نفوس الأطفال ؛ هو تفضيل أخ على أخ أو أخت ، أو العكس . والموازنة بين الواحد والآخر أمام عينيه أو على مسمع منه " . تحفة العروس : ص٢٤٧ .

وهذا المعنى يؤكده الشيخ عبد الله ناصح علوان فيقول : " أما عامل المفاضلة بين الأولاد فهو كذلك من أعظم العوامل في انحراف الولد النفسي ؛ سواء أكانت المفاضلة في العطاء أم في المعاملة أم في المحبة . وهذه الظاهرة لها أسوأ النتائج في انحرافات الولد السلوكية والنفسية ؛ لأنها تولد الحسد ، والكراهية ، وتسبب الخوف ، والحياء ، والانطواء ، والبكاء.وتورث حب الاعتداء والمشاجرة والعصيان ، وتؤدي إلى المخاوف الليلية ، والإصابات العصبية ، ومركبات الشعور بالنقص .. " تربية الأولاد في الإسلام : (١/٣٢٩) .

(٢) لحديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت : قلت يا رسول الله : هل على النساء جهاد ؟! ؛ قال : عليهن جهاد لا قتال فيه ، الحج والعمرة " .صحيح ابن خزيمة:(/ ٣٥٩) .

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ بكى بكاءً شديداً ثم قال : يا فاطمة[1] بنت رسول الله ﷺ إني لا أغني عنك من الله شيئاً[2] .

فصل :

واعلم أنه أول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام والشح عليه[3] ،فيؤدب عليه حينئذ[4] مثل : ألَّا يأخذ الطعام إلا بيمينه ، ويسمى الله تعالى عند

---

(١) فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، وهي أصغر بناته عليه الصلاة والسلام ، ولدت قبل البعثة بقليل ، وتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في السنة الأولى من الهجرة ، روت عن النبي ﷺ ، وتوفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر في رمضان سنة إحدى عشرة رضي الله عنها. انظر : الإصابة في تمييز الصحابة (٨/٥٣) ، والاستيعاب في أسماء الصحابة(ص ٩٢٥).

(٢) حديث لما نزلت .. لم أجده بهذا السياق ، والذي في الصحيحين خلاف هذا ، فقد أخرجا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه " وأنذر عشيرتك الأقربين " : " يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا عنك يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا صفية بنت عمة رسول الله لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا فاطمة بنت رسول لا أغني عنكم من الله شيئا".

(٣) من محاسن التربية الإسلامية الحث على ألاّ يعود الولد الإكثار من الطعام ؛ فإن في ذلك إضراراً لبدنه فالشرهة في الطعام تؤدي إلى السمنة ، وزيادة الوزن ، والبدانة المفرطة ، وتسبب العديد من الأمراض الجسدية والنفسية .. " .وهي ظاهرة يعتبرها العالم المتحضر كله ظاهرة مرضية ، أو هي مقدمة لحياة مليئة بالأمراض إن صاحبت الصغير في مراحل عمره المختلفة ، إلى جانب أن الولد البدين يقل أصحابه ، ويصعب عليه مشاركتهم في الألعاب لأنه سريع التعب كما أنه يصبح مكاناً للسخرية والاستهزاء لبدانته وهذا يسبب له إحباطاً نفسياً سيئاً " . مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة : ص٣٧٠ . كما أن الأكل الكثير يسبب البلادة والكسل ، وكثرة النوم ، ولا تساعد على التفكير بشكل صحيح . فالواجب الاقتصاد في الطعام والشراب ؛ والأصح يقول ابن القيم : " أن يأكل الولد دون الشبع " . تحفة المودود بأحكام المولود : ص١٦٦ .

(٤) من مسئولية الآباء في التربية تعليم أولادهم آداب الطعام والشراب ، فيتحرى الأب الأكل والشرب مع أولاده وأهل بيته ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : " اجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله يبارك لكم " . الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان : (٧ / ٣٢٧) .

أكله ويأكل مما يليه[(١)] ، ولا يمد يده للطعام وأكبر منه جالس ؛ حتى يأكل قبله؛ ويمضغ الطعام مضغاً حسناً من غير عجلة ، ولا يوالي بين اللحم ولا شيء يشبهه .

فصل :

و إذا شبع أمره وليُّه أن يحمد الله تعالى[(٢)] ولا يجلس ، ويُؤمر بغسل يديه، وتحسّن إليه النظافة فإنهما أُسُّ هذا الدين[(٣)] ، ولما في غسل اليد من البركة ؛ فقد ورد في الخبر: أن الغسل قبل الطعام ينفي الجذام ،

فيعلم الوالد أبناءه هيئة الجلوس على الطعام فلا يجلس الولد متكئاً ، ويحذر من الأكل والشرب قائماً أو مضجعاً على وجهه ، ويؤمر بغسل يديه قبل الطعام وبعده ، وينهى عن التنفس في الإناء أثناء الشرب أو النفخ على الطعام والشراب ويعود الأب ولده على الأكل باليمين ، وأن يأكل مما يليه ، ويحثه على شكر الله تعالى بعد الأكل على هذه النعمة ، وينهاه عن أن يعيب طعاماً قط فإن اشتهاه أكل ، وإلا تركه .

ويعوده الاعتدال في الطعام والشراب فلا يُكْثر من الأكل والشرب لقول النبي ﷺ : " المؤمن يأكل في مِعي واحدٍ والكافر يأكل في سبعة أمعاء " . صحيح مسلم : (٣ / ١٦٣١) .

(١) وردت هذه الآداب في حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ " يا غلام سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك ".أخرجه البخاري في الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين (٥٣٧٦) ، ومسلم في الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما(٢٠٢٢) .

(٢) وردت عدة أحاديث في مشروعية الحمد بعد الطعام ، منها :

١– حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها ". أخرجه مسلم في الذكر والدعاء ،باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (٢٧٣٤) .

٢– حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال : " الحمد لله كثيراً طَّيبا مباركاً فيه غير مَكْفيٍّ ولا مُودِّعٍ ولا مستغنًى عنه ربنا ". أخرجه البخاري في الأطعمة ، باب ما يقول : إذا فرغ من طعامه (٥٤٥٨) .

(٣) المسلم مأمور بأن يربي أولاده على النظافة والطهارة ؛ وهذا من محاسن التربية الإسلامية ، فقد كان النبي ﷺ كما يقول ابن الجوزي : " أنظف الناس وأطيب الناس ، وفي الحديث عنه ﷺ يرفع يديه ؛ حتى تبين عفرة إبطيه ، وكانت ساقه ربما انكشفت فكأنها جمارة (باطن الجذع) ، وكان لا يفارقه السواك

وبعده ينفي الفقر[1].

ولا يوسخ ثوبه ولا يديه[2] ،ولا يجلس مكاناً يشك فيه نجاسة وينبه على ذلك[3] فإنها تزيد همته .

" .صيد الخاطر : ص١٠١ . وكان ﷺ شديد العناية بنظافة جسده ورعايته ؛ يقول الحكيم الترمذي : " وكان رسول الله ﷺ لا يترك الطيب ، ويعاهد أحوال نفسه ، وكان لا يفارقه المرآة والسواك والمقراض في السفر والحضر ، وكان إذا أراد أن يخرج إلى الناس نظر في رَكوة فيها ماء فيُسوي من لحيته وشعر رأسه ، ويقول : إن الله جميل يحب الجمال " نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، ص٣٤٨ .

والركوة : هي الإناء الصغير المصنوع من الجلد يشرب فيه الماء ، أو هو الدلو الصغير .المعجم الوسيط : (٣٧١/١) .

(١) جاءت أحاديث في غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، منها : " الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ، وبعده ينفي السقم " ، و في لفظ آخر : " الوضوء ينفي الفقر قبل الطعام وبعده. وكلها أحاديث لا تصح . انظر : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص١٥٥) ، موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢٣٥/١١) .

(٢) فقد كان رسول الله ﷺ ينكر على من أهمل نظافة ثوبه وبدنه ؛ فقد روي أنه رأى رجلاً ثائر الرأس فقال : " لم يشوه أحدكم نفسه " . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : (٥ / ١٦٧) .

ورأى ﷺ رجلاً وسخ الثياب فقال : " أما يملك هذا أن يغسل ثيابه " . نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، ص٣٤٨ . وحث رسول الله ﷺ على غسل يوم الجمعة وأكد عليه ، وجعله واجباً فقال ﷺ : " الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم " . صحيح البخاري : (١ / ٢١٧) .

(٣) يدخل في هذا المعنى إرشاد الولد إلى آداب قضاء الحاجة ؛ فيعود على الاستتار عن أعين الناس عند قضاء الحاجة ويعلم استعمال اليد اليسرى عند الاستنجاء ، ويعلم آداب دخول الخلاء وآداب الخروج منه ؛ فيدخل برجله اليسرى ويعلم الأب ابنه دعاء دخول الخلاء والخروج منه ويحفظه إياه ، ويعلمه عند الخروج أن يقدم رجله اليمنى ، وألا يمس ذكره بيمينه ولا يستنجي بيمينه ، ويعود حسن الطهارة ، ويحذر من النجاسة في ثوبه وبدنه " فإذا لاحظ الأب إهمال الولد في تنظيف نفسه وتطهيرها ؛ فإن التوجيه والوعظ مطلوب هنا ، إذ أن الطهارة وإزالة النجاسة من القضايا المهمة وذلك لما يترتب عليها من عبادات في المستقبل لا تتم إلا بها ، والولد سائر إلى

ويعود أكل الخبز وحده بلا إدام في كل وقت ؛ فقد أجمعت الفلاسفة[١] أن كل من كان أكثر طعامه الخبز يكون أكثر عقلاً وأوزن حلماً وأسرع فهماً وأحد ذهناً ؛ لاسيما إذا كان مع الخبز حلاوة كالعسل أو التمر ؛ وقد جاء الخبر : " كلوا الخبز بالتمر و لا تعلموا المنافقين كما أوصاني جبريل عليه السلام "[٢].

التكاليف ، وأن لم يعود إجادة الطهارة منذ الصغر ، فإنه ربما أهملها في كبره ؛ وقد جاء التحذير من رسول الله ﷺ في هذا الشأن فقال : " أكثر عذاب القبر في البول " مسند الإمام أحمد : (٢ / ٣٢٦) .

أي في إهمال التطهر والتنزه منه ، فينبه الولد إلى ذلك " . مسئولية الأب المسلم في تربية الولد : ص٣٩٢ .

(١) الفلاسفة : هم من ينسبون إلى الفلسفة ، والفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين (فيلا) أي : محب و(سوفيا) أي الحكمة ، فمعناها : محب الحكمة ، ومن آراء معظمهم : القول بقدم العالم ، و إنكار النبوات ، وإنكار البعث الجسماني . أما موضوع الفلسفة فهو موضوع خلاف فمن قائل : إن دائرة الفلسفة تتسع فتشمل كل علم أو فرع من فروع العلم ،إلى قائل: بأنها تختص فقط بالبحث فيما وراء الطبيعة أو ما يتصل به كالمنطق .انظر:منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل،لمحمد بن ناصر السحيباني (ص١٢٦، هامش١)

(٢) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، وقد روى الطبراني في المعجم الصغير (٢/١١٨) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال كان رسول ﷺ يأكل الخبز بالتمر ويقول : " هذا إدام هذا " .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٥١) : فيه محمد بن كثير بن مروان وهو ضعيف.

فصل :

ويقبح عنده كثرة الأكل والنهمة كما قال بعض الملوك لبعض العرب : "أتتخمون ؟ قال : لا ؛ قال : ولم ذلك ! قال : لأنا إذا طبخنا أنضجنا وإذا مضغنا دققنا ولا نملأ المعدة ولا نخلها "(١) .

وقد جاء في الخبر " إذا امتلأت المعدة حرست الحكمة ، ونامت الفكرة ، وقعدت الجوارح عن العبادة "(٢).

ومنه قوله ﷺ : " المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء "(٣) .

وأصل كل داءٍ البَردة ولكل جسد ما اعتاد ؛ و البَردة إدخال الطعام على الطعام قبل أن يهضم الأول(٤) .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/٩٠) ، وذكره البلاذري في أنساب الأشراف ، القسم الرابع (٥٨٣/٢).

(٢) هذا من كلام لقمان الحكيم ، ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٨٢/٣) ، والقاضي عياض في الشفا (ص١١٣).

(٣) لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ ، وإنما هو من كلام أحد حكماء العرب ، إما الحارث بن كَلَدة أو غيره . انظر: زاد المعاد (٩٤/٤) والمقاصد الحسنة (ص٦١١) ، واللآلئ المنثورة (ص١٤٥) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٥٢).

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢٧٩/٢) ، والعسكري في أخبار المصحفين (ص٧٩) ، عن الحسن البصري عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً ، وفي إسناده تمام ابن نجيح ، ضعفه الدار قطني وغيره ، ووثقه ابن معين وغيره ، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص٥٠٣) : لا يصح رفعه . وقال الألباني : ضعيف جداً . انظر : السلسلة الضعيفة رقم (٢٣٨٨) .

و البَردة بفتح الراء : التخمة وثُقل الطعام على المعدة سميت بذلك : لأنها تبرد المعدة فلا تستمرئ الطعام . انظر: النهاية في غريب الحديث (مادة : برد).

فصل :

ويحبب إليه من الثياب البيض دون غيرها[١] ، ومتى رأى على صبي من جنسه ثوباً حريراً أو ملوناً يقال له : ليس هذا من لباس الرجال ولا من يعبأ الله تعالى به[٢].

---

(١) ثبت استحباب لبس البيض من الثياب في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " البسوا من ثيابكم البياض ، فإنها خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم ". أخرجه أحمد (١/٢٤٧ ، ٢٧٤ ، ٣٥٥) وأبو داوود في اللباس ، باب في البياض (٤٠٦١) ، والترمذي في الجنائز باب ما يستحب من الأكفان (٩٩٤) وابن ماجة في الجنائز باب ما جاء فيما يستحب من الكفن (١٤٧٢) ، وصححه الترمذي ، وابن حبان (٥٤٢٣) ، والحاكم (١/٥٦) .

وهذا الأدب في اللباس من محاسن التربية الإسلامية ، إذ اللباس نعمة من نعم الله على بني آدم ؛ فقد امتن الله عز وجل عليهم بقوله : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦] .

فيعود الأبناء آداب اللباس ، ويحذروا من اللباس الذي فيه تشبه للرجال بالنساء ، أو النساء بالرجال ، أو فيه تشبه بغير المسلمين ، ويُحذَّر الولد من الإسبال أكثر من الكعبين لقوله ﷺ : " إن الله لا ينظر إلى من يجر إزاره بطراً " . صحيح مسلم : (٣ / ١٦٥٣) .

وينهي الولد عن لبس القلائد ، والسلاسل ، والأخراس ونحوها من الموضة المحدثة من بلاد الغرب ؛ لما فيه من التشبه والتخنث ، وذهاب الرجولة ؛ وقد أكد الإمام الغزالي – رحمه الله – خطورة ذلك ، فقال : "يُقبَح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ، ويُحذّر منهما أكثر مما يُحذّر من الحيات والعقارب ، فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان ".إحياء علوم الدين:(٣/ ٧٠)

(٢) مما جاء في النهي عن لبس الحرير للرجال حديث البراء بن عازب رض الله عنهما قال : " أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع " ، فذكر من جملة المنهيات : " لبس الحرير والإستبرق والديباج ". أخرجه البخاري في الأشربة باب آنية الفضة (٥٦٣٥) ، ومسلم في اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة (٢٠٦٦) .

فصل :

وينبغي أن يدخل المكتب(١) في آخر الأربع سنين(٢) ، فقد قال بعض المشايخ(٣) بطوس(٤) وكان عالماً إنه جرب ذلك ؛ ما دخل صبيّ في هذا السن إلا كان فقيها أو عابداً أو ذا شان .

ولا تحفظ الصبي والصبية من الأشعار فيها ذكر العشق ،والحذر أن تُعلم البنت سورة يوسف(٥).

---

(١) المكْتب : موضع الكُتاب ، و المكْتب و الكُتاب : موضع تعليم الكُتاب والجمع : الكتاتيب والمكاتب . انظر : لسان العرب (مادة : كتب).

(٢) يحمل هذا على بداية دخول المتعلم للكُتّاب ، أما بداية سن التعليم الرسمي أو الإلزامي فإن الدراسات الحديثة تشير إلى أن أفضل سن لبداية هذا النوع من التعليم هو سن السادسة أو السابعة ؛ ولهذا نجد غالبية دول العالم تبدأ التعليم في هذه السن ؛ فإن الطفل في هذا العمر يكون قد اكتملت قدراته العقلية ، ونضجت كثير من عضلات جسمه ،وأصبح مستعداً نفسياً للتعلم ،كما أنه قد أخذ وقته وكفايته من اللعب والراحة خلال الخمس سنوات السابقة. وأما ما يذكره البعض عن وجود أطفال قادرين على التعلم والاستيعاب قبل هذه السن ؛ فيجاب عليه أن هذا خلاف الأصل ، وهو قليل قياساً مع الغالبية والسواد الأعظم .

(٣) لم أجد كلام هذا الشيخ المذكور، وما ذكره من أن دخول الصبي المكتب في هذا السن ، وذكر أن السلف إنما كانوا يقرئون أولادهم في سن السابعة . انظر : المدخل : (٢/٣١٥) .

(٤) طُوس : مدينة بخراسان ، بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ ، فتحت في أيام عثمان رضي الله عنه ، ومات الخليفة هارون الرشيد بها ، و بها قبره ، وخرج من طوس جماعة أهل العلم ، منهم أبو حامد الغزالي صاحب الإحياء ، وغيره . انظر : معجم البلدان (٤/٤٩) .

(٥) كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف عليه السلام ؛ وذلك لما انطوت عليه من تلك القصص ، لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن . وقد أورد هذا النهي الإمام السيوطي في الحاوي للفتاوى : (١/٢٢٧) نقلاً عن القاضي عياض في كتاب الشفا ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الرد على الاخنائي ولم يناقش العبارة . وانظر : روح المعاني : (٢ / ١٧٦) ، والإتقان في علوم القرآن : (٣ /

ولا تعلم الكتابة(١) . ويحكى أنه مر حكيم بمعلم يعلم امرأةً الكتابة فصاح عليه وقال : لا تزيد النار حطباً(٢) ، ويستحب أن يعلمها سورة النور(٣) ويحذر الشعر فإنه يغرس في قلوب الصبيان الفساد .

---

٢٣١) ، والبرهان في علوم القرآن . والكليات لأبي البقاء الكفوي كلهم قال : " وقد صحح الحاكم حديث النهي عن تعليم النساء سورة يوسف " . ولم أقف عليه عند الحاكم ؛ بل وجدته في كتب الشيعة كما في الكافي للكليني : (٥ / ٥١٦) ، وكتاب من لا يحضره الفقيه : (١ / ٣٧٤) ، وتهذيب الأحكام : (٨: ١١٢) ، وأحكام النساء للمفيد : ٥٦ ، ووسائل الشيعة للبحر الغاملي : (٢٠ / ١٧) باب كراهية إنزال النساء وتعليمهن .

قلت : هذا النهي عن تعليم النساء سورة يوسف عليه السلام ، يتعارض مع الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل تعلّم وتعليم القرآن الكريم ، كحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " . فهذا الحديث عام يشمل الرجل والنساء على حدٍ سواء ، كما أنه يشمل تعلّم وتعليم جميع سور القرآن الكريم . ولم أقف على دليل صحيح ينهى عن تعليم سورة يوسف عليه السلام وأما ما علل به بعض السلف من " ضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن ... " ؛ففيه نظر ، والله أعلم .

(١) روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " لا تنزلوهن الغرف ، ولا تعلموهن الكتابة – يعني النساء – وعلموهن الغزل وسورة النور " .أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٣٠) ، وقال صحيح الإسناد فتعقبه الذهبي وقال : بل موضوع . وأخرجه أيضاً البيهقي في الشعب (٤٧٧/٢) وقال : إسناده منكر ، وحكم عليه الألباني بالوضع . السلسلة الصحيحة رقم (٢٠١٧) .

(٢) ذكر القلقشندى في صبح الأعشى (٩٦/١) : أن علياً رضي الله عنه مر على رجل يعلم امرأة الخط ، فقال : لا تزد الشر شراً.

(٣) ورد تعليم سورة النساء في بعض الروايات ، منها ما جاء عن مجاهد قال : قال رسول الله ﷺ : " علموا رجالكم سورة المائدة ، وعلموا نساءكم سورة النور" أخرجه البيهقي في الشعب باب :

فصل :

ويمنع من الفرش الوطية ويقبح عنده كشف الأطراف من جسده أجمع ، ولا يسرع المشي ولا يفجر[1] على أقرانه بشيء قط .

وإذا سمع منه كلمة قبيحة زجره ووبخه ونظر إليه شزراً[2] كالمغضب ، وإذا سمع منه كلمة حسنة دعا له وشكره وحسنها عنده فإنه أميل لقلبه إلى الخير حتى يأتي الحسنة ويجتنب القبيح ويعوّد التواضع والإكرام لأصحاب والده ولكل منه أكبر منه.

وإذا انصرف من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً[3] ، فإنه يريحه من تعب الأدب ، فإن منع الصبي من اللعب وإكراهه على التعليم دائماً يمت قلبه

في تعظيم القرآن الكريم ، فصل : في فضائل السور والآيات حديث رقم (٢٤٢٨) (٢/٤٦٩) ، وأورده السيوطي في الدر (٦/١٢٤) ، وعزاه لابن المنذر والبيهقي ، وسعيد بن منصور . والحديث في كنز العمال حديث رقم (٤٤٩٤٩) (١٦/٣٧٢) ، والحديث مرسل .

(١) هكذا في الأصل ولعلها : ولا يفخر.

(٢) شزراً : شزره ، و شزر إليه : نظر منه في أحد شقيه ، أو هو نظر فيه إعراض ، أو نظر الغضبان بمؤخر العين . انظر : القاموس المحيط (مادة : شزر) .

(٣) من محاسن التربية الإسلامية اهتمامها ببناء الإنسان ، روحاً وعقلاً وخُلُقاً وجسماً ، والرياضة تسهم في بالبناء الجسمي للفرد ، إذ أن من أهداف التربية الإسلامية ، حفظ وتنمية البدن ؛ ليقوم بدوره في أداء الواجبات كالصلوات الخمس ، والصيام ، والحج ، كما أن في التربية الجسمية حفظًا للجسد من الأمراض ، كما أن فيه نشاطاً للإنسان ، قال الإمام ابن جماعة : " ولا بأس بمعاناة المشي ، ورياضة البدن ، فقد قيل : إنه ينعش الحرارة ، ويذيب الأخلاط ، وينشط البدن " . تذكرة السامع والمتكلم : ص٨٠ .

ويبطل ذكاؤه وينغص عليه عيشه حتى يفكر في الحيلة في خلاصه.فربما كذب وربما مرض.وربما هرب مما يحصر نفسه ، ومثال الصبي في المكتب مثال المنافق في المسجد أو كالطير في القفص .

كما أن في الرياضة تحقيقاً للراحة والصحة النفسية ، وقد قال ابن القيم : " فلو لم يكن في النضال إلاّ أنه يزيل الهم ويدفع عن القلب ؛ لكان ذلك كافياً في فضله ، وقد جرب ذلك أهله " . الفروسية : ص٤٦ .

فجعل ابن القيم — رحمه الله — إزالة الهم من فضائل النضال . **والنضال** : هو الترامي بالسهام . وقد أثبتت الدراسات والبحوث الحديثة " أن الأطفال الذين تكون لديهم الإمكانات والفرص للعب تنمو عقولهم نمواً أكثر وأسرع من غيرهم ممن لم تتح لهم هذه الفرصة وتلك الإمكانات . كما أن اللعب يكسبهم مهارات حركية ؛ فالقفز ، والجري ، والتسلق ، والتسابق وغيرها من النشاطات الجسمية يكتسب منها الطفل قدرات حركية ، إلى جانب أن اللعب يساهم مساهمة كبيرة مع الغذاء في زيادة وزن الطفل ، وحجمه ، ويساعد على نمو أجهزته الجسمية المختلفة " . الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر : ص٨٧ ، وانظر أهمية اللعب في التربية : ص٤٠ .

ومن الفوائد التربوية للعب أنه يساعد الطفل على التكيف الاجتماعي ، وقبول آراء الجماعة ، والتخلص من حب الذات والأنانية ، إلى جانب تنمية روح القيادة لدى الطفل ، والاعتماد على الذات ، وتنمية روح المبادرة والشجاعة.كما أن في اللعب راحة من إرهاق التعليم ، وفيه تنشيط للذهن وكسر للجمود ، وقد أكد الإمام الغزالي على هذه المعاني فقال : " وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكُتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب ، بحيث لا يتعب في اللعب ، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه ، وينقص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً" . إحياء علوم الدين : (٣ / ٧١) .

فصل :

وقد قيل إن ربيعة[١] شيخ مالك بن أنس[٢] رضي الله قال : " ينبغي أن يشتري لليتيمة اللعب من مالها تلعب به " وهذا أمر عظيم[٣] .

فصل :

وينبه على طاعة معلمه ولا يرد عليه إذا أمره بخير ، ويؤمر بالصلاة قبل البلوغ[٤] والصوم في بعض الأيام من رمضان فهو حسن ، وقد قال مالك

---

(١) ربيعة بن أبي عبد الرحمن القرشي التيمي مولاهم أبو عثمان المدني ، مفتي المدينة ، المعروف بربيعة الرأي ، روى عنه كثير من الأئمة ، وعليه تفقه مالك بن أنس الإمام ، وكان ثقة فقيهاً ، وتوفي سنة ١٣٦هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٨٩/٦) .

(٢) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي ، أبو عبد الله المدني ، الإمام ، شيخ الإسلام إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة ، مناقبه وفضائله كثيرة مشهورة ، ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ ، وتوفي بها سنة ١٧٩هـ.وله كتاب الموطأ في الحديث وهو من أقدم كتب الحديث المشهورة . انظر : ترتيب المدارك (١٠٤/١) ، وسير أعلام النبلاء (٤٨/٤) .

(٣) لم أجد هذا القول عن ربيعة ، وقد جاء عن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن الوصي يشتري للهبة لعبة إذا طلبت ؟ فقال : إن كانت صورة فلا . انظر : الآداب الشرعية (٤٨٥/٣) .

(٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع " أخرجه أحمد (١٨٠/٢) ، وأبو داوود في الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (٤٩٥) ، والحاكم (٣١١/١) ، =

رضي الله تعالى عنه : " يؤمر بالصلاة قبل البلوغ ولا يؤمر بالصوم إلا بعده"[(١)] .

ويُخَوَّف من السرقة وأكل الحرام والكذب والخيانة والفحش وكلما يعاب منه الرجل. فإذا نشأ على هذا لم يبلغ الحلم حتى يعلم أسرار الشريعة[(٢)] ويرى منه ما تقر به العين وتبتهج به النفس .

فصل :

أنه متى فرط فيه وأهمل أمره عسر بعد ذلك أدبه وثقل ؛ وربما عق والديه ورأى الصبي في نفسه أن ذلك بغضاً له ، وقد قال بعضهم[(٣)] في ذلك:

علم بنيك من الآداب في الصغر ... حتى تقر بهم عيناك في الكبر
فإنما مثل الآداب يحفظها ... من عنفوان الصبا كالنقش في الحجر

والبيهقي في السنن الكبرى (٢/٢٢٨) ، وقال النووي في رياض الصالحين (ص١٢٦) : إسناده حسن ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٤٧) .

(١) قال مالك في المدونة (١/١٠٢) : ويؤمر الصبيان بالصلاة إذا أثغروا ، و في المدونة أيضا (١/٢٠٩) قال ابن القاسم : سألت مالكاً عن الصبيان متى يؤمرون بالصيام ؟ قال : إذا حاضت الجارية واحتلم الغلام ، قال : ولا يشبه الصيام في هذا الصلاة .

(٢) أسرار الشريعة : المراد بأسرار الشريعة هنا محاسن الشريعة وحِكَمُها في أحكامها ومراعاتها المصالح العباد ودرء المفاسد عنهم ، وهذه العبارة تستخدم كثيرا في عبارات العلماء . انظر على سبيل المثال : إعلام الموقعين لابن القيم (٢/١٣٣ ، ١٦٦ ، – ٤/١١٢) ، وبدائع الفوائد له أيضا : (٣/ ٦٦٣) ، زاد المعاد (١/٢٠٨) .

(٣) ذكرت هذه الأبيات في جزء ابن عمشليق (ص٤٧) ، وذكرها أيضاً الهاشمي في جواهر الأدب (٢/٤٦٦) مع اختلاف يسير عن المذكور هنا ، وفي جزء ابن عمشليق قال : أنشدني أبو القاسم يوسف بن غانم الدينوري ، وذكر البيتين ضمن بعض الأبيات الأخرى .

وقد نبه ﷺ بقوله : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه"[١] وكان بعض الصالحين رضي الله عنه يقول إذا رأى رجلاً يُسيء عمله أو صلاته : " ما أخوفني على أهله لأنهم يفسدون بأفعاله "[٢].

وينبغي ألا يستحي الوالد والوالدة أن يعلما أولادهما الشريعة من كل شيء ، قالت عائشة[٣] رضي الله تعالى عنها : " رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتغالين[٤] في أمر دينهن[٥] " . وينبغي أن يجتهد في تأديب البنات فقد أهمل الناس ذلك وتركوه حتى كأنهم ليسوا بمسئولين في الآخرة ومحاسبين ، وكأنما

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين (١٣٨٥) ، ومسلم في القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين(٢٦٥٨).

(٢) أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٨٦/١) عن الفضيل بن عباس قال : رأى مالك بن دينار رجلاً يسيء صلاته، فقال ما أرحمني بعياله . فقيل له : يا أبا يحيى ، يسيء هذا صلاته وترحم عياله ! قال : إنه كبيرهم ، ومنه يتعلمون .

(٣) عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية التيمية ، أم المؤمنين ، ولدت بعد البعثة بأربع أو خمس سنوات ، وتزوجهاﷺ وهي بنت ست ، ودخل بها وهي بنت تسع ، في شوال من السنة الأولى للهجرة ، وكانت تكنى أم عبد الله ،وكانت أفقه النساء وأعلمهن ، وهي من المكثرين في رواية الحديث ، ماتت سنة ٥٨هـ، ودفنت بالبقيع . انظر : الإصابة (١٦/٨) ، والاستيعاب ، (ص٩١٨) .

(٤) يتغالين : يقال : غاليت صداق المرأة : أي أغليته ، وأصل الغلاء : الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء . انظر : لسان العرب (مادة : غلا).

(٥) علقه البخاري في العلم ، باب الحياء في العلم تعليقاً مجزوماً به ، وأخرجه مسلم في الحيض ، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم (٣٣٢) ، وعندهما بلفظ [يتفقهن] بدل[يتغالين] .

الذي أمروا في البنات إنما هو نشر الكلل[١] وإظهار الخلل ؛ ونسوا قوله عليه السلام : " اطلعت ليلة أسرى بي فإذا أكثر النار النساء ؛ فقلت يا جبريل : ما بالهم ، فقال : هن الكاسيات[٢] العاريات المميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدون ريحها ، وريحها يوجد من خمسماية عام[٣] .

وجاء عنه ﷺ :" لأن يؤدب أحدكم ولده خير له أن يتصدق عنه بألف ، ثم قال : أدبني ربي فأحسن تأديبي "[٤] .

---

(١) الكلل: بمعنى الإعياء والتعب ، يقال : كلّ يَكِلّ كَلّاً وكَلالاً وكَلالةً : أي أعياء . انظر : لسان العرب (مادة: كلل).

(٢) في الأصل : الكاسات .

(٣) أخرجه مسلم في اللباس والزينة ، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (٢١٢٨) ولفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " صنفان من أهل النار لم أرهما،قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا " ، وأما تحديد المسافة بخمس مائة عام فقد وقعت في رواية أبي هريرة رضي الله عنه موقوفة عليه ، أخرجها مالك في الموطأ،كتاب اللباس باب ما يكره للنساء لبسه من الثياب (١٦٢٦) وهذه الرواية وإن كانت موقوفة إلا أن لها حكم الرفع ؛ لأن مثل هذا لا يقال بالرأي ، وقد ذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢٠٢/١٣) .

أما قوله ﷺ : " اطلعت ليلة أسري بي فإذا أكثر النار النساء " فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : "اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء " . أخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٦٤٤٩) عن عمران ابن حصين رضي الله عنه ، ومسلم في الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء (١٧٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وليس في روايات الحديث أن ذلك كان ليلة الإسراء .

(٤) هذان حديثان ذكرهما المؤلف بسياق واحد .

فالحديث الأول : " لأن يؤدب أحدكم ولده خير له أن يتصدق عنه بألف " أخرجه أحمد (٩٦،١٠٢/٥) والترمذي في البر والصلة ، باب أدب الولد (١٩٥١) ، والحاكم في المستدرك (٢٩٢/٤) ، والبيهقي في الشعب (٣٩٩/٦-٤٠٠) من حديث جابر بن

فصل :

والذي جربناه أنه ما قال أحد لمؤدب ولده علمه الخط وزهد في القرآن إلاّ خرج لا خط له ولا قرآن ، ولا قال أحد علمه القرآن أولاً إلاّ خرج بهما جميعاً أي الخط والقرآن .

وقال الشافعي[1] رضي الله عنه :"إذا اجتمع في الصبي الحياء والرهبة رجي فلاحه" .

وقالوا :"من تمام النعمة على الولد أن يعلمه والده الكتابة والحساب والسباحة"[2].

سمرة رضي الله عنه ، وفي لفظهم جميعاً : " خير له أن يتصدق كل يوم بنصف صاع " وفي لفظ الترمذي " بصاع " وقال الترمذي : حديث غريب . وقال أبو حاتم في العلل(٦١٢/٥) لابنه حديث منكر . وسكت عنه الحاكم وتعقبه الذهبي بأن في سنده ناصح أبو عبد الله وهو هالك .

وأما الحديث الثاني " أدبني ربي فأحسن تأديبي " فقد قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٧/١٨) المعنى صحيح ولكن لا يُعرف له إسناد ثابت ؛ وقد ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٧٢) وأيد قول شيخ الإسلام في حكمه على الحديث.

(١) الشافعي : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد بن هاشم بن المطلب القرشي المطلبي ، أبو عبد الله الشافعي ، الإمام ، أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة ، وفضائله كثيرة ، وله: كتاب الرسالة في الأصول ، وغيرها من المصنفات ، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ. وتوفي بمصر سنة ٢٠٤هـ.انظر : تاريخ بغداد (٣٩٢/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٥/١٠) .

(٢) ذكر ابن عبد البر في بهجة المجالس (٤٢٣/١) نحو هذا القول عن وهب ابن منبه . قال : "خصلتان إذا كانتا في الغلام رجيت نجابته الرهبة والحياء " .

وقيل :" إن في الصبي خمس خصال من الإبدال الخواف وقلة الحقد ودعاؤه مستجاب ولم يكتب عليه شيئاً وصاف القلب وقليل الذنوب "[١] .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " من اشترى حاجة من السوق ودخل بها داره فبدا بالإناث قبل الذكور نظر الله تعالى إليه ومن نظر إليه أدخله الجنة"[٢] .

وقيل : أن أول ما يدعو الرجل إلى الله أهله وولده ؛ يقولون : ربنا خذ لنا بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن ما نعلم فيقتص لهم منه "[٣] .

فصل :

وصية معاوية ابن أبي سفيان[٤] لمؤدب ولده ، قال : " يا عبد الصمد[٥] ليكن أول إصلاحك بنيّ صلاح نفسك فإن عيونهم معقودة بعينك فالحسن

---

(١) انظر : بهجة المجالس (٧٦٩/٢) ، والآداب الشرعية (٤٨٠/١) ، وقد ورد في حديث : " حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي وأن يورثه طيباً ".أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٥/١٠) وضعفه .

(٢) قال العراقي في تخريج الإحياء (٤٠٤/١) ، أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص٢١٢) بسند ضعيف .

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣٣/٢) .

(٤) معاوية بن أبي سفيان هكذا وقع هنا ، والذي في المصادر التي ذكرت القصة " عتبة بن أبي سفيان " بدل معاوية ، وهو عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي ، ولد في عهد النبي ﷺ وولاه عمر على الطائف ، ثم تولى مصر في عهد أخيه معاوية ، ومات بها سنة ٤٠هـ. وكان فصيحاً خطيباً . انظر : الاستيعاب (ص٥٦٨) ، والإصابة (٦٠/٥) .

(٥) عبد الصمد ، هكذا وقع هنا ، وهو كذلك في تاريخ دمشق والبيان والتبيين للجاحظ ، ووقع في كتاب العيال لابن أبي الدنيا " أبا عبد الصمد " وعبد الصمد المذكور هو عبد الصمد بن

عندهم ما فعلت والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله تعالى.ولا تكرهم عليه فيملوه و لا تدعهم عنه فيهجروه ، روهم من الشعر أعفه ومن الكلام أشرفه.ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموا الأول ، فإن ازدحام الكلام في السمع مظلة في الفهم ، هددهم بي.وأدبهم عني.وكن كالطبيب الحاذق الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء.وجنبهم محادثة النساء.وروهم سنن الحكماء.ولا تتكل على عُذْر مني.فقد اتكلت على كفاية منك.والسلام "[1] .

تم بحمد الله تعالى وعنايته.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

عبد الأعلى الشيباني ، كان يؤدب أولاد الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويقال : إنه هو الذي أفسده وكان يتهم بالزندقة . انظر : تاريخ دمشق (٢٣٧/٣٦) ، ولسان الميزان (١٨٧/٥) .

(١) أخرجها ابن أبي الدنيا في كتاب العلل (١٥٧/١) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧١/٣٨-٢٧٢) ، وذكرها الجاحظ في البيان والتبيين (٧٣/٢) ، وقد جاءت نحو هذه الوصية عن الإمام الشافعي رحمه الله . انظر : حلية الأولياء (١٤٧/٩) .

فهرس المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار الأرقم ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٢. أخبار المصحفين : لأبي أحمد الحسين بن عبد الله العسكري ، تحقيق : إبراهيم صالح ، دار البشائر دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

٣. الآداب الشرعية : لعبد الله بن محمد بن مفلح المقدسي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعمر القيام مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٤. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل : لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ، صححه وخرج أحاديثه : عادل مرشد ، دار الأعلام ، ١٤٢٣هـ ، الأردن .

٦. الإصابة في تمييز الصحابة : للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : علي البجاوي ، دار الجيل بيروت ، ١٤١٢هـ.

٧. أصول التربية الإسلامية : خالد بن حامد الحازمي ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

٨. أصول التربية الإسلامية وأساليبها : عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين : لابن قيم الجوزية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل بيروت ، ١٩٧٣م .

١٠. أنساب الأشراف : للبلاذري ، تحقيق : د. عبد العزيز الدوري ، و . د. عصام عقلة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

١١. بدائع الفوائد : لابن قيم الجوزية ، تحقيق : هشام عطا ، وعادل العدوي ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤٢٦هـ / ١٩٩٦م .

١٢. بهجة المجالس وأنس المجالس : لأبي عمر ابن عبد البر القرطبي ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، بيروت .

١٣. البيان والتبيان : لأبي عثمان الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة الطبعة السابعة ، ١٤٢٨هـ / ١٩٩٨م .

١٤. تاريخ بغداد " تاريخ مدينة السلام " : الخطيب البغدادي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

١٥. تاريخ مدينة دمشق : للحافظ أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ، تحقيق : عمر العمروي دار الفكر ، ١٤١٦هـ ، بيروت .

١٦. تحقيق النصوص ونشرها : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الخامسة ، مكتبة السنة ، ١٤١٠هـ .

١٧. تربية الأولاد في الإسلام : عبد الله ناصح علوان ، دار السلام ، حلب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

١٨. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك : للقاضي عياض بن موسى السبتي تحقيق : محمد تاويث الطنجي ، وزارة الشؤون الإسلامية بالمغرب ، الرباط .

١٩. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ، ١٣٨٧هـ.

٢٠. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري : للإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، ترقيم : محمد فؤاد بن عبد الباقي المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ.

٢١. جامع العلوم والحكم : لابن رجب الحنبلي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وإبراهيم باجس ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ.٢٠٠٣م.

٢٢. جزء ابن عمشليق : لأحمد علي محمد الجعفري ، تحقيق : خالد بن محمد الأنصاري ، دار ابن حزم الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ.

٢٣. جواهر الأدب : للسيد أحمد الهاشمي ، مؤسسة المعارف ، (د . ت) ، بيروت .

٢٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : لأبي نعيم الأصفهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥هـ.

٢٥. رياض الصالحين : الإمام النووي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠م .

٢٦. زاد المعاد في هدي خير العباد : لابن قيم الجوزية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، و . عبد القادر الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

٢٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة : لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٢٨. سلسلة الأحاديث الضعيفة : لمحمد بن ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ،١٤١٢هـ ١٩٩٢م

٢٩. سنن ابن ماجه : لعبد الله بن محمد القزويني ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت .

٣٠. سنن أبي داوود : لسليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

٣١. سنن الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : أحمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣٢. السنن الكبرى : الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٣٣. سنن النسائي : لأحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٣٤. سير أعلام النبلاء : للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، بإشراف شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

٣٥. شعب الإيمان : الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق : محمد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ.

٣٦. الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضي عياض بن موسى السبتي ، تحقيق : علي البجاوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٣٧. صبح الأعشى في صناعة الإنشا : أحمد علي القلقشندي ، تحقيق : د. يوسف علي طويل ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.

٣٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : للأمير علاء الدين علي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

٣٩. صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، تصحيح وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

٤٠. العلل : للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، حُقق : بإشراف : د. سعد الحميد ، وخالد الجريسي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

٤١. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : لمحمد بن علي الشوكاني ، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

٤٢. القاموس المحيط : لمجد الدين محمد الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٤٣. الكامل في الضعفاء : لأبي أحمد عبد الله عدي الجرجاني ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٤٤. كتاب العيال : لابن أبي الدنيا ، تحقيق : نجم عبد الرحمن خلف ، دار ابن القيم ، الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م

٤٥. اللآليء المنثورة في الأحاديث المشهورة : لمحمد عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد لطفي الصباغ المكتب الإسلامي .

٤٦. لسان العرب : لمحمد مكرم ابن منظور ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، ومحمد بن أحمد حسب الله وهاشم الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة .

٤٧. لسان الميزان : للحافظ ابن حجر العسقلاني ، اعتنى به : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٤٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٤٩. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم ، توزيع : الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين ، مكتبة النهضة الحديثة ، (د . ت) .

٥٠. المدخل : لابن الحجاج أبي عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي ، دار التراث ، القاهرة .

٥١. المدونة الكبرى عن الإمام مالك : سحنون التنوخي ، مطبعة السعادة ، (د . ت) ، مصر .

٥٢. مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة : عدنان حسن باحارث ، دار المجتمع جدة ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٥٣. المستدرك على الصحيحين : للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤١١هـ /١٩٩٠م .

٥٤. المسند : للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

٥٥. مسند الشاميين : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .

٥٦. معجم البلدان : لياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٥٧. المعجم الصغير : لأبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني ، تحقيق : محمود شكور أمرير ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دار عمار ، عمّان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٥٨. المعجم الكبير : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .

٥٩. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار : لأبب الفضل عبد الرحيم العراقي اعتنى به : أشرف بن عبد المقصود ، دار طبرية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، الرياض .

٦٠. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة : لحمد عبد الرحمن السخاوي دار الكتاب العربي .

٦١. مكارم الأخلاق : لمحمد بن جعفر بن سهل الخرائطي ، تحقيق : أيمن البحيري ، دار الآفاق العربية الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ ، القاهرة .

٦٢. منهج التربية النبوية للطفل : محمد نور سويد ، دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة السادسة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٦٣. منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل : لمحمد بن ناصر السحيباني ، دار الوطن ، الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ.

٦٤. موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة : علي الحلبي وآخرون ، مكتبة المعارف ، الرياض الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ / ١٩٩٩م .

٦٥. النهاية في غريب الحديث : لأبي السعادات المبارك ابن الأثير الجزري ، تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٩٥م .

فهرس الموضوعات :

التَّيَّارُ الْقَدِيمُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ فِي الْأَنْدَلُسِ

إِعْدَادُ :
د. إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى السَّهْلِيِّ
الْأُسْتَاذُ الْمُسَاعِدُ بِكُلِّيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى

توطئة :

إن الحديث عن طرائق الشعراء في التأتي إلى أشعارهم لابد أن يشمل الجوانب المحيطة بالشاعر ابتداء بذاتيته ومرورًا بالمؤثرات المختلفة في حياته عبر العصور وانتهاء بروح العصر الذي به نشأ واكتملت فيه ملكاته الفنية والذوقية .. ومن يطرق موضوعًا نقديًا في زمن تجاوز النقد فيه القوالب الجاهزة والآراء المكرورة حول فن الشعر لابد أن يحاول النفاذ ببحثه إلى عالم أرحب في الحكم على الشعر ؛ لأن الشاعر ينظر إلى العوالم من حوله نظرة مختلفة تمامًا عن نظرة المتلقي، ولم يَكُ يعنيه أصلًا ردة الفعل إزاء شعره ؛ فالعمل الفني رؤية متصلة بصاحبها تستعلي على كل نقد وتسمو على كل الرؤى وتتمرد على التأويل .. وهذا ما لمسناه عند الشعراء الرواد ، فقد كان أبو تمام يرى أن المتلقي لابد أن يرقى بفهمه إلى مستوى الشعر الذي يتصدى له بالنقد[1]، وأما أبو العتاهية فكان يأتي بأعاريض وأوزان لم تدخل في العروض ، وإذا سئل عنها قال : أنا أكبر من العروض[2]، وكذلك أبو الطيب المتنبي كان يشعر في قرارة نفسه أن الشاعر الحاذق الذي ينحت فنه بخياله الخصب ليس من مهمته شرح وتوضيح الزخارف والألوان وانسجامها مع بعضها أو تبيانها لمن يروم الاقتراب من هذا الفن بغية تأويله وتعليله ؛ ولذلك نام ملء جفونه عن شواردها ؛ ليترك الخلق يسهر جراها ويختصم ، شاغلًا إياهم بالتأويل والتفسير وتعدد وجوه قراءة ذلك النص .

(١) انظر : أخبار أبي تمام للصولي ص ٧٢ .

(٢) انظر: الأغاني ، ٤ / ١٣ ، وأبو العتاهية ، أشعاره وأخباره – مقدمة ابن عبد البر – تحقيق ص ٣ .

فالقارئ " لابد أن يرقى إلى مستوى الشاعر ، وليس على الشاعر أن يقدم للقارئ أفكارًا بأسلوب يعرفه الجميع ، هذا يعني أن للشاعر لغة خاصة غير لغة الجمهور .. "[1] .

والعمل الأدبي يجب أن ينظر إليه بأنه ظاهرة عضوية متكاملة بطبيعتها من مقتضاها التأثير الجمالي.. وهذا ما يجعلنا ندعو إلى النظر للشعر العربي في الأندلس نظرة مغايرة لما درج عليه الدارسون في القديم والحديث من تضييق الدائرة عليه في الأثر والمؤثر ، فقد باتت هذه النظرة وأمثالها نظرة بالية قديمة ؛ لأنها تهتم بالعَرَض دون الجوهر ؛ ولذلك حجبت كثيرًا من الحقائق حول الشعر العربي في الأندلس ؛ وهذا البحث ليست الغاية منه إبراز محاسن الشعر العربي في الأندلس، فذلك نمط من الدرس قد طُرِق كثيرًا ولم يخرج فيه الدارسون عن النظرة العاطفية العجلى التي لم يعط أربابها للأجيال من بعدهم الثقة المتوقعة بالشاعر الذي ألجأته ظروف الحياة للعيش بعيدًا عن الأقاليم العربية في المشرق ، ولاسيما أولئك الشعراء الذين التفتوا إلى منبع أصالتهم وأتت أشعارهم موافقة لسنن أقرها الفن الشعري عبر العصور .

والخطأ الجسيم الذي وقع فيه جل الدارسين هو دراسة الشعر العربي بالأندلس دائمًا بإزاء الشعر المشرقي متخذين – من مقولات قديمة أو حديثة تصمه بالتبعية والتقليد كمقولة الصاحب بن عباد المشهورة عن كتاب العقد "هذه بضاعتنا ردت إلينا "[2] ، أو تلك الآراء التي وردت عند بعض الرواد[3] في العصر

(١) معجم الأدباء ، ٤/ ٢١٤

(٢) ينظر في هذه القضية كل من : أحمد أمين ، ظهر الإسلام ١٠٤/٣ ، وبطرس البستاني، أدباء جارثيا جومث ، الشعر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ص ٣٠_٣٤ .

(٣) انظر : الأدب المقارن ، محمد غنيمي هلال ، ص ٥٢ ، ٦٢.

الحديث أمثال أحمد أمين وبطرس البستاني وشوقي ضيف والمستشرق جارثياجومث وغيرهم – دثارا لهم ، وكذلك سيطرة العصبية الإقليمية والمناداة بإقليمية علمية تطالب بأثر البيئة المكانية في الأدب ، إضافة إلى عامل آخر هو تلك القداسة المفترضة للشعر الذي وجد بالمشرق أيًا ما كان مبدعه ، وقد ألقت هذه العوامل بشباكها على مجمل آراء الدارسين ، فلم يستطع صاحب هذه النظرة أن يُجَلِّي عن عينيه الشعاع الذي جعل عليها غشاوة مشرقية ، لينظر إلى شعراء الأندلس بعين مجردة من كل المؤثرات، ومن ثم يُعمل حسه وفكره الثاقب في ذلك الشعر الذي وُلد وترعرع في تلك البيئة الجديدة فينصفه بعيدًا عن الموازنات التي كثيرًا ما ضعفت أمام سحر الهالة المهيمنة على تفكيرهم تجاه الشعر المشرقي الذي ظل يرتوي من معين الشعر الجاهلي ؛ ولذلك راحوا يصنفون شعرنا العربي بالأندلس وفق ذلك الحس المسيطر عليهم ، وأخذوا يقطعون هذا الشعر أوصالًا غير عابئين بدرجة انتمائه إلى أصالته العربية التي نبع منها ؛ فجاءت أحكامهم مثقلة بالجور بعيدة كل البعد عن الإنصاف في الأحكام والدقة في الاستقراء .. وهذا يعود كما ذكرت إلى التصنيف الخاطئ المنطلق من فكرة ضيقة قامت أساسًا على نظرية الناقد الفرنسي (هيبوليت تين)[1]التي تذهب إلى درس الآداب وفق العوامل الثلاثة التي جرى تقسيم الأدب العربي بالمشرق وفق أحدها، وهو عامل الزمان ؛ وبقي الشعر في الأندلس يستمطر الرحمات ، وانتهى الأمر به إلى نظرة إقليمية محدودة حجبت عن هذا الشعر كثيرًا من محاسنه بسبب تلمس الصبغة الأندلسية فيه كونه نشأ في تلك البيئة الجديدة ، فترددت في دراساتهم مصطلحات لا تخدم الفن وربما حرمت طلاب العلم وعشّاق الأدب والشعر الاستمتاع بتلك الأشعار الجميلة كما حصل بالمشرق عندما قلل الرواة

(١) العمدة ١/ ١٩٧.

والنقّاد من شأن شعر المحدثين حتى صارت لجاجة كما يقول ابن رشيق(١).

وهذا البحث يعالج الأدب العربي في الأندلس بعيدًا عن التصنيف المفضي إلى القول بالتقليد والمحاكاة ، ومحاولة الوقوف على ما يسمى بـ "مذهب القدماء " في الشعر العربي بالأندلس الذي صاحب الشعر في جميع عصوره حتى في عصر المحدثين بالمشرق الذين سعوا ما أمكنهم إلى التجديد وتطوير بنية القصيدة العربية؛ ولكنهم لم يستطيعوا التخلص من تيار الشعر القديم ؛ لأنه المعين الذي لا ينضب؛ ولأن الأدب الجاهلي قد وضع المهاد للشعر العربي كله .

وفكرة هذا البحث ترفض التقسيم المرحلي للشعر العربي بالأندلس ، ذلك لأن القول بأن الشعر في الأندلس مرّ بأطوار جاعلين الطور الأول طور التقليد والمحاكاة فيه كثير من الظلم والتعسف دون شك .

ولقد استوقفني هذا التصنيف كثيرًا(٢)؛ لأني عندما قرأت في هذا الشعر وفي شعر المشارقة ، وجدت أن تهمة التقليد هذه لو سلّمنا بها جدلًا لاقتلعنا الإبداع من جذوره وتعاملنا مع هذا الشعر معاملة تزج به خارج نطاق الفن وأبعدناه عن الأصالة ، و عن الابتكار في الوقت ذاته ، ودفعنا به إلى العزلة التي تدير ظهرها للانجازات الإنسانية ذات الصلة ، وتتنافى مع تلك الأصالة

---

(١) انظر : تاريخ الأدب الأندلسي ، إحسان عباس ، والأدب العربي في الأندلس ، عبد العزيز عتيق ، والأدب الأندلسي ، أحمد هيكل ، وهناك دراسات متفرقة ذهبت للأخذ بهذا التصنيف مجاراة للرواد من أمثال : نافع محمود في كتاب : اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، وغيره من الدارسين المعاصرين ..

(٢) تأثير الثقافة الاسلامية في الكوميديا الالهية لدانتي ص ٣٥ ، نقلا عن : اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث ، نافع محمود ، ص ١٦.

التي تعني في مرآة الخبراء المنصفين المدركين لماهية الفن : الأخذ بقدر ما تطيق الهضم والاستيعاب والإبداع .

ونحن نتعامل مع شعراء عرب ، والعربي بطبعه يتمثل فيه الاستعداد الفطري للشعر والاقتدار على النظم ، واللغة العربية ذاتها لغة شاعرية بألفاظها وأساليبها ومعانيها ؛ ولهذا فإن بعض القدماء يُعد ما يصدر عن العربي إنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه إلهام ؛ وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر ولا استعانة[١]، وإذا كان الأمر كذلك فإنه على أقل تقدير يمكن أن يصدق هذا القول على شعراء الأندلس الأوائل الذين أتى شعرهم سهلًا سلسًا غير متكلف ، يحمل أصالة الشعر العربي الضارب بجذوره في القدم .

وإذا كانت الأندلس قد عرفت الإسلام منذ سنة ٢٧هـ أي في زمن عثمان – رضي الله عنه – حيث تشير المصادر التاريخية[٢] إلى أن بعض التابعين قد دخل الأندلس في تلك الفترة من أمثال : حنش بن عبد الله الصنعاني ، وعلي بن رباح ، وربما هناك آخرون ممن اتسعت لهم أرض الله فهاجروا فيها ، وقد يحمل هؤلاء في دخائل نفوسهم كثيرًا من الذكريات ويحفظون شيئًا من الشعر العربي إن لم يكونوا أنفسهم شعراء غفل التاريخ عن تدوين مآثرهم ... أقول إذا كانت الأندلس قد حوت أمثال هؤلاء فلا غرو أن يكون الشعر العربي قد وجد طريقه إلى تلك الأصقاع وبذر بذرته الأولى في التربة الأندلسية ، وإن كانت بداية الشعر العربي قد حددت في بلاد الأندلس بعصر الفتح سنة ٩٢هـ ، وعصر

(١) انظر : العمدة ١ ، ١٢٩، ١٨٩، ١٩٢، و (في ماهية النص الشعري) محمد عبد العظيم ص ٢٣ .

(٢) البيان المغرب ٢/٣٩ .

الولاة الذي يلي الفتح ، وكانت هذه البداية على أيدي شعراء ذاع صيتهم في المشرق ، وقد اهتز الشاعر المحدث أبو نواس طربًا عندما سمع نماذج من ذلك الشعر الأصيل الذي أنشده بين يديه الشاعر عباس بن ناصح الجزيري الثقفي ؛ ولولا أن ذلك الشعر يستمد قوته من جذوره الأولى ما استشعر شاعر يُشار إليه بالبنان كأبي نواس قيمته وانتشى له ، وهذا يؤكد أن صلة الشاعر بشعر أسلافه دليل نبوغه فهو كما يقول مصطفى ناصف : يكتسب عظمته من تلك الجذور(١)... ولا جرم أن الشاعر العظيم هو ذلك الشاعر الذي يضرب بجذوره في هذه التقاليد بقدر ما يخلق منها كيانًا جديدًا يسمو به إلى مكانة سامقة(٢) يصدق عليها قول القائل .

ولم أر فرعًا طال إلا بأصله ولم أر بدء العلم إلا تعلما

واستمداد الفن من ماضيه ومن معدنه يدل على الأصالة والانتماء ، ولا يعني ذلك أبدًا منافرة الإبداع والرضا بالمتاح ؛ لأن اللغة الشعرية كما يقول صلاح فضل : عملٌ فردي يعتمد على الخلق والإبداع ويرتكز على التقاليد الشعرية الراسخة من جهة ولغة الحياة المعاصرة من جهة أخرى(٣)؛ ولذلك عندما يتغنى الشاعر الأندلسي في شعره بآثار مشرقية أو بدوية كما يحلو للبعض تسميتها فإنه يأخذ عناصر شعره في هذه الحالة من جوانب نفسه ، ومن طبيعة جنسه ؛ لأن هذه العناصر مقتبسة من عالم قومه المثالي والأسطوري(٤) ، وذلك

(١) نظرية المعنى ، مصطفى ناصف ، ص.

(٢) تأثير الثقافة الاسلامية في الكوميديا الالهية ص ٣٢ ، نقلا عن اتجاهات الشعر الأندلسي ، نافع محمود، ص ٣١ .

(٣) نفسه .

(٤) مقالات في الأدب والنقد ، مصطفى هدارة ، ص ٥٠ .

هو شأن الفن. والإبداع قد تعترضه قيود كثيرة تحجم من انطلاقته لكنها تكسبه القوة والتماسك ، فالشاعر مهما كانت قدرته الفنية ومهما كان تمرده على الموروث لا يستطيع التهويم والتحليق في حرية كاملة كما يهوى ؛ لأن الإلهام نفسه لا يدعه في حالة شعورية أو إرادية، وإنما يغرق شعوره في تهويمة حالمة .. ثم تتوالى مراحل الإبداع فينطلق خياله ؛ ولكن في حدود الذاكرة وداخل نطاق الإطار الشعري ، والإطار الثقافي بما فيها من مؤثرات البيئة والحياة الاجتماعية وطبيعة اللغة وظروف العصر الأدبي والزمني(١)، أضف إلى ذلك أن الإبداع اللساني هو خصيصة ملازمة للعربي لا ينفك عنها، فقديمًا قيل: إن الإبداع قد اختص ثلاثة مجموعات من البشر : قلوب الإغريق وأيدي أهل الصين وألسنة العرب(٢).

والشعراء الذين كان لهم الريادة في الأندلس هم من صميم العرب ، ولن يتخلوا عن صفة تميزوا بها عبر العصور وهي الاحتفال بهذا الفن القولي الجميل .. والمهم في رأيي هو تقدير شأن أولئك الشعراء وعدم التهوين من مكانتهم ، والنظر إليهم بعين ملؤها الاغتباط ؛ لكونهم لم يخرجوا عن طريقة العرب التي رضيها النقاد الكبار في المشرق ، ولاسيما المشتغلين بالشعر ونقده إبان عصر المحدثين الذي كان مفترقًا لطريقتين : طريقة قديمة مألوفة ، وأخرى جديدة غير مألوفة فرضت نفسها حتى ألفها الذوق الحضري ؛ لأنها لم تكن تحمل من سمات التجديد إلا بمقدار ما يصلها بخيوط دقيقة بالقديم الذي ظل معينًا يعود إليه الشعراء المتأخرون متى دعت الحاجة إليه . وهذا لا يقلل من شأن الشاعر المبدع المدرك جيدًا لفن الشعر المعروف عند القدماء بحسن التأتي ، وقرب

(١) مشكلة السرقات في النقد العربي ، مصطفى هدارة ، ص ١٨٩ .

(٢) الوسيلة الأدبية ، ٢ ج / ج ١ ، ١٨٧٢/ ١٨٧٩ .

المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ في مواضعها ، وإيراد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله ، وكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه[١].

والشعر العربي في الأندلس لم يخرج أساسًا إلا من عباءة الشعر العربي القديم ، فهو لم يتولد عفويًا، ولم يصدر في إرثه عن كلالة ، وقد هاجر هذا الشعر بهيئته التي نضجت بالمشرق عبر العصور ومن يحسن قراءة الشعر يدرك لا محالة أن لغة الفن "كانت في نظر العرب هي شعار التلاقي ، وهي التعبير الواضح عن إحساس العربي بعروبته ، وهي التجسيد العملي لحلم ساكن الجزيرة في أن يحيا حياة ناضجة "[٢] وكذلك الحال في جزيرة الأندلس، فإن الشعراء الذين غرسوا هذا الفن وبذروا بذوره الأولى هم من العرب الخلص المهاجرين من المشرق... وكانت هجرتهم في فترة لم يعرف الشعر فيها بالمشرق ما يسمى بمذهب المحدثين الذي قاده بشار، وأبو نواس، ومسلم، وأبو تمام، ولم يَكُ ثمة نقاد يقوّمون الشعر ويوجهونه كما فعل أولئك الرواة، والنقاد اللغويون الذين سلطوا سهامهم على شعراء العصر العباسي رغبة في التقصي والبحث عن الشعر الأصيل من أجل الاستشهاد به على كلام العرب ، وتعدد وجوه استعمالاته .

وهذا الشعر ظل فترة من الزمان يسجل أحداثًا جسامًا ينطلق فيها الشاعر حسب رؤيته الخاصة، وكل همه إيصال رسالته للناس من خلال هذا الفن، ولم يَكُ يعن بالتنقيح والتمحيص، ليرضي ذائقه معينة أو رقابة فرضت نفسها على الشعر كما حصل في عصر المحدثين .

(١) الموازنة ١/ ٤٠٠ .

(٢) قراءة ثانية للشعر القديم ، مصطفى ناصف ، ص ٤٤ .

ونحن إذ نجلي مذهب الأوائل في النص الشعري المولود في الأندلس نؤكد أن ذلك الشعر لم يؤخذ في عين الاعتبار ما أحاط به من ظروف ضيقت الخناق عليه وربما وقفت دون انعتاقه إلى عوالم فسيحة تهيأت للشعر في المشرق و لم تتهيأ له في الأندلس .

وطرْقُنا لهذا الموضوع هو تقديم وجه آخر للقراءة الشعرية والنقدية لشعرنا العربي في الأندلس في ضوء صورته القديمة التي ما فتئت تصاحب هذا الشعر عبر حقب متوالية حتى في أزهى عصور تطوره في المشرق وفي الأندلس.

الشعر والمصطلحات النقدية :

وأول ما يتبادر إلى الذهن ونحن نبحث في التيار القديم في شعرنا العربي بالأندلس مصطلح "مذهب الأوائل " و " قضية عمود الشعر " ، اللذان ترددا كثيرًا في كتب النقاد القدامى من مشارقة وأندلسيين ؛ ولذلك لابد من إلماعة سريعة نستعرض فيها أبرز الآراء حول تينك القضيتين ومدى تداخلهما في أذهان كثير من النقاد والدارسين المتأخرين .

فمذهب الأوائل الذي جعل سمة لتيار الشعر القديم قد استنبطه النقاد من استقرائهم للشعر الجاهلي ، ومما تردد كثيرًا على ألسنة شعرائه ؛ فامرؤ القيس هو في منظور الأدباء والنقاد أول شاعر وصل شعره إليهم ، ومع ذلك فإنه يصرح بأنه ينطلق في شعره وفق سنن متبعة سنها الأوائل من قبله ، يفهم ذلك من قوله(١):

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

(١) ديوان امرىء القيس ص ٢٠٠.

وابن خذام هذا وإن لم يكن معروفًا لنا فهو بلا شك كان مشهورًا ذائعًا صيته في عصر امرئ القيس الذي يُعدُّ عصر النضج بالنسبة للشعر الجاهلي ، ذلك النضج الذي تكون عبر العصور فهو لم يكن وليد اليوم ، بل هو " وليد التغذية الطويلة ، والطهو المستمر "(١). وهذا الكلام يقودنا إلى القول بأن مذهب الأوائل في نظر النقاد غير واضح المعالم ، ولا يمكن بأي حال تحديده تحديدًا دقيقًا ؛ لأنك تجد كثيرًا من نظريات الشعر ونظريات الإبداع التي توصل إليها النقد ماثلة أمامك في أكثر النصوص الشعرية ، ولنتأمل كلام أرباب الشأن، يقول عبدالله الطيب : " الشعر العربي من حيث الصناعة يقوم على الأركان الأربعة المعروفة : النظم ، والجرس اللفظي ، والصياغة ، ثم إلقاء الكلام على صور خاصة من الأداء وفي أساليب ومناهج تمليها عوامل التقليد والبيئة على مر الأزمان واختلاف الأمكنة وتؤثر فيها الأفكار المستحدثة وما يجري مجراها، من دواعي التغيير والتجديد"(٢) ، فنحن أمام نظرية حددت لنا معالم معينة يقوم بها فن الشعر ، فهل يمكن أن يكون مذهب الأوائل أو مذهب المحدثين موافقين لها .. أم أن الأمر سوى ذلك ؟ فإذا قلنا بأن كلا مذهبي القدماء والمحدثين لا يخرجان عنها فنحن نسير في الطريق السليم الذي يجعلنا ننصف الشعراء الأندلسيين، ونبعدهم عن شبهة التقليد والمحاكاة، وإن قلنا بأن الأمر يختلف من عصر إلى عصر ، ولا يمكن تطبيق الأركان الأربعة التي ذكرها عبدالله الطيب ومن قبله ابن رشيق في العمدة(٣)، فإننا لابد أن نبحث عن نظريات أخرى نقوِّم بها الشعر العربي ، وأظننا سنظلم الشعر ونظلم أنفسنا إذا نبذنا النظم والجرس اللفظي والصياغة ، وما يتصل بتلك الأركان من أساليب ومناهج تمليها

---

(١) عمود الشعر العربي ص ١٤ .

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبدالله الطيب ١/١١.

(٣) العمدة ٢٤٥، طبعة قرقزان.

عوامل أخرى ! لأننا نعتسف الكلام اعتسافا ، ونخالف كلامًا لا مشاحة فيه ؛ ولذلك كان لابد من الوقوف أولًا عند مفهوم ما يسمى بـ "التيار القديم" ، أو"مذهب الأوائل" وماذا يقصد به ؟!

قد يُرى هذا المصطلح سهل التناول في أعين كثير من الناس ؛ بيد أن الأمر عند التدقيق والدرس المتأني يصعب تحديد معالمه وسماته ، وهو أشبه بالظواهر الأولية التي تنشأ في زمن معين ثم تنتشر بين الناس ومن ثم يشكل عليهم معرفة كنهها ، ومن أول من قال بها ؛ ولكنها تسود بحكم التداول فتغدو معلمة بارزة قد لا تستوقف الباحث إلا إذا اصطدمت بواقع يخالفها ... وغالبًا ما تصطدم هذه المصطلحات وبعض النظريات بواقع الفن ولغته ؛ لأن اللغة الشعرية عمل فردي يعتمد الخلق والإبداع ، ويرتكز على التقاليد الشعرية الراسخة من جهة ولغة الحياة المعاصرة من جهة أخرى .

وإذا كان مصطلح " مذهب الأوائل " غير واضح المعالم والسمات فإلام يعود ذلك ؟ لعل الإجابة على هذا السؤال قد تعيدنا إلى نبش تلك الآراء ، والأحكام النقدية الفضفاضة التي أحدثت هوة سحيقة بين القدماء والمحدثين ، ومن ثم كثر الحديث والجدل حول ما يسمى بعمود الشعر العربي وبنية القصيدة، وخاض النقاد طويلًا من أجل تحرير هذا المذهب ؛ ولكنه يظل غامضًا إذا ما أريد تطبيقه على الشعر في أي عصر من العصور ، ولعل السر في هذا الغموض يعود إلى أن المصطلح والنظرية النقدية يأتيان تفسيرًا لأنماط لا تمثل جميع مظاهر الشعر العربي وأساليب الشعراء في معالجة فنونهم على مر العصور ، وتاريخ الشعر خير شاهد على ذلك .. فالشعر الجاهلي الذي يُعدُّ بحق الركيزة الأساسية التي قام عليها الشعر العربي قد خالف بعض شعرائه

تقاليده المعهودة ، فهل نعد من فعل ذلك خارجًا عن مذهب الأوائل ، وهو يعيش بين ظهرانيهم ؟ وبمعنى أدق هل نعد شاعرًا مثل عمرو بن كلثوم الذي افتتح قصيدته بذكر الخمر متنكبًا عن سنن فنية رسمها الشعراء الذين سبقوه وصحبت الشعر العربي عبر تاريخه الطويل ؟ وهل نعد النابغة الذبياني في اعتذارياته مخالفًا كذلك لهذا المذهب ؟ فالاعتذار عادة هو تمهيد للمديح ، وقصيدة النابغة التي بدأها بقوله " أتاني أبيت اللعن ... " هو مطلع القصيدة ولم يبتدئها بطلل ولا نسيب .. ولا نذهب بعيدًا فطرفة بن العبد هو من هو قوة شاعرية ، وقد بلغ " مرتبة عالية في عالم الشعر والشعراء لم يبلغها شعراء آخرون أفنوا أعمارهم في قرض الشعر ، وما كان ليبلغ هذه المنزلة على حداثة سنه لو لم يكن على جانب عظيم من حدة الذهن ، ونباهة الفكر ، وخصب الموهبة، ورهف الحس ، وقوة الشاعرية "(١)، ومع كل ذلك فقد أغفل المقدمة الطللية ، وجميع المقدمات المعهودة في الشعر العربي في إحدى عشرة قصيدة وطرق فيها موضوعه في أول بيت ، فهل نعد طرفة لا يمثل مذهب القدماء وليس له صلة بالتيار القديم ؟ أم أن هناك سعة في الأمر وأن الفصل في القضية ومناط الحكم فيها هو الموقف أو المناسبة التي قيلت فيها القصيدة . وهل يمكننا القول بأن ثمة تيارًا آخر في الشعر الجاهلي خرج فيه أصحابه عما ألفه الذوق من وقوف بالأطلال وذكر الدمن الدوارس وديار الحبيبة ؟ أم أن القصيدة هي الحكم الفصل عندما تولد في ضوء مؤثر خارجي يوجه التجربة الشعرية لمعالجته دون التفكير في النمط المألوف ؟ وعندما يصل الفنان المبدع إلى هذا المستوى فإنه بذلك يؤمن بالفردية في التجربة وأن تعبيره عنها نابع من كون الطريقة الشعرية تنبع مع صاحبها فتمده برؤية خاصة تحمل طابع الاستقلالية في

---

(١) طرفة بن العبد ، حياته وشعره ، محمد علي الهاشمي ص ١٨٦.

حدود الإطار الفني الذي أحاط بالقصيدة في العصر الذي نضجت فيه ملكاته الفنية ؛ ولذلك يمكن أن نعد هؤلاء الثلاثة من المتمردين الرافضين للطرائق الجاهزة ؛ لأن " الإبداع يؤمن بأن لا طريقة عامة نهائية في الشعر"(١)، وكان بإمكان هؤلاء أن يسايروا شعراء عصرهم فيصدروا قصائدهم بـ " قفانبك " ، و"خليلي مرا بي " ونحو ذلك ، بيد أن المواقف هنا تختلف ، فقد ألجأتهم ظروف إنشاء قصائدهم إلى الهجوم على الأغراض مباشرة دون مقدمات .

وهنا يتبادر سؤال إلى الذهن ، هل كان الخمر مثلًا عند عمرو بن كلثوم أحد بواعث الشعر؟ إذا كان الأمر كذلك فحتمًا لم يكن أحقها، فأحق البواعث إلى قول الشعر بحسب حازم القرطاجني: هو الوجد والاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة وألافها عند فراقها، وتذكر عهودها وعهودهم الحميدة فيها، وكأن الشاعر يريد أن يبقي ذكرًا أو يصوغ مقالًا يخيل فيه حال أحبابه ، ويقيم المعاني المحاكية لهم في الأذهان مقام صورهم وهيئاتهم ، ويحاكي فيه جميع أمورهم ، حتى يجعل المعاني أمثلة لهم ولأحوالهم ، أحبوا أن يجعلوا الأقاويل التي يودعونها المعاني المخيلة لأحبابهم المقيمة في الأذهان، صورًا هي أمثلة لهم ولأحوالهم(٢).

ومن يتتبع تاريخ القصيدة العربية خلال حقبها المتتالية يلحظ أن الإطار الشعري واحد ، وذلك يعود إلى كون الشعر ارتبط بأهازيج يرددها الشاعر في خلواته في الصحراء حتى تكتمل له معاني قصيدته " فكل شيء في حياة العربي في الجاهلية راجع إلى الصحراء فنظام معيشته وطريقة تفكيره ونوع شعره وما اعتاد عليه ... كل أولئك من أثر حياة البادية التي يحبها ، ومن أثر المشاهدات

(١) ديوان الشعر،علي أحمد سعيد ص ط.

(٢) المنهاج ٢٤٩.

التي يراها"(١) .

ولو أردنا أن ندرس الأدب العربي في الأندلس دراسة موازنة بينه وبين الآداب القديمة الكبرى لألفينا أنه لم يخرج عن إطار تلك الآداب بالرغم من بعده المكاني ، وذلك يعود إلى أن " الحياة الإنسانية تتشابه وتتقارب مهما تختلف ظروفها، ومهما يتنوع ما اختلف عليها من الخطوب "(٢). وقد يدفعنا الحديث هنا عن هيكل القصيدة الذي أخذ طابع الاستمرارية إلى الحديث عن نظرة النقاد الأوائل إلى منهج ساد في قصيدة المديح وأرادوا تطبيقه على الشعر دون الالتفات لاختلاف الموضوعات والأغراض التي تناولها الشعراء ، وربطوا ذلك بما اصطلحوا على تسميته بـ " عمود الشعر العربي " حتى أضحى نظرية تفرض على الشاعر عدم تجاوزها والخروج عن مضامينها وقد يكون من نافلة القول أن نتحدث عن منهج القصيدة الذي ارتضاه ابن قتيبة، وعمود الشعر ، كما فسَّره المرزوقي ، ونتأمل مدى توافقهما مع مسيرة الشعر العربي ابتداءً بالمشرق وانتهاءً بالأندلس ... وإن كان هذا البحث ليس من طبيعته عرض آراء النقاد بقدر ما يهدف إلى إبراز ما سمي بالتيار القديم في الشعر العربي في الأندلس . وهذا ما دعاني إلى الرجوع لتلك الآراء والنظريات لمعرفة مدى تطبيقها على الشعر العربي في الأندلس ، إذا عددناها من مقومات التيار القديم أو مذهب الأوائل .

فابن قتيبة قد استقرأ الشعر العربي واستنبط منهج القصيدة وخرج بنتيجة من كلام أهل الأدب: " بأن مقصد القصيدة إنما ابتدأ بذكر الديار والدمن ،

(١) تاريخ النقد عند العرب ، طه أحمد ابراهيم ، ص ١٩.

(٢) تاريخ الآداب العربية ، كارلو نالينو ، مقدمة طه حسين ، ص ١٠.

والآثار فبكى وشكى ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ؛ ليجعل ذلك سببًا لذكر الظاعنين عنها ، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ؛ لانتقالهم من ماء إلى ماء ، وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث ، حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكى شدة الوجد ، وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ؛ ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه ؛ وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب ... فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكى النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وإنضاء الراحلة والبعير ، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسيرة بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة وهزه للسماح وفضله على الأشباه ،وصغر في قدره الجزيل "(١).

ثم يؤكد بأن " الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدًا منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد"(٢)، ولم يكتف ابن قتيبة بنقل ما سمعه من بعض أهل الأدب وما استقرأه خلال رحلته مع الشعر ، وإنما ذهب إلى القول: بأن المتأخرين يجب عليهم أن يتمثلوا هذا المنهج في قصائدهم ، وليس لهم الخروج عنه ؛ لكونه مذهب المتقدمين قد وضع به حدًا فاصلًا بينه وبين مذهب المتأخرين، فإذا كان المتقدم يقف على منزل داثر ، فليس للمتأخر الوقوف على منزل عامر ، وإذا كانت رحلة المتقدم على ناقة أو بعير فعلى المتأخر الالتزام بذلك ، ولا يصح أن يرحل على حمار أو بغل ، ولا يحق للمتأخر أن

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ٧٤ _ ٧٦.

(٢) نفسه ص ٧٦.

يرد على المياه العذاب الجواري ؛ لأن المتقدم ورد على الأواجن الطوامي ، وكذلك ليس للمتأخر أن يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد ؛ لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرار[1].

ذلك إذن هو منهج قصيدة المديح الذي ارتضاه ابن قتيبة للشعراء! ألا ترى أنه قد وضع طوقًا شديدًا على المتأخرين؟ فحجر عليهم ما يتسع له الشعر؛ ولذلك لم يتقبل شعراء العصر العباسي أن تكبلهم هذه القيود الغليظة؛ لأنها لا تنسجم مع حياة الحاضرة التي عاشها أمثال أبي نواس، ومسلم، وأبي تمام، وغيرهم؛ ولذلك اعترض أبو نواس على فرض هذا القانون الصارم من ابن قتيبة ومن ذهب مذهبه .

وإذا كان ذلك المنهج قد ساد في عصور الشعر إلى منتصف القرن الثاني ولم يرض به الشعراء المحدثون ؛ فإن الشعراء العرب في الأندلس يمكن أن يتماشى هذا المنهج مع جيل الشعراء المعاصرين للمشارقة في العصر الأموي إلى حد كبير ، وقد يصعب تطبيق هذا المنهج على الجيل التالي من الأندلسيين الذين عاصروا الشعراء المحدثين؛ ولكن ظل الشعراء حتى في عصر المحدثين يزاوجون بين مذهب القدماء والمحدثين لا يغلب أي منهما على الآخر .

بيد أننا لو رمنا تطبيق منهج ابن قتيبة واصطفينا له مختارات متعددة من الشعر العربي في المشرق، أو الأندلس ؛ لربما أعيانا البحث وآل إلى المحال لأسباب متعددة نجملها فيما يأتي :

أولًا : إن كلام ابن قتيبة لا ينطبق على كل الشعر الجاهلي ، وقد ينطبق على جانب من شعر المديح ليس إلا .

(١) نفسه ص ٧٧.

ثانيًا : إن هذا المفهوم إذا عدّ تفسيرًا لمذهب الأوائل فلن يكون حاضرًا في ذهن كل شاعر ما عدا أرباب صناعة المديح من المتكسبين بالشعر الذين يحرصون أشد الحرص على إرضاء ممدوحيهم.

ثالثًا : فيما يرى أن مصطلح " مذهب الأوائل " – إذا كان كلام ابن قتيبة مفسرًا له – قد يصطدم مع نماذج لبعض الشعراء الجاهليين أشرنا إليها في صفحات سابقة ، ويصطدم كذلك مع ما يسمى بالإطار الشعري ، وبعض النظريات المتأخرة التي لم يرض أصحابها منهج ابن قتيبة .

رابعًا : ارتباط الشعراء بفنهم النابع من ذواتهم ومن بيئاتهم والأحوال السياسية والاجتماعية المحيطة بهم .

وإذا تعذر تطبيق منهج ابن قتيبة على بعض فنون الشعر بالمشرق فمن باب أولى يتعذر تطبيقه على نماذج كثيرة من الشعر العربي في الأندلس عدا بعض قصائد المديح التي وافقت إلى حد كبير نظرية ابن قتيبة كمدائح ابن دراج القسطلي في المنصور ابن أبي عامر ، وقصائد أخرى عادت إلى النهج القديم تقترب من طريقة المتنبي فيما يسمى بحركة إحياء القديم المحدث ، ويعود ذلك إلى ما أحدثه أبو علي القالي من أثر في الشعر العربي في الأندلس، حيث التفت الشعراء إلى الموروث القديم بسبب تلك الأشعار الجاهلية وما شاكلها مما أدخله هذا العالم الجليل معه والشروح المتعلقة بها التي بثها هنالك .

وعلى أية حال فإن مذهب الأوائل لا يقف عند كلام ابن قتيبة ، فتفسير النصوص الشعرية وإخضاعها لمذهب دون آخر لم تقل فيه الكلمة النهائية،

والعملية لا تعدو أن تكون استقراءً لنمط معين من الشعر ؛ لأن ابن قتيبة ذاته في موضع آخر من كتابه "الشعر والشعراء" ينحو باللائمة على الرواة والنقاد اللغويين لتعصبهم على المحدثين، بل ينكر بشدة جعلهم المقياس الزمني ميزانًا للشعر الجيد، يظهر ذلك جليًا في قوله: " فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله ... ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قومًا دون قوم، بل جعل ذلك مشتركًا مقسومًا بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثًا في عصره، وكل شرف خارجية في أوله؛ فقد كان جرير والفرزدق والأخطل يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر صبياننا بروايته "(١) .

فإذا كان هذا نقد ابن قتيبه لأساتيذه فما باله يجعل من نظريته السابقة نبراسًا يضيء الطريق للشعراء المتأخرين ، ومثلًا يحتذى لا يحق لهم الخروج عنه ؟

والمسألة في رأيي نسبية؛ لأن الشعر القديم ليس كله مديحًا وليس كله متمسكًا بطريقة واحدة في جميع فنونه؛ فما يناسب المديح قد لا يتناسب مع غرض آخر كالرثاء والحماسة والاعتذارات؛ لأن المواقف والمقامات تفرض على الشاعر أسلوبًا ينسجم مع الغرض الذي يرومه.

وأما عمود الشعر فلن نفيض في الحديث عنه ، لأن القدماء قد جعلوه مقياسًا للشعر الأصيل ، ومن ثم أشبع درسًا ونقاشًا من قبل المتأخرين ، وكذلك الدارسين المعاصرين ، ولعلنا نختصر القول بإيراد كلام المرزوقي عنه ؛ فربما

---

(١) نفسه ص ٦٣.

وجدنا لديه ما يشفي الغُلة ، ويؤنسنا في طريقنا في هذا البحث عن التيار القديم في الشعر العربي في الأندلس . يقول المرزوقي : " إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف ؛ ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تَخَيُّرٍ من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار له ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما ، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ولكل باب منها معيار "(١).

ولا نود الإطالة في تجلية مفهوم مذهب الأوائل وعمود الشعر ، والربط بينه وبين كثير من الآراء والمفاهيم النقدية التي تخالفها ، وإنما يحدونا الأمل أن نقف بالقارئ على مقدار تمثلهما في النص الشعري العربي بالأندلس ، ومن خلال كلام النقاد المشتغلين بالشعر في تلك البلاد والصلة بين آرائهم وآراء النقاد المشارقة حول هذه المفاهيم ، فقد تردد على ألسنة العلماء والنقاد بالأندلس مصطلح " مذهب الأوائل " و" طريقة المحدثين " مما يؤكد معرفة العلماء والنقاد الأندلسيين بمذاهب الشعر ... فهذا أبو محمد ابن حزم الأندلسي يقف مدافعًا عن بعض شعراء الأندلس ؛ فيذكر أبا الأجرب جعونة بن الصمة الكلابي ، ومكانته في الشعر، بأنه في منزلة جرير والفرزدق؛ لأنه في عصرهما ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الأوائل لا على طريقة المحدثين(٢).. وأبو الأجرب هذا هو أحد الشعراء العرب ، هاجر إلى الأندلس واستوطنها إبان عهد الفتح والولاة ، وكان مشهورًا ذائع الصيت عند شعراء

(١) شرح ديوان الحماسة ٩/١.

(٢) النفح ١٧٧/٣.

المشرق الذين أتوا بعد عصر القدماء، يؤكد ذلك سؤال أبي نواس عن شعره عندما كان الشاعر الأندلسي عباس بن ناصح في ضيافته .

بنية القصيدة وشبهة التقليد :

والحديث عما يسمى بالتيار القديم أو مذهب الأوائل يجرنا إلى النظر في بنية القصيدة ، وموقف الشعراء الأندلسيين منها ، ولاسيما قصيدة المديح .

أولى الأندلسيون بنية القصيدة المدحية عنايتهم ؛ لأنها تمثل جوهر التيار القديم في الشعر العربي ، وذلك يعود إلى قوة هذا التيار وتمسك الشاعر العربي بالمحافظة على سماته حتى وإن نشأ خارج ربوع الوطن العربي . وقد رأينا بعض علماء الأندلس يصغي لشعر شاعر من أبرز شعراء عصره بالمشرق بل هو المقدم على سائر الشعراء ، ومع ذلك لم يلتفت لمكانته عندما سمع منه قصيدة تخلو من المقدمة الطللية فقال له : شعر حسن إلا أنه لا ابتداء له ، ذلكم الناقد هو : عالم الأندلس ونحويها عثمان بن المثنى ، والشاعر هو أبو تمام على جلالته وعلو منزلته في الشعر لم يستطع إقناع ابن المثنى بمنهجه الجديد وهجومه على غرضه مباشرة دون مقدمات ، وإنما نزل عند رغبة هذا النحوي وابتدأ قصيدته بمطلع طللي يقول فيه :

دمن ألم بها فقال سلام   كم حلّ عقدة صبره الإلمام

بعد أن كانت بدايتها :

الله أكبر جاء أكبر من مشى   فتعثرت في كنهه الأوهام

فقال له : أنت أشعر الناس[١]... ومن ثم يتولى هذا النحوي فيما بعد رواية شعر حبيب في الأندلس ؛ وما ذلك إلا لأن حبيبًا يتنقل في شعره بين مذاهب العرب ، ولم يستطع الخروج عن التيار القديم والانقطاع عن مذهب الأوائل بالكلية .

ولعلنا نذكر في هذا المقام موقفًا شبيهًا بالموقف السابق هو موقف الشاعر هلال البياني عندما مدح ابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة ولم يراع التدرج المعهود في بنية القصيدة حيث ذكر اسم الممدوح في البيت الثاني قائلًا :

عرّج على ذاك الجناب العالي　　واحكم على الأموال بالآمال

فيه ابن حمدين الذي لنواله　　من كل أرض شدُّ كل رحـــالِ

فقال له ابن حمدين : ما هذا الوثوب على المدح من أول وهلة.ألا تدري أنهم عابوا ذلك كما عابوا الطول أيضًا، وأن الأولى التوسط[٢]!؟ ، وهذا يؤكد أن منهج القصيدة القديمة ليس غائبًا عن أذهان أهل الأندلس ، يستوي في ذلك الشاعر والمتلقي ، وكلاهما يدرك قدر الشعر القديم وأنه ميزان للشعر الجيد ، وليست المسألة مجرد تقليد أو محاكاة؛ لأنك ستلفي كثيرًا من شعراء العصور المتأخرة بالمشرق متمسكين بمنهج القصيدة الجاهلية ، فهل يمكن القول بأنهم مقلدون ؟ ، بل إننا نلحظ التأثر بالجاهليين صريحًا واضحًا في أشعار

(١) طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ص ٣٤٧ ، وابن الفرضي ١/ ٢٤٦ ، والمغرب ١/ ٢١٢.

(٢) النفح ٣/ ٥٣٨.

المشارقة عبر العصور دون استثناء ؛ فالشعراء الذين عاشوا في العصر العباسي وسموا بالمحدثين ، وظل فريق منهم ينسج على غرار القديم ، بل كان مناط التفاخر بينهم وشاهد جودتهم ، ونبل أذهانهم ، وصفاء قرائحهم ، وأنهم لم يفارقوا عمود الشعر ، ومع ذلك لم يتهموا بالتقليد والمحاكاة ، كما هو الشأن مع شعرائنا بالأندلس الذين تشبثوا بالروح العربية الأصيلة التي تأسرنا في الشعر العربي دائمًا ... وهذا الشعر يأبى إلا أن يكون امتدادًا لذلك الأصل ، فالمتتبع لتاريخ الشعر عبر عهود الحكم العربي بالأندلس سيلحظ ذلك دون أدنى جهد؛ ولكن بكل أسف فإن عين الرضا قد سلطت حسها الثاقب على الشعر المشرقي ، وبالمقابل جعلت عين السخط من حظ الشعر العربي بالأندلس ، ونسوا أن للقديم هيمنة على سائر العصور الأدبية لا تختلف باختلاف الأقاليم ، وأن جميع الحقب المتتالية مدينة لذلك القديم ، فقد انبثقت كلها من رحمه ... فالناظر المتأمل في شعر الشعراء الأوائل الذين بذروا البذور الأولى للشعر العربي في الأندلس لا يخالجه أدنى شك في أصالته التي تنم عن طبع اتسم به هذا الفن منذ فجر تاريخه ، وأنه ذو صلة وثيقة بشعر أولئك القدماء من أمثال امرئ القيس ، ومن كان قبله ممن ورد على لسانه كالشاعر المسمى ابن خذام الذي لم نعرف شيئًا عنه ، وممن سار في ركاب هذا الشاعر من شعراء العصر الجاهلي كزهير والأعشى والنابغة ، وأوس بن حجر ، وقيس بن الخطيم ، وغيرهم من عمالقة الشعر القديم الذين كانت أشعارهم مثالًا يحتذى من قبل شعراء المشرق في العصور التالية .

والشعر العربي في الأندلس لن يشذ عن سنن سنها ذلك الشعر القديم ، إضافة إلى أن أوليات الشعر العربي بالأندلس كانت على أيدي شعراء عرب عاصروا كبار شعراء العصر الأموي من أمثال جرير والفرزدق .

وسنقف مع بعض شعراء عصري الولاة والإمارة ، ونتأمل شيئًا من أشعارهم والآراء التي قيلت في ذلك الشعر .

فمن المعلوم أولًا أن هذا الشعر ظهر في أواخر القرن الهجري الأول ، وكانت هذه الفترة تفتقر إلى الاستقرار السياسي والاجتماعي ... وكان بعض الشعراء الذين مثلوا هذه الفترة المبكرة من الجنود أو القادة المحاربين .

ولعل خير من يمثل هذه الفترة أبو الخطار الكلبي المسمى بـ (عنترة الأندلس) وهو أحد القادة الأفذاذ الذين طبقت شهرتهم الآفاق في الشجاعة ، وأما شعره فيغلب عليه الحماسة والفخر، ويكفي أن قصيدته اللامية التي بعث بها إلى بني أمية لافتًا أنظارهم إلى ما كان يلقاه هو وعشيرته من ظلم وعسف القيسيين قد استوقفت الخليفة هشام بن عبد الملك وأمر بتولية أبي الخطار نفسه على الأندلس.يقول فيها[1]:

أفأتم بني مروان قيسًا دماءنا	وفي الله إن لم تنصفوا حكم عدل
كأنكم لم تشهدوا مرج راهط	ولم تعلموا من كان ثم له الفضل
وقيناكم حر الوغى بصدورنا	وليس لكم خيل تُعدُّ ولا رجل

وأبو الخطار ليس شاعرًا عاديًا، فشعره الذي بين أيدينا ينم عن قدرة تجعله في مصاف الفحول ، ولكنه كغيره من شعراء تلك الفترة شحت المصادر بشعره ، ولم نظفر إلا باللامية المشار إليها ، ومقطوعة أخرى في الأخذ بالثأر يقول فيها[2]:

(١) الحلة السيراء ١/ ٦٤ ، و شعر قبيلة كلب ، حتى نهاية العصر الأموي ، جمع وتحقيق ودراسة : أحمد محمد علي عبيد ، ص ٢٤٦ _ ٢٤٧.

(٢) الحلة السيراء ١/ ٦٦ ، وشعر قبيلة كلب ، ٢٤٧ _ ٢٤٨.

فليت ابن جواس يخبّر أنني سعيت به سعي امرئٍ غير غافل
قتلت به تسعين تحسب أنهم جذوع نخيل صرّعت بالمسايل
ولو كانت الموتى تباع اشتريته بكفي وما استثنيت فيها أناملي

وكلتا المقطوعتين تمثلان شعر القدماء في أصالته وزمنه المتصل بالعصر الأموي ، فنسيج شعره وشدة أسره قد جعلا له ريادة في البيئة الأندلسية منذ فترة باكرة، ولعل هذا الشعر وأمثاله أحد العوامل التي رسخت حب التيار القديم في قلوب الشعراء الذين نشأوا بالأندلس في العصور التالية ، ولو لم يكن شعره ذا قيمة ما وصل صداه إلى مسامع أبي نواس[1]...فهاتان المقطوعتان تنتميان إلى مذهب الأوائل موصولتان فنيًا بصوت جرير والفرزدق بما يغلب عليهما من جهارة في الموسيقى وفخامة في التركيب ووضوح في المعاني ... ولا أقول إن أمثال هذا الشعر يمثل مرحلة في الأندلس ، ومن ثم تلاشت ومُحِيَ أثرها ، بل أؤكد ما قلته سابقًا بأن هذا الشاعر وشعراء آخرين وجدوا في هذه الحقبة من تاريخ العرب في الأندلس فكان لأشعارهم الأثر الكبير في ترسيخ عرى التيار القديم هناك.

وإني لأعجب أشد العجب عندما أفاجأ بباحث معاصر في رسالة علمية يردد فيها أحكامًا مكرورة قد جاوزها الزمن ، ولم تخضع أساسًا عند الذين قالوا بها للتجربة والدرس العلمي، وإنما كانت أحكامًا عجلى طابعها الإثارة أكثر من الحقيقة ، وقد قرأنا تلك الأحكام عند جيل من الرواد في العصر الحديث ،

(١) انظر طبقات الزبيدي ص ٢٦٢.

وعذرناهم فيما ذهبوا إليه ؛ لكونهم فتحوا الطريق لمن أتى بعدهم ؛ ولكن لا يصح أن تستمر هذه الآراء – وهي عبارة عن وجهات نظر لا أقل ولا أكثر – مع الجيل اللاحق إلى يومنا هذا بعد أن ظهرت دراسات نقضت تلك الآراء وأثبتت أن ما ذهب إليه أولئك الأساتيذ يخالفه واقع الشعر والفنون بصفة عامة؛ وذلك الباحث المعاصر هو الدكتور نافع محمود صاحب كتاب " اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري " وقد بذل فيه جهدًا مشكورًا وحاول أن يجلي تلك الفترة المهمة من حياة الشعر بالأندلس ، إلا أنه وقع في ذات الأحكام الجاهزة المتمثلة في وصم الشعر العربي في الأندلس بالتقليد والمحاكاة – بكل أسف – حتى في عصوره الأولى التي لم يعرف شعراؤها غير التيار القديم ؛ لأن الشعر الذي ظهرت فيه بوادر التجديد والتوليد جاء بعدهم بزمن غير يسير ، يقول هذا الباحث تعقيبًا على أبيات لأبي الأجرب جعونة بن الصمة الكلابي : " ومن يقرأ شعر أبي الأجرب يلحظ بوضوح تأثره بالأسلوب القديم كما يظهر التقليد واضحًا ، حتى إن هذا التقليد قد تغلغل في أغراض شعره تغلغلًا كبيرًا.. "[1]، فلنتأمل هذا الحكم الجائر الذي قرع أسماعنا مرارًا لدى كثيرٍ ممن تعرضوا لدراسة الأدب العربي في الأندلس في العصر الحديث على الرغم من تباين آرائهم ، ولم يكونوا جميعًا يذهبون إلى القول بالتقليد والمحاكاة ؛ فالأستاذ الرائد أحمد ضيف صاحب كتاب " بلاغة العرب في الأندلس " يظل ذا رؤية سديدةٍ في موقفه المنصف ، فقد نظر إلى الشعر العربي

(١) اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص ٤١.

في الأندلس على أنه جزءٌ لا يتجزأ من الشعر العربي بعامة ، حيث يقول : ".. والذي يقرأ الشعر الأندلسي يجده أخًا للشعر في بغداد ، بل بلاد العرب نفسها ، من حيث الصفات والموضوعات التي كانت عند القدماء "(١).

ورغم اختلافنا مع الآراء التي وصمت الشعر العربي في الأندلس بالتقليد والمحاكاة –ولاسيما أولئك الرواد – فإن مجمل كلامهم محتملٌ وقابلٌ للنقاش، وهو أهون على النفس من كلام المتأخرين الذين اضطلعوا بدراسة هذا الشعر ضمن رسائل جامعية، ينبغي أن تكون متجردةً للحقيقة العلمية متأبيةً على قوالب النقد المستعارة ؛ أقول إن كلام الرواد قابل للنقاش إلى حد ما؛ لأنهم تركوا إضاءة لمن بعدهم كما رأينا ذلك لدى أحمد أمين حينما عقب بقوله :" ولعل الزمن يظهر لمن بعدنا أكثر مما ظهر لنا..."(٢) ، ولهذا التمسنا لهم العذر بأن أحد أهدافهم هو لفت أنظار الأجيال اللاحقة إلى تلك الأشعار ودراستها دراسة متأنية ؛ هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن نقدهم انصب على بعض الشعراء الأندلسيين المعاصرين للشعراء المحدثين ، من أمثال يحيي بن حكم الغزال في تأثره بطريقة أبي نواس في وصف الخمر ؛ أما شعر البذور الأولى في الأندلس فلم يتعرضوا له ؛ لأنه – لا محالة – لن يخرج عن روح التيار القديم ، ولذلك لا يصح بأي حال من الأحوال أن تُقبل من أحد كائنًا من كان القول بأن شعر أبي الأجرب وأبي الخطار ومن عاصرهم بأنه تقليدٌ لشعر القدماء ، وهم أنفسهم قدماء لمعاصرتهم من يُحتج بأشعار من شعراء العصر الأموي الذي هو ألصق بالشعر الجاهلي فلا مجال للقول بالتقليد.

---

(١) بلاغة العرب في الأندلس ، أحمد ضيف ، ص٣٥.

(٢) ظهر الاسلام ٣/ ٢٣٠.

أضف إلى أن الصلة الأدبية في تلك الفترة كانت منقطعة عن المشرق ، وكان جُل اعتماد هؤلاء الشعراء على ما وعته مخيلاتهم واختزلته عقولهم من أشعار تسعفهم في صياغة فنونهم مما جرت به العادة في سائر الفنون ، ولاسيما فن الشعر الذي يستقي دائمًا من منابعه الأولى ، ليس تقليدًا ولا محاكاة ، وقد رأينا ذلك عند شعراء العصر الجاهلي كامرئ القيس وزهير وعنترة ؛ ولهذا فإن هذا الباحث ما كان ينتظر منه تكرار تلك الأحكام التي تعوزها الدقة وعدم التروي في الأمر ، وقد أدى ذلك إلى فصام نكد بين فروع الأدب العربي ؛ فاتهام الأدب العربي في الأندلس بالتقليد والمحاكاة وجعله من المسلمات أقام حواجز بين المتعلمين الطامحين لفهم هذا الأدب وبين الأدب ذاته ، وهذه الحواجز في الحقيقة ليست وليدة الدراسات المعاصرة ، بل إن المشكلة قديمة قدم الدراسات المتعلقة بالشعر .

والأدب العربي في الأندلس ما هو إلا جزء من تراثنا القديم ، وحاجتنا إليه لا تقل عن حاجتنا إلى ذلك التراث الذي عُني به الدارسون في القديم والحديث .. لكن هل كانت قراءتهم لذلك الفن متعمقة تقدُر النصوص حق قدرها من حيث الاحتمالات وتعدد وجوه القراءة لتلك الأعمال الفنية التي يغلب عليها التشابه ، فهي كما يقول مصطفى ناصف : " صورتها واحدة أو كالواحدة في أذهان الدارسين ؛ وأن الدراسات الأدبية تفتقر إلى فن القراءة .. ذلك الفن الذي ينمو نموًا حقيقيًا في كتاباتنا عن الأدب العربي على الإجمال .. "[١] وكأنه يرمي إلى أن عدم امتلاك فنية القراءة طامة كبرى تؤدي إلى إقامة الحواجز بين الدارسين وبين فهم الأدب العربي فيقول : "إن في وسع المرء أن

(١) قراءة ثانية لشعرنا القديم ، ص ٥٥.

يذهب ساخرًا إلى أن دراسة الأدب العربي تؤول من الناحية العلمية إلى فن إقامة الحواجز بيننا وبينه "[1]؛ وهذا ما حصل تمامًا في الدراسات المتعلقة بالأدب العربي في الأندلس.. فقد أقيمت حواجز غير قليلة في طريق قراءته وفهمه ، وانصرف كثيرٌ من الدارسين عنه بسبب تصورات مسبقة جثمت على الأفهام وأدخلت في روع طلاب العلم والأدب الخالفين شعورًا يفضي إلى القول بأن ما سيقرؤونه لدى الأندلسيين هو مجرد صورة مكررة لما يقرؤونه في المشرق، وذلك يعود بحسب مصطفى ناصف إلى أن القدرة على القراءة تحتاج منا إلى الفطنة أولًا بوجود هذه الحواجز الكامنة في النفس ؛ لأن " القراءة هي فن كسر الحواجز التي تفصل بيننا وبين قصيدة من القصائد "[2].. وقد يقول قائل: إن كلام ناصف هنا ذو أبعاد أخرى ، قد تنزع بفكرة كسر الحواجز هذه إلى أمور تتعارض مع بعض القيم والمفاهيم التي قبلناها دون نقاش ، وعددناها في قائمة المحظورات ، بيد أني أجد في كلام ناصف هذا دليلًا قويًا على عدم القدرة لدى بعض الدارسين للأدب العربي في الأندلس على القراءة الواعية المتأملة في ذلك . شأنهم شأن الذين لم يقرؤوا الآثار الأدبية التي أنتجها القدماء، بل ربما يكون هناك عاملٌ آخر يتصل بالرغبة والرهبة إزاء هذا القديم ، فيرى مصطفى ناصف أن السبب في عدم الاكتراث هو أننا " لا تربطنا بالقدماء رغبة أو رهبة"[3]، وهذا هو عين ما لمسناه في الدراسات الأدبية التي تكالبت على أدبنا العربي في الأندلس حاملةً معها معول الهدم غير عابئة بما سوف يترتب على ذلك من تبعات جسيمة لا يدركها أرباب الرغبات الجامحة الذين يصبون إلى حيازة

(١) نفسه ، الصفحة نفسها.

(٢) نفسه ص ٦.

(٣) نفسه ص ٧.

الألقاب من أقصر الطرق ، ولم يكتفوا بذلك ، بل ربما فرض بعضهم وصاية على الدراسات اللاحقة أزّمت القضية وزادت من الحواجز النفسية التي ساعدت كثيرًا على عدم الإنصاف ...ولو كان أولئك الذين اضطلعوا بالدراسات الأندلسية أتقنوا قراءة ما بين أيديهم من النصوص لما أشغلنا عقولنا وأقلامنا بعلاج هذه المشكلات؛ فالمسألة إذًا تتعلق بحسن القراءة ، يقول طه حسين : " هناك أناس يعيبون الأدب العربي دون أن يفصحوا عما يريدون ،وهم لم يقرؤوا الأدب العربي قراءة حسنة "(١)، ولذلك ستكون دراساتهم بمعزل عن الصدق وعن الوصول إلى نتائج منصفة .

ولست هنا بصدد تفنيد آراء أولئك الرواد أو سواهم ممن سار على نهجهم؛ ولكنني أحسست بفداحة تلك الآراء والأحكام المتعجلة ، فأحببت أن أجلي الأمر بدحض شبهة التقليد والمحاكاة التي اتخذت مطية في بعض الدراسات المعاصرة المتعلقة بالآداب العربية في الأندلس ، وحقًا لقد استوقفتني تلك الأحكام قديمًا في كتب الأساتذة الفضلاء أحمد أمين وبطرس البستاني والدكتور شوقي ضيف وبعض المستشرقين، وها هي ذي تستوقفني اليوم في دراسة الدكتور نافع المشار إليها وبعض آراء الناقد إحسان عباس ، فظللت أتساءل بيني وبين نفسي:هل يمكن تصنيف شاعر كأبي الأجرب أو أبي الخطار ومن كان في تلك الفترة بعيدًا عن التيار القديم ؟ وما المبرر لإخراجهم من عباءة التيار القديم وهم الذين وضعوا أسس الموروث الشعري بالأندلس ؟ أوليس هؤلاء الشعراء هم من جيل الشعراء الذين عاصروا الخلافة الأموية

---

(١) نفسه ، الصفحة نفسها ، وهذا النص لطه حسين رواه ناصف ، وقد نسب إليه سهوا كتاب فجر الإسلام ، وهو لأحمد أمين.

بالمشرق والأندلس عندما كانت ولاية من بين الولايات الإسلامية وقد هاجروا إليها في آخر القرن الهجري الأول مع المجاهدين ؛ ولذلك جاءت أشعارهم تحمل روح القديم ؛ لأنها جزء منه ؟ وهل فات باحثنا المعاصر ما قاله أبو محمد بن حزم عن الشاعر أبي الأجرب : إنه لا يتأخر عن شأو جرير والفرزدق[(١)]؟ أولم يرد في ترجمته لدى صاحب المغرب وغيره من علماء الأندلس ، بأنه كان طارئًا بالأندلس[(٢)]؟ وقيل عنه في "لغته الشعرية" بأنه قديم الحوك والصنعة ؛ إلى غير ذلك من الأوصاف والمقولات الصادرة عن معرفة بالشاعر ، فليت شعري ماذا كان يأمل هؤلاء الدارسون من هذا الشاعر وأمثاله ؟

أعود فأقول إن تلك الأحكام المتسرعة التي وردت عند أولئك الرواد قد وجهت كثيرًا من الدراسات في العصر الحديث وأبعدتهم عن الإنصاف ، ولم ينظروا إلى زمن الشاعر ولا إلى الظروف العامة التي أحاطت به وكان يجب عليهم أن يفرقوا قبل تقبل أحكام الرواد بين شاعر خرج من المشرق مهاجرًا أو مجاهدًا ، قد ترسخت قيم الشعر القديم في ذهنه وفي مخيلته ، وشاعر تأخر زمانه وجمع في فنه بين القديم والحديث ، وهو واع بما فعله ؛ لأنه متابع للحركة الأدبية والنقدية بالمشرق ، وعلى علم بما أحدثه أترابه بالمشرق من تطور نسبي لم يبتعدوا فيه كثيرًا عن تيار الشعر القديم ومذاهبه التي لم تغب عن شعر شاعر منهم مهما جدد ، ومهما خرج عن عمود الشعر ، أو عن بنية القصيدة الجاهلية؛ ذلك لأن الشعر هو أحد الفنون التي لا تعرف القيود وترفض النمطية، وفي ذات الوقت لا تنقطع عن جذورها القديمة ؛ لأن هذا التراث الذي تتغذى

---

(١) انظر : ص ٤٤٧ من هذا البحث.

(٢) المغرب ١/١٣٠.

منه الفنون هو كائن حي متحرك بسيرورة دائمة هي سيرورة الحياة الواقعية التي ينبثق منها ويحيا فيها ومعها ، وهي بدورها تحيا فيه ومعه ؛ ولكن بشكل آخر ، وربما كان شكلها الأرقى ، وربما كان شكلها الرافض لها ، وربما كان تعبيرًا عن صراعها هي مع نفسها[١].. وانطلاقًا من هذه العلاقة الجدلية بين ماضي التراث وحاضره ، فإنه بإمكاننا إضافة الجديد إلى ما قدمه السلف ؛ لكننا لا ننطلق من فراغ؛لأن الانفراد المطلق أمر يعزّ على أي إنسان، إلا إذا شاء ألا يقيم علاقات بينه وبين الماضي .

وإذا كنا ننطلق في هذا البحث من علاقة الشاعر العربي في الأندلس بالموروث فليس ذلك من باب التثقف به فحسب ، بل هو بالنسبة له معين وجوهر يقوم عليهما الإبداع " لأن الموروث قوي الحضور في الذاكرة"[٢]، والشاعر الجيد يستطيع إعادة ابتكار الماضي وتجديده ، وهذا ما جعل ناقدًا معاصرًا يذهب إلى القول بميلاد النص المبدع المتعلق بالشاعر نفسه إذا ما استفاد من تراثه ، وتمخضت تجربته الشعرية عن رؤية خاصة تكمن في مدى استيعابه لذلك الموروث الذي مكنه من تقديم النص الإبداعي ، وهذا لا يلغي الموروث وإنما يعيد إبداعه ، ويطلق أسره ؛ ليضيف إليه موروثًا جديدًا ذا عطاء وانفتاح دائم[٣].. وهناك لفتة أشار إليها ابن خلدون تتعلق بميل أهل الأندلس والمغرب إلى نزعة البداوة ، وأنهم لم يكونوا يعانون من الحضارة التي لأهل العراق ، فكانوا لأهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة[٤]. وكلام ابن خلدون هنا ربما يقصد به شدة محافظة أهل الأندلس والمغرب على كل ما يربطهم بالقديم ، وليس المقصود البداوة بمعناها

---

(١) دراسات في ضوء المنهج الواقعي ، حسين مروة ، نقلا عن استيحاء التراث في الشعر الأندلسي ، ابراهيم منصور ن محمد الياسين ص ٨.

(٢) الخطيئة والتكفير : من البنيوية إلى التشريحية ، عبدالله الغذامي ، ص ٣٢٨.

(٣) نفسه ، الصفحة نفسها.

(٤) مقدمة ابن خلدون ، ص٨٠٥.

الجلف الجاف الذي لا يناسب الذوق المتحضر ؛ لأن ذلك قد لفظه شعراء هم أقرب إلى البداوة من أهل الأندلس كجرير عندما سمع ذلك الشاعر البدوي وهو يصف ظبية تدفع صغيرها ، فيصور تلك الحالة بقوله : " تزجي أغنَّ كأن إبرة روقه " ، ثم سكت هنيهة، فأشفق عليه جرير وقال : " أعرابي جلف جاف ما عساه أن يقول !؟ " فعندما قال : "قلم أصاب من الدواة مدادها" ، استحالت الرحمة حسدًا[1]؛ لأن صورة القلم في الدواة من المعاني الحضرية ، ولذلك فإن وصف ابن خلدون أو سواه للأندلسيين والمغاربة بأنه ينزعون إلى البداوة وصف فيه تعميم، قد ينطبق على أهل المغرب ؛ لأنهم أهل صحراء ، ولا ينطبق على أهل الأندلس ؛ لبعدهم عن رموز البداوة .. وكل ما في الأمر أن الشعر هو فنٌّ لا يمكن أن يتغذى إلا من الفن، وكما ذكرنا سابقًا بأن الشعر القديم قد غدا منهلًا عذبًا لجميع الشعراء في مختلف العصور والأقاليم .

وذلك هو ما لمسناه لدى شعراء الأندلس في تعاملهم مع تراثهم ليس في عصوره الأولى ولكن عبر السنين التي عاشها الأدب العربي هنالك .. وبالرغم من عشقهم للقديم فإن شخصيتهم لم تختف؛ لأنهم استكنهوا هذا التراث وتمثلوه وأذابوه في بوتقة جديدة صدرت بأسمائهم وعبرت عن واقعهم ؛ فالفنان الحاذق تكمن قيمته في قدرته على استلهام القوى المؤثرة من الماضي الموغل في القدم ؛ لكي " تظل الصورة التراثية ذات قيمة رائعة من خلال مرورها في ذاكرة الشاعر.بل من خلال استقرارها في لا وعيه ؛ لتظل جزءًا لا شعوريًا وهي – آنذاك – تظل ملكًا له وحقًا مباحًا "[2].

(١) الموسوعة العالمية للشعر العربي ، شعر عدي بن الرقاع ، رقم القصيدة ١٩٢٤.

(٢) المعارضات الشعرية : أنماط وتجارب عبدالله التطاوي ، ص ٨٤.

وإذا كنا نعد الشاعر الملتزم بما جرت عليه سنة الشعر العربي محاكيًا أو مقلدًا دون وعي فإن ذلك يعني نسف كل شعر تمسك بالمقدمة الطللية ومنهج القصيدة العربية حتى في عصر المحدثين الذين حاولوا ما أمكن الانحراف عن صراط الأقدمين ، ولم يواتهم ذلك ؛ لأن سدنة اللغة ونقدة الشعر قد وقفوا لهم بالمرصاد ؛ ولذلك تراهم يرومون التجديد والخروج عن سنن القدماء، ولكنهم سرعان ما ينهزمون بمجرد المثول أمام خليفة أو قائد أو ناقد لا يطرب إلا لما ألفه حسه وسمعه ، إضافة إلى عوامل أخرى اقتضت اللجوء إلى نهج القدماء .

ولنتأمل شعر اثنين توليا ريادة التجديد في العصر العباسي هما بشار بن برد وأبو نواس ، فبشار كما هو معلوم هو زعيم طبقة المحدثين كما يذهب المرزباني وغيره من القدماء والمتأخرين ؛ لكنه ينحني غالبًا أمام قوة التيار القديم للأسباب المذكورة إضافة إلى قوة نفوذ هذا التيار في عصره وسيطرته على جانب من الحياة الأدبية؛ ولنا أن نتأمل قوله مادحًا سليمان بن داود الهاشمي(١):

تأبدتْ برقةُ الروحاء فاللببُ	فالمحدثاتُ بحوْضَيْ أهلُها ذهبوا
فأصبحت روضة المكّاء خاليةً	فماخِرُ الفرعِ فالغرافُ فالكُثُبُ
كأنها بعد ما جرَّ العفاءُ بها	ذيلًا من الصيف لَم يُمدَدْ له طُنُبُ

وهذا النمط قد اختلف الناس في تقويمه ، فمنهم من يرى أنه أميل إلى التصنع ، يقول يوهان فك: " وإذا قال بشار الشعر على طراز الأقدمين عن

(١) ديوان بشار ، ١/ ٢٥٤ .

قصد ، وجدنا أشعاره تحمل طابع الصنعة والتعلم على جبينها ، على أنه لم يكن يبالي إلا نادرًا بالقصد إلى المحاكاة والتقليد ، فإذا ما تنازل عن ذلك وجدنا أسلوبه يعرض تلك الأناقة الواضحة والبيان الناصع الشفاف .. "[١].

ومنهم من أعاد ذلك إلى كون بشار لم يتفرغ للتجديد والتوليد فكان شعره ألزم بالقديم ، حتى إن بعضهم شبهه بامرئ القيس والأعشى ، وأزعم أن بشارًا كان يدرك عظم تبجيل أهل عصره للقديم فكان يحاول إرضاء الرواد ما أمكن ولا يغيب عن الذهن ذائقته القديمة ؛ لأنه محسوب على القدماء نظرًا لخضرمته وحياته الأولى التي قضاها في مضارب بني عقيل ، إضافة إلى علمه الغزير بالشعر وأساليب الشعراء ، وكذلك ما رآه من هيمنة الرواة وقوة سلطانهم في توجيه الشعر فاضطر إلى أن يصنع رائيته المشهورة " بكرا صاحبي قبل الهجير ... " ويصرح بأنه " بناها أعرابيةً وحشية"[٢]؛ لتحوز على رضا هؤلاء النقاد .. وما يقال عن بشار من حيث تردده بين القديم والجديد ذاته يقال عن أبي نواس .. وذلك يوصلنا إلى القول بأن الشعر العربي شرَّق أو غرَّب لن يخرج عن أصوله القديمة.. فأبو نواس الذي شد أسره شعر الغرب الذي سمعه من الشاعر الأندلسي عباس بن ناصح لطائفة من شعراء الأندلس هو نفسه صاحب الدعوة للخروج عن القديم ، وفي الوقت ذاته يناقض دعوته ويترك صراحته في مهاجمة الأطلال ، ومن ناحية أخرى وجد نفسه أمام مجتمع ليس من السهولة بمكان أن يتقبل طريقته ، حيث لم يلق شعره صدى واسعًا ولا استحسانًا من بعض معاصريه .. وكأن الأمر كما يرى بعض الدارسين قد شكل صدمة قوية على

(١) العربية ، ترجمة : رمضان عبد التواب ، ص ٦٧.

(٢) الأغاني ٣/ ١٩٠

نفوس هؤلاء النقاد من شاعر غير عربي يسعى لتغيير منهج دأب عليه العرب في فنهم المتفرد لاستهلاله العتيد كما يقول الدكتور نجيب البهبيتي[(١)]،وحتى لا يأخذنا الحديث بعيدًا عن الهدف الأساسي من هذا البحث نود أن نعرج بصورة خاطفة على نماذج من رجوع أبي نواس إلى التيار القديم كما فعل أستاذه بشار .. فأبو نواس هو الذي عرف بقوله[(٢)]:

عاج الشقي على رسم يسائلها   وعجتُ أسأل عن خمارة البلد
لا يُرقيءُ الله عين من بكى حجرًا   ولا شفى وجْدَ من يصبو إلى وتد
قالوا ذكرت ديار الحي من أسد   لا درَّ درك قل لي من بنو أسد
ومن تميم ، ومن قيس وإخوتهم   ليس الأعاريب عند الله من أحدِ

فهو هنا يعد الأطلال رمزًا لأمة لا تربطه بها صلة عرقية حتى يفخر بها ؛ ولذلك سعى سعيًا حثيثًا إلى إيجاد بديل عنها يقوم مقامها في افتتاح القصيدة ، فجعل وصف الخمرة رمز لهوه وعبثه في مقدمات قصائده كما في قوله[(٣)]:

معاقرة المدام بوجه ظبي   حوى في الحسن غايات الرهان

وإذا ما رجعنا إلى شعرنا القديم – وقد أشرنا إلى شيء من ذلك – ألفينا الافتتاح بوصف الخمر موجودًا في الشعر الجاهلي وفي شعر بعض شعراء العصر الأموي كالوليد بن يزيد ، الذي عدَّه النقاد رائدًا في فن الخمريات وقد

(١) تاريخ الشعر العربي ، ص ٤٥١.
(٢) ديوان أبي نواس ، ص ٤٦.
(٣) نفسه ، ص ٣٤٢.

تأثر به أبو نواس والحسين بن الضحاك كما أشار صاحب الأغاني إلى ذلك(١)، وإذن فأبو نواس لم يخترع هذا الابتداء اختراعًا ؛ ولكنه أخذه عن أساتذته السابقين ، ولو طبقنا نظرية التقليد والمحاكاة وقرأنا لأبي نواس قوله(٢):

ألا حي أطلال الرسوم الطواسما　　　عفت غير سفع كالحمام جواثما

وقوله(٣):

لمن طلل لم أشجه وشجاني　　　وهاج الهوى أو هاجه لأوان

لقلنا إن أبا نواس غير قادر على الابتكار والتجديد وأنه مقلد ، ومحاكي للقدماء ، لأنك واجد من هذا النمط الكثير في شعره ... والأمر في نظري لا يعدو القول بأن التيار القديم كان مهيمنًا بقوة على الشعر العربي بكافة أشكاله ورموزه فالاستفتاح (بالكلام عن الربوع والديار كان في جوهره تعبيرًا رمزيًا ، ثم إنه مع ذلك لم يكن فنًا جامدًا لابد أن تلتزم الجفوة التي ظنها فيه أبو نواس ..)(٤) وتركيزنا هنا على أبي نواس يمدنا بالقوة للدفاع عن شعرائنا بالأندلس ؛ ولهذا يحق لنا أن نؤكد بأنهم في تمسكهم بطريقة القدماء ليسوا بدعًا في ذلك؛ لأن هذا الشاعر هو رائد لا ينكر باعه في التجديد وتزعمه لنبذ ما اعتاده الناس في الشعر العربي ، ومع ذلك لا يفتأ أن يعود إليه طوعًا أو كرهًا .

على أن الأمر لم يقف عند هذين الشاعرين فحسب ، فجُلُّ شعراء العصر العباسي هم قدماء إذا أرادوا الترويج لأشعارهم وإرضاء شريحة من

(١) انظر : الأغاني ٧/ ١٨.
(٢) ديوان أبي نواس ، ص ١٠٥ .
(٣) نفسه ، ص ٥٠٠.
(٤) تاريخ الشعر العربي ، ٤٥٢.

مجتمعهم لا تطرب إلا للقديم ، ومجددون إذا التفتوا إلى العصر الذي نشأوا فيه ... فهاكم صريع الغواني الذي فتح باب التوليد في المعاني والغوص وراء البديع لأبي تمام ، وصف بأنه لبس لأمة العرب على ديباجة المحدثين ، وظل متشبثًا بطريقة العرب حتى لتكاد تجزم بأنه لم يعش عصر التجديد ، فانظر إلى قوله[(١)]:

هلا بكيت ظعائنا وحمولا ترك الفؤاد فراقهم مخبولا

وقد ربط الطبيخي شارح ديوانه بين هذا البيت وبيت جرير[(٢)]:

بان الخليط ولو طوعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

وكأنه يشير بهذا الربط إلى أن مسلمًا قد أخذ المعنى من بيت جرير ؛ لكنه لم يتهمه بالتقليد والمحاكاة .

وإذا كان صريع الغواني يقبل منه ذلك لكثرة حفظه الشعر القديم مما يجعل المعاني تتداعى عليه.. فإن ذلك الأمر نفسه ينطبق على أغلب الشعراء الأندلسيين المعاصرين للمحدثين ؛ ومسألة تداعي المعاني هذه فيما يبدو عصية على النسيان فلا يكاد يستطيع شاعر ما التخلص منها؛ ولذلك لا يجوز الإنكار على شعرائنا بالأندلس عندما نجد نهج القدماء ماثلًا في أشعارهم .

وظاهرة الوقوف بالأطلال التي بقيت على مرّ السنين رمزًا للقديم فإنها في رأي بعض الدارسين المعاصرين لم تكن التزامًا ، وإنما كانت إيثارًا وتفضيلًا

---

(١) ديوان صريع الغواني ، تحقيق : سامي الدهان ، ص ٥٣ .

(٢) نفسه ، وديوان جرير ٥٩٣ .

.. فليس كل القصائد التي سبقت عصر المحدثين بالتي تبدأ بالبكاء على الأطلال ... والشاعر في الجاهلية والإسلام لم يكن يعاب عليه أن يعبر عن نفسه على الوجه الذي يرضاه .. ولقد يكون هذا التقليد تحقيقًا أول الأمر وتعبيرًا عن واقع الحياة التي كان الشاعر يحياها في بيئته .. ولكنه بمرور الزمن وتطور الحياة العربية ، واتساع نطاق الأرض التي يتحدث أهلها لغة هذا الشعر استحال إلى وسيلة من وسائل التعبير الرمزي يصطنعها الشاعر ؛ لتصوير حالة نفسه بالقياس إلى من يهوى بصرف النظر عن وقوع ذلك في حياتها وحياته ، أو عدم وقوعه ، فقد لا تكون الحبيبة فارقت ديارها ، وقد لا تكون هذه الديار تحولت قط إلى أطلال(١).

والذي يفهم من كلام الدكتور البهبيتي : أن الوقوف بالأطلال أو عدمه خاضع لنفسية الشاعر أولًا ، والرغبة في الولوج إلى طريقة القدماء ثانيًا ، حتى لا يشعر بالانفصام عن جوهر الفن الذي ينتمي إليه ، وحتى لا يتهم بالشذوذ عن جماعة لها قداستها في مرآة النقاد ... وما دام الأمر بهذا الاتساع والحرية فلماذا يشدّد النكير على عرب الأندلس بعد أن عاشوا التجربة الشعرية كما أريد لها ؟ وفي الوقت ذاته لم تَزِلّ بهم القدم ليقعوا في التناقض المشين الذي وقع فيه أبو نواس وغيره من شعراء العصر العباسي.. وهنا نؤكد ما ذهبنا إليه في بداية هذا البحث من أن شعراء الأندلس كانوا على وعي تام بمذاهب الشعر العربي ، وأن التيار القديم متأصل في نفوسهم وربما يفوقون في ذلك شعراء العصر العباسي .. وأن صورة القصيدة التقليدية لم تغب عن فنون الشعر إلى آخر لحظة في تاريخ الشعر العربي في الأندلس ، وهذه الملحوظة ذاتها قد رأيناها بارزة عند

(١) تاريخ الشعر العربي للبهبيتي ، ص ٤٥٤.

معاصريهم في المشرق لا نستثني من ذلك الثائرين على أساليب الشعر العربي بدعوى الشعوبية والمنافسة المقيتة التي افتعلها أناس يحملون أحقادًا دفينة على العرب وكل ما يمت إليهم بصلة .

رؤية جديدة لتصنيف شعراء الأندلس :

وفي ضوء ما سبق يمكن تصنيف الشعر العربي في الأندلس تصنيفًا ينسجم مع ما تفرضه الفنون وتوجه الإبداع توجيهًا ينتهي به إلى الاستجابة لمقتضيات الذوق العام وروح العصر الذي نشأ فيه الفن . وذلكم التصنيف خاضع لعوامل وظروف متصلة بحياة الشعر منذ فجر تاريخه بالأندلس ومنذ أن حط العربي قدمه هنالك .. فالشاعر غالبًا يتحكم فيه بجوار الموهبة والإلهام عوامل متعددة تحيط به من كل جوانب حياته .. فالإحساس بالغربة أولًا يخلق في نفسه الرغبة في ربط فنه بقديم هو جزء منه ، وثانيًا : ارتباطه بالحياة السياسية ومدى تعايشه معها وولائه لها ؛ كل ذلك يفرض موضوعات تعكس اهتمامات عملية، ويفرض التعبير عنها بطريقة واضحة سهلة ؛ ليفهمها العدد الأكبر كانت – كما يقول دارس معاصر – : تتضمن حضور الآخر وغياب الأنا(١). وإن كان هذا الكلام ليس على إطلاقه ، فالشعور بالغربة يولد إحساسًا مزدوجًا بين الأنا والآخر، وقد يلتحم الفنان مع من حوله مجاراة لقوى فاعلة في المجتمع .. وهي عادة قوى سياسية تُعد الحياة هي المحافظة على ما هو أصلي وقديم(٢). وبالنظر إلى وضع شعراء الأندلس يمكن تصنيفهم على هذا النحو :

---

(١) انظر : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، فاطمة طحطح ، ص ٢٤.

(٢) ديوان الشعر العربي ، ص ٧٠ .

أولًا : أوائل الشعراء الذين هاجروا من المشرق في فترة لم يكن ثمة اتجاه فني سوى مذهب الأوائل، وهؤلاء الشعراء لا نكاد نظفر لبعضهم بقصائد تمثل عمق التجربة الشعرية التي عالجها الشاعر ، ونمط الاتجاه الذي يؤثر في المبدع غير العصر الذي نشأ فيه وذلك الامتداد المتواصل بين المشرق والأندلس ، وما اختزلته ذاكرته من نماذج الشعر القديم .. وحسب هؤلاء الشعراء أنهم قد بذروا البذور الأولى للشعر العربي في شبه الجزيرة الإيبيرية ؛ نذكر منهم على سبيل المثال : أبوالأجرب جعونة بن الصمة الكلابي ، بكر الكناني ، أبو الخطار الكلبي ، أبو المخشي عاصم بن زيد التميمي .

ثانيًا : شعراء جاءوا بعدهم في فترة الإمارة من أمثال : عباس بن ناصح الجزيري الثقفي،وحسانة التميمية ، وسعيد بن جودي ، وشعراء أدركوا الفترتين كأبي المخشي ، ولا يغيب عن الذهن شعراء بني مروان وفي مقدمتهم مؤسس دولتهم عبد الرحمن الداخل ، والحكم بن هشام ، وغيرهما ، فهؤلاء يمثلون التيار القديم سجية دون اختيار منهم ؛ لأنه السائد في بلاد العرب حينذاك وليس أمامهم سواه.. فهل نزعم أن شاعرًا من أولئك الشعراء الآنفي الذكر كأبي الخطار أو أبي الأجرب مثلًا سيخرجان في شعرهما عن مذاهب العرب ، حتى وإن كنا نرى فيهما الجرأة والقوة ؟ وإذا كانت هذه حال ذينك الشاعرين وأمثالهما فهل يقبل من دارس معاصر غلبت عليه الرغبة في الوصول إلى النتائج دون مقدمات القول بفكرة التقليد والمحاكاة وما زالت لبان القديم التي رضعها هؤلاء الشعراء تجري في عروقهم؟

ثالثًا : شعراء العصور التالية لعصر الإمارة دون استثناء ، ممن عاصروا الشعراء المحدثين ، وعايشوا قضايا الشعر والنقد، وانطلقوا في مجاراة

المحدثين، إلى أن جاء أبو علي القالي وبدأ الشعراء يتجهون إلى تيار الشعر القديم بروح جديدة ، هي أشبه ما تكون بطريقة أبي الطيب التي سميت بحركة إحياء القديم المحدث ، دون أن يقصدوا إلى التقليد أو المحاكاة، وأبرز من يمثل هذه الفترة شعراء بلاط المنصور بن أبي عامر ، كابن دارج القسطلي ، والشعراء الذين أتوا بعد ذلك في عهد ملوك الطوائف ، ولعلّ ابن شهيد يأتي في مقدمة هؤلاء وهو من هو في حسه النقدي وعلو منزلته في الشعر وعلمه به وبمذاهبه.

ولولا أن ذلك الربط بين طرق تأتي الشعراء إلى الشعر من مشارقة وأندلسيين من مستلزمات هذا البحث لما أجهدنا القلم في تتبع تلك النماذج ، حتى لا تبعدنا عن الهدف المنشود من وراء هذا البحث ؛ لأن ما رأيناه من تأرجح الشعراء مشارقة وأندلسيين بين تيارات الشعر العربي وطغيان التيار القديم على الفن بعامة قد ألجأنا لتأصيل ما ذهبنا إليه والتدليل عليه من واقع الشعر العربي في المشرق .. وشعراء الأندلس بخاصة قد أسرهم الموروث القديم منذ عصورهم الأولى ، ولاسيما عصري الولاة والإمارة ؛ لأن الشعراء في هذين العصرين ما زالوا حديثي عهد بالمشرق ، ولم يصب الشعر تطور يذكر قبل عصر المحدثين عدا بدوات طفيفة ظهرت في آخر العهد الأموي على يد الوليد ابن يزيد كالتوسع في الخمريات وانتشار وزن المجتث لخفة تفاعيله وانسجامه مع حركة الغناء .

مفهوم التيار القديم وبنية القصيدة :

على أننا نود التنويه هنا : إلى أن مفهوم التيار القديم لا ينبغي أن يحصر

في بنية القصيدة ، ومدى التزام الشاعر بها ؛ لأن القدماء أنفسهم لم يقصروا قصائدهم على الالتزام بها ، فلديهم قصائد جاءت وفق المواقف التي أنشئت من أجلها ؛ وعندما نؤكد تمسك الشاعر الأندلسي بهذا التيار فإننا نرمي إلى أن كل ما هو من مجريات هذا المذهب من أنماط شعرية من ذكر الحماسة ، والفخر ، والفروسية ، والتعبير عن الشجاعة ، وما يقال كذلك من أوصاف شعر القدماء ، كشدة الأسر،وحسن التأتي ، والطبع ، وقدم الحوك والصنعة ، وما شاكل ذلك من سمات اتسم بها الشعر القديم ، كل ذلك يلتمس في أشعار الأندلسيين ؛ لتظهر روح الشعر القديم جلية بطرق متعددة ، وسنرى ذلك من خلال نماذج الشعر التي بين أيدينا .

فمن الشعراء الذين التزموا في شعرهم بالمنهج القديم دون التقيد ببنية القصيدة ؛ أبو المخشي وقد أشاد بشعره أبو نواس عندما سمع قوله :

كنت أبا للذرى إلا الدرا　　　ما فقأت عينيَّ إلا الدنا

قائلًا : " هذا الذي طلبته الشعراء فأضلته "[١]ولا غرو ، فهو كما يقول ابن القوطية : شاعر الأندلس في أيام عبد الرحمن الداخل[٢]؛ فانظر إلى قوله مادحًا عبد الرحمن الداخل ومشيدًا ببطولة ابنه سليمان[٣]:

وإذا تساءل عن مواقع معشر　　　وذويهم طلب الذي لم يقدر

رشد الخليفة إذ غووا فرماهم　　　بالموبذيّ الجهم والمتأزر

(١) طبقات الزبيدي ٢٦٣.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس ، لابن القوطية ، ص٥٦.

(٣) الاحاطة ، ٤ / ٢٣٤.

وغدا سليمان السماح عليهم كالليث لا يلـوي على متعذر

غاداهم متقنعا في مـأزق بالموت مرتجس العوارض ممطر

ومن شعره الذي استوقف بعض الدارسين لروعة أسلوبه وحسن سبكه قوله[١]:

وهمّ ضافني في جوف ليل كلا موجيهما عندي كبير

فبتنا والقلوب معلقات وأجنحة الرياح بنا تطير

فقد صور الهم هنا تصويرًا بديعًا ، وهو رغم نشأته في فترة الشعر المحافظ إلا أنه خرج بفنه إلى شيء من الجدة والطرافة ، وغلبة العاطفة في بعض أشعاره ولاسيما تلك التي يصور فيها محنته بالعمى ، وحال زوجته الوفية التي تسعى جاهدة لتحقيق مطالبه والوقوف إلى جانبه ، وقد تضعف أحيانًا أمام صروف الدهر وهو لا يقدر على شيء مما كان يقدمه لها ، فيتألم لآلامها مستشعرًا عظم المسؤولية التي أنيطت بها فغيرت مسار حياتها ، فيعبر عن ذلك بقوله[٢]:

أم بناتي الضعيف حويلها تعول امرًا مثلي وكان يعولها

إذا ذكرت ما حال بيني وبينـــها بكت تستقيل الدهر مالا يقيلها

فهذه النماذج لا شك أنها تمثل نمطًا فنيًا يتأبى على التبعية والتقليد أساسًا؛ لأنها جاءت في فترة باكرة من تاريخ الشعر العربي في الأندلس ، حتى

(١) جذوة المقتبس للحميدي ، ص ٣٨٧.

(٢) تاريخ ابن القوطية ، ص ٥٧.

وإن ظهر فيها ما يشبه السمات البدوية بحسب أحمد هيكل(١)، وعلى العكس منه عبد الله كنون الذي يرى أن أكبر ميزات الشعر العربي في الأندلس : " أنه شعر حضري لا جاهلية له ، وليس يشبهه في ذلك شعر قطر من الأقطار العربية ، ولعل مرجع ذلك في البلاد العربية إلى جساوة في الطباع وقساوة في البقاع ، فإن الإقليم في الشرق غيره في الغرب ولاسيما الأندلس ، والمزاج يتكيف بتكيف الإقليم رقة وغلظة ولينًا وشدة.."(٢) ، وهذا الكلام يصعب تطبيقه على بذور الشعر العربي الأولى في الأندلس ويمكن النظر إليه في ضوء الشعر المعاصر لتيار المحدثين ، وهو الذي وصفه بأنه " بقي مصونًا من عنجهية البدو، لا جاهلية له مطلقًا "(٣)، وكأنه يستخدم لفظ "الجاهلية" بديلًا من مصطلح "القديم" أو" مذهب الأوائل " ؛ وعلى أيٍّ فإن وصف الشعر الذي غادر الجزيرة العربية في الفترة الأولى من تاريخ العرب في الأندلس بأنه ذو سمات بدوية فيه مبالغة، وكذلك جعله شعرًا حضريًا لا يمت للقديم بصلة هو إخراج للشعر عن طبيعته ؛ لأنه يصبح كالمنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى .

ولذلك فإن شعر أبي المخشي ومعاصريه على الرغم من غلبة التيار القديم عليه فإنه لا يحمل سمة بدوية خالصة ، ولا نقول بأنه شعر حضري ؛ لكون قائله خرج من جزيرة العرب وأنشأه بالأندلس ، وإنما هو يحمل سمات مشتركة يغلب عليها روح الشعر القديم المجانس لحياة الحاضرة كتلك التي نقرأها في شعر زهير وطرفة اللذين تقترب أشعارهما من شعر بعض المولدين بجامع

(١) انظر: الشعر الأندلسي ، أحمد هيكل ، ص ١٠٠.

(٢) الشعر الأندلسي ، مجلة المجمع العلمي العربي ، ٣١٣١ / ٣٧١ ، نقلا عن : الأدب الأندلسي ، منجد مصطفى بهجت ، ص ٥٩.

(٣) نفسه ، الصفحة نفسها.

التحكيك وكثرة التأمل والمراجعة ، ولا نود أن نبالغ في القول بأن الشاعر كان يسعى لأن يجعل شعره ذا صبغة تميزه عن معاصريه ، وإنما هو كغيره من الشعراء العرب الذين طغت على فنونهم النمطية المعهودة ولاسيما في شعر المديح ؛ وإن كان أبو المخشي قد انصرف فيما بعد عن كل الأغراض والموضوعات الموجهة ، وذهب يصور حياته الخاصة ، وأكثر من الوجدانيات وكأنما يريد بذلك أن يشرك القارئ معه فيما يعترضه من كوارث الزمن ، وهذه هي غاية الشعر كما يقول عبد القادر القط : " بأن مهمة الفن بوجه عام هنا تصوير وقع الحياة على وجدان الشاعر، ونقله إلى القارئ ؛ ليخلق لديه انفعالًا مماثلًا أو مخالفًا ؛ ولكنه على أية حال استجابة وجدانية للعمل الفني"[(١)]، وحسب هذا الشاعر أنه كان يمثل الشعر العربي في الأندلس في فترة تأسيس الإمارة أصدق تمثيل ، فهو يمثله في سيره نحو الاتجاه القديم الذي يسميه الدارسون المتأخرون بالاتجاه المحافظ ، وفي الوقت ذاته يحسب له أنه طرق موضوعات جديدة ، وظهر فيها عنصر العاطفة غالبًا على سواه ، وما ذكره أحمد هيكل من أنه كان يؤثر المنهج التقليدي في بناء القصيدة من حيث البدء بوصف الرحلة وإجهاد المطايا ، هذا الكلام فيه مبالغة إلى حد كبير ، فالشاعر لا يؤثر المنهج التقليدي ولا سواه ، وإنما هو أحد شعراء هذا المنهج ، وليس ثمة منهج آخر ينافسه ، وما جاء من تجديد في شعره إنما هو تطوير في المذهب نفسه لا يخرج فيه عما ألفناه عند القدماء الذين لا نتهمهم بالجمود في تعاملهم مع الشعر ، وأما وصف الرحلة وإجهاد المطايا، فيكاد يصحبنا في أكثر شعر المديح في المشرق والأندلس ، وأزعم أن تصوير بعض الشعراء في الأندلس لتلك المعاناة أقرب إلى الحقيقة نظرًا لطبيعة بلاد الأندلس الجبلية ووعورة

(١) حركات التجديد في الشعر العباسي ، عبد القادر القط ، دراسات مهداة على طه حسين في عيد ميلاده السبعين ، ص ١٠٩.

مسالكها ، وما أرى قصيدة حسانة التميمية ابنة الشاعر المذكور إلا مثلًا حيًا لتلك المكابدة ، عندما جاءت شاكية ظلامتها من والي إلبيرة جابر بن لبيد للأمير عبد الرحمن الأوسط ، حيث تقول(١):

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي　　على شحط، تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعي إنه خير جابر　　ويمنعني من ذي الظلامة جابر

فهي تبث شكواها النابعة من حرقة وكمد ، فلابد أن يحس السامع بعظم هذه النكبة التي حلت بها ، وأن يدخل في روعه مناصرتها من والٍ مستبد لم يعبأ بهبات والده الحكم ، ومعاناة هذه الشاعرة لا تقل أسى في قولها :

فإني وأيتامي بقبضة كفه　　كذي ريش أضحى في مخالب كاسر

عن نبرة والدها الحزينة الآسية ، وهو يبث شكواه من محنة العمى حاملًا هموم زوجته التي اصطلت بنار هذه المصيبة ، وتقبلت شماتة الأعداء .. وأما ابنته حسانة فقد ورثت تلك المعاناة ، وحملت هموم من تركه من بعده من الأيتام، واستخدمت في مخاطبتها أرق الأدوات العاطفية في شكوى سابقة إثر موت أبيها تبثها للحكم ابن هشام بقولها(٢):

آتي إليك أبا العاصي موجعة　　أبا الحسن سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع في نعماه عاكف　　فاليوم أرتع في نعماك ياحكم

والمتأمل لشعر والدها وشعرها يظفر بمدرسة فنية تمتح من فن أصيل لا

(١) النفح ، ٢/ ٤٣٨.
(٢) نفسه ، ٤٢٨ _ ٤٢٩ .

يستبد به مؤثر خارجي غير فنه الأول ، وما تميزت به هذه المدرسة من استغلال للعاطفة الموحية وبثها في المتلقي عبر نبرات حزينة وذبذبات صوتية يقرع جرسها أذن السامع ؛ فلا يملك إلا التعاطف معها ، والإحسان لصاحبها .

ويُعَدُّ أبو المخشي رائدًا في طريقته الشعرية ، وقد يكون مجددًا في الحدود التي يتيحها له الفن، فما حمله شعره من سمات شعر القدماء ، إنما هو جوهر الشعر العربي وروحه التي لا تنفك عن الشعر ، بيد أن الطريف لدى هذا الشاعر أنه استطاع الوثوب بشعره إلى عالم أرحب فقد ظهرت على فنه سمات الأرض الجديدة ، والمجتمع الجديد ، هي بحسب أحمد هيكل(١)سمات أندلسية خاصة تتمثل في تجديده لبعض الموضوعات ، وتغليبه لعناصر العاطفة، وتجويده لطريقة الأداء ، ويعالج الموضوعات التقليدية ، وخاصة المدح والهجاء ، وفي الوقت ذاته يعالج تجربة جديدة ، وهي تجربة فقدان البصر ؛ لكنه لا يرتبط في ذلك بمؤثرات خارجة عن الفن؛ وما ذهب إليه الدكتور أحمد هيكل من أن أبا المخشي يلتمس صوره ومعانيه ولغته غالبًا من عالم البادية ؛ لا يمكن التسليم به ؛ لأن الشعر رؤيا خاصة تفرض على الشاعر لغة تنسجم معها ، وحياة أبي المخشي لا مجال فيها لتلمس صور البادية ؛ لكون ذاته مسيطرة على شعره لا تغيب عن خياله ولربما ضيقت الخناق عليه ، ولم تتح له الانطلاق إلى العوالم من حوله ، يتجلى ذلك في تصويره للهم الذي جثم عليه في بيتيه اللذين سبق الإشارة إليهما، وقد ربط أحمد هيكل بينهما وبين بيتي امرئ القيس في وصف الليل(٢).بقوله :" فهو قد ينظر إلى صورة ليل امرئ

(١) الأدب الأندلسي ، ١٠٠ ـ ١٠٢.

(٢) نفسه ، ص ١٠١.

القيس من بعيد ؛ لكنه يؤلف صورة أكثر حياة وتآزر عناصر من صورة ليل امرئ القيس ، وذلك أن الليل عند امرئ القيس موج بحر يرخي سدوله بأنواع الهموم، وفي الوقت نفسه جمل يتمطى بصلبه ، ويردف إعجازًا وينوء بكلل، وليس هناك ترابط بين البحر والجمل ، أما الليل عند أبي المخشى ، فهو بحر ذو موج عظيم يحوي همًا في جوفه ، هو بدوره بحرٌ ذو موج عظيم ، وبين هذين الموجين تظل القلوب معلقة من الفزع، وكأن الرياح تطير بالهموم "[1].

وعلى أية حال فإن هذا الشعر وأمثاله يأبى إلا أن يكون رمزًا لأصالة الشعر العربي في الأندلس لقوة اتصاله بالمنبع الثر في المشرق ، وفي الوقت ذاته نشتم منه عبق البيئة الأندلسية؛ لكونها تجربة ذاتية غلبت عليها شفافية الشاعر ؛ وهذا لابد أن يكون في حالة مثل حالة هذا الشاعر الذي تقمصه اليأس وضاقت به السبل إثر هذه الحادثة المؤسفة التي صبغت شعره بنبرة يائسة منكسرة رددها مرارًا كما في قوله[2]:

خضعت أم بناتي للعدا   إذ قضى الله قضاء فمضى
ورأت أعمى ضريرًا إنما   مشيه في الأرض لمس بالعصى

فهي رؤيا لا ينفك عنها الشاعر ، ذات بعد إنساني ... والرؤيا بطبيعتها قفزة خارج المفاهيم القائمة ، حتى وإن ارتبط الشاعر بعصر وتراث لهما سيطرة وقوة محركة ، إلا أنه في النهاية هو قطب رحى الحركة الفاعلة المؤثرة في المتلقي الذي يحاول بدوره قراءة هذه الرؤيا في نص شعري قد ارتبط ببنى

(١) السابق ، الصفحة نفسها.
(٢) تاريخ ابن القوطية ، ص ٥٧.

شعرية أخرى سبقته أو عاصرته ؛ فيفجؤه في هذه القراءة أنه بصدد نص تداخله نصوص أخرى أحاطت به وتسلل بعضها إلى روحه(١)؛ ولذلك فإن القضية تتعلق بالقراءة والقدرة على استنطاق هذا النص من الداخل ، يقول ناقد معاصر : " أن تقرأ اليوم مثلًا، نصًا شعريًا جاهليًا هو أن تقرأ سؤاله ، هو أن نكتشف الأسئلة فيه. هذا الأفق بما يختزنه من اللقاء الممكن معه ، يشكل لنا نحن قراءه نصًا ثانيًا داخل النص الأصلي ، وهو بقدر ما يوفر لنا تجاوبًا بين أسئلتنا وأسئلته يكون حيًا " حديثًا " أي غير مستنفد على الرغم من كونه "قديمًا " هكذا يندمج في أفق أسئلتنا القائمة ، وهكذا تتمازج أو تتداخل الآفاق . وهنا يكمن كما أحسب المعنى الأعمق للتراث ، ومعنى الاستمرارية "(٢).

وكأني بهذا الكلام من ناقد وشاعر في ذات الوقت قد اتسع أفقه النقدي للتجربة الشعرية هو ما ينبغي أن نتعامل به مع الشعر العربي في الأندلس دون التسطيح الممقوت في دراسة تلك النصوص ، التي تزدحم فيها عدة عناصر عبر سنيِّ الشعر العربي بعامة .

الإبداع والأصالة :

ويمكن للبحث أن ينطلق متجاوزًا المراحل الأولى للشعر العربي في الأندلس فلا مراء في أنها لن تخرج عن الشعر القديم إلا بالقدر الذي يسمح

(١) محاولة في تعريف الشعر الحديث ، أدونيس ، مجلة شعر ع ١١ / ١٩٥٩ ، ص ٧٩ ، نقلا عن : محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث ، ص ٣٧.

(٢) من أدب الكاتب إلى أدب القارئ ، أدونيس ، مجلة الكرمل ، بيروت ع ٥ ، ١٩٨٢ ، ص ١٦٠، نقلا عن المرجع السابق ص ٥٠.

به الجو المحيط بالشاعر من بيئة اجتماعية وزمانية ومكانية. نقول يمكن أن ننطلق في قراءتنا لنماذج متعددة من عصور هذا الشعر لنرى مدى هيمنة التيار القديم عليه مهما بعدت به الشقة وتأخر به الزمان ... وقبل أن نتأمل النماذج الشعرية المتاحة لهذا البحث خلال العصور التالية لا يجب أن نغفل تأثير الظروف الأخرى في الشعر ، فالشعر في نظر النقاد المعاصرين خطاب ، وآمنت طائفة منهم بتأثير الواقع في الخطاب الفني بعامة والشعري بصفة خاصة .. فقد جعل جمال الدين بن الشيخ التعامل مع الواقع وسيلة من وسائل الخلق الشعري ، أطلق عليه اسم " صياغة الواقع شعرًا "[١]وقد استمد هذا كما يؤكد محمد عبد العظيم من الأسلوب الخلدوني[٢]... يقول ابن الشيخ : " إنه علينا أن نعترف أن المحيط الاجتماعي الثقافي يوجه الخلق . وما نسميه المؤثرات الموضوعية على الخلق تضغط على توجهه العام وعلى اختياره ووسائله واستعمال أدواته.. وعلاقة الأثر بالمجتمع لا تبدو فقط في ظروف الشاعر وفي إكراهه على العمل حسب رغبتها وطرق الموضوعات المتعارف عليها ؛ ولكنها تبدو أيضًا في مستوى أدوات عمله وتتجلى في شكل الفكرة ولغتها "[٣] .

وكلام ابن الشيخ هنا يصطدم مع ما يذهب إليه البحث فإن استكناه النصوص لبيان مدى ارتباط الفن بقديمه الناضج لا يغفل أن الفن دائما حلقاته متصلة ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الشاعر كثير التلمس والتحسس لما حوله وهو ما يسميه النقاد ارتباط الشعر

(١) الشعرية العربية ، جمال الدين بن الشيخ ، ص ٥٣ ، نقلا عن : في ماهية النص الشعري ، ص ٣٦.

(٢) في ماهية النص الشعري ، الصفحة نفسها.

(٣) نفسه ، الصفحة نفسها.

بالواقع الذي يعيشه المبدع أو المحيط الذي نشأ فيه ، واضحًا في اعتباره كما يقول ابن رشيق : "اختلاف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في زمن ما لا يحسن في آخر ويحسن عند أهل بلد ما لا يحسن عند أهل غيره ، ونجد الشعراء والحذاق تقابل كل زمان فيما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله بعد ألا تخرج عن حسن الاستواء ، وحدِّ الاعتدال وجودة الصنعة "[(١)].

وعندما نتأمل أمثال هذه الآراء ونقرأ الشعر العربي في الأندلس قراءة متأنية ونتأمل كلام ابن بسام عن أهل عصره بأن طريقتهم في الشعر " الطريقة المثلى التي هي طريقة البحتري في السلاسة والمتانة والعذوبة والرصانة "[(٢)] ، وطريقة البحتري هذه هي لب التيار القديم ، وهو الطبع الذي درج عليه الشعراء الجاهليون ، حيث كانوا " يجرون مع طبائعهم فيسجلون كل ما تمليه عليهم شياطينهم أو تجود به قرائحهم دون مراجعة طويلة ، يجعلون الفكرة رائدهم وإصابتها هدفهم صارفين النظر عن الزخارف اللفظية والمعاني الغريبة ، وما سوى ذلك من أمور شغف بها طائفة من شعراء العصر العباسي فأفسدت الطبع عندهم وأشاعت التكلف في أشعارهم "[(٣)].

وطريقة البحتري التي أشاد بها ابن بسام قد اعترف بها ابن شهيد صراحة عندما التقى بشيطانه في وادي عبقر، وقد كان شغوفًا به، نفهم ذلك من هذا الحوار الذي دار بينه وبين صاحبه الذي رمز له بـ"زهير بن نمير"[(٤)] وهما في طريقهما للقاء

(١) العمدة ١/ ١٤٣.

(٢) الذخيرة ، ٢ / ١٢.

(٣) الشعر العربي بين الجمود والتطور ، عبد العزيز الكفراوي ، ص ٤.

(٤) التوابع والزوابع ، ص ٨٧.

شيطان أبي نواس فيصادفهم قصر عظيم، فيقول ابن شهيد : لمن هذا القصر يا زهير، قال : لطوق بن مالك وأبو الطبع صاحب البحتري في ذلك الناورد ، فهل لك في أن تراه ؟ قلت : ألف أجل ، وإنه لمن أساتيذي وقد كنت أنسيته"[١].

فقول ابن شهيد إنه لمن أساتيذي هذه لها دلالة قوية بأنه بدأ مشواره الشعري بطريقة العرب التي سار عليها البحتري ، حتى لو قال إنه أنسيه فإن تعاطيه للتيار القديم ينقض كلامه هذا، فقد استمرت طريقة البحتري التي هي طريقة العرب مع ابن شهيد إلى آخر لحظة من حياته فتأمل معارضته لأبي عبادة نفسه في بائيته المشهورة، وكان ذلك في قمة نضجه الشعري في الفترة التي بلغ فيها الشعر العربي في المشرق والأندلس كليهما أوج تطوره في القرن الرابع الهجري – التي يقول فيها–[٢]

ما على الركب من وقوف الركاب   في مغاني الصبا ورسم التصابي

فيقول ابن شهيد :[٣]

هذه دار زينب والرباب   ....[٤]

إلى أن قال :

وارتكضنا حتى مضى الليل يسعى   وأتى الصبح قاطع الأسباب

وقبل ذلك وقف أمام شياطين الشعراء الجاهليين بإكبار وإعزاز اعترافًا بالفضل

---

(١) نفسه ، ص١٠٢.

(٢) نفسه ، ص ١٠٣.

(٣) نفسه ، الصفحة نفسها.

(٤) البيت في الديوان غير مكتمل .

والسبق فيلتقي بصاحب امرئ القيس " عتيبة بن نوفل"[١] ويدور بينهما حوار لطيف يوحي بتجلّة وهيبة في نفسه للشعر القديم فعندما قال له : أنشد ! رد عليه قائلًا : السيد أولى بالإنشاد قال : فتطامح طرفه واهتز عطفه وقبض عنان الشقراء وضربها بالسوط ، فسمت تحضر طولًا عنا ، وكرَّ فاستقبلنا بالصعدة هازًا لها ثم ركزها وجعل ينشد :[٢]

* سما بك شوق بعدما كان أقصرا *

حتى أكملها ثم قال لي : أنشد ، فهممت بالحيصة ، ثم اشتدت قوى نفسي وأنشدت :

* شجته مغانٍ من سليمى وأدؤر *

حتى انتهيت فيها إلى قولي :[٣]

ومن قبة لا يدرك الطرف رأسها ... تزل بها ريح الصبا فتحدر
تكلفتها والليل قد جاش بحره ... وقد جعلت أمواجه تتكسر

ولست هنا بصدد سرد معارضات ابن شهيد للمشارقة ، وإنما أردت أن أؤكد سريان الاتجاه القديم في الشعر العربي في الأندلس ، والنظر إلى هذا الاتجاه من قبل شعراء الأندلس بعين الإعزاز والإجلال ، فكما وقف أمام

(١) نفسه ، ص ٩١ .

(٢) نفسه ، الصفحة نفسها.

(٣) نفسه ، ص ٩٥ .

شيطان امرئ القيس موقفًا متهيبًا ، كذلك كان مع شيطان طرفة وشيطان قيس ابن الخطيم ، ينصت إليهما ثم ينشدهما شعره ليظفر بإجازتهما له ... وهذا الكلام من ابن شهيد حتى وإن لعب الخيال دوره في رحلته إلى وادي عبقر فإنه يبين شدة هيمنة التيار القديم على حياة الشعر بالأندلس ، ولنتأمل معارضته لطرفة وقيس بن الخطيم ...

عارض قول طرفة : " لسُعدى بحزان الشريف طلول ... "

بقوله : " أم رسم دار بالعقيق محيل"

فيقول له :" لله أنت اذهب فإنك مجاز " .... [١]

ويعارض قيس بن الخطيم في هائيته : [٢]

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر   لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

بقوله :[٣]   منازلهم تبكي إليك عفاءها

ومنها:[٤]

خليلي عوجا بارك الله فيكما   بدارتها الأولى نحيي فناءها

ويأخذ منه إجازة بالبراعة وحسن التخلص .

ومن العجب أن ابن شهيد حتى في مجاراته شعراء المعاني من المحدثين

(١) نفسه ، ص٩٦.
(٢) نفسه ، ص٩٧.
(٣) نفسه ، ص ٩٧.
(٤) نفسه ، ص ٩٨.

كأبي تمام فإنه يعمد إلى إنشاده أشعاره المتصلة بالتيار القديم كما في قوله :[١]

" أبكيت إذ ظعن الفريق فراقها "

وذلك لأن أبا تمام ليس مجرد شاعر محدث فحسب ، فهو إلى القديم أقرب بمختاراته الشعرية ومحفوظه الجم من ذلك الشعر وسعة علمه ، فسوف يأخذ بعين الاعتبار تجويد ابن شهيد للقديم مقياسًا لحذقه طريقة المحدثين، ولذلك انتهى اللقاء بنصيحة من الطائي شبيهة بنصيحته لتلميذه البحتري ، حيث يقول له : "إن كنت ولابد قائلًا فإذا دعتك نفسك إلى القول فلاَ تَكُدَّ قريحتك، فإذا أكملت فجمام ثلاثة لا أقل ، وَنَقِّحْ بعد ذلك ، وتذكَّرْ قوله " أي قول سويد بن كراع العكلي " :[٢]

وجشّمني خوف ابن عفان ردها   فثقفتها حولًا كريتًا ومربعًا
وقد كان في نفسي عليها زيادة   فلم أر إلا أن أطيع وأسمعا

وما أنت إلا محسن على إساءة زمانك ... وابن شهيد نفسه كان من أقدر أهل زمانه على تصنيف الشعر ، والقول في الأخذ واعتماد المعاني السابقة وله نظرية يجريها على لسان شيخ مر به وهو يعلم بنيّا له صناعة الشعر يقول فيها : " إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك فأحسن تركيبه ، وأرق حاشيته فاضرب عنه جملة ، وإن لم يكن بد ففي غير العروض التي تقدم إليها ذلك المحسن ؛

(١) نفسه ، ص ١٠١.
(٢) نفسه ، ص ١٣٥ .

لتنشط طبيعتك وتقوى منتك "[١].

توظيف التيار القديم في المعارضات الشعرية :

وقد أولع الشعراء في الأندلس كثيرًا بالاتجاه القديم حتى في بعض معارضاتهم لشعر المحدثين العباسيين ، فكان يعمد الواحد منهم إلى معارضة تلك القصائد التي تنسجم مع ذائقة النقد القديم، ويختار منهج شاعر كالمتنبي في إحياء حركة القديم المحدث التي سادت في المشرق بعد أبي تمام ؛ ومن هؤلاء الشعراء أحمد بن دراج القسطلي ، الذي كان يلقب بمتنبي الأندلس؛ لكونه اهتم بالمزاوجة بين طريقة القدماء والمحدثين ؛ ولذلك عارض رائية أبي نواس في مدح الخصيب البغدادي؛ لأنها توافق التيار القديم من حيث الأسلوب والغرض ، فأبو نواس كان مستهترًا بنمط القصيدة التقليدية ؛ لكن هذا الاستهتار يزول ويصبح تقديسًا إذا كان ممدوحه لا يشنف آذانه إلا ذلك النمط .. فعندما طلب منه الخصيب الإنشاد أحجم ساخرًا من شعراء مصر، ومن ثم تقدم وقال : بأنها ستكون بمثابة عصى موسى ، وهي بلا شك قد أخذت حظًا وافرًا من الشهرة وطار بها الركبان .. ؛ ولذلك فإن ابن دراج الذي يعشق طريقة المتنبي الشعرية وجد رائية أبي نواس هذه تمثل حركة إحياء القديم المحدث. وهي وثيقة الصلة بتيار الشعر القديم صدرت عن شاعر عرف بالتمرد على القديم .. ولعلنا نقف مع الشاعرين وقفة سريعة ؛ فأبو نواس يقول[٢]:

أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور ما يلقى لديك عسير

(١) نفسه ، الصفحة نفسها.

(٢) ديوان أبي نواس ، ص ٤٨٠.

ذريني أكثّر حاسديك برحلة إلى بلد فيها الخصيب أمير

وابن درّاج يبتدئ قصيدته بقوله[1]:

دعي عزمات المستضام تسير فتنجد في عُرْض الفلا وتغور
لعل بما أشجاك من لوعة النوى يعزُّ ذليلٌ أو يفك أسير

إلى أن قال[2]:

ذريني أرد ماء المفاوز آجنًا إلى حيث ماء المكرمات نمير

وهذه المعارضة تقفنا على مدى استيعاب شعراء الأندلس لمذاهب الشعر والقدرة على التلاعب بها وإخضاعها للمناسبات التي يبرز الإبداع فيها؛ فالشاعر الأندلسي حتى وإن عارض شاعرًا محدثًا ، فإنه يلوي عنق المعارضة إلى فكرة قائمة في ذهنه ، وهي اللجوء إلى ما يمت للتيار القديم بأية صلة ... والحقيقة أن قصيدة ابن دارج هذه من أولها إلى آخرها قد مثلت مذهب القدماء خير تمثيل ، من حيث بنية القصيدة ، فالمقدمة جاءت موافقة لطريقة العرب المعهودة في شعر أولئك الشعراء الجاهليين ، فأبيات الغزل والنسيب قد جاءت في ما يقارب عشرة أبيات أطرف ما فيها ذلك الحوار الذي دار بينه وبين زوجته يذكرنا بحوار عروة بن الورد مع ابنة منذر بجامع الرحيل بينهما إذ

(١) ديوان ابن دراج ، تحقيق محمود علي مكي ، ص٢٩٧.
(٢) نفسه ، ص ٢٩٨.

يقول لها[1]:

أقلي عليَّ اللوم يا ابنة منذر   ونامي وإن لم تشته النوم فاسهري

ومن ثم استمر ابن درّاج يذكر الرحلة والهجير واعتساف الموماة في غسق الدجى ، وبعد ذلك تخلص إلى المديح واصفًا حال الممدوح وهيبته العظيمة التي أخرست الألسن وحيرت الأعين ، وختم القصيدة بما هو أبقى في السمع والذهن مما يدل على كرم الممدوح وسخاء ذات يده[2]:

لقد حاط أعلام الهدى بك حائط   وقدَّر فيك المكرمات قدير

إلى أن قال[3] :

حنانيك في غفران زلة تائب   وإن الذي يجري به لغفور

وغير خافٍ أن هذا الشاعر كان يحظى حتى في المشرق بمكانة مرموقة ، قال عنه ابن خلكان " وهو معدود من جملة الشعراء المجيدين والعلماء المتقدمين "[4].

وذكره أبو منصور الثعالبي في اليتيمة ، ووصفه بأنه كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام ، وفاخر به ابن حزم قائلًا : " لو لم يكن لنا من الشعراء إلا

(١) الموسوعة العالمية للشعر العربي ، شعر عروة بن الورد ، قصيدة رقم ٦٦٠٤.
(٢) ديوان ابن دراج ، ص ٣٠٢ ..
(٣) نفسه ، ص ٣٠٤.
(٤) وفيات الأعيان ، ١ / ١١٦.

أحمد بن دراج لما تأخر عن شأو حبيب والمتنبي "[١].

واستغلال شعراء الأندلس لفن المعارضة وربطه بشعر القدماء أو طريقة القدماء كان شائعًا مستساغًا لدى الأندلسيين ، وقد ابتدأت هذه المعارضات بشعر الأوائل وانتهت بشعر المحدثين ، ولو أردنا استقصاء تلك المعارضات لطال بنا البحث وليس من هدفنا الاستقصاء .. ولا بأس من ذكر بعض المعارضات لنقف القارئ على مدى تعلق أهل الأندلس بالقديم؛ فلنتأمل: ابن لبون وزير المأمون بن ذي النون يعارض امرأ القيس في قصيدته التي عارضها ابن شهيد سابقًا وهي قوله[٢]:

سما بك شوق بعدما كان أقصرا .... البيت

فيقول ابن لبون[٣]:

خليلي عوجا على مسقط الحمى لعل رسوم الدار لم تتغيرا

والأعمى التطيلي يعارض عنترة في معلقته المشهورة ، فيقول[٤]:

أنا كنت أوضح حجة من لُوَّمي إذ عجت في أطلال دارك فاعلم
جاءوا بلومهم وجئت بأدمعي تنهل بين معصفـــــر ومعنــدم

(١) اليتيمة ١/ ٤٣٨ ، والنفح ، ١٧٧/٣.
(٢) ديوان امرؤ القيس ، ص ١٨٣.
(٣) الذخيرة ، ق٣ ، م ١ ، ص ١٠٧.
(٤) ديوان الأعمى التطيلي ، ص ١٦٨.

وحازم القرطاجي عارض عنترة ، وأبو بكر بن جزي يعارض امرأ القيس ، وكذلك ابن زمرك الغرناطي تَقَيَّلَ نهجهم وأولع بهذه القصيدة حبًا في القديم(١)، وهناك معارضات لهؤلاء القدماء حتى عند المتأخرين ، كابن خفاجة الذي صرح في مقدمة ديوانه بإعجابه بالمحدثين العباسيين ، فقد عارض النابغة الذبياني في بائيته المشهورة : " كليني لهم يا أميمة ناصب " فيقول من قصيدة ذائعة مشهورة قد اشتغل بها النقاد كثيرًا وخطب ودها لفيف من الكتَّاب والدارسين المعاصرين من مستشرقين وعرب(٢):

بعيشك هل تدري أهوج الجنائب ... تخب برحلي ، أم ظهور النجائب
فما لحت في أولى المشارق كوكبًا ... فأشرقت حتى جئت أخرى المغارب
وحيدًا تهاداني الفيافي فاجتلي ... وجوه المنايا في قناع الغياهب

والقصيدة رائعة جدًا ، ولولا أن يطول المقام بذكرها لأوردناها وأمعنا النظر فيها ، ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق .

وهذه المعارضات أنا لا أعدها من قبيل المؤثرات المشرقية كما يذهب بعض الدارسين ، بل دلالة على توغل التيار القديم في الشعر العربي بالأندلس ، كما كان كذلك في المشرق ، وأن الشعراء هنالك قد شغفوا به أيما شغف .

التعلق بالقديم وطريقة المُحْدَثين :

وقد يتساءل باحث ما عن سر عودة الأندلسيين إلى القديم بعد أن انتشرت

---

(١) انظر: المعارضات في الشعر الأندلسي ، ايمان السيد أحمد الجمل ، ص ١٩١ ، ٢١٥ ، ٢٩٧.

(٢) ديوان ابن خفاجة ، ص ٤٢.

بينهم طريقة المحدثين وعنوا بها لدرجة أنهم كانوا لا يقبلون قصيدة تبنى على طريقة الأوائل كما حصل مع الشاعر الرباحي عندما رثى أحمد بن موسى بن حدير بقصيدة بناها على " مذاهب العرب" ، وخرج فيها عن " مذاهب المحدثين " ، فلم يرضها العامة[١].. وهذا يعود إلى أن ذائقة العامة بالأندلس تختلف عن أولئك الذين لهم علم بالشعر وبصر بطرائقه من أمثال ابن حزم وأبي حفص: عمر بن يوسف الخيطي من نقاد القرن الرابع ، ولكن شغف العامة بمذاهب المحدثين لم يدم طويلًا ، فقد كان لرحيل أبي علي القالي ودخوله الأندلس –كما أشرنا إلى ذلك سابقًا – أثر كبير في العودة إلى الشعر القديم ، فقد دخل القالي سنة ٣٣٠هـ جالبًا معه دواوين الجاهليين والإسلاميين مقروءة مصححة على الأئمة ، وأخذ الطلاب يتتلمذون عليه في دراستها ، فوجد نهج القدماء ونهج المحدثين وعاشا معًا جنبًا إلى جنب.. "[٢].

وبقدر وضوح أثر القالي في تثبيت عرى التيار القديم في الأندلس، فإننا لا نسلم لإحسان عباس بأن الشعر الأندلسي تربى أول الأمر على الذوق المحدث ؛ لأن الاتجاه القديم قد تغلغل منذ فجر تاريخ الأندلس وتربى عليه شعراء وضعوا أسس الموروث الشعري هنالك، وكانوا يدركون قوة هذا التجددفي المشرق بعد إبراهيم بن هرمة الذي عد آخر الشعراء الذين مثَّلوا التيار القديم وآخر من يُحتج بأشعارهم يدل على ذلك قصة رحيل الشاعر القديم عباس بن ناصح إلى المشرق ومتابعته لما استجد في الشعر، فكان يسأل العائدين من الحج عمن نجم في الشعر بعد ابن هرمة[٣]... وهذا يؤكد أن الأندلسيين كانوا متابعين للحركة النقدية ،

(١) طبقات الزبيدي ، ص ٣١٣ .

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، احسان عباس ، ص ٤٧٠.

(٣) طبقات الزبيدي ، ص ٢٦٢ ..

وليسوا سذجًا كما يتوهم بعض المعاصرين ، والمهم من ذلك أن كلا التيارين القديم والمحدث قد وجدا طريقهما في الأندلس وتعايشا في هدوء كما يقول إحسان عباس(١).. حتى لنراهما في شعر الشاعر الواحد، وقد عرضنا لنماذج من ذلك لدى ابن شهيد وابن دراج وغيرهما .. وهنا يجب أن نؤكد أن المسألة بالنسبة للأندلسيين انتقائية وليست عشوائية – أعني ترددهم بين القديم والمحدث – ؛ لأن الشعراء الذين نعدهم محدثين ؛ لكونهم عاصروا المحدثين العباسين كانوا يتمثلون التيار القديم ولا يغفلون روح العصر الذي نشأوا فيه ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر كان بعضهم عالمًا وناقدًا في الوقت ذاته ، يقول ابن شهيد فيما نقله عنه الحميدي في الجذوة في كتابه المفقود ، " حانوت عطار" عن ابن دراج القسطلي : " والفرق بين أبي عمر وغيره أن أبا عمر مطبوع النظام، شديد أسر الكلام ، ثم زاد بما في أشعاره من الدليل على العلم بالخبر واللغة والنسب وما تراه من حوكه للكلام وملكه لأحرار الألفاظ ، وسعة صدره وجيشة بحره ، وصحة مقدرته على البديع ، وطول طلقه في الوصف ، وبغيته للمعنى وترديده ، وتلاعبه به وتكريره وراحته بما يتعب الناس ، وسعة نفسه فيما يضيق الأنفاس "(٢).

ونعود مرة أخرى لمناقشة آراء إحسان عباس الذي يرى أن هناك عوامل أسعفت في تكون الشعر العربي في الأندلس على طريقة المحدثين ، وذكر منها: جهود طبقة المؤدبين وأثرها في نشأة الشعر والمقاييس النقدية ، وحركة الغناء وتطوره ، والنهضة الثقافية في الأندلس .... وقد عد هذا الناقد طبقة المؤدبين هم القائمين بأمر الشعر وتوجيهه بالأندلس صوب تيار المحدثين ، وركز على الراحلين من الأندلس الذين وفدوا على المشرق حين كان الشعر

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٤٧٤.

(٢) الذخيرة ١ / ١ : ٤٥.

يشهد حركة التجديد على أيدي الشعراء المحدثين من أمثال بشار وأبي نواس ، وأبي تمام، وغيرهم ، وذهب إلى أن أولئك الراحلين قد عادوا إلى الأندلس وأخذوا يعلمون طلاب العلم والأدب شعر المحدثين[(١)].. ولكن حقيقة الأمر غير ذلك ، فالذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق ليسوا على رأي واحد في النظر إلى الشعر العربي من حيث قبول ما فيه من تجديد ، فإذا كان عباس بن ناصح وهو الشاعر المعروف بفصاحة لسانه وأن مذهبه في شعره مذهب العرب الأوائل في أشعارهم – كما يقول الزبيدي[(٢)]– قد هزه الشوق إلى المشرق بعد سماعه شعرًا لأبي نواس، عندما عاد انصرف عن الأدب والشعر واشتغل بالقضاء في عهد الحكم بن هشام ..ولم يتفرغ للتدريس ؛ وكذلك العالم عثمان بن المثنى النحوي فقد مر بنا في موضع سابق من هذا البحث أنه هاجر إلى المشرق والتقى بأبي تمام ولم يقبل سمعه روح التجديد في قصيدته الميمية ؛ لأنه خرج فيها عن مذاهب العرب ، مما اضطره لأن يصنع لها مقدمة تقليدية ابتدأها بقوله: (دِمَنٌ ألمَّ بها فقال سلام)[(٣)]. فطرب لها وأثنى على أبي تمام ومن ثم تولدت بينهما صداقة جعلته يروي شعره بالأندلس كما تشير المصادر، وأزعم أن عثمان بن المثنى لن يكون سببًا في تهيئة الأندلس للتيار المحدث ، بل إنه سوف يُعنى كثيرًا بكل ما له صلة بالقديم من شعر الطائي ، وقد يغلب على اللقاء شيء من المصانعة لمكانة أبي تمام وللمودة التي نشأت بينهما ، أضف إلى ذلك أن أبا عبد الملك كان مشغولًا بما هو أهم ، فهو ذو فضل وشجاعة تامة ، وتكرر بالغزو في الثغور ، ولم يتفرغ تفرغًا تامًا للتأديب عدا تأديبه لأبناء عبد الرحمن بن الحكم وأبناء محمد[(٤)].. ولو سلمنا جدلًا بأنه تفرغ للتأديب بقرطبة "دار القوم "(٥)فإنه لن يميل إلا لما يمليه عليه توجهه ومذهبه النحوي ، ذلك المذهب الذي رفض الاستشهاد بشعر المحدثين في المشرق فما بالك بأهل الأندلس وهم من أشد الأمم حفاظًا على نقاء العربية واهتمامهم

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – احسان عباس ، ص ٤٨.

(٢) طبقات الزبيدي ، ص ٢٦٢.

(٣) نفسه ، ص ٢٦٦ ، وابن الفرضي ١/ ٢٤٦.

(٤) طبقات الزبيدي ، ص ٢٦٦.

(٥) دار القوم : صفة لقرطبة وردت على لسان أبي نواس عندما التقى بعباس بن ناصح وعرفه بنفسه وانتمائه لها ، فقال : " دار القوم " ولعله مصطلح شائع بين المشارقة يوحي بمكانة أدباء الأندلس.

بعلومها وفي مقدمتها علم النحو الذي برعوا فيه ... وإذن فطبقة المؤدبين ليسوا دليلًا مقنعًا في تكوين الشعر العربي بالأندلس على طريقة المحدثين ، وهل يمكن قبول ذلك والكتب التي هاجرت بصحبتهم هي أمهات كتب اللغة والنحو؟ ذكر ذلك الزبيدي في طبقاته ، ونقله عنه إحسان عباس نفسه ، بأن أوائل الكتب اللغوية التي أدخلها هؤلاء إلى الأندلس هي : كتب الأصمعي والكسائي والفراء والرياشي وأبي حاتم السجستاني وابن الأعرابي ، وكتابا الفرش والمثال في العروض للخليل بن أحمد وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت ، ومؤلفات ابن قتيبة ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ... وكذلك في الشعر فإن محمد بن عبد الله الغازي قد جلب إلى الأندلس علمًا كثيرًا من الشعر والعربية والأخبار ، وعنه روى المشايخ الأشعار المشروحات كلها[١].

ومعلوم أن تلك الأشعار المشروحة هي أشعار القدماء والذين تولوا شرحها هم أرباب اللغة والنحو . فهل بعد هذا يمكن أن نقول إن هؤلاء العلماء والمؤدبين تبنوا تكوين الشعر بالأندلس على مذهب المحدثين ؟ المسألة في تقديري هي أن علماء الأندلس وأدباءهم لم ينظروا للشعر العربي المروي عندهم وفق مذاهبه ، ولم يتخذوا منه موقفًا رافضًا كما فعل علماء اللغة والنحو في المشرق، فعثمان النحوي نفسه تقبل في نهاية الأمر شعر الطائي وأدخله إلى الأندلس كما تشير رواية الزبيدي[٢]وإنما نظروا إليه نظرة فنية ليس فيها مبالغة أو تقليل من شأن هذا أو ذاك ؛ لأننا نجد في ديوان الواحد منهم قصيدة تأخذ بالقديم ، وأخرى تنزع إلى التجديد على سبيل المنافسة والتفوق، بيد أن القديم يلاحق فنونهم كما لاحق فنون الشعر في المشرق .

ولا ينفي البحث أن الشعر المحدث كان له أثر كبير في شعر الأندلس ،

---

(١) نفسه ، ٢٦٧ .

(٢) انظر: المرجع السابق ، ص ٢٦٦.

ولكنهم لم ينصرفوا إليه تاركين القديم وراء ظهورهم ، ولو كان الأمر كذلك لكانت الفترات المعاصرة لشعر المحدثين العباسيين أولى بالبعد عن مذهب الأوائل ؛ فهذه قصة طريفة يسوقها الزبيدي في ترجمة عباس بن فرناس أنه جرى في قبة لأحد الظرفاء وأهل الأدب ، وهو محمد بن أبي جميل أحد المقربين من الأمير عبد الرحمن بن الحكم اشتهر بالجود ، جمعت عبد الملك بن جهور وبعض المتأدبين وعندما أخذوا في المؤانسة – وعندهم أحد بني زرياب المغنى – ، فاندفع ابن زرياب يغني(١):

ولو لم يشقني الظاعنون لشاقني حمام تداعت في الديار وقوع
تداعين فاستبقين من كان ذا هوى نوائح ما تجري لهن دموع

فأثرت في نفس عباس وحركت شاعريته فمدَّ يده إلى العود وأخذه وغنى البيتين ووصلهما من عنده بديهة فقال مادحًا صاحب القبة(٢):

شددت بمحمودٍ يدًا حين خانها زمان لأسباب الرخاء قطوع
بنى لمساعي الجود والمجد قبة إليها جميع الأجودين ركوع

فهذه القصة بدأت بأبيات تمت للتيار القديم بصلة قوية ، وانتهت ببيتين لعباس بن فرناس تأخذ بطريقة المحدثين في المبالغة في المديح التي كنا نقرؤها عند أبي نواس والمتنبي وغيرهما .

---

(١) نفسه ، ص ٢٦٩.

(٢) نفسه ، الصفحة نفسها.

أما حركة الغناء فلا شك أنها كانت تمكن لشعر المحدثين في الأندلس ؛ لكون هذا الشعر يغلب على أصحابه اللهو والعبث ، وكان ذلك تمهيدًا لدخول زرياب الأندلس إذ انتشر كثير من شعر المحدثين عبر أغانيه.

وأما النهضة الثقافية في الأندلس فهي مرتبطة بالأمير الحكم بن هشام وابنه محمد ، حيث وفد على أيامهما كبار علماء اللغة والأدب من أمثال القالي وصاعد البغدادي ، وكلاهما قد رسخ جذور التيار القديم بالأندلس ، فالمتأمل للأشعار التي أدخلها أبو علي معه كلها مما يعضِّد مذهب الأوائل ، حيث ذكر ابن خير الله الأشبيلي في فهرسته من ذلك الشعر : المفضليات وشعر الهذليين والنقائض ، وأشعار من لا ينكر سبقهم في الشعر ممن ذاع صيتهم بالمشرق ؛ كذي الرمة وعمرو بن قميئة والحطيئة وجميل وأبي النجم العجلي ، والنابغة الذبياني ، وعلقمة بن عبدة ، والشماخ ، والأعشى ميمون ، وعروة بن الورد ، والنابغة الجعدي ، وأوس بن حجر ، والقطامي ، والأخطل، وغير هؤلاء[١].

وكل ذلك لا يدع مجالًا للشك في أصالة الشعر العربي بالأندلس وقوة صلته بالقديم مهما أُغرُوا بشعر المحدثين .

حضور المطلع القديم لدى المُحْدَثين في الأندلس :

وهناك شعراء نعدُّهم من المحدثين الأندلسيين ، ومع ذلك فإن الاتجاه القديم لا يغيب عن إبداعهم كابن عبدربه ، وابن وهبون ، وابن عبدون ، على

(١) انظر : فهرسة ابن خير الاشبيلي ، ص ٣٩٥ – ٣٩٦ .

الرغم من اختلاف فتراتهم .. فابن عبد ربه يعدُّه الدارسون أحد المروجين لاتجاه المحدثين في الأندلس ، وكان شغوفًا بشعر مسلم وأبي تمام ، فقد عارض كليهما مبديًا براعته وربما كان يتأثر بهما ، وفي الوقت نفسه كان يميل في جانب من شعره إلى التيار القديم كقوله(١):

ديار عفت تبكي السحاب طلولها ... وما طلل تبكي عليه السحائب
وتندبها الأرواح حتى حسبتها ... صدى حفرة قامت عليها النوادب

ونحو قوله(٢):

أما الخليط فشدّ ما ذهبوا ... بانوا ولم يقضوا الذي يجب
فالدار بعدهم كوشم يد ... يا دار فيك وفيهم العجب
أين التي صيغت محاسنها ... من فضة شيبت بها ذهب
ولّى الشباب فقلت : أندبه ... لا مثل ما قالوا ولا ندبوا
دِمَنٌ عفت ومحا معالمها ... هطل أجش وبارح تَرِبُ

أما قصيدته اللامية التي عارض بها لامية صريع الغواني فقد جمعت بين عبق الشعر القديم وروح الشعر الجديد ، وكأنه قرأ مسلمًا قبل أن يعارضه ، فهو الشاعر الذي يعيش القديم في جديده ، وبقي متماسكًا لم يُغْرِبْ ويخرج إلى المحال كما فعل أبو تمام؛ ولهذا فإن ابن عبد ربه يدرك أن شعر مسلم يمتح من الشعر القديم ويتصرف في معانيه ؛ ليخرجها في بزة جديدة تتلاءم مع ذوق العصر الذي نشأ فيه ،

(١) ديوان ابن عبد ربه ، تحقيق : محمد التونجي ، ص ٤٧.

(٢) نفسه ، الصفحة نفسها.

وابن عبدربه لا يستنكف من التصريح والفخر بكونه يعارض مسلمًا فهو يقول[١] :
"ومما عارضت به صريع الغواني في قوله[٢]:

أديرا عليَّ الراح لا تشربا قبلي ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي

فقلت على رويه :

أتقتلني ظلمًا وتجحدني قتلي وقد قام من عينيك لي شاهدا عدل "[٣]

واختيار ابن عبد ربه لمسلم في قصيدته هذه ليس من قبيل العُجب بها فحسب ، بل لعلمه أن مسلمًا كان معتدلًا في مذهبه ، لا يُبعد كثيرًا عن مذاهب العرب ، ومطلعه هنا يُوحي بذلك وهو قوله مخاطبًا الاثنين "أديرا" لأن هذا الأسلوب يكثر في مطالع القدماء كقول بعضهم : "خليلي مرا بي " و "قفا نبك" و" بكرا صاحبيا " ونحو ذلك ، مع أن ابن عبد ربه لم يلتزم بالنمط نفسه بل جعل قصيدته تحمل رؤيته الخاصة، وفي الوقت ذاته أخذت طابع الشعر العذري في أسلوب محدث .

وكون الشعراء في المشرق وفي الأندلس يأوون دائمًا إلى القديم وإلى كل ما له صلة بالقديم فإن ذلك لا يعد عيبًا فيهم بل هو كما يقول عبد العزيز الكفراوي " استغلال لإعجاب الناس بروائع الفن القديم ، التي بهرت عقولهم ، ولعبت بمشاعرهم وعواطفهم حينًا من الدهر ، فيجعل في إنتاجه شيئًا من قداسة القديم وروعته "[٤].

ونضيف إلى كلام الكفراوي تأثير الظروف التي أشرنا إليها سابقًا في

---

(١) نفسه ، الصفحة نفسها.

(٢) ديوان صريع الغواني ، ص ٣٣.

(٣) العقد ٥ ، ٣٩٨-٣٩٩ ، والديوان ص١٤٢.

(٤) الشعر العربي بين الجمود والتطور ، ص ٧٢.

الخطاب الشعري ، وأبرزها حرص الشاعر على أن يصنع لنفسه مقومات اجتماعية ونفسية وثقافية تساعده على بلوغ مآربه من قول الشعر .. ولب الأمر وجوهره ثقافة الشاعر، واستيعابه للقديم من جراء تلمذته على أشعار القدماء ومتابعته لأشعار معاصريه ؛ ليجمع بين الأصالة والمعاصرة.يقول ابن رشيق: " لا يستغني المولَّد عن تَصَفّح أشعار المولدين لما فيها من حلاوة اللفظ وقرب المأخذ وإشارات الملح ووجوه البديع الذي مثله في شعر المتقدمين قليل ... وإذا أعانته فصاحة المتقدم وحلاوة المتأخر اشتد ساعده وبعد مرماه فلم يقع دون الغرض"(١)، وقد رأينا كيف تحول أبو نواس عن دعوته للتجديد اضطرارًا ومدح الفضل بن يحيى البرمكي بقوله(٢):

أربع البلى إن الخشوع لباد ... عليك وإني لم أخنك ودادي
فمعذرة مني إليك بأن ترى ... رهينة أرواح وصوب غوادي

فلنتأمل تلك الأبيات ، حيث صدرت من شاعر حاذق بالصنعة ، عالم بطرائق الشعر ؛ لدرجة أن هذه المقدمة قال عنها بعض الدارسين : " إنها من خير ما قيل في الأطلال حتى ذلك العصر، حيث كان القدامى يمرون عليها مرَّ الكرام في بيتين أو ثلاثة ويلتقون بقطرات من الدمع يريقونها على أرضهم الصادية ، أما أبو نواس فيربط بين صنيع الزمان به وبالربع ربطًا عجيبًا وجميلًا، وإنما عجبنا لأنه أول من رفع لواء الثورة على الأطلال ، ويظهر أنه اعتصر ذهنه هنا ليثبت لمنافسيه أنه قادر على وصف الأطلال لو شاء، أو كأنه يقول لهم : إذا شئتم بكاء الأطلال فهكذا وإلا فلا "(٣).

(١) العمدة ١ / ١٩٨.
(٢) ديوان أبي نواس ، ص ٤٧١.
(٣) الشعر العربي بين الجمود والتطور ، ص ٧٩.

وهذا الفعل من النواسي ، يؤكد أن الأطلال لا تعدو أن تكون رمزًا يتخذه الشاعر المادح للتسويق لشعره ، وجعله مظنة القبول ووسيلة لكسب رضا الممدوح، واستدرار عطاياه ، ومثل هذا نجده كثيرًا في شعر شعراء الأندلس المتأخرين من شعراء القرن الخامس الهجري من أمثال ابن خفاجة وكان كثير التصفح لشعر المشارقة ؛ ولذلك " لم يبتعد في أكثر معانيه عمن تقدمه من شعراء العرب بعامة وشعراء بني العباس بخاصة"[١]

وبقليل من التأمل في نماذج من مدائحه نلمس روح الشعر القديم المحدث فاستمع إلى قوله يمدح أبا الحسن ابن الربيع صاحب قرطبة[٢] :

ماذا عليك وقد نأيت ديارا — لو طاف بي ذاك الخيال فزارا
ونظمت من قبل بصفحة جيده — عقدًا وقد لبس العناق شعارا
فيم التعلل في هواك وقد طوى — مني الضنى وبك النوى أسرارا

وقوله[٣]:

أما وخيال قد أطاف وسلما — لقد هاجني وجد أناخ فخيما
وأذكرني عهدًا تقادم باللوى — وعصرًا خلا بين الكثيب إلى الحما

وقد أشرنا إلى معارضته للنابغة الذبياني تبيانًا لحب الأندلسيين للقديم .. على أن التزام التيار القديم لا يعني فقط البدء بوصف الدمن الدوارس والأطلال وإنما يراد به بنية القصيدة وأجزاؤها التي جاءت عليها من مقدمة وعرض وحسن تخلص وخاتمة .. ولاسيما في شعر المديح والفخر .. وهناك أغراض

(١) مقدمة محقق الديوان يوسف شكري فرحات ، ص ١٠.
(٢) ديوان ابن خفاجة ، تحقيق: يوسف شكري فرحات ، ص ٢١٣.
(٣) نفسه ، الصفحة نفسها.

أخرى لا تحتمل البدء بأي مقدمة تخرج عن الموضوع الأساس كعمورية أبي تمام ..ومثلها كثير في الشعر العربي في الأندلس ، فابن عبدربه عندما مدح الأمير عبد الرحمن بن محمد إثر عودته من معركة انتصر فيها كانت مقدمة القصيدة أشبه بمقدمات أبي تمام من حيث الولوج إلى الغرض مباشرة دون اللجوء إلى وصف طلل أو نسيب حيث يقول[١]:

قد أوضح الله للإسلام منهاجًا والناس قد دخلوا في الدين أفواجًا

وكذلك قوله[٢]:

الحق أبلج واضح المنهاج والبدر يشرق في الظلام الداجي

فهذه المطالع تنبئ عن مقتضى الحال الذي أنشئت من أجله القصيدة ، وكونه لم يفتتحها بمقدمة معهودة فإن ذلك لا يعني بعده عن التيار القديم ، بل إن بعض الدارسين يعد هذا المطلع وأمثاله ظاهرة فنية لها ما يبررها في الشعر العربي القديم ، يقول علي لغزيوي : " ومع أن تلك المطالع ظاهرة معروفة عند العرب منذ الجاهلية انطلاقًا من كون القوة سبيلًا إلى البقاء والسيادة ، فإنها كانت تكتسب مقوماتها من طبيعة الظروف التي عرضها الشاعر الأندلسي ، ولاسيما في بيئة عرفت بتعدد واجهات الصراع ، وكانت شخصيات الحكام الذين يقودون الجيوش بأنفسهم في غالب الأحيان مصدرًا يستمد منه الشعراء معانيهم في هذا المجال"[٣].

(١) ديوان ابن عبد ربه ، ص ٥٧.

(٢) نفسه ، ص ٥٩.

(٣) أدب السياسة والحرب في الأندلس ، علي لغزيوي ، ص ٣٦٨.

وتأتي هذه المطالع غالبًا في القصائد الجهادية التي تستدعي الولوج إلى الغرض مباشرةً ؛ لأنها تعبر عن عِظم الخطب وقد رأينا ذلك كثيرًا في شعر أبي تمام والمتنبئ ؛ حيث كانا يعمدان إلى فخامة المطلع لكونه أول ما يقرع سمع الممدوح .. نذكر من ذلك بائية أبي تمام المشهورة التي أشير إليها سابقًا فقد ابتدأها بقوله(١):

السيف أصدق أنباءً من الكتب .... البيت

وكذلك مطلع قصيدته الأخرى التي امتدح بها الخليفة المعتصم ومطلعها(٢):

الحق أبلج والسيوف عوارٍ   فحذار من أسد العرين حذار

وكذلك قول الشاعر الأندلسي عباس بن فرناس في وصفه لجيش المسلمين في غزوة وادي سليط(٣):

ومختلف الأصوات مؤتلف الزحف   لهوم الفلا عبل القنابل ملتف

ولا يغيب عنا ونحن نتحدث عن هذه المطالع التي يهجم فيها الشاعر على غرضه مباشرةً شعر الاستصراخ والاستنجاد ، فقد تكون القصيدة ذات صلة في لغتها بروح القديم ، ولكن الموقف يقتضي تنحية المقدمة التقليدية، كما فعل ابن الأبار القضاعي في سينيته الرائعة التي يستنجد فيها بابن تاشفين لإنقاذ الأندلس من أيدي النصارى، فيقول(٤):

---

(١) ديوان أبي تمام ، شرح التبريزي ، ص٤٠.

(٢) نفسه.

(٣) ابن عذاري ٢ / ١٦٦.

(٤) ديوان ابن أبار ، تحقيق : عبد السلام الهراس ، ص٣٩٥.

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا   إن السبيل إلى منجاتها درسا

فقد جمعت هذه القصيدة بين الاستغاثة والمديح ، ولم يكن ابن الأبار يرمي إلى تقليد قديم ولا محدث ، وإنما ينطلق على سجيته متمثلًا روح الشعر العربي الذي يجري على ألسنة الشعراء قبله دون تصنع أو تكلف ؛ وخير مثال لذلك في شعر المحدثين سينية البحتري التي جمعت بين المديح والرثاء .

وعلى أية حال فإن أمثال هذه المطالع لا تخرج الشاعر من لغة الشعر القديم ؛ ذلك بأن المقدمات الطللية المعهودة لا تشكل سوى مظهر واحد من مظاهر التيار القديم .

النسق النقدي وتجربة شعراء الأندلس :

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الشعر العربي بالأندلس قد استوعب الأصول الفنية القديمة والحديثة ، ولم يكبل نفسه في اتجاه واحد ، بل جعل القديم أصلًا يبني عليه ويحكّمه في بنية الشعر ومدى صيرورته بين الناس .. يقول حسين خريوش : " فقد كان للأدب القديم مكانة كبيرة في أنفسهم على نحو جعلهم يتقيدون بأسلوبه الأدبي خاصة في مدائحهم ، فاتخذ طائفة من الشعراء طريقة القدماء في بناء المدحة وصياغتها من افتتاح واستهلال ، وحسن تخلص ووصف الرحلة ، وذكر خصائص الممدوح ، وذلك استدرارًا لماله وعطائه .... "(١).

ولم ينفك عنه ذلك الأصل حتى في أزهى عصور تطور الشعر وانطلاقه

(١) ابن بسام وكتابه الذخيرة ، حسين خريوش ، ص ١١٩.

إلى مدى أرحب في عصر حكام الطوائف الذين أضحت مجالسهم منابر لإنشاد الشعر ونقده، من أمثال:بني عباد بإشبيلية،وبني الأفطس ببطليموس، وبني صمادح بريَّه، وبني جهور بقرطبة، ومجاهد العامري بدانية، والجزائر الشرقية، وبني ذي النون بطليطلة، وبني هود بسرقسطة ؛ وقد فاخر ابن بسام في ذخيرته بتلك الحياة الأدبية في ذلكم العصر وما كان بين أمراء الطوائف من تنافس شديد في استقطاب الشعراء والبلغاء ومشاركة هؤلاء الأمراء شعراءهم في صنعة الشعر، وقد اجتمع لهذا الإقليم الغربي كما يقول صاحب الذخيرة:" ما باهى الأقاليم العراقية وأنسى بلغاء الدولة الديلمية فقلما رأيت فيه ناثرًا غير ماهر ، ولا شاعرًا غير قاهر .. "(١).

وعلى الرغم من مبالغات ابن بسام وصدحه بعبارات توحي بملل الناس من مطالع القصائد القديمة وأنَّ كل مردد ثقيل ، وكل متكرر مملول ، وأن الأسماع مجت " يا دار مية بالعلياء فالسند " والطباع ملت " لخولة أطلال ببرقة ثهمد " ، ومحت " قفانبك " في يد المتعلمين ، ورجعت على ابن حجر بلائمة المتكلفين ، فأما " أمن أم أوفى " فعلى آثار من ذهب العفا ، أما آن أن يُصمَّ صداها ، ويسأم مداها ؟ وكم من نكتة أغفلتها الخطباء ، ورب متردم غادرته الشعراء(٢).

نقول رغم كلام ابن بسام هذا ، فإن الذوق الفني ينقض ما قاله فقد دفعته عصبيته الإقليمية إلى التغافل عما تشي به النصوص الشعرية في عصره من تغلغل تلك المطالع القديمة إليها ، فقد نسج الشعراء على منوالها افتخارًا واعتزازًا بها ، وأزعم بأن مجرد ذكر ابن بسام لها هنا ليؤكد مدى تشبث شعراء

---

(١) الذخيرة ق٢ ، م١ ، ص١٢.

(٢) نفسه ، الصفحة نفسها.

الأندلس على اختلاف عصورهم وطبقاتهم بتيار الشعر القديم ؛ لشدة أسره وجزالة أسلوبه وجريانه مع الطبع وقرب مأخذه وحسن تأتيهم إليه ، وما ذهب إليه ابن بسام بأن الأذواق قد لفظت كل مطلع في الشعر القديم ليس على إطلاقه ، ففي عصره هذا عشرات الشعراء برعوا في منافسة المحدثين ولم يتبرموا بالقديم ، بل جعلوه نصب أعينهم ، وقد رأينا ذلك عند ابن دارج وابن خفاجة وغيرهم ، بل إن بعض شعراء هذا العصر لم يتركوا المطلع التقليدي حتى في موشحاتهم على الرغم من أنها فن جديد مبتكر خارج عن الشعر في بنيته ، فهذا ابن زيدون الشاعر الحضري المتأنق يقول في موشحة له يتذكر فيها قرطبة(١):

سقى الغيث أطلال الأحبة بالحمى   وحاك عليها ثوب وشي منمنما

وله قصيدة في مدح أبي الوليد محمد بن جَهْور مطلعها(٢):

أجل إن ليلى حيث أحياؤها الأسد   مهاة حمتها في مراتعها أسد
يمانية تدنو وينأى مزارها   فسيان منها في الهوى القرب والبعد

ولا أظن مطلعًا لمدحة كهذه يحتاج إلى كبير تأمل لإثبات صلته بشعر القدماء ، فهو ينبئُ عن نفسه ، ويعرب عن تجربة شاعر حاذق أدرك أن عراقته الفنية في تمسكه بتقاليد الشعر العربي مهما تباعد الزمان والمكان ، ومهما تجدد الفن ، وتعددت ألوانه ، واتسعت آفاقه ، يقول شوقي ضيف : " وطبيعي

(١) ديوان ابن زيدون ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، ص ١٩٧.
(٢) نفسه.

لهذا الشاعر الذي اختبر أوتار القيثارة العربية أدق اختبار ، واستمع إلى شدوها ونغماتها أرهف استماع أن يشتد تأثره بمن سبقوه ، وأن يستعير منهم في الحين بعد الحين ، وخاصة أن هذا الصنيع كان ضريبة مفروضة على الشعراء الذين تقدموه جميعًا لا عند المغمورين منهم، بل عند أفذاذهم "(١).

ومن يتأمل عصور الأدب بالأندلس يلحظ أن الشعراء تعاملوا مع الشعر ومذاهبه التي سادت بالمشرق بطريقة تجنح إلى مزج تلك المذاهب ، والاستفادة منها مجتمعة ، وفي الوقت ذاته لا يبخسون التيار القديم مكانته ، ولا ينكرون ريادته مهما انساقوا وراء التجديد ، ومهما دفعهم فضولهم إلى البحث عن كل فن يحمل رواء الحداثة التي تليق ببيئتهم الجغرافية والثقافية وتليق ببلاطاتهم السياسية على اختلاف مشاربهم ؛ ودونكم مثلًا المعتمد بن عباد الملك المترف والشاعر المثقف عندما رثى لحاله في سجن ابن تاشفين أرسل أبياته في نبرة مكلومة(٢):

بكيت إلى سرب القطا إذ مررن بي ... سوانح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تك والله العليم حساده ... ولكن حنينًا أن شكلي لها شكل
فأسرح لاشملي صديع ولا الحشا ... وجيع ولا عيناي يبكيهما ثكل
هنيئًا لها أن لم يفرق جميعها ... ولا ذاق منها البعد من أهلها أهل
وأن لم تبت ليلًا تطير قلوبها ... إذا اهتز باب السجن أو صلصل

ويرى ابن بسام أن المعتمد قد التفت في أبياته هذه إلى قصيدة ابن شهيد الدالية التي بناها على مذاهب العرب، فألم المعتمد ببعض معانيها، فقوله

(١) ابن زيدون ، شوقي ضيف ، ص ٣٠.
(٢) الذخيرة ق٢ ، م ١، ص ٧١.

: " وأن لم تبت ليلًا تطير قلوبها .. البيت"؛ فإنه يشبه قول ابن شهيد[١]:

وما اهتز باب السجن إلا تفطرت   قلوب لنا خوف الردى وكبـود

ولست بـذي قيدٍ يرن وإنمـا   على اللحظ من سخط الإمام قيود

فتأمل أبيات المعتمد بدأها متأثرًا بقول المجنون[٢]:

بكيت على سرب القطا إذ مررن بي   فقلت ومثلي بالبكاء جدير

ثم عرَّج على بعض معاني ابن شهيد السالفة الذكر ؛ وهذا يؤكد أن الشاعر الأندلسي تتداعى عليه معاني السابقين دون القصد إليها فيعجب بها ويؤثرها على غيرها .. وذلك لا ينفي كون الشاعر يراعي مقتضيات عصره مهما كان ولعه بالقديم ، وهذا ما أشار إليه ابن رشيق بقوله :" إن طريق العرب القدماء ، في كثير من الشعر قد خُولفت إلى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله "[٣].

وما ذهب إليه ابن رشيق لا شك أنه شيء ملموس في شعر المحدثين ، لكن معاني السابقين ولغة الشعر القديم تتسلل كثيرًا لأشعارهم .. فيقع في قبضة النقاد فيصموهم بالسرقة ، والاحتذاء والتلفيق ونحو ذلك .

والحقيقة أن الباحث أحيانًا يجد تناقضًا بين مواقف النقاد وطرائق الشعراء في التعامل مع معاني السابقين ، بل إن البعض منهم كالجاحظ قد أغفل المعنى وعوَّل على اللفظ ، يتضح ذلك من قوله : " إن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها

---

(١) نفسه ، ص ٧٢.

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، ص ٢٩٨.

(٣) العمدة ١/ ٣٠١.

العجمي والعربي والبدوي والقروي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك "[١].

وقد وافق الجاحظ في ذلك طائفة من النقاد كأبي هلال العسكري ، والآمدي، وابن خلدون، وخالفه من المتقدمين ابن قتيبة الذي يرى أن البلاغة تكون في المعاني كما تكون في الألفاظ .. ، وكان الأجدر أن يفرقوا في ذلك بين القدماء والمولدين ؛ لأن هؤلاء الأخيرين كان جل اهتمامهم بالمعاني.يقول ابن جني : " المولدون إنما يستشهد بهم في المعاني ، كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ "[٢] .

وهم كذلك بلا شك ؛ لاتساع معارفهم وتنوع ثقافاتهم ... وكل ذلك لا يمنع من تناول معاني السابقين وتحويرها بأسلوب أو بآخر على سبيل المبارزة التي تطل برأسها من حين إلى آخر بين الشعراء فتتكرر المعاني على ألسنتهم كما قال زهير[٣]:

ما أرانا نقول إلا معارًا   أو معادًا من لفظنا مكرورا

وربما هذا ما عناه صاحب الصناعتين بقوله : "ليس لأحد من أصناف القائلين غنىً عن تداول المعاني ممن تقدمهم ، والصب على قوالب من سبقهم"[٤]، لكن صاحب الوساطة يجعل ذلك من قبيل السرق الذي يعد ظاهرة لا

(١) الحيوان ٣ / ١٣١ ، ١٣٢.

(٢) العمدة ٢ / ٩٦٧.

(٣) هذا البيت اختلف في نسبته ، منهم من ينسبه إلى زهير ومنهم من ينسبه إلى كعب ، انظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، ص ١٨ ، ومشكلة السرقات في النقد العربي ، مصطفى هدارة ص ٢١٨.

(٤) الصناعتين ١٩٦.

يمكن رفضها فيقول : " السرق داءٌ قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه ، وكان أكثر ظاهرًا ، ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب وتغيير المنهاج ، والترتيب ، وتكلفوا جبر ما فيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد ، والتعريض في حال والتصريح في أخرى ، والاحتجاج والتعليل، فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور ما لا يقصر معه على اختراعه وإبداع مثله "(١)، فالقاضي هنا يقرر مبدأ السرقة وحضوره في أشعار المتأخرين شئنا أم أبينا، ولكنه إذ يرى أن السرقة ضرورة من ضرورات عصر المحدثين ، فإنه يلتمس العذر لأهل العصور المتأخرة وينشد الإنصاف فيقول:" ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة وأبعد من المذمة ؛ لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها ، وأتى على معظمها ، وإنما نحصل على بقايا إما أن تكون تركت رغبة عنها أو استهانة بها ، أو لبعد مطلبها واعتياص مرامها ، وتعذر الوصول إليها ، ومتى أجهد أحدنا نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريبًا مبتدعًا،ونظم بيتًا يحسبه فردًا مخترعًا ، ثم تصفح عن الدواوين لم يُخطِ أن يجده بعينه أو يجد له مثالًا يغض من حسنه "(٢).

وكان الشعراء أنفسهم يدركون ذلك منذ القدم بأنه لا مناص لهم من متابعة معاني السابقين ، يقول الجاحظ : " نظرنا في الشعر القديم والحديث فوجدنا المعاني تقلب ويؤخذ بعضها من بعض "(٣)، وقد مرّ بنا في صفحات سابقة من هذا البحث رأي ابن شهيد في تناول المعنى المسبوق إليه، بأن يعمد المتأخر إلى غير العروض التي سبق إليها ذلك المتقدم المحسن(٤)، وهذا ضرب من المبارزة في

(١) الوساطة ٢١٤.

(٢) نفسه ، ٢١٥.

(٣) الحيوان ٣ / ٣١١.

(٤) التوابع والزوابع ، ص ٦٠.

المعاني أدخله النقاد في باب السرقات جزافًا وسموه بالتحوير تارة ، والتلفيق تارة أخرى ، وضربوا لذلك مثلًا قول أبي تمام(١):

أثافٍ كالخدود لُطِمْن حزنًا ونؤيٌ مثلما انفصم السوار

فإنه نظر فيه إلى قول زهير(٢):

أثافي سفعًا في معرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

يقول شوقي ضيف : " فإنك لا شك تُرَاعُ روعة شديدة فهو لا يسرق ، بل هو يحور تحويرًا يجعلك تنسى الأصل وكأنه خلق الصورة خلقًا وابتكرها ابتكارًا"(٣)، ولا نشك في قدرة شاعر كأبي تمام على تبطن المعنى القديم وإظهاره في صورة مونقة ، ولكن لن يكون الإبداع والقدرة على التخلص من خصوصية الطائي فحسب ، بل إن كثيرًا من شعراء التجديد في الأندلس كان يدرك قيمة التحوير الفني لمعاني القدماء ؛ لأن هذا يعطي قيمة لشعر المتأخرين ، إذ كان استخدامه لتلك المعاني مبررًا باستخدام الرواد الذين اضطلعوا بالتوليد في المعاني فلا شك أن فئامًا من الشعراء المولعين بالجديد الذي يُعنى بمعاني القدماء سيأخذون بهذا المنهج،ويظهرون تلك المعاني في حلة جديدة تكاد تنسيك الصيغة الأولى ... وحقيقة أن هذا لم يتأت إلا للشعراء المثقفين بثقافة لم يعرفها القدماء كالفلسفة والمنطق وما استجد من علوم لدى المتأخرين ظهر صداها فيما بعد في إقليم الأندلس نظرًا لتلك الصلات الثقافية المتتابعة والمستمرة بين الأندلس والمشرق، ولاسيما بعد رحيل بعض علماء اللغة والنحو، فقد أفاد الشعراء في الأندلس

---

(١) انظر : الفن ومذاهبه ، ص ٢٩٨.

(٢) نفسه ، الصفحة نفسها.

(٣) نفسه ، الصفحة نفسها.

منها، وأخذوا يستمدون من معاني القدماء ، إضافة إلى الإلمام بطريقة بعض أهل عصرهم ممن تفننوا في أساليب الشعر بالمشرق فحذقوا الصناعة ، وبرعوا في تحوير ذلك المستمد وتغييره وإعادة إنتاجه براعة فائقة ، ليخرج بصورة مشرقة قد تختلف عن صورة الأثافي في بيت أبي تمام السابق التي جمعت بين الحمرة والسواد، والتي ترى في خدود الغواني ، فيحيلها الحزن إلى سواد يحتك مع تلك الحمرة ، ثم يتشكل منها لون آخر .

وقد ساق لنا ابن شهيد جملة من أقوال الشعراء في تعاور المعنى الواحد، وهي نمط من التحدي يأتي على هيئة محاولات شعرية رأيناها كثيرًا في شعر الشعراء الجاهليين وتبعهم بعض الشعراء من مشارقة وأندلسيين، فابن شهيد يذكر في هذا الباب ما تعاورته الشعراء من المعاني ناظرًا لمن زاد فأحسن الأخذ، ومن قصر، وأين موطنه هو من هذين، فأنشد قول الأفوه الأودي :(١)

وترى الطير على آثارنا   رأي عين ثقة أن ستمار

وأنشد آخر قول النابغة :(٢)

إذا ما غزو بالجيش حلق فوقهم   عصائب طير تهتدي بعصائب
تراهن خلف القوم خـــزرًا عيونهـــا   جلوس الشيوخ في ثياب المرانب
جوانـــح قد أيقـــن أن قبيلـــه   إذا ما التقى الجيشان أول غـــالب

وأنشد الآخر قول أبي نواس :(٣)

(١) التوابع والزوابع ، ص ١٣٢.
(٢) نفسه ، الصفحة نفسها.
(٣) ديوان أبي نواس ..

تتأيا الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره

وأنشد آخر قول صريع الغواني :[1]

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعه في كل مرتحل

وأنشد آخر قول أبي تمام :[2]

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل

ويقرر ابن شهيد على لسان ناقد من الجن فيقول : كلهم قَصَّر عن النابغة؛ لأنه زاد في المعنى ودلّ على أن الطير إنما أكلت أعداء الممدوح ، وكلامهم كلهم مشترك يحتمل أن يكون ضد ما نواه الشاعر ، وإن كان أبو تمام قد زاد في المعنى ، وإنما المحسن المتخلص المتنبي حيث يقول:[3]

له عسكرا خيل وطير إذا رمى بها عسكرًا لم تبق إلا جماجمه

وهنا يأتي دور ابن شهيد ، فيقول : ولكن الذي خَلَّص هذا المعنى كله وزاد فيه وأحسن التركيب ودل بلفظة واحدة على ما دل عليه شعر النابغة وبيت المتنبي ؛ من أن القتلى التي أكلها الطير أعداء الممدوح ، شاعر يسمى فاتك ابن الصقعب ، وهو قناع اتخذه ابن شهيد ليثبت وجوده بين أولئك الشعراء في

(١) التوابع والزوابع ، ص ١٣٣.

(٢) نفسه ، الصفحة نفسها.

(٣) نفسه ، الصفحة نفسها.

قوله[١]:

وتدري سباع الطير أن كماته   إذا لقيت صيد الكماة سباع
لهن لعاب في الهواء وهزة   إذا جدَّ بين الدارعين قراع
تطير جياعًا فوقه وتردها   ظباه إلى الأوكار شباع
تملك الإحسان ربقة رقها   فهن رقيقٌ يُشترى ويباع
وألحم من أفراخها فهي طوعه   لدى كل حرب ، والملوك قطاع
تماصع جرحاها فيجهز نقرها   عليهم ، وللطير العتاق مصاع

وابن شهيد كان مولعًا جدًا بمعاني القدماء، ويرى فيها النفاذ إلى عالم المتلقي لما لها من مهابة في نفسه، فيذكر في موقف سئل فيه عن أي المعاني سُبق إلى الإحسان فيه، وصعب عليه حين رام الاقتراب منه، ولكنه أصر على تحويره وتلطيفه وأبدع فيه ؟ فقال: معنى قول الكندي :[٢]

سموت إليها بعدما نام أهلها   سمو حباب الماء حالًا على حالٍ

مع أنه يرى أنه من المعاني العقم التي عجز شاعر مطبوع كعمر بن أبي ربيعة في مجاراته وافتضح أمره ، عندما قال :[٣]

ونفضت عني النوم أقبلت مشية الـ   ـحباب وركني خيفة القوم أزور

فقال له جليسه : صدقت ، إنه أساء قسمة البيت ، وأراد أن يلطف

(١) نفسه ، ص ١٣٤.
(٢) نفسه ، ص ١٣٥.
(٣) نفسه ، الصفحة نفسها.

التوصل ، فجاء مقبلًا بركن كركنه أزور ، وابن شهيد يصرح بأنه : " معجب ببيت امرئ القيس السالف ، وقال في ذلك المعنى أبياتًا يرى أنه بزّ فيها ابن ربيعة وطاول الكندي " يقول فيها[1]:

ولما تملأ من سكره ... فنام ونامت عيون العسس
دنوت إليه على بعده ... دنو رفيق درى ما التمس
أدبُّ إليه دبيب الكرى ... وأسمو إليه سمو النَفَس
وبت بها ليلتي ناعمًا ... إلى أن تبسَّم ثغر الغلس
أقبل منه بياض الطُّلا ... وأرشف منه سواد اللعس

وعلى العموم فإن فعل ابن شهيد هذا من التحوير الفني الذي قبله شوقي ضيف من أبي تمام ، فهو فن قد شاع في شعر المحدثين ويبعد أن يكون من التلفيق المعيب بحسب شوقي ضيف، الذي يعده هروبًا من التحوير الفني الذي أجاد فيه أبو تمام ، وأما التلفيق والتضمين والاقتباس ، وتحول الشعر إلى نظم ؛ فهي اتجاهات لا تفصح عن مقدرات فنية ، كما يقول شوقي ضيف[2]، إنما تفصح عن تلفيق غريب وهذا ما جعله يقلل من بيت المتنبي[3]:

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به ... ولقد يكون به الزمان بخيلا

بالقياس إلى بيت أبي تمام[4]:

(١) نفسه ، ص ١٣٦.
(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، ص ٣٠٠.
(٣) نفسه ، ص ٣٠٠.
(٤) نفسه، ص ٣٠٠.

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

فيقول : " فإنك تحس بأن المتنبي لم يصنع شيئًا أكثر من التشويه فبيت أبي تمام أجود سبكًا وأجمل لفظًا ، ولكنه تَعَثُّرُ الحضارة العربية ، بل هو تعثر الفن العربي إذْ لم يحدث فيه جديد واسع إلا هذا التقليد الذي كاد يقضي على الابتكار والأصالة في الشعر والشعراء "(١). ولا أرى شوقي ضيف هنا إلا مجازفًا مجحفًا على المتنبي ؛ لأنه شاعر ذو مقدرة عالية ، وله تصرف في المعاني سبق فيه أهل عصره وأخمل لفيفًا من شعراء دهره ، ولو أن الدكتور شوقي ضيف استخدم مصطلح " التوليد " ؛ لكان أليق بالمتنبي من مصطلح " التلفيق " وهو أمر شائع قبل عصر المتنبي ، ولعل بيت عمر بن أبي ربيعة(٢):

فأسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناه ولا زاجر

يدخل في هذا الباب ؛ فقد ولده من بيت امرئ القيس الذي جاذبه ابن شهيد ، وهو قوله :

سموت إليها بعدما نام أهلها .... البيت(٣)

رؤية أخيرة :

ولا نريد أن نشغل هذا البحث بعيدًا عن شعراء الأندلس.وإنما اقتضت طبيعته أن نربط بين طرائق الشعراء الذين يأرزون إلى أرومة عربية واحدة، وقد جرنا

(١) نفسه ، الصفحة نفسها.

(٢) التوابع والزوابع ، ص ١٣٥.

(٣) نفسه ، الصفحة نفسها.

البحث إلى الوقوف على ما يبرر للأندلسيين حبهم للتيار القديم ، وتغلغله بين فنونهم ، ولا جرم أن المنبع واحد والثقافة واحدة ، ولا أعد الشاعر العربي في الأندلس إلا أحد البارعين الذين لم يقفوا حيارى أمام الفن في ثباته وتجدده وإن أجبرته خطوب الزمان على العيش خارج الأقاليم العربية ، ومع ذلك لم ينس ينابيعه القديمة وكأني به قد استوعب " أصول علم الأدب وأركانه الأربعة التي أشار إليها ابن خلدون ؛ وهي : " أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي البغدادي "(١).

أما ما يردده بعض الدارسين المتأخرين من أن الأندلس أخذت تبني شخصيتها على قوالب مشرقية ونحو ذلك ؛ فقد أثبتت الدراسة من خلال النصوص الشعرية التي عرضناها أن الشعراء الأندلسيين لا يعدون أنفسهم خارجين عن إطار الشعر العربي ، ومن مقتضى هذه الصلة الحميمة أخذوا يستمدون من تلك الجذور التي كانت ولا تزال منبعًا صافيًا للشعراء في المشرق وغير المشرق ، ولذلك ظلت أحاسيس الشعراء المقيمين خارج الأقاليم العربية ومشاعرهم مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمنابعهم الأولى التي لم يكن ثمة ما يصرفهم عنها بحيث يُنسيهم إياها ، كتلك الفنون والثقافات التي وجدت بالمشرق من علوم فارسية ويونانية وهندية وغيرها ، ثم لا يغيب عن الذهن أن صلة الأندلس لم تنقطع عن المشرق ، فقد كان الولاة والأمراء من بني أمية يحرصون أشد الحرص على توثيق تلك الصلة ، ونقل ثقافتهم وعلومهم الأولى التي أبعدوا عنها واحتضنتهم الأندلس، وقد رأينا ذلك منذ زمن الداخل وأبنائه وأحفاده ، بل كان هؤلاء الأمراء من وسائل ترسيخ جذور الأدب العربي في المشرق لتعظيمهم

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٨٠٥ ، البيان والتبيين ج١ ، مقدمة المحقق.

للشعر، وقديمًا قيل بأنه لو زعم زاعم أنه لم يقم أحد بالملك من بني أمية بالأندلس إلا وهو جامع لأسباب الأدب؛ لكان حقيقًا في زعمه.ولولا أدبهم لما نفق الأدب والشعر عندهم ، ذلك فإن نفاق السوق جلاب(١).. واستمر تأثير هؤلاء إلى آخر لحظة من حياة العرب في الأندلس ، ولم يأت من خلفهم على عرش الأندلس إلا على ثقافة ناضجة قد تركت بصمات واضحة في ذلك الصقع ، وتوطدت عراها، ولم يجدوا محيصًا عنها لأن أوروبا كانت في العصور الوسطى فقيرة ذهنيًا وثقافيًا خالية من أدنى مقومات الإبداع والمعرفة عدا تلك الشروح القاصرة على كتب الإنجيل المكتوبة باللاتينية التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولذلك صاح القس "الفارو"(٢) صيحة منكرة عندما رأى الشبان النصارى يقبلون على علوم العرب وآدابهم ، ضاربين صفحًا عن تلك الشروح ، والأساطير التي لا تمت إلى الحقائق العلمية والتاريخية بصلة، فقد وجدوا ضالتهم في علوم المسلمين وأشعار العرب.

وإذا كانت النظرة لشعراء الأندلس بمثابة عقدة قديمة اصطنعها ابن بسام بقوله : "إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق ... "(٣)، ووظفها المتأخرون في دراساتهم وأبحاثهم ، ونسجوا على خيوطها تهمًا للأندلسيين ، فلماذا نتناسى تلك العقدات التي صاحبت أدبنا في المشرق في أوج ازدهاره يقول الدكتور عبد الله الطيب : "ولو جاز لنا أن ننسب إلى قدماء شعرائنا عقدات كما يقال في النفسانيات اليوم مثلًا عقدة أوديب، لتحدثنا إذن عن عقدة ابن أبي ربيعة وعقدة أبي الطيب ، وهلم جرا، وكم من مشبه في اجتهاده

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي ، ٣/٢٦٩.

(٢) الأدب الأندلسي ، عصر الدول والإمارات ، شوقي ضيف ، ص ٦.

(٣) الذخيرة ق١، ج١، ص ١٢.

في ترقيق الغزل صاحب حمار أعرج ، قميء ، وما أكثر مقلدي أبي الطيب منذ زمان أبي فراس ، والشريف ، إلى ما شاء الله سبحانه وتعالى "[1].

حقيقة: إن القارئ المنصف عندما يتملّى الشعر العربي في الأندلس لا يملك إلا أن يشيد بعمق نظرة هؤلاء الشعراء وبراعتهم في استغلال عبقرياتهم لتوظيف معاني القدماء توظيفًا تتعدد مساراته، وتتنوع أساليبه، وهنا تكمن عبقرية الإنسان المبدع، إذ إن أهم ما يميزها هو استثماره لما حوله من إبداعات وأفكار حواها عقله، وما اشتمل عليه خياله من تهويمات، وما انطوت عليه جوانحه من دوافع ورغبات[2].

وإذن فنظرة الأندلسيين للموروث ليست نظرة سطحية ، ولا مجرد تقليد له ، فهم لم يقبلوا كل ما يرد إليهم من المشرق دون تمحيص وتدقيق في قضاياه ، ولذلك وصلوا إلى بر الأمان، وتميزوا بعد معاناة طويلة ، وسبر لأغوار الفن ، وعرضوه على عقولهم ومن ثم حاكموه وحككوا غامضه وواضحه ، وأدركوا ضرورته بالنسبة لرقي علومهم ، فلم يدخر العالم منهم وسعًا في قراءة قديمه وحديثه ومن ثم إعادة تشكيله في مخيلته ، بل وتصنيفه تصنيفًا ينم عن وعي بهذه الصناعة ... ومما يؤكد ولوج أهل الأندلس إلى أعماق هذا الفن والعلم بسياقاته الفنية ، ذلك التقسيم الذي ورد عند ابن حزم ، حيث صنفه إلى صناعة ، وطبع ، وبراعة .

- فالصناعة هي الجمع بين الاستعارة والتخليص على المعاني كشعر زهير وأبي تمام .

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، عبدالله الطيب ، ج ٤، ق ١، ص ٨٠٧.

(٢) الخلق الفني ، مصري عبد الحميد حنورة ، ص ٥.

● والطبع ما أشبه المنثور في تأليفه وسهولته ولم يقع فيه تكلف " كشعر جرير وأبي نواس" .

● والبراعة : هي التصرف في المعاني الدقيقة البعيدة والإكثار مما لا عهد للناس به بالقول فيه، وإصابة التشبيه وتحسين المعنى اللطيف "كشعر امرئ القيس وابن الرومي "(١)

فانظر إلى هذا التقسيم العجيب الذي لا يصدر إلا ممن عرف الشعر العربي، واستوعب التحولات التي مر بها، واستشف خيطًا دقيقًا يربط بين الشعراء منذ العصر الجاهلي إلى عصر المحدثين ، وهذا هو حال الفنون بصفة عامة ، لا تنفصل فروعها عن جذورها ، ولا تؤثر الأزمان واختلاف البيئات في تماسكها وتشاكلها ، وهذا هو حال الشعر العربي ليس سوى حلقات متصلة ببعضها، ووجود التيار القديم في الشعر العربي في الأندلس تقتضيه تلك الصلة الحميمة المتشابكة ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يُدرس هذا الشعر بعيدًا عن أصوله الفنية مهما تجنى أو تطاول مدعي .

ومما سبق ظهر لنا أن التزام "عمود الشعر " أو التيار القديم غدا شيئًا حتميًا فرض نفسه على الشعراء ، يتساوى في ذلك المشارقة والأندلسيون ، بل إنه صَاحَب الشعر حتى في العصر الحديث ، فالمتأمل لشعر البارودي وشوقي ومن عاصرهم يُدرك مدى تشرب دمائهم بقديم الشعر؛ فلم يستطيعوا التخلص من سياجه حتى في بعض أعمالهم المسرحية التي كانت فكرتها وولادتها

---

(١) التقريب لحد المنطق ، ص ٢٠٤ ، انظر : تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر قيادة قرطبة، ص٣١٢.

أوروبية، وهذا ما جعل أحد الباحثين المعاصرين يلقي عليهم باللائمة لأنهم رضوا بأن يظلوا أسرى لتقاليد الشعر القديم حسب رأيه ، فعمود الشعر بالنسبة لهم هو بمثابة " لزوم ما لا يلزم في الشعر الغنائي، وهو نفسه لزوم ما لا يلزم في الشعر التمثيلي أو المسرحي ، فشوقي وعزيز أباظة مثلًا قد التزما عمود الشعر من حيث وحدة القافية ووحدة البيت تمامًا كما كانت العرب تفعل حين تتغزل أو ترثي ، وحين تهجو أو تمدح ، وحين تفكر أو تتأمل في أمور الدنيا وشؤون الحياة"(١).. وما ذهب إليه هذا الباحث لم يجنف فيه عن الحقيقة ، فقد بات الأمر ملموسًا ، إذ ليس من السهولة بمكان أن تتخلص ذاكرة شاعر متأخر من تراث الأقدمين ، كما لا يمتلك الشاعر القدرة أن يخلي بين ذاكرته وبين استدعائها لرنين الشعر القديم ، فلسانه لابد أن يجري على نسق النماذج القديمة التي انطبعت في مسمعيه ، ولا يرى الشاعر غضاضة في ذلك حتى في العصر الحديث ، فالبارودي وهو رائد عصره قد غرق في القديم حتى أذنيه ، وسيطرت روح ذلك الشعر على ذائقته الفنية ، يفهم ذلك من قوله(٢):

تكلمت كالماضين قبلي بما جرت ... به عادة الإنسان أن يتكلما
فلا يعتمدني بالإساءة غافلٌ ... فلا بد لابن الأيكِ أن يترنما

وكيف لا يحق لشاعر اختار الأندلس موطنًا والشعر العربي موئلًا ، وهو ابن أيكٍ آخر قد سبق البارودي بحقب مديدة ألا يترنم ، وقد علقت جناحاه بأغصان ذلك الأيك ، وألا يتكلم كالماضين بما جرت به عادة الإنسان أن

(١) " عزيز أباظة الشاعر اللامسرحي " جلال عشري ، مجلة الفيصل ، ع ٢٧ ، رمضان ١٣٩٩ ، أغسطس ١٩٧٩ ، السنة الثالثة ، ص٥٦ وما بعدها.

(٢) نفسه ، الصفحة نفسها.

يتكلم به ؟ وكيف به وقد بنى فنه على رصانة الشعر القديم وصقل موهبته بجزالته؛إنه إذ ذاك لو رام الالتفات إلى سواه لأضحى كطائر "فقد عشه، فيهوي من حالق سموقه وشموخه إلى حيث التعبير العادي عما هو عادي .." [١].

خاتمة :

ولعلنا نختم هذا البحث بنتيجة هي أم النتائج. وهي: أن التيار القديم كان ومازال متغلغلًا في الشعر العربي بكافة أشكاله عبر مسيرته الطويلة، وخصوصًا في التربة الأندلسية، لأن شعراء الأندلس حريصون أشد الحرص أن تأتي لغتهم الشعرية منسجمة مع لغة الفن الأصيل الذي رضيه أهل هذه الصناعة منذ فجر تأريخ الشعر العربي، وظلوا متمسكين بروح هذا الفن وجوهره، حتى في ذلك اللون الجديد الذي ابتكروه، وهو: فن الموشحات، فقد طوَّعوه ما أمكن للغة الشعر القديم، وقد ذكرنا أمثلة لذلك، وكل هذا ليس تقليدًا ولا محاكاةً؛ وإنما هو حبٌ عميق ، وانتماء شديد لفنون الشعر القديمة .

وبعد : فإن هذه الدراسة قد كشفت عن قوة سريان دم الشعر القديم في ذاكرة الشعراء الأندلسيين، وأنهم ليسوا بدعًا في ذلك،.. فالمحدثون الذين عدّهم النقاد غير ملتزمين عمود الشعر لم يخرجوا أصلًا عن قوانين الشعر الأساس، وكل ما في الأمر أنهم لم يكتبوا بالطريقة القديمة المعروفة السهلة، ولم يتحدثوا عن أشياء لم يروها رؤيةً ورؤيا. أما الروح الشعرية العربية .. لم

(١) نفسه ، الصفحة نفسها.

يخرجوا عليها ولا يستطيعون؛ لأنها تجري في دمهم وحياتهم؛ ولأنها تتصل بجوهر الأصالة..، فهي ضميره ونسغ تاريخه[1].وبذلك تنتفي فكرة القول بالتقليد والمحاكاة بالنسبة لشعراء الأندلس، فيجب أن تكون النظرة إليهم واحدةً كأي شاعر عربي ظل فنه موصولًا بجذوره مهما جدد وابتكر ..

هذا وأحمد الله أولا وآخرا إذ أعانني على تقديم هذا الجهد المتواضع ليكون ضمن حلقات بذلت لخدمة هذا الجزء من أدبنا العربي في بلاد الأندلس، وأننا لم نقل آخر كلمة في هذا الموضوع .. ونرجو الله أن يكون الحق وكدنا وغاية أعمالنا ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

(١) انظر : ديوان الشعر ، ص ٦.

مراجع البحث

أولا / مراجع قديمة :

١- ابن الأبار : أبو عبدالله محمد بن عبد الله ، (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس) عني بنشره السيد عزة العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

(ديوانه)تحقيق :عبدالسلام الهراس ، الدار التونسية للنشر ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م .

(الحلة السيراء) تحقيق : حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة . ط١ ، ١٩٩٣م

٢- ابن الأثير: ضياء الدين، (المثل السائر) تحقيق: أحمد الحوفي، و د. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط٢ .

٣- البحتري : (ديوانه) تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة، وكذلك دار بيروت للطباعة ، ١٩٨٠ م .

٤- ابن بسام : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) ق١ ، م ١ ، ق٢ ، م١ ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، ١٣٩٩ هـ. ١٩٧٩ م .

٥- بشار بن برد : (ديوانه) جمع وشرح : الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية الوطنية .

٦- أبو تمام : (الحماسة) تحقيق: عبدالله عبدالرحيم عسيلان ، نشر جامعة الإمام : محمد بن سعود الإسلامية .

(ديوانه) شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام .

٧- الثعالبي : أبو منصور عبدالملك بن محمد (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ ، ١٣٦٦ هـ – ١٩٤٧ م .

٨- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر:

(الحيوان) تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط٣ ، ١٣٨٨هـ .

(البيان والتبيّن) تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر .

٩- الجرجاني : علي بن عبد العزيز (الوساطة بين المتنبي وخصومه) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، دار القلم ، بيروت .

١٠- حازم القرطاجني : (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) تحقيق : الحبيب بلخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٦م .

١١- ابن الحداد : (ديوانه) تحقيق : يوسف الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ م .

١٢- ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد (التقريب لحد المنطق) تحقيق : إحسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت .

١٣- الحميدي: أبو عبدالله محمد بن فتوح (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس) الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م.

١٤- ابن الخطيب : ذو الوزارتين ، لسان الدين (الإحاطة في أخبار غرناطة) تحقيق : محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٣ هـ .

١٥- ابن خفاجة : (ديوانه) تحقيق : سيد غازي ، منشأة المعارف ، ط٢ ، وكذلك تحقيق : يوسف شكري فرحات .

١٦- ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد (مقدمة ابن خلدون) دار القلم ، بيروت ط٥ ، ١٩٨٤ م .

١٧- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (وفيات الأعيان) تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ،١٩٦٨ م .

١٨- ابن خير : أبو بكر محمد (فهرسة ما رواه عن شيوخه) منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ

١٩- ابن دراج : (ديوانه) تحقيق : محمود علي مكي ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٣٨١هـ – ١٩٦١م .

٢٠- ابن رشيق : (العمدة) تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢م ، وكذلك تحقيق : محمد قرقزان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .

٢١- ابن الرقاع " عدي " : (الموسوعة العالمية للشعر العربي – شعر عدي بن الرقاع) رقم القصيدة ١٩٢٤ .

٢٢- الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن (طبقات النحويين واللغويين) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر،ط٢.

٢٣- ابن سعيد : علي بن موسى بن سعيد الأندلسي (المغرب في حلى المغرب) حققه وعلق عليه : شوقي ضيف، دار المعارف، ط٣ .

٢٤- ابن شهيد : أبو عامر أحمد بن عبدالملك :

(ديوانه) جمع وتحقيق : يعقوب زكي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .

(رسالة التوابع والزوابع) تحقيق ونشر : بطرس البستاني ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٧م .

٢٥- الصولي : محمد بن يحي (أخبار أبي تمام) تحقيق : خليل عساكر ، وزميليه ، المكتب التجاري ، بيروت .

٢٦- الضبّي : أحمد بن يحي بن أحمد (بغية الملتمس) دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٧- الأعمى التطيلي : (ديوانه) تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .

٢٨- ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد :

(ديوانه) تحقيق : محمد التونجي ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، بيروت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

(العقد) تحقيق وترتيب و تصحيح : أحمد أمين، و أحمد الزين، وإبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

٢٩- ابن عذاري : (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) تحقيق ومراجعة : ج .س كولان ، و ليفي بروفينسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٢، ١٤٠٠هـ .

٣٠- العسكري : أبو هلال (الصناعتين) تحقيق : مفيد طميحة ، دار الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

٣١- أبو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) دار إحياء التراث العربي ، مصور عن طبعة دار الكتب .

٣٢- ابن الفرضي : أبو الوليد عبدالله بن محمد (تاريخ علماء الأندلس) نشر : اللجنة المصرية للتأليف والترجمة ،ضمن المكتبة الأندلسية ، وكذلك نشره : السيد عزت العطار ، القاهرة ١٣٧٣ هـ .

٣٣- ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم (الشعر والشعراء) تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف .

٣٤- ابن القوطية : (تاريخ افتتاح الأندلس) تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢هـ.

٣٥- الكلاعي : أبو القاسم محمد بن عبد الغفور(إحكام صنعة الكلام) تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة ببيروت، ١٩٩٦ م .

٣٦- المتنبي : أحمد بن حسين (ديوانه) شرح: العكبري ، تصحيح وضبط : نخبة من الأساتذة ، الطبعة الأخيرة ،١٣٩١ هـ .

٣٧- أمرؤ القيس : (ديوانه) تحقيق : حسن السندوبي ، ط٥ .

٣٨- المرزوقي : أبو علي أحمد بن محمد (شرح ديوان الحماسة) نشره : أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، القاهرة ط٢ ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧ م .

٣٩- مسلم بن الوليد : (ديوانه) تحقيق : سامي الدهان ، ط٣ ، دار المعارف ، مصر .

٤٠- المقري : أحمد بن محمد (نفح الطيب) تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م .

٤١- النابغة الذبياني : (ديوانه) شرح وتقديم : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ .

٤٢- أبو نواس : (ديوانه) تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

٤٣- ابن الورد : (الموسوعة العالمية للشعر العربي – شعر عروة بن الورد) قصيدة رقم ٦٦٠٤ .

٤٤- ياقوت الحموي : (معجم الأدباء) الطبعة الأخيرة ، دار إحياء التراث ، بيروت .

ثانيا / مراجع حديثة :

١- إبراهيم منصور محمد حسين : (استيحاء التراث في الشعر الأندلسي) عالم الكتب ، إربد ، الأردن ، ٢٠٠٦ م .

٢- إحسان عباس : (تاريخ الأدب الأندلسي " عصر سيادة قرطبة " و " عصر الطوائف والمرابطين ") دار الثقافة ، بيروت ، ط ٦ .

٣- أحمد أمين : (ظهر الإسلام) ج٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٥ .

٤- أحمد ضيف : (بلاغة العرب في الأندلس) مطبعة مصر ، شركة مساهمة ، ط١ ، ١٣٤٢ هـ .

٥- أحمد عبد المقصود هيكل : (الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة) دار المعارف ، ط٦ ، ١٩٧٩ م .

٦- أحمد محمد عبيد : (شعر قبيلة كلب) جمع وتحقيق ودراسة : المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية ١٩٩٩ م .

٧- إيمان السيد أحمد الجمل : (المعارضات في الشعر الأندلسي) عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط١، ٢٠٠٦ م .

٨- بطرس البستاني : (أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث) دار المكشوف ، ودار الثقافة ، ط٦ ، ١٩٦٨ م .

٩- جلال عشري : (عزيز أباظة الشاعر اللا مسرحي) مجلة الفيصل ، ع ٢٧ ، رمضان ١٣٩٩هـ السنة الثالثة .

١٠- جودت الركابي : (في الأدب الأندلسي) دار المعارف ، مصر ، ط ٣، ١٩٦٦م.

١١- حسين المرصفي : (الوسيلة الأدبية) ٢ج / ج١ ، ١٨٧٢ – ١٨٧٩ .

١٢- حسين خريوش : (ابن بسام وكتابه الذخيرة) دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ، ١٩٨٤ م .

١٣- حكمت الأوسي : (فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة) مكتبة المعارف ، الرباط ، ط٤ وكذلك مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ .

١٤- شكري فيصل : (أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره) دار الملاح للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م .

١٥- شوقي ضيف : (عصر الدول والإمارات . الأندلس) دار المعارف .

(الفن ومذاهبه في الشعر العربي) دار المعارف ، القاهرة ، ط١٠ .

(الفن ومذاهبه في النثر العربي) دار المعارف ، القاهرة ، ط ٨ .

(ابن زيدون) دار المعارف ، ط ١١ .

١٦-طه أحمد إبراهيم : (تاريخ النقد عند العرب) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧م .

١٧-عبد العزيز عتيق : (الأدب العربي في الأندلس) دار النهضة ، بيروت .

١٨-عبد القادر القط : (حركات التجديد) نشر ضمن كتاب (إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين) .

١٩-عبدالله التطاوي : (المعارضات الشعرية ، أنماط وتجارب) دار قباء ، القاهرة، ١٩٩٨م .

٢٠-عبدالله الطيب : (المرشد إلى فهم أشعار العرب) ج٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢، ١٩٧٠م .

٢١-عبدالله الغذامي : (الخطيئة والتكفير : من البنيوية إلى التشريحية) دار سعاد الصباح ، الكويت ، ط٣ ، ١٩٩٣م .

٢٢-علي أحمد سعيد : (ديوان الشعر) دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

٢٣-علي لغزيوي : (أدب السياسة والحرب في الأندلس) مكتبة المعارف ، الرباط – المغرب ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

٢٤-فاطمة طحطح : (الغربة والحنين في الشعر الأندلسي) منشورات كلية الأداب ، جامعة محمد الخامس ، سلسلة رسائل وأطروحات ، رقم ١٩ ، المغرب ط ١ ، ١٩٩٣ م .

٢٥-محمد بنيس : (الشعر العربي الحديث) دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، المغرب ، ط٢ ، ١٩٩٩م .

٢٦-محمد عبد العزيز الكفراوي : (الشعر العربي بين الجمود والتطور) مكتبة نهضة مصر ، الفجالة ، ط١ ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م .

٢٧-محمد عبد العظيم : (في ماهية النص الشعري) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ط١ ، ١٤١٥ هـ – ١٩٤٩م .

٢٨-محمد علي الهاشمي : (طرفة بن العبد ، حياته وشعره) عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

٢٩-محمد غنيمي هلال : (الأدب المقارن) دار الثورة والثقافة ، الطبعة الخامسة.

٣٠-محمد مصطفى هدارة : (مشكلة السرقات في النقد العربي) المكتب الإسلامي ، ط٣ ، ١٩٨١ م ،

(اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري) دار المعارف ، ط٣ .

(مقالات في الأدب والنقد) مطابع دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

٣١-مصري عبد الحميد حنورة : (الخلق الفني) سلسلة الألف كتاب ، دار المعارف .

٣٢-مصطفى صادق الرافعي : (تاريخ آداب العرب) ج٣ ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٤ هـ .

٣٣-مصطفى ناصف : (قراءة ثانية لشعرنا القديم) منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب .

(نظرية المعنى)

٣٤-منجد مصطفى بهجت : (الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة) مديرية دار الكتب ، العراق ، ١٤٠٨هـ .

٣٥-نافع محمود : (اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري) دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ط١ ، ١٩٩٠ م .

٣٦-نجيب البهبيتي : (تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري) دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م .

٣٧-وليد قصاب : (عمود الشعر العربي) دار العلقم ، الرياض ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

٣٨-يوسف حسين بكار : (بناء القصيدة العربية) دار الإصلاح للطباعة والنشر ، الدمام .

ثالثا / مراجع مترجمة :

١- إنخل بالانثيا : (تاريخ الفكر الأندلسي) ترجمة : حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ومكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥ م .

٢- جارثيا جومث : (الشعر الأندلسي) ترجمة : حسين مؤنس ، سلسلة الألف كتاب ، إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم .

٣- كارلو نالينو : (تاريخ الاداب العربية) مقدمة طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٧٠ م .

٤- يوهان فك : (العربية) ترجمة : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٤٠٠ هـ .

فهرس الموضوعات